دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية

تأليف الجنرال

هـ . ج . فون ايزيبيك

سنوات المصير

وقائع الحرب الليبية

١٩٤١ - ١٩٤٣م



تعريب

الملازم الأول رضا استنبولي

وافقت رئاسة الأركان العامة للجيش والقوى المسلحة
على طبع ونشر هذا الكتاب بموجب
امرها الاداري رقم ٤٦٥ – م ع بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٥٤

سلسلة عيون التاريخ العالمي
٤

الاهداء

الى

جموع الشهداء الابرار ابطال الجيش السوري العربي الذين قضوا في سبيل الذود والدفاع عن حرية العروب الغالية .

والى

الرجال الاحياء ضباط وافراد هذا الجيش الساعيين الى القيام بواجباتهم المقدسة والمسارعين في السبل المثلى الى المجد والخلود .

ارفع هذا الكتاب

علهم يجدون في طياته ما يعنيهم من معاني البطولات المماثلة التي حفلت بها وقائع تاريخهم المجيد والتي ورثوها عن اسلافهم الغر الميامين .

دمشق في ٢ تشرين اول ١٩٥٥

محمد رضا استنبولي

التاريخ العسكري

- سيرة البطولة وقصة الابطال
- وامثولة الرجال الصاعدين الى مصاف القادة الكبار
- ما أحرانا ان نجعله دراسة قومية وطنية يلقنها رجال الفداء لأبناء الفداء

رضا استانبولي

مقدمة المؤلف للنسخة العربية

الجنرال هـ . ج . فون ازيبيك

Vorwort Fur Arabische ausgabe

H, G. Von Esebeek

في صباح ١٢ نيسان عام ١٩٤١ وقفت المرة الأولى تجاه الرجل الذي لا يزال العالم يمجد ذكراه حتى اليوم وهو المارشال رومل . وكان ذلك عند الكيلومتر ٣١ على أبواب بلدة طبرق حين أعلمته بتنفيذ مهمة كان أوكل إلي أمر تنفيذها إذ قال لي : « اذا أردت أن تتطلع على شيء فما عليك إلا أن تتبعني » ثم تسلق احـدى المدرعات الانكليزية المسماة « ماموت » وكان قد غنمها في احدى المعارك واتخذهـا مقراً لقيادته ، وانعطف نحو الطريق المؤدية الى بلدة « اكروما » وكانت تتبعه في طريقه هذه خمس من السيارات المعروفة بالسيارات الشعبية (فولكس فاكن Volks - Wagen) . فاستطلعنا مواضع الانطلاق للهجوم الاول على بلدة طبرق ولاحظنا فجأة ان بعض المدرعات الانكليزية آخذة بالاقتراب نحونا . فأمر المارشال رومل بمهاجمتها ولكن بأي شيء؟ أجل بالسيارات الشعبية . لم نكن متفائلين من هذا الهجوم إلا ان الحذر والشجاعة كلاهما كان رائدنا . فاتجهنا نحوها سالكين طرقاً لولبية تاركين وراءنا أعمدة من الغبار . فما أن رأتنا المدرعات الانكليزية حتى أقفلت راجعة من حيث أتت معتقدة ان هنالك قوة كبيرة تهاجمها .

لقد قام المارشال روميل مراراً بكسب بعض المعارك على هذه الصورة . وكان يحسن التستر دائماً عندما كان عدد قواته دون القوات المعادية . وكان الأسبق دوماً في سرعة التفكير وتقرير المصير . وكان شجاعاً لا يتسرب الخوف الى قلبه مما جعله موضع الاجلال والعبادة لدى جنوده كما ان العدو نفسه كان يهابه هيبة لم تعرف لرجل من قبله ، وذلك بفضل بديهيته ومفاجآته غير المنتظرة وسرعته في التفكير وفي تقرير المصير حتى في الظروف الحرجة .

إن الجندي الألماني الذي كان يحارب في افريقيا ليفخر اليوم بعد مرور اكثر من عشر سنوات على الحملة الافريقية بمساهمته في تلك المعارك . فلقد عاش وحارب اكثر من سنتين في بلاد غريبة محاطاً بالعدو من كل جانب ، إلا انه قد تعرف في هذه الاشهر المتقلبة بين نصر مبين وهزيمة نكراء على الصحراء التي أحبها والتي تركت في نفسه أطيب الذكريات . فهو لا يزال يحن الى شمسها الساطعة والى نجومها اللامعة المتلألئة والى مياهها العذبة القليلة والى عواصفها الرملية الهوجاء التي تنم عن قدرة إلهية كبيرة ، وإذا ما هبت غمرت البلاد والناس بحلة رملية مختلفة الألوان .

لقد كان هناك صديقان عرفناهما بصورة خاصة وبقيت آثارهما في مخيلتنا احدهما الزهور التي كانت تنبثق في الربيع بعد هطول الامطار ، فتجعل من الصحراء الليبية جنة من الجنان ، وثانيهما سكان وأسياد صحراء العرب الذين عرفوا بحسن الوفادة وكرم الضيافة . فلقد اعانوا كثيراً الجنود الالمان فضمدوا جراحهم وأطفأوا غليلهم وانقذوا المشتتين منهم حتى لا تصل اليهم يد العدو وكنا كلما سمعنا بمثل هذه الحوادث ازدادت معرفتنا بحبهم لروميل .

فقد كان ذكر اسمه كافياً لأن تفتح في وجهنا الأبواب والخيام والقلوب معاً .

إنه ليسر المؤلف لا بل ليشرفه ان يرى قصة الحملة الافريقية تحت قيادة المارشال رومل تنشر باللغه العربية كما انه يتقدم بجزيل الشكر باسم جميع الالمان الذين اشتركوا في هذه المعارك والذين يحملون في قلوبهم أجل الذكريات لسكان هذه البلاد الذين عرفوا بتقديرهم وإجلالهم لزعيمنا رومل المحبوب .

التوقيع

ﻫ . ج . فون ايزيبيك

VORWORT FUR ARBiSCHEN AUSGABE

Am Morgen des 12 April 1941 stand ich am Kilomètre 31 vor Tobruk zum eresten Mal dem Manne gegeüber, dessen Andenken die Welt bis zum heutigen Tage ehrt. « Wenn Sie was erleben wollen », sagte General Rommel, meine Meldnng entgegennehmend, dann schliessene Sie sich an ». Und damit Kletterte er auf das Dach des (MAMMUT) seines englischen Beute - Befehlspanzers, und pog auf die Piste nach Acroma ein. Fünf Voikswagen folgten ihm. Wir erkundeten die Ausgangstellungen für den ersten Angriff auf Tobruk. Als sich plötzlich englische Panzer naherten, befahl uns Rommel, sie anzugreifen. Mit Volkswagen ! Nun wir waren Keineswegs begeistsrt und Vorsicht die Mutter der Tapferkeit ist, fuhren wir in Zickzack auf den Gegner los, gevaltige Staubwirbel hinter uns Irasend. Die englischen Panzer aber drehten ab. Offenbar vermuteten sie eine gewaltige Streitmacht.

Feldmarschal Rommel hat spâtre noch manche Schlacht mit (Staub) gevonnen und seine Stândige Unterlegenheit gut dabei zu tarnen gewusst. Immer war er der Listen - reiche, der Schnellere im Entschluss. Ein Ritter ohne Furcht und Tadel wurde er zum Abgott seiner Soldaten und für den Gegner zu jenem gefürchteten Manne, der durch sein

Entschlüsse stets überraschte , Immer des Unerwartete tat und in selbest ausweglosen situationnen den sicheren Instinkt für die letzte Moglichkeit erwies, des Gesetz des Handelns in seine Hand zu nehmen .

Der deutscke Soldat , der dem Deutschen Afrikakorps angehorte, bekennt auch heute, mehr als zehn Jahre nach diesem Feldzug, voller Stolz, einen guten und ritterlichen kampf ausgetragen zu haben, ihm oft feindlichen Umwelt .

Aber in disem Monaten der wechselnden Siege und Niederlagen wiederfuhr ihm etwrs Seltsames : er lerente die Wüste lieben und seither blieb in ihm eine geheime Sehnzucht nach diesem Lande wach,über dem Cottes Sterne die Nacht wie mit einem Zauberstab erhellte , das ihm des süsseste allen Wassers kennen lernen liess und in dem er auf die Stimmen unbekanter Gotter lauschte, wenn sie im Sturm den Staubmantel über Menseh und Land ausbreiteten. Zwei Frennde waren es , die wir debei auf eine besondere weise fänden und in Gedachtnis beihalten. Es waren die Blumen , die im Frübjahr nach der Regenzeit die lybische Wuste in einen Garten Eden verwandelten . Und es waren die Bewohner der wuste , die Araber die uns freundlich, gastlich und herzlich stehts entgegentraten Sie haben manchem deutschen Soldaten geholfen , haben seinen Funden gepflegt , den Durstanden gestiltt , den Versprengten unter eigener Lebensgefahr durch die feindlichen Linien geschleust . Und immer , wenn uns solches wiederfuhr oder wir von solchen Taten hörten, wussten wir dass der Name Rommel das Zauberwort war , das uns

die Zelt , die Türen und die Herzen öffnete

So ist es für eine Freude aber auch eine hohe Ehre, diese Geschichte des Deutsc en Afrikakorps unter Field - marschal Rommel in einer arabischen Ausgabe herausgege - ben zu sehen , Denn er darf dabei zugleich den Danke aller jener deutschen Soldaten zum Ausdruck bringen Welche echte Freudschaft in einem Lande erfuhren , dessen freundliche

Bewohner eine Gemeinsamkeit mit ihnen auf wiessen die Bewunderung und die Achtung zu uuseren Rommel

HANS HERT VON ESEBECK



التاريخ المقارن لوقائع الحرب الكونية الثانية

ZEITTAFEL

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٩/١٢/٩٤٠	ابتداء هجوم ويفل على ليبيا	١٢/١١/٩٤٠	تعليمات القيادة الالمانية العليا رقم١٨ بشأن تحضير الهجوم على جبل طارق عبر اسبانيا . مساعدة ايطاليا ضد اليونان . وفي افريقيا الشمالية باجراء هجوم على مصر في خريف عام ٩٤١ .
		١٢/١٢/٩٤٠	الغاء العمليات الحربية على جبل طارق بسبب رفض اسبانيا السماح باجرائها .
		١٣/١٢/٩٤٠	تعليمات القيادة العليا الالمانية رقم٢٠ بشأن الهجوم على اليونان وسلانيك من بلغاريا لمنع الانكليز من اقامة قواعد جوية فيها .
		١٨/١٢/٩٤٠	تعليمات القيادة العليا الالمانية رقم ٢١ بشأن

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
			تحضير عمليات بربروسا لمواجهة الاتحادالسوفياتي .
٣/١١/٩٤١	نقل الفيلق الجوي العاشر الى سيسيليا	١٦/١/٩٤١	اعلان هتلر بأن عمليات بربروسا تشكل المهمة الحاسمة لعام ١٩٤١ . وفي افريقيا منع انهيار الايطاليين وارسال جيوش مسلحة لتأمين سلامة افريقيا وتنفيذ العمليات الحربية السائرة بواسطة بعض القوى الهجومية .
٦/٣/٩٤١	تعيين رومل لقيادة الفيلق الافريقي		
٦/٢/٩٤٢	وصول رومل الى طرابلس الغرب		
١٢/٢/٩٤١	أول هجوم جوي الماني على ميناء بنغازي		
		١/٣٠٣/٩٤١	اجتياز الجيش الالماني الثاني عشر نهر الطونه ودخوله بلغاريا .
		١/٣٠٢/٩٤١	حملة الانزال الانكليزية على اليونان
٢٢/٣/٩٤١	احتلاد العجيلة (العقيلة)	١٧/٣/٩٤١	امتداد العمليات الحربية في اليونان واحتلال كافة الاراضي للحصول على القواعد اللازمة لتحقيق السيطرة الجوية على البحر الابيض المتوسط الشرقي.
٣/٤/٩٤١	احتلال اجدابية		
٨/٤/٩٤١	الهجوم الاول على طبرق واحتلال البردية والسلوم .		
		٢٦/٣/٩٤١	انقلاب يوغسلافيا .
		٦/٤/٩٤١	حملات اليونان ويوغسلافيا .

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
		٩٤١/٥/٢٠	الهجوم على جزيرة كريت .
		٩٤١/٦/٤٨	المعاهدة الالمانية ـــ التركية .
		٩٤١/٦/٢٢	بدء عمليات بربروسا .
		٩٤١/٧/٦	احتلال ريغا .
		٩٤١/٧/١٠	احتلال بلسكاو ، ووصول الدبابات الالمانية امام
٩٤١/٧/٢٥	تشكيل زمرة المدرعات الالمانية		مدينة كييف ، بدء الهجوم الالماني ـ الفلاندي .
	في افريقيا الشمالية .	٩٤١/٧/٢١	وصول زمرة المدرعات الرابعة امام لينينغراد .
		٩٤١/٨/١٠	موقعة سمولنسك .
		٩٤١/٩/١٠	دخول القوات الانكليزية الى ايران .
		٩٤١/١٠/٣	موقعة كييف .
٩٤١/١١/١٨	هجوم اوكليليك وكوننغهام الماكس	٩٤١/١٠/١٠	زمرة الجيوش الوسطى امام موسكو .
٩٤١/١١/٢٣	موقعة سيدي رزق	٩٤١/١١/٣٠	الهجوم الماكس على روستوف . انسحاب الجيش
٩٤١/١٢/٧	الانكفاء على خط الغزالة وترك طبرق		المدرع الالماني الاول الى قطاع ميوس .
		٩٤١/١٢/٦	الاندحار امام موسكو ، بدء الهجوم الشتوي الروسي
		٩٤١/١٢/٧	حادثة برل هاربور . دخول اليابان الحرب .

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٢٠/١/٩٤٢	استسلام حامية حلفايا		
٢١/١/٩٤٢	الهجوم المعاكس لاحتلال سيرانيكا (برقة البيضاء) .		
٢٨/١/٧٤٢	احتلال بنغازي		
١٥/٢/٩٤٢	بدء الهجوم الجوي على مالطة	١٥/٢/٩٤٢	وقف الانسحاب الموضعي لزمر الجيوش الوسطى والشمالية
		٤/٣/٩٤٢	اجتماع اركان الحرب البريطاني الاميركي في لندن وخطة الغزو الاولى .
٢٦/٥/٩٤٢	هجوم رومل الثالث على جبهة الغزالة		
٢/٦/٩٤٢	موقعة بير حكيم	١/٦/٩٤٢	قرار روزفلت وتشرشل للانزال على افريقيا الشمالية
٢٠/٦/٩٤٢	احتلال طبرق	٢٢/٦/٩٤٢	ابتداء هجوم الصيف على الجبهة الشرقية .
٢٣/٦/٩٤٢	الهجوم على مصر	١/٧/٩٤٢	احتلال سيباستيبول .
٢٩/٦/٩٤٢	احتلال مرسى مطروح	١٩/٨/٩٤٢	الانزال البريطاني على دييب .
١/٧/٩٤٢	الهجوم الاول على جبهة العلمين		
٩/٧/٩٤٢	الهجوم الثاني على قطاع العلمين الجنوبي		
٣٠/٨/٩٤٢	اختراق جبهة العلمين		
٢/٩/٩٤٢	ايقاف العمليات الحربية ضد جبهة دلتا النيل		

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقاع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٢٣/١٠/٩٤٢	بداية هجوم مونتغمري والكسندر	٢٥/٩/٩٤٢	رايتزلر يستبدل هالدر على رأس الاركان العامة الالمانية .
٢/١١/٩٤٢	اختراق الجيش الثامن البريطاني جبهة العلمين		
١٤/١١/٩٤٢	الانسحاب الى خط فوكه الدفاعي	٧/١١/٩٤٢	الانزال الاميركي الانكليزي على افريقيا الشمالية .
٢٠/١١/٩٤٢	الوصول الى خط مرسى البريقا	١٩/١١/٩٤٢	ابتداء الهجوم الروسي على ستالينغراد .
٢٤/١٢/٩٤٢	الهجوم على خط البويرات (بويرات الحسون) الدفاعي .	١٠/٢/٩٤٣	سقوط ستالينغراد .
٢٢/١/٩٤٣	اخلاء منطقة طرابلس الغرب		
١٢/٢/٩٤٣	وصول جيش رومل الى خط ماريت التلاقي مع الجيش الخامس .		
١٥/٢/٩٤٣	الغارة على قفصة وسيدي بو زيد .		
٢٠/٢/٩٤٣	الغارة على طلغا الكيف		
٢٣/٢/٩٤٣	تشكيل زمرة جيوش افريقيا .		
٣١/٣/٩٤٣	موقعة القطار		
٢/٤/٩٤٣	الهجوم على خط انفدافيل من قبل الجيش الثامن .	١/٥/٩٤٣	قرار روزفلت وتشرشل لتعيين موعد الانزال على فرنسا في صيف ١٩٤٤ .

تاريخ الوقائع الليبية	مواصفات الوقائع	تاريخ الوقائع الكونية	مواصفات الوقائع
٩٤٣/٥/٣	اختراق خط ماتسور .		
٩٤٣/٥/٧	سقوط تونس .		
٩٤٣/٥/١٢	استسلام الجيوش الالمانية الايطالية .		

موجز

تاريخ حياة المارشال روميل

ولد ارون رومل Erwin Rommel في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٨٩١ في مدينة هايدن هايم Heidenheim من اعمال مقاطعة فرتنبورغ Wurtenburg وهو ابن استاذ في احدى الجامعات الألمانية. دخل المدرسة الحربية في الثامنة عشر كتلميذ ضابط وتخرج عام ١٩١٤ برتبة ملازم ثان، وألحق بكتيبة المشاة السادسة التابعة لقوات فرتنبورغ. تعين عام ١٩١٥ في فوج جبلي واشترك في الحرب العالمية الاولى في ساحات جبال الفوج، ثم انتقل الى رومانيا ومنها الى الجبهة الايطالية. وكانت أعماله وتصرفاته الحربية كلها موضع اعجاب رؤسائه، فانعم عليه بوسام صليب الاستحقاق وكان آنئذ برتبة ملازم أول.

تسلم في جيش جمهورية وايمار Weimar امرة سرية من وحدات ستوتكارت Stutgart. وفي عام ١٩٢٧ عين استاذاً في مدرسة المشاة الحربيـة في درسدن Dresden.

ثم عين في عام ١٩٣٥ استاذاً في المدرسة الحربية العليا في بوتسدام Potsdam وكان برتبة عقيد. ثم ترأس مدرسة الحرب العليا في فينر نويشدات Winer-Neustadt وتسلم رتبة زعيم General Major في مطلع الحرب الكونية الثانية وقاد فرقة مدرعة اثناء الحملة الالمانيه على فرنسا. ورفع لرتبه لواء General Leutenant وسلم قيادة الفيلق الالماني في أفريقيا في

مطلع عام ١٩٤١ . ثم فريقاً General Obist قائد فرقة مدرعات في تموز ١٩٤١ ، وفريقاً أولا في عام ١٩٤٢ General des Ponzer واخيراً رفع الى درجة مارشال Marschal . بعد احتلال طبرق في شهر حزيران من نفس العام وفي ١ آذار ١٩٤٣ قلد الوسام العسكري الأعلى (صليب الفروسية) الماسي .

وبعد قيادة موقتة في ايطاليا عين على رأس زمرة الجيوش الثانية (ب B) في فرنسا . وفي ١٧ تموز ١٩٤٤ هوجمت سيارته من قبـل طائرتين مقاتلة ـ قاصفة قرب قرية ليفارو Livaro ، فأصيب بجراحات متعددة وكسرين في الجمجمة وقتل سائقه الوكيل الضابط دانيال على الفور .

وحدث أن ارسل فن رومل الى مقر الفوهرر العام تقريراً ضافياً يشرح فيه بوضوح حوادث الجبهة الغربية وعدم إمكان ايقاف الخطر مطلقاً وأنهى تقريره بالعبارات التالية « يجب ان تستخلص منه النتائج » . وكان لهذه الصراحة الجريئة أثرها وخطرها على المارشال . وما كاد يشفى من جراحه ، وكان آنئذ يقضي نقاهته في منزله في هرلنكن Herrlingen قريباً من مدينـة Ulm حيث تلقى في ١٤ تشرين عام ١٩٤٤ زيارة الجنرالين بورغدورف Burgdorf ومايزل Maisel التابعين لمديرية الذاتية في الجيش . وقد أعلمه الجنرال بورغدورف من قبل الفوهرر بأنه متهم بالاشتراك في مؤامرة ٢٠ تموز ، وكان اسمه مدوناً في اللائحة المقدمة من قبل غوبردلر Goerdeler ، وان شهادات الشهود تدينه ايضاً ، وأضاف الجنرال الرسول قائلاً : اذا أحب المارشال ان ينتحر (بالسم) فلن يقدم الى محكمة الشعب ولن تضار عائلته مطلقاً . وكان الجنرال بورغدورف مكلفاً بتسليمه السم . وكان رومل يعلم حق العلم بأن لا محكمة الشعب ولا الغستابو ليعدلون في أمره ولذا فضل ان ينتحر بالسم ، فتجرعه بحضور وإشراف الجنرال المذكور .

١٩

وفي الرابع عشر من شهر تشرين الثاني في الساعة الثالثة عشر ُحمل جثمان المارشال الى مستشفى اولم . وفي السادس عشر أعلن رسمياً بأن المارشال روميل اصيب بجراح خطيرة في رأسه في حادثة سيارة بينما كان على رأس وظيفته في قيادة زمرة الجيوش على الجبهة الغربية حيث سببت له الوفاة . وأمر الفوهرر ان تقام له جنازة وطنية رائعة انتهت بها حياة هذا القائد الكبير وأمست سيرة بطولته صفحة رائعة من صفحات التاريخ .

●○●

موجز

جغرافي ، تاريخي للبلاد الليبية

(برقة وطرابلس)

البلاد الليبية وحدودها : برقة وطرابلس الغرب اقليمان عربيان صحراويان واسعان يقعان بين مصر وتونس والصحراء والبحر الابيض المتوسط . ويطلق اسم برقة على المنطقة الممتدة من غربي السللوم حتى نهاية خليج السرت على شاطئ البحر الابيض في مكان يقال له المقطاع واسمها بالرومية سيرانيكا (Gyranica) وتبلغ مساحتها السطحية ٣٤٥ الف كيلو متر مربع ، وتتألف برقه من منطقتين وهما برقة الشرقية (مارماريكا) وبرقة الغربية (سيرانيكا) السالفة الذكر .

وتمتد حدود طرابلس من المقطاع حتى حدود تونس غربا ومساحتها السطحية تقديرا ٤٩٠ الف كيلو متر مربع ولكن المساحة الصحيحة لهذه البلاد حسب الخرائط الجغرافية تتجاوز المليون كيلو متر مربع .

عدد السكان : بلغ عدد سكان ليبيا قبل الاحتلال الايطالي مليون ونصف المليون من العرب المسلمين ولكن هذا العدد هبط الى (٧٠٠) الف تقريباً ابان الاستعمار بسبب الحروب والفتن المستمرة والهجرة المتوالية فرارا من جور الحكم الايطالي الشديد . ويرى فيها كثير من السودانيين الذين جاؤا إلى ليبيا عن طريق تجارة الرقيق فتوطنوا فيها واصبحوا أحراراً يتمتعون بنعمة الاسلام الذي شملهم بالمساواة ورعاهم بالاخاء .

المذاهب : ان اهالي ليبيا كلهم عرب مسلمون مذهبهم مذهب مالك ماعدا قليل منهم يتدين على مذهب الاباضية ، ومع ذلك فليس بين أهل

المذهبين خلاف ولا نزاع ، وتقوم بينهم روابط وثيقة من المحبة والاخلاص المتبادل ، وقد ثبت ذلك بوجدتهم واتحادهم طيلة الجهاد القومي والوطني ، فكانت الاباضية برجالها في مقدمة المجاهدين .

ويوجد في مدينه طرابلس الغرب حوالي مائة الف من السكان ، منهم خمسة واربعون الفاً من العرب المسلمين وخمسة عشر الف يهودي وثلاثين الف ايطالي متوطن ، وعشرة آلاف أجنبي مهاجر .

المحصولات : تنتج ليبيا التمور على اختلافها حيث توجد ملايين من أشجار النخيل والزيتون والتين والحنطة والشعير والذرة البيضاء والحلفاء التي تستخرج منها أوربا نوعاً من قماش الحرير الصناعي والخضراوات واشجار الفاكهة .

الري : لايوجد في البلاد الليبية وديان جارية غزيرة إلا ما ندر ، ويؤمن السكان ري مزروعاتهم واشجارهم بواسطة الابار الارتوازية وابار الاعماق . وتتراوح اعماق الابار المفتوحة بين ٢ — ١٠ امتار . أما الزراعة الواسعة فيتوقف نجاح المحصول فيها على مواسم الامطار والعناية الالهية .

التجارة : ان أهم تجارة البلاد الليبية المتبادلة مع البلاد الاوربية تتناول تجارة العاج وتراب الذهب (التبر) والجلود والبخور والمسك وريش النعام ، وقد تناقصت هذه التجارة كثيراً بعد شق ترعة السويس التي اغلقت في وجه تجار طرابلس الغرب طريق الصحراء فأخرت تجارتها وسببت كسادها .

المواصلات : ان طرق المواصلات قليلة جداً بالنسبة لسعة البلاد ، فقليل من الطرق معبد ومزفت بالقار وأكثرها غير معبدة ولكنها صالحة لسير السيارات والعربات .

ليبيا قبل الهجرة

عرب ليبيا من أشرف سلالة كنعان توطنوا فيها منذ فجر التاريخ وقبل سبعة آلاف عام . فبنوا مدنها التاريخية الشهيرة باسم اويا (OEA) ،

ورغم الغموض الذي يسود تاريخ الامم قبل الطوفان يقال ان أكثر ابناء (كوش) بن نوح نزحوا الى افريقيا بعد جلاء بابل ، ويقال أن ولده الثالث (نوط) توطن الجهة الشمالية منها ؛ بينما ولده الرابع (كنعان) توطن سوريا ولذا سميت الاراضي الذي استوطنوها بارض كنعان . ومن اختلاط ابناء حام وسام تكون ابناء مدين وفلسطين والعمالقة وغيرهم من القبائل العربيـــة .

ثم تغلب بنو اسرائيل في عصر داوود على أعدائهم وانتزعت فلسطين من العمالقة . وبسبب هذه السيطرة هاجرت (قبيـلة بربر العربية) التي استوطنت مدة في أرض كنعان الى شاطىء البحر الابيض المتوسط وتركزت في مناطق لبنان ثم هاجرت منهـا قاصدة سواحل افريقيا الشماليـة حيث اتخذتها موطناً . وكان على رأسها (افريقس بن ذي النار) الحميري اليماني من ملوك تبع وذلك عام ١٦٢٣ قبل الهجرة المحمدية ؛ ولهذا السبب سميت تلك البلاد من شمال افريقيا ببلاد البربر .

وفي عام ١٤٩٦ قبل الهجرة قتل ملك صور بيغمالون « صهره الراهب « سيشه » طمعاً في اغتصاب أمواله وامـلاكه ولكن زوج الراهب القتيل وشقيقة الملك المذكور (ديدون اليس) اخذت معها جميع اموال ومخلفات زوجها وفرت مع أفراد عشيرتها على سفينة ابحرت عليهـا ونزلت ساحل افريقيا الشمالية .

وهناك على بعد ثلاث ساعات من تونس الخضراء انشأت مدينة (قرطاجة) التي لا تزال آثارها باقية الى الآن ، وبعـد ذلك استولت دولة قرطاجة التي اسستها ديدون آليس على القسم الشمالي من طرابلس الغرب ونظراً لاهمية هذه المنطقة وغذائها الوفير في ذلك الزمن وجودة اراضيها وسعة تجارتها كانت سببا في حدوث حروب طويلة الامد بين الفينيقيين والقرطاجيين. ومن اثار فينيقيا فيها مدينة صبراته التي تبعد ستين ميلا عن طرابلس

الى الجهة الغربية وآثارها مازال باقية إلى اليوم

وفي عام ١٢٣٤ قبل الهجرة ألقت سفن لاستطلاع المصرية بأمر فرعون مصر (نيخو) مراسيها على مسافة خمسة عشر دقيقة من مدينة (الخمس) مركز القضاء الآن شرقي طرابلس الغرب . وهناك على مصب واد كبير بنى المصريون مدينة لبدة (Liptis) التي تعتبر من الآثار القديمة في البلاد وتبعد عن طرابلس مسافة ستين ميلا إلى الجهة الشرقية على ساحل البحر . وهي مدينة غير رومانية ولكن الرومان احيوا معالمها بعد استيلائهم على طرابلس وبعد انتصاراتهم في حروب البونيق الشهيرة التي بدأت بينهم وبين القرطاجين عام ٨٨٦ قبل الهجرة ، وانتهت بانقراض دولة قرطاجه عام ٧٧٢ قبل الهجرة بعد حروب طاحنة بينها وبين الرومان الطامعين في ليبيا وطرابلس لوفرة غناء هذه البلاد وخوفاً من مركزها السياسي والحربي ، والتي دامت حوالي ١١٨ عاما .

ان ما يهمنا من هذا التاريخ الوجيز ، هو عروبة ليبيا وصحة انساب اهلها العرب ودحض الادعآت المخالفة لهذه الحقيقة وتصحيح اقوال المغالطين في فهم أصل قبيلة بربر التي توطنت شمال افريقيا . فهي كما بينا عربية الاصل والمحتد ، ومن اعرق سلالات كنعان التي هاجرت من لبنان الى افريقيا وتوطنت القسم الشمالي منها . إذاً فجميع قبائل البربر عرب صميمون متخلقون باخلاق العرب ويحافظون على عوائدهم وتقاليدهم رغم اختلاف الازمان وتباين الحكومات التي تعاقبت على بلادهم وتحكمت في امرهم ومصائرهم ورغم تعارض عادات الامم الحاكمة مدة ذلك الزمن الطويل .

وفي عام ٢٣ هجرية انطلقت العروبة من مرابضها في الجزيرة العربية الى شمالي افريقيا يحدوها الاسلام ويسوقها الايمان الجديد حاملاً لواء الانقاذ الروحي والمادي في ثوبها الاسلامي الجديد المطهر فوطدت اركانها

في ليبيا ووطنت فيها قبائل جديدة من أعرق قبائل نجد والحجاز واليمن والعراق وتم ذلك الفتح على يد عمرو بن العاص فاتح مصر وبلاد النيل .

وما ان تم لعمرو بن العاص اخضاع وادي النيل واجتثاث كل نفوذ سياسي للروم في هذا القطر ، حتى اتجهت همة القائد العربي الى فتح البلاد الليبية المجاورة لمصر فسار اليها في أواخر عام ٢٢ للهجرة وفي أوائل عام ٢٣ وصل الى برقة على رأس بضعة آلاف من الجنود . فاستسلمت اليه دون أية مقاومة تذكر . وصالحه حاكمها الروماني على الجزية التي كان يحملها البرقاويون الى خزينة مصر في كل عام .

وواصل عمرو الزحف بجيشه الى طرابلس الغرب والمسافة بينها وبين برقه ٢٠٠ كيلومتر فبلغها دون عائق ، فأسرعت الحامية الرومانية المرابطة فيها الى الانسحاب ، والتجأت الى أسوار المدينة واغلقت الابواب . وحاصرت داخل الحصون ولكن لم يطل حصارها فاستسلمت وخضعت لسلطان العرب . ثم وسع عمرو فتوحاته فاحتل صبراته ثم شروس في الجبل الغربي وأراد ان يواصل زحفه غرباً فيستولي على تونس والجزائر . فكتب الى عمر بن الخطاب يطلعه على عزمه فأوعز اليه الخليفة بالتريث والتوقف وعدم التوغل والاستمرار في الزحف صوب الغرب الى اشعار آخر خوف العاقبة . ويعزى سبب احتياط الخليفة بوقف استمرار الزحف الى ان القوات العربية لم تكن آنئذ على جانب من القوة والمدد الكافيين وزد على ذلك فانها كانت تجهل طبيعة الاقاليم الجديدة .

ولأهمية إقليم طرابلس الغرب الجغرافي والحربي وسيطرتها الطبيعيه على طرق المواصلات البرية والبحرية بين افريقيا وآسيا واوربا وتسلطها على مصر والسودان وتونس والجزائر وبعبارة أصح تسلط من يمتلك هذه البلاد تسلطاً فعالاً على الممالك والاقطار المجاورة براً وبحراً ؛ والتحكم في مصالحها ومواصلاتها تحكماً خطيراً ، كل هذه الاسباب جعلت من هذه

البقعة ميداناً لحروب وفتن طويلة عبر الزمن . وبعد استقرار مصر في القرون الاولى من العهد الاسلامي نرى ان ليبيا وتونس انطلقت في حروب متواصلة مع حكومات صقليـة الايطالية ، تارة مهاجين وطوراً مدافعين حتى تم اخضـاع صقلية للحكم العربي . وقـد مهدت دولة بني الاغلب في تونس اخضاع ايطاليا في العهد العباسي عام ١٨٣ تحت قيا.ة ابراهيم الاغلب الذي قهرها نهائياً في عام ٢١٢ هجرية .

وانتهى أمر العرب في ايطاليا بعد ان حكموها ٢٥٢ سنة أي من عام ٤١٢ الى عام ٦٦٤ وهي السنة التي جلوا عنها نهائياً .

وبالاضافة الى هـذه الحروب لم تفتر الفتن والثورات الداخليـة بين الامراء والزعماء من أجل السيطرة والمطامع الذاتية حتى افتتحها العثمانيون بقوة بحرية مكونة من ١٢٠ سفينة ابحرت من استانبول تحت قيادة آمر البحر سنان باشا وطوغرول باشا فحاصروها بحراً حتى سلمها الاسبان الذين كانوا استولوا عليهـا حديثاً من دولة بني حفص ، وتم للعثمانيين افتتاحها في عام ٩٠٨ . وبعـد مده وجيزة من الاستقرار والراحة بدأ بذر دور الاستبداد والفوضى قرنه بسبب تصرفات تشكيلات القول اوغلي رجال الجيش أي جمـاعات (الانكشارية) وهم أفراد وأغوات الجيش العثماني الفـاتح ، فأخذ هؤلاء ينصبون ويعزلون الولاة حسب مشتهاهم ورغبتهم غير عابئين بسلطة ولا سلطان ، ولا حاسبين للخليفة والباب العالي حساباً . وطغت الفوضى وقام الحكم الكيفي حتى سلالة القرمانليين المعروفة في تاريخ طرابلس الحديث والتي ما يزال من بقايا سلالتهم الحاكم الامير سليمان القرمانلي .

وهكذا نرى ان ليبيـا تناوبتها الحروب والفتن والثورات الداخليـة والمطامع الاجنبية عهداً طويلا ، وتعلقت بها آمال ومطامع الغزاة الفاتحين من دول الاستعمار الاوربي وفي طليعتهم ايطاليا واسبانيا يتحينون الفرص والمصادفات للانقضاض عليها الى ان ضعفت السلطة العثمانية وتفككت عرى

وحدتها الكبرى وجاء اليوم الخامس من تشرين عام ١٩٢١ فأطلقت ايطاليا قنبلتها الاولى على طرابلس وانقضت عليها ، وقامت الحروب وتوالت الاهوال بينهـا وبين المواطنين العرب المجاهدين بمعونة الحكومة العثمانية الهزيلة . وكان من اهمال وسائل الدفاع عن هذه البلاد وقعود الخليفة عن نصرتها نصرة جدية ، وسحب عدد كبير من حامياتها وقواتها لسوقها الى بلاد اليمن ، وتجريدها من وسائل الدفاع والقتال الضروري ، كل هـــذه الأمور يسرت للجيوش الايطالية امكانية الاستيلاء على ليبيا ، ولكن بعد عناء طويل ومعارك دامية . ولم يثبط انسحاب الحكومة العثمانية من جبهة طرابلس عزائم المجاهدين الطرابلسيين بل زادهم حماساً ونشاطـاً واتحاداً فشكلوا حكومة عربية وطنية مهمتها الدفاع عن استقلال البلاد وحريتها حتى عام ١٩١٩ حيث تم الصلح بين الفريقين المتحاربين على أسس معينة ولكن ايطاليـا نقضت عهدها وانبرت طامعة في الاستيلاء الفعلي والحـكم المباشر على هـذه البلاد . وهكذا تأزمت الحـالة واستؤنف القتال من جديد بينها وبين عرب ليبيا طيلة ربع قرن في جهاد متواصل الحلقـات مستمر الحملات عدة الاولى فيـه العداد والعدة ، والقوة والقدرة والبغي والغدر ، وعدة العرب الايمان والاباء والعزة القومية وحب الحرية والتفاني في الجهاد والنضال للدفاع عن المقدسات الوطنية والدينية . لقد كان هذا الجهاد المقدس صورة حية ناطقة لكامن الروح العربية من عزيمة ومضاء وقوة وثبـات ، وما يلازمها من شجاعة وصبر واعتداد بالنفس . ان العقيدة الراسخة المتوارثة عن الاسلاف الامجـاد اودعت في نفوس عرب ليبيا الايمان العتيد بأن لا حياة لأمة تحت ظل السيادة الاجنبية ، فصمموا على ان يحيوا حياة شريفة او ان يقضوا في سبيلها أعزاء شرفاء . دامت هذه الحرب الطاحنة بين كر وفر ربع قرن كامل تبادل فيهـــا زعامة المجاهدين الابرار بطل بعد بطل وفارس بعد فارس حتى انتهت الى سيد

رجال القرن وخاتمة الابطال والمجاهدين في هـــذا القطر ، السيد عمر المختار الذي أسره الايطاليون وأعدموه شنقاً ، وذهب شهيد الغدر رحمه الله ، فخمد باستشهاده عنفوان الجهاد الفائر وهدأ البركان الثائر ، وحكم الغادرون البلاد بالحديد والنار والقتل والارهاب الى ان توطدت لهم دعائم السلام الباغي الجائر ، السلام الموقت الصامت .

ودار التاريخ دورته وللتاريخ عودة ورجعة ، واشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ودارت رحاها الطاحنة فوق أرض ليبيا تارة في جانب المحور وطوراً في جانب الحلفاء كما سنسرد تفاصيلها وحركاتها العسكرية بصورة مفصلة . وانتهى العراك العنيف بالغلبة للحلفاء ، وطُردت جيوش المحور من كافة البـــلاد الليبية التي استعدت وتوجهت لنيل الاستقلال المؤمل والأمل المنتظر منذ سنين طويلة ، جزاء الصبر الطويل والتضحيات الثقيلة والجهاد المرير حقق الله آمال هذه الأمة الشقيقة وحرسها بعنايته ولطفه من مؤامرات الاستعمار .

وقبل ان نأتي على هـــذه الخاتمة المفجعة التي سعت اليهـا الدولة الايطالية القوية المتمدنة ، وفرضتها على أمة ضعيفة مسالمة ، عزلاء من كل سلاح الا سلاح الايمان القوي ، ليس بينها سابق عـداء مبيت ، ولا عادية انتقام سالفة . انها صورة العدوان المجسم الذي تنكره كل مدنية ويأباه الضمير الانساني المهذب ، وناهيك عن هـذا العدوان الصارخ على الحقوق والجوار فقد كانت هذه الحرب أشنع حرب شنتها أمة في تاريخ الحروب بعيدها وقريبها . حرب خلت من كل معاني الانسانية ، وتجردت من كل الاحاسيس الوجدانية ، فأعدمت الأسرى ، وقتلت الشيوخ والاطفال والنساء بالمفرد وبالجملة ، وهتكت الاعراض والحرمات ، ومثلت بالضعفاء ، ودنست المقدسات دونما شفقة أو رحمة ، كان البشر في نظرها قطعان من الدواب والسائمة .

ان هذه الحرب اعتداء لئيم شائن على المدنية والحرمات قام بها جيش سفاك تعري فيهـــا قادته وضباطه وأفراده من كل معاني الرجولة وكل ما يتصف به البشر من أخلاق عالية وسريرة انسانية نبيلة .

انها لمجزرة انتقام شاملة ، وان المدنية وذاتيتها ليكفهر وجهها والتاريخ لتسود صفحاته من الجرائم والاعتداءات الشائنة التي فقد القائمون بهـا شعور الرحمة والرأفة بالبشر .

لسنا في مجال تعداد وشرح المظالم والفضائح التي قام بهـا الايطاليون في ليبيا العربية ، ولو أردنا تدوين جزء منها لضاقت عنها المجلدات ، والتي لتنفر منها النفس والروح مهما قسى بها الخلق . انها مجموعة آلام ومآسي لا تحصى تستدعي وتستمطر على فاعلها لعنات القدر الصاخبة . لقد ضج العالم المتمدن منها واستنكرها وعرض بها واحتج على اتيانها قولاً و كتابة سمعناها وقرأنا عنها لا من الشرقيين الذين يعطفون على شعب ليبيا المهشم الذبيح ويتأثرون لمصيره ، ولكن عن مصادر اجنبية وكتـاب وصحفيين اوربيين لم تتحمل ضمـائرهم المشاهد الفظيعة التي كان يقوم بهـــا الجيش الايطـالي بدافع روحية القتل والتدمير ، وفي صفحاتها رائحة كريهة منتشرة في ارجاء العالم الحر المتمدن . واذا كان الجزاء من جنس العمل فان ما أصيبت به ايطاليا في هذه الحرب هو جزء مما اسلفته مع الشعب الليبي ، وان طردها من البلاد نهائياً لم يكن سوى حكم القضاء الالهي العادل الذي حكمت به ايطاليا جزاء وفقاً للطغيان والظلم وعقاب اعتداءاتها على هذا الشعب المسالم الآمين .

●●●

مقدمة المؤلف

الجنرال ايرون رومل والفيلق الالماني الافريقي

Vorwort des Vevfassers der General Erwin Romel an der spitze des deutsch en Afrikakorps

في السادس من شهر شباط عام ١٩٤١ استدعى الفوهرر رئيس الدولة الالمانية اودولف هتلر الجنرال ايروين روميل وكان أحد القادة الشباب في الجيش الالماني وكلفه بقياده حملة عسكرية مهمتها مساعدة الجيش الايطالي المندحر في شمال افريقيا (ليبيا) والذي اصبح في حالة تهديد خطير يحتمل معه سقوط ليبيا بكاملها في ايدي القوات الانكليزية المهاجمة . وما كان هذا القرار المتخذ ليسر قيادة الجيش الالماني العامة ، ولا ان تستقبله بغبطة ورغبة ، ولا ان ترى نفسها وبلادها مهددة تحت عوامل الخطر المحدق بالحليفة الجديدة ايطاليا .

وما كان دخول ايطاليا الحرب ليخفف عن كاهل المانيا قسماً من اعباء الحرب القائمة بل بالعكس زادها اثقالا ولما تمضي بعد اسابيع قليلة على دخولها الحرب حتى تحقق لالمانيا ان الجيوش الفاشية غير قادرة على تسيير عمليات الحرب بمفردها في المهمات والاعمال العسكرية التي ترتبت عليها دون مساعدتها وشد أزرها بصورة جدية .

وفي مفرق عامي ١٩٤٠ – ١٩٤١ بدأت تباشير السحب المنذرة بالفاجعة تتراكم في أجواء روما بشكل مزعج ، وان خطرها ليمتد الى المانيا بالذات ان تقاعست هذه عن مساعدة حليفتها . وبالرغم من ان

الجنرال غرازياني (Graziani) القائد الايطالي لشمالي افريقيا الذي كان يعتبر من أسعد القادة الايطاليين وامهرهم ، دحر في شمال افريقيا اندحاراً مهيناً وأوشكت ليبيا ان تقع في قبضة الانكليز .

وتبلغ مساحة ليبيا ضعفي مساحة مصر وقد استولت عليها ايطاليا منذ عام ١٩١٢ وكانت غير مأهولة بالسكان ماخلا بعض النقاط الساحلية وهي تشكل رقعة واسعة من الصحراء الخالية من الماء والنبات . وتعداد سكانها ما كان ليتجاوز الا (٧٥٠٫٠٠٠) نسمة بينما يبلغ عدد سكان جارتها مصر نيفاً وستة عشر مليوناً . ولم تكن ليبيا لتبعد اكثر من ٤٠٠ كيلو متر عن جزيرة صقلية . وكانت تشكل نقطة استناد وقاعدة عسكرية ذات اهمية سوقية وتعبوية عظيمة الشأن للدفاع عن الممتلكات الايطالية الاخرى في افريقيا . وهي تتصل بمصر من جهة الغرب وتشكل حائلا منيعاً في وجه توسع النفوذ البريطاني الى افريقيا الشمالية الفرنسية ، وفي حاله المحافظة عليها كان يتعذر على بريطانيا ايجاد السبيل لتطويق القارة الاوربية من الجهة الجنوبية وتحول دون قيامها بحركة تطويق او حصار او استيلاء عليها من هذا الجانب .

ولنلق الآن نظرة خاطفة على خريطة البلاد الليبية فنلاحظ ان منطقة طرابلس في الغرب ومنطقة برقة في الشرق ليستا سوى منطقتين صحراويتين بكاملها تقريبا ، تتوسطهما منطقة برقة البيضاء التي جعلت مركزاً لمستعمرات معمورة خصبة يانعة مع عاصمتها مدينة بنغازي ، وما ان وطد المارشال غرازياني دعائم الامن في البلاد عام ١٩٣٠ حتى شرع في انشاء القرى النموذجية والمزارع الواسعة وبناء المدن والمستعمرات في المنطقة الساحلية الخصبة التي تكثر فيها المياه ، وحول هذه المنطقة الى جنات فيحاء ذات بهاء وروعة وفتنة في الصحراء . كما ان الجنرال بالبو G . Balbo عمل على بنا مرفأ البرديه الذي انتهى في عام ١٩٣٦ وشق طريقا ساحلية

معبدة تمتد من تونس الى حـدود مصر على طول الفي كيلو متر تقريباً وعلى مسـافة ٨٠٠ كيلو متر بين طرابلس الغرب تقع مرسا البريقا والطريق بينهما تجتاز مسافات قاحلة عارية ليس فيهـا نبات ولا ماء . وعلى طول منطقة السرت وعلى مسافة ٨٠٠ كيلو متر ايضاً تصل الطريق الى مدينة طبرق اكبر مرافق منطقة برقة الذي أنشأ ليكون نقطة استناد بحرية حربية ، وقد تحولت هذه المنطقة الى قلعة حصينة منذ الحملة التي شنهـا غرازياني على قوات السنوسيين .

وفي الثامن عشر من شهر ايلول ١٩٤٠ اجتاز المارشال الايطالي الحدود الليبية المصرية فطرد العدو منها واحتل في اليوم التالي سيدي براني النقطة المحصنة التي سقطت بعـــد هجوم سريع خاطف في ايدي الطلائع الامامية الايطالية وكانت بريطانيا لاتملك آنئذ سوى عداد قليلة بقيـادة الجنرال البريطاني ويفل «Wevel» والتي كانت موزعة عمقاً على مسـافة ٣٠٠ كيلو متر تقريباً . وكان الخط الدفاعي البريطاني يمتد من خليج السللوم على البحر الى واحة سيوا الواقعة في قلب الصحراء . وقد حاول ويفل خديعة عدوه وتضليله طيلة أسابيع ليتركه في جهل تام عن ماهية وأهمية قواته المدافعة بقيامه بمناورات ومظاهرات حربية ماهرة ، وليعطيه فكرة خاطئة عن الوضع الحقيقي للقوات الانكليزية .

وقد ظهر بالفعل أن ويفل بوغت بالهجوم المذكور ، وأن السيطـرة البريطانية في الشرق الأوسط اصبحت في حالة تهديد خطر . والحقيقة ان دلتا النيل لم تكن معززة بحماية دفاعية تذكر ما خلا الفرق المحشودة في منطقة الحدود على اعماق سطحية متراصفة لا تساندها أي قوة احتياطية . بيد ان المارشال غرازياني لم يتابع تقدمه مما أذهل المراقبين العسكريين جداً من توقفه عند سيدي براني حيث اخذ في تحصين الارض بعنـاية واقامة نقاط استناد اخرى الى الجنوب ليوطد قاعدة انطلاق امينة لاستئناف

حركاته القادمة اذا كان لديه اعتياداً ما لاطلاق هجوم جديد .

كما أخذ ايضاً في اقامة معسكرات ومستودعات عديدة الذخيرة ، وفتح ابار وبناء مواقع حربية . كما أرسل قسماً كبيراً من فرقه الى ليبيا . ان المشكلة العويصة التي واجهها غرازياني والتي اوقفته عن الاستمرار في هجومه ، هي مسألة التموين والماء إذ أن الاحتياطات المتخذة كانت غير كافية تماماً .

وهكذا سمح الوقت للجنرال ويفل بسبب تهاون المارشال غرازياني وتخاذله لاستدعاء قوات جديدة تمكنه من اطلاق هجوم معاكس في حينه . وكان التصميم السريع عملا مجيداً اكسبه شرفاً وتقديرا . وفي التاسع من شهر كانون الاول ١٩٤٠ انطلقت الفرق البريطانية المدرعة متوغلة بين الفرج التي كانت ضعيفة الحماية والمدافعة وبعيدة عن نقاط الاستناد التي كانت تفصل فيما بينها ، وتوغلت في انطلاقها على اخلاف خطوط العدو ، دون أن تلاحظها المواقع التي كانت غير مبالية بما يحدث حولها ، وبغتة لفظ ويفل هجومه المقرر على الطريق الساحلية بالاتباط مع الاسطولين البحري والجوي ، بينما استدارت الفرق المدرعة الى الخلف وأطبقت على الايطاليين في مواقعهم المحصنة تفتك بهم فتكا ذريعاً .

لم تلبث الجبهة طويلا حتى انهارت اركانها منذ الهجمات الاولى . فدخل البريطانيون سيدي براني في ١١ كانون الاول ولم ينج من الاسر سوى بقايا من جيش غرازياني التي استطاعت الافلات والفرار بأعجوبة . وكان قرار ويفل يقضي باستئناف هجومه واستغلال نتائجه الموفقة الى أقصى حد ، دون أن يترك للايطاليين فرصة الافلات نهائياً . وقد أدرك بثاقب فكره أن معنوياتهم تحطمت وتدهورت الى حد بعيد ، فسقطت الباردية المحصنة تحصيناً قوياً والواقعة على بعد ٥٠ كيلو متراً من الحدود في ٥ كانون الثاني ووقع في الاسر ما يقارب / ٣٠,٠٠٠ / ايطالي ولم تدم المعركة سوى يومين

فقط . لم تكن هذه المدينة المبنية على الصخور العالية المشرفة على البحر بذات أهمية تذكر ما خلا وفرة مياهها العذبة التي كانت تتفجر وتسيل في الاودية القريبة من المرفأ .

وفي العشرين من شهر كانون ثاني هاجمت فرقتان مدرعتان مع ثلاث فرق مشاة ميناء طبرق الذي كان بمثابة نقطة استناد برية وبحرية عظيمة الأهمية والتي تبعد مسافة ١٥٠ كيلومتر عن الحدود . فسقطت في الثالث والعشرين الجاري مدينة درنة ميناء منطقة برقة البيضاء واخليت سراعاً ودون أية مقاومة بكاملها في يد قوات ويفل التي وصلت طلائعها في مطلع شهر شباط الى حدود اجدابيا الواقعة على سفوح جبال السرت الكبير (الجبل الأخضر) وتربصت فيها بغية إجراء ترتيب في الوحدات ، وتأمين عمليات التموين ، وبفضل مساندة سلاح الطيران الفعال المتفوق تمكن ويفل من كسب نصر رائع . ولم يكن من شك مطلقاً بأنه كان مصمماً على استغلال ظفره وإتمامه ، وتحقيق نصر مبين بهجوم عاجل يسدده على طرابلس الغرب آخر معقل للايطاليين في ليبيا . لقد اسقط في يد غرازياني ولم يبق لديه ولا في حيازته ما يعينه على ايقاف او صد هذا الهجوم المنظم المعزز بالطيران والبحرية ، ولم يبق أمامه سوى فلول قواته المنهزمة التي انسحبت الى طرابلس الموقع الاخير الذي كان ينتظر الدفاع عنه ، ولا أية وسيلة يستطيع معها تلافي الموقف الخطير المحدق بمصيره المحقق ، ما يكفل له تحسين الحالة او احراز أي نجاح محتمل على الاطلاق .

ظلت لدى غرازياني قوات محدودة في مدينة الخمس على بعد ١٣٠ كيلو متر نحو الشرق وكانت الجبهة تقع تماماً على حدود جبال السرت على بعد ٥٠٠ كيلو متر يرابط فيها فوج معزز تسانده بعض بطاريات مدفعية تحت امرة الزعيم كراتي (Grati) ، ويشتمل على بعض المدرعات الخفيفه من فوج سانتاماريا وعدد قليل من المدافع المضادة للطائرات من

قياس ٧٥ سم وهي الوحدة الوحيدة التي كان يحتمل ان تواجه قوات ويغل . وكان الانحلال باد بأكمله ، ولم يبق أسلحة ثقيلة البتة ولا أي أثر للارادة القوية للقتال . ويظهر مليا بأن الايطاليين وقعوا ضحية انفسهم. فالمعارك التي كانوا يقومون بها منذ ثلاثين سنة ونيف بدون انقطاع في ليبيا والحبشة ، كانت كافية لتجعل منهم محاربين اشداء في الهجوم والدفاع والمقاومة ، ولقد أظهر غرازياني بعد الاستيلاء على فزان وبعد توطيد الأمن في منطقة برقة البيضاء صفات الجندي الكبير والبناء الكفوء ، بيد أن كل هذه الحملات والمعارك الناجحة التي طبقت اخبارها الآفاق ومهدت جميع المصاعب القائمة بمهارة وقوة ، لم تشن إلا على قوات وطنية وعشائر ليس لها قيمة عسكرية ولا قدرة حربية في نظر الخبراء ، يعوزها السلاح والذخيرة الكافية الجيدة .

هذه هي القوى التي جابهتها الحملات الايطالية المنظمة ، المدربة تدريباً حديثاً ، ودعت لها بكل الوسائل . ولا عجب البتة اذا تغلب الايطاليون في معاركهم السالفة ، ولكن هذه الجيوش الظافرة على العصابات الوطنية الجريئة المجاهدة ، لم تواجه يوما قوات منظمة مجهزة مدربة متدبرة . أجل لقد الف الايطاليون ملاحم القبائل واستمراؤهـا ، ولكنهم ظلوا بعيدين عن التريض على الحياة الصحراوية التي تفرض شروطها وعواملها . وحاولوا إخضاع هذه البيئة القاسية وتعديلها بما يتناسب وحياتهم الاوروبية في الجبال الجرداء والارض القاحلة وبين الصخور الجافة والرمال المحرقة والوحدة المقلقـة وتحت الطوارئ الجوية المزعجة . وبدلا من اقـامة الاستحكامات والحصون المنيعة التي في امكانها ان تصد عنهم قنابل المدفعية وقنابر الطائرات وهجمات المدرعات ، راحوا يبنون ملاجئ بسيطة حقيقة تؤمن لهم الحياة الهادئة الهانئة وتحميهم فقط من عواصف الرمال ولفحات السموم وضربات الشمس القـاتلة وقر الليالي الباردة ، فاستحضروا كل

ما طاب لهم من مأكولات ومشروبات وتأنقوا في اختيار الفرش والمفروشات البديعة كالمقاعد والموائد ، والاغطية والنبيذ والمياه المعدنية ، بينما الطبيعة في هذه الاصقاع تتطلب مؤاخاتها وأئتلافها والتعود على مقاومة الامراض القاسية لاكتساب المناعة والمقاومة وقوة الاحتمال والقدرة على الصبر والحرمان .

لقد عمل الجيش الايطالي في ليبيا كل ما يستطيع ليلطف الاقامة ويخفف الشروط القاسية التي تفرضها هذه الطبيعة . وللمرة الاولى عندما امتنعت على هذه القوات المرابطة حياة الرفاهية والراحة ، وتعذرت عليهم مطالبهم الحيوية ، وإزاء الصدمة الاولى فقط تزعزعت القوي ، وانحطت المعنويات وتلاشت الفرق المحاربة كما تتلاشى قطرات الندى تحت أشعة الشمس المحرقة في الصباح الصحراوي الباكر . وبالاضافة الى هذه العوامل فان الجندي الايطالي الذي لم تتسرب الى نفسه العقيدة الصادقة بالغاية السامية التي يناضل من أجلها ، ولم تتمكن في جنانه شعور الثقة بقدة اماره ورؤسائه ، ولم يجهز كما كان يظهر التجهيز الكافي المادي والمعنوي ليشعر بأي حماس واندفاع لتقبل حرب لم يخترها ولم يرغب في خوض غمارها مطلقاً ، فكيف لجندي كهذا ان يجد السبيل الى نصرة قضيته والدفاع عنها بعزم وإيمان واخلاص :

هذه هي العوامل الجوهرية التي عجلت بانحدار الجيش الايطالي انحداراً مريعاً في اللحظة الاولى من المعركة .

والآن وبعد هذا الانحدار المعنوي والمادي الشنيع الذي أصاب الجيش الايطالي وقوض اركانه ، أهل من وسيلة مجدية او امكانية محتملة تحور هذا المصير المحتم ؟ أهل يمكن تحويل هذه الكارثة ؟؟؟

ان شعباً يعتبر ادنى كلياً بوسائله ومعنوياته وتدريبه وفنه وماضيه العسكري وأخلاقه التي لم تمرنها الحوادث الجسيمة بالنسبة الى الانكليز

لن يوفق في مبارزتهم ومقاتلتهم، وإن في خسارة ليبيا وضياعها استعجال نهاية الجيوش التي كانت تحارب من جبهتي الصومال والحبشة وان فقدانها ليحقق سيطرة البريطانيين الشاملة على حوض البحر المتوسط، وتصبح سواحل اوروبا الجنوبية كلها في خطر دائم، وان انهيار الامبراطورية الايطالية الاستعمارية ليستدرج نتائج سياسية خطرة بعيدة المدى على موسوليني ونظامه، وان الانحدار النهائي للقوات الايطالية ونتائجه الثقيلة ليؤدي حتما الى انهيار ايطاليا، وخروجها نهائياً من دائرة الحرب، وان هذا الخطر ليهدد المانيا ذاتها ويفتح في وجهها ثغرات عديدة تنساب من أرجائها سيول الخطر الجارفة. وهذا ما تم بالفعل في المستقبل عندما تمكن البريطانيون من دحر قوات المحور في ليبيا والاستحواذ على السيطرة النهائية على شواطئ البحر الابيض الشمالية، وكانت هذه الوضعية الراهنة سبباً هاماً في اضطراب آلة الحرب في ألمانيا التي كانت تعتبر أداة لا تقهر.

لم ير الماريشال غرازياني بداً من الرضوخ للأمر الواقع وللحالة الراهنة، فتنازل عن قيادته للجنرال غاريبولدي (Gariboldi) الذي كان الى هذا الوقت رئيس أركان حربه. وعندما اتصل الجنرال روميل بالقائد الايطالي الجديد في طرابلس وجد نفسه أمام مهمة مفزعة لا ينتظر منها سوى ضياع السمعة والشرف. وليس هنالك ما يعزز الأمل والاحتمال بتعديل او اصلاح هذه الحالة التي أوشكت على نهايتها الأليمة مهما تنوعت الاسباب والوسائل.

ولكن الجنرال رومل الفذ استطاع بعبقريته ومهارته وقدرته وحسن تدبيره ان يصلح ما أفسده الايطاليون، وأن يحول انكسارهم الى ظفر ومذلتهم الى معزة وابعاد الخطر عنهم وعن بلادهم الى أجل آخر.

●•●

مقدمة المعرب

الحرب الكونية الثانية

Der Zweite Weltkriege, Die Kampfe und Schlachten in der Libischen wuste Von 1941 - 1943

ملاحم ومعارك صحراء ليبية

عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

سيرة الحركات ـ طراز الحركات والمعارك ، شرعة حرب الصحراء

Abriss der Feldzeuge - System der Schlachten und ofer ationen - Die Doktrin des wusten Kriges .

نبذة الكتاب

انها لحربٌ جديدة ، في أرض جديدة . لم يسبق لها على مدار العصور ان شهدت حرباً طاحنة كالحرب التي ابتلتها ، وان الجيش المحارب ليجد في ارجائها المختلفة خصمين عنيدين الطبيعة والعدو .

لقد حرمت الطبيعة هذه الارض النعيم الدائم فشتاؤها مهلك وصيفها مرهق . شاسعة واسعة محرقة ، وطرقها مفرقة . هواؤها حرور ، وريحها سموم . قل ماؤها وكثيره ملح أجاج ، اتسعت رقعتها عبر الصحراء . واستطالت دروبها فوق البيداء وامتدت حدودها المترامية الاطراف ، وامتنعت على الفاتحين عبر الزمن امتناع العقاب .

نسيها الماضي وتعلق بها الحاضر لعظم خطورتها ، فهي مركز سوقي

وتحوي عظيم الاهمية والقدر ، تتوسط البحر الابيض المتوسط ، وترقب شطريه الحوض الشرقي والحوض الغربي . وترنو الى السواحل الايطالية ومن أطرافها يستطيع المحارب تحقيق السيطرة الواسعة . اهتم بشأنها العالم الغربي ابان توسع استعماره واعتدائه ، ولكن اهلها في البدء ساعيا إلى الوفير من الغنم ، وليس فيها كسب ولا مغنم ، ليس فيها أرض منبتة ولا ماء منعش ، ولا فيئ واق ، ولا طرق امينة ، ولذا ظلت كالسد الحائل بـــين الاقطار المجاورة ، تمنع طامعاً عن طامـع وترد فاتحاً عن فاتح .

وانا لنرقب توزيع العالم بين الاقوياء المستعمرين ، فبعضهم ينال نصيب الاسد ، وآخر لم يصب حتى ولا نصيب الارنب . وكان بين الطامعين ايطاليا الجديدة الغريبة عن هذا البلد الآمن . وقد جاءت متأخرة إلى حلبة الاقتسام والتوزيع ، فلم يبق أمامها سوى ليبيا العربية ، التي لا يفصل بينها سوى مضيق من بحر ، فارتمت عليها بعدتها وعددها ، ونارها وحديدها للاستلاء عليها وليس أمامها سوى جموع ضعيفة ومدن صغيرة منعزلة وعشائر مبعثرة ، ومع ذلك لم تصل إلى بغيتها دون عناء كبير ، فقاست من مقاومة اهلها ومراسهم ما قاست ، وخسرت ماخسرت ، ولم تستتب لها الامور الا بعد زمن طويل ، لان السياسة العالمية تواطئت على ليبيا والظروف كانت غير مواتية لها ، والمعونة شحت على هذا الشعب المناضل فانطوت المقاومة الجبارة على نفسها ، وضعف شأنهـا ، وانتهى الصراع الغشوم بالغلبة لايطاليا ، وتحول هذا القطر إلى مستعمرة ايطالية . واخذت ايطاليا تبذل جهدها لاحياء موات هذه الارض وبنائها وتحسين احوالهـا الزراعية ووسائل الارواء رغبة في الاستفادة منها واستغلالها ، وتوسيع امكانيات الاستيطان فيها ، فاقامت المواقـع والتحصينات والاستحكامات والمنشآت العسكرية ، وفتحت الآبار وشقت الطرق وعبدتها ، وبنت المرافئ

والموانئ لتعزيز الملاحة والدفاع بانتظار المستقبل الذي لم يأت لصالحها ، بل كان شؤوما ووبالاً عليها ، فاندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ودخلتها ايطاليا الى جانب المانيا الجبارة طامعة في مغانم كثيرة تأخذها ، ولكنها لم تصب غير الخذلان والمغارم .

ودار الزمن دورته وانطلقت عجلاته ، فاذا بليبيا العربية الهادئة تجتاحها العاصفة الجامحة منذرة بالبلاء المصبوب ، فتصبح ميدانا لحرب هائلة استطال فيها الكر والفر ، وتوالت على الخصمين الانتصارات والهزائم ، فهاجمت بريطانيا ايطاليا اثر اعتداء مسبق قامت به الاخيرة على حدود مصر وعلى الانكليز الذين منوا بهزيمة موقته ، ولكنهم استمدوا من جديد ، وحشدوا لها قوات وفيرة فاوقعوا في الايطاليين هزيمة منكرة بالرغم من تفوقهم ووفرة تحكيماتهم التي صرف على انشائها الوقت الطويل والمال الكثير فتراجعوا ، وولوا الادبار ، وطبقت عليهم القوات البريطانية من كل جانب ولاحقتهم دون هوادة وتعقبتهم في كل مكان ، واوشكت ليبيا ان تقع في أيدي الانكليز غنيمة عاجلة فاستنجدت ايطاليا بحليفتها القوية المانيا التي اكتسحت في طريقها الدول والامصار ، ومهدت العقبات والموانع ودوخت اوربا بسرعة البرق الصاعق ، وفرقت أقوى دولها وجيوشها وارهبت الضعيف والقوي واخافت القاصي والداني ، فانجدتها عاجلا وقد امست ايطاليا على وشك أن تطرد من أرجاء ليبيا القطر الذي اخضعته لسيطرتها بقوة الحديد والنار .

غير أن القدر احب أن يطيل في اعمار الايطاليين ردحا من الزمن وان يمدد في اقامتهم بعض الوقت فاختار لهم عبقرية فذة من عبقريات الحرب ، وبطولة من بطولاتها النادرة ، وهو القائد الالماني الكبير الجنرال ثم المارشال اروين رومل (erwin Rommel) . فبارز الانكليز وردهم على اعقابهم وابعد الخطر المحدق موقتا وقهرهم ، ومزق قواتهم

والحق بهم شر الهزائم .

اجل لم يكن روملي قائداً فحسب بل كان عبقرية عسكرية لم يشاهد مثلها القرن العشرون ، اننا لم نتعرف على روميل في ميادين السوق ولكننا عرفناه في ميادين التعبئة الحربية (التاكتيك) فكان القائد المعلم الكمي المجرب ، وكان عظيما في قوته وضعفه ، مدبراً ماهراً في ظفره وانكساره منظماً ممتازا لا يماثله قائد آخر . يرى ميدان المعارك ببصره وبصيرته ، ويستدرك احواله ووقائعه بعين نافذة قوية وفكر ثاقب لاتحده الحدود والموانع . جريء مقدام مغوار . كان يقود المعارك والملاحم ببراعة ومهارة وحنكة انتزعت من النفوس الاعجاب والتقدير . مهارة تكاد تنكرها عليه العقول والاذهان الراجحة ، يخلق من الضعف قوة ، ويستعمل القوة في سبلها وأوانها الصحيحة . عنيد جبار يفرض رأيه وقراره بحزم ويدعمهما بمنطق اخاذ وحجة دامغة وبرهان ساطع وعلم وخبرة شأن كبار القادة في التاريخ .

انه قاتل في عداد تتراوح نسبتها بين $\frac{1}{7}$ وعدة نسبتها $\frac{1}{10}$ ولم يذكر التاريخ العسكري في صفحاته العديدة قائداً استطاع ان يتدبر ويعمل بنسبة منخفضة كهذه وتمكن معها على تحقيق الغلبة القاهرة كما فعل روميل .

ان عبقرية روميل لم تخلقها الحروب التي عاناها وابتلاها في الغرب والشرق . ويحتمل انها اكسبته حقاً مهارة وخبرة وعرونة اضافها إلى حسن تدبيره وابداعه في فن الحرب . ان من قرأ مؤلفات الملازم الاول والرئيس ايروين روملي واطلع على مذكراته الخاصة اثناء الحرب الكبرى الاولى ، وكان آنئذ آمر سرية فقط ، ودرس وقائع حركاته وكيفية تسييرها في اطار الوحدات الصغرى ، والتي كانت مثار اعجاب آمره

ورؤسائه ، يدرك فوراً هذه العبقرية الكامنة ، عبقرية الحياة والفكر النير والنظر الثاقب والتقدير الصائب .

وأخيراً انتهت حياة البطل رومل قبل أوانها وقبل اكمال واجباتها وقبل ان تثمر ثمارها وتؤتي أوكلها ، وتترك بزوراً حية لتزرع من جديد يتغذى منها جيل جديد . انها لخسارة جسيمة على عالم الفكر والفن العسكري قاطبة ، وليست خسارة الشعب الالماني وحده . انه كان يود ان يكتب الكثير عن سيرة هــذه الحرب ، ويدون تاريخها ووقائعها واسرارها وشرعتها وطراز حركاتها ومعاركها . لقد عجلت الاقدار في انتزاع هــذه العبقرية من عالمها المادي لتعيدها الى أزلها الخالد ، وان يحرم العــالم العسكري من أروع الآثار التي كان يعتزم رومل تخليدهــا وجعلها إرثاً قيماً للاعقاب الصاعدة .

كل يعلم حق العلم بأن ميدان ليبيا لم يكن من الاهمية الكبرى التي أعطيت له لو قورن بأهمية الميادين الشرقية والغربيــة كميادين بولونيــا ، وفرنسا والبلقان وروسيا ، ولا يمكن ان يقاس بعظمة الحركات والمعارك التي دارت رحاها في ارجائها ، ولا بأهمية المعدات التي استعملت فيها ، ولكن لم نر ميداناً واحداً من الميادين المذكورة حصل على هذا القدر من الاهتمام وأثار بقدر ما أثار هذا الميدان رغبة النفوس في استطلاعه مثل ميدان ليبيا ولماذا ؟؟

لان تلك الميادين التي أتينا على ذكرها كانت دعامتها القوة المــادية وحدها ، القوة المادية المسيطرة الطاغية الصاعقة المبيدة البعيدة عن عبقرية الانسان وعبقرية القائد المبدع ، وبعيدة عن شرعة الفن العسكري سيدة التدابير والمناورات الرائعة التي تحقق انتصار العبقرية على المــادية بايحاء من العقل وانتاجه .

أجل هذا هو الفرق الواضح بين ميدان ليبيا والميادين الاخرى وما

تفوق به من الأهمية والشهرة على غيرة ، ولذا نرى أغلب العسكريين يستأنسون بدراسة حركات هذا الميدان ومعاركه اكثر من استئناسهم بغيرها من وقائع الحرب الماضية لأنهم يتصورون لانتصار عامل الفكر والروح اكثر من انتصارهم لعامل المادة المطلقة الساحقة .

كل يذكر خطاب البريطاني الاول « تشرشل » في البرلمان عندما هزم رومل الجيش البريطاني الثامن تحت قيادة الجنرال كوننغهام (General Cuningham) والجنرال ريتشي (G. Ritchie) وكانت الصحف والاذاعات والاوساط السياسية البريطانية تعقب وتتحدث تباعاً منذ اسبوع عن الانتصارات البريطانية الرائعة واندحار الفيلق الالماني الافريقي اندحاراً نهائياً . وبينما كانت تتطاير هذه الاخبار بسرعة البرق اذ يهزم رومل خصمه هزيمة منكرة ، هزم القوة بالضعف والعزم المصمم بالعقل المدبر فينطلق لسان الرجل البريطاني الكبير بتصريحه واعلانه في مجلس العموم واقع الجيش البريطاني ومصيره النهائي المؤسف قائلاً : (**اننا أمام قائد كبير ماهر**) . انها شهادة كاملة وشهادة قوية من خصم عنيد وهي صراحة الحق ازاء الحقيقة البارزة التي لا يمكن اخفائها عن المراقبين .

واننا لنرغب ان نتذكر هذا الجواب المفحم الذي يرد به رومل على تخرصات قادة الحلفاء الذين كانوا يسخرون منه ويعيبون عليه تغيبه عن مقر قيادته في بعض الاحيان ، وتنقلاته المستمرة بين مقر وآخر وقيادة وأخرى ، وهو يقود بنفسه حركات الوحدات الكبرى والصغرى معاً بين قطاع وآخر ، ويرافق بعضها جنباً الى جنب كأنه احد ضباطها ، مدعين ان هذا التدبير ليس من صفات القائد الملم ، وان القائد العارف يجب ان يظل ملازماً مقر قيادته يأمر ويوجه ويسير ويشرف على التنفيذ .

ولكن روملى رد على سخرية هؤلاء القادة وعلى ما يعيبون فيه ، ان أعطاهم شرعة جديدة في المعارك البرية والصحراوية وهي لا شك ستظل شرعة متبعة في ميدان الصحراء اذ قال بالحرف الواحد :

« يأخذ علي قادة الحلفاء بأنني في كل مكان من الجبهة . وقد جهلوا بأن الصحراء كالبحر فهل يستطيع أميرال ان يقود اسطوله وهو في المرفأ » .

وهنا نسرد لمحة خاطفة عن عظمة قيادة روملى في المعركة . قائد لا يغيب ولا يضيع . يسير الى الغاية المطلوبة في وضح وبيان ، ودقة متناهية لا يجاريه فيها أحد . وهذا ما يقوله أحد القادة في روملى في معركة المربع طبرق – البارديه بير الغوبي — سيدي عمر حيث ألقى الانكليز بكافة قواتهم في الميدان تحت قيادة الجنرال ريتش . معركة أظلم فيها الأفق واكفهر الجو وعبست السماء واختلط الحابل بالنابل . فكنت ترى الانكليز مع الالمان جنباً إلى جنب ، سيارات ايطالية تقل جنوداً هندية ، وسيارات بريطانية تسير وراء أرتال المانية ، ومدرعات انكليزية تواكب مشاة المانية وتحميها بوداعة ، وأسرى من الالمان بجانب سيارات انكليزية تركوا وشأنهم وهم عطشى يطلبون الماء وهي عطشى أعوزتها المحروقات فتركتهم وشأنهم أحراراً . وترى مخافر أمامية تستبدل الاعلام طيلة النهار ، وأطباء من كلى المعسكرين يعملون معاً دون ان يعلم أي فريق منهما الأسير . الغبار يملأ الاجواء والدخان يستر الفضاء ، والغيوم المتكاثفة تحجب الانوار والامطار الهاطلة تغمر الارجاء وتزداد الدنيا ظلاماً على ظلام .

لقد أضاع القادة والضباط سياق المعركة . وكانوا يتخبطون فيها خبط عشواء ويسيرون فيها على غير هدى كأنهم في ليل دامس . لا يعرف الصديق صديقه ولا العدو عدوه . كانوا كمن استيقظ من نوم وما تزال أجفانه مثقلة بالنعاس العميق ، ويتلمسون في الصحراء تلمس العميان

التائهين . ولكن رجلاً واحداً ظل حيث هو يقظان ساهراً بملء عقله وحواسه يسوق المعركة الطاحنة كما يريد ويرغب من نصر الى نصر حتى النهاية ، هذا الرجل الفريد هو القائد رومل .

كثير أولئك الذين كتبوا سيرة رومل ودونوا بعضاً من معاركه ، ولكن قليل أولئك الذين عرفوا رومل كما هو بعبقريته وأفكاره . ولقد أحسنت لنا الظروف فيسرت لنا القائد العسكري الرجل الذي خدم وحارب تحت امرته في افريقيا الشمالية ورافق الحملة الالمانية الافريقية ، وهو الجنرال فون ايزبيك « General Von Esebeek » منذ البداية حتى الخاتمة الفاجعة . لقد أحاط بجوهر عبقريته احاطة تامة فكان واحداً من أركانه وقائداً من قواد وحداته في كثير من الاحيان . وكان صديقه ورفيقه الدائم ، فوضع بين أيدينا ما كنا نفتقر اليه ، ونرغب في الحصول عليه فكشف لنا عن أسرار حربية كامنة ، وأفصح لنا عن شرعة تعبوية كانت مفقودة الحلقات فدون بأمر المارشال أوامره اليومية ، وحركاته ومعاركه بالتفصيل وزودها بخرائط ومخططات وأعطى الصورة الصادقة المطلوبة ببيان واف وضيح .

وانا لنرجو مخلصين ان نوفق في نقلها بأمانة ووفاء ، وان نقدم لقراء العرب العسكريين هذا الكتاب الذي جمع نهج العبقرية وانتاجها ، وغلال ثمراتها اليانعة علها تفيدنا في حياتنا العسكرية وتزيدها معرفة وخبرة والله من وراء القصد .

●○●

الفَصلُ الأوّل

البداية

Der Vormarsch Rommels auftrag

وقف خمسة رجال يتـأملون وكأنهم يتناجون فيما بينهم قائلين « ماذا سيحدث يا ترى » ؟ أجل كانوا يتأملون في الأفق الجديد ويرقبون الجو الغريب ، ويستطلعون حولهم في الآفاق البعيدة المتراميـة الاطراف . لم يفه أحدهم بكلمة واحدة في غمرة هذا الصمت الرهيب . وكان بينهم رجل فارع القامة قارب نهاية العقد الخامس . وكان يرتدي بزة عسكرية من القماش الخاكي الاخضر الفاتح ، وينتعل حذاءين عاليين ، ويضع على رأسه قبعة تشبه قبعـات الخفراء ، مرصعة بالذهب ، يبدو بوجه ضيق وكان يشبه في منظره ومرآه عالمـاً من علماء الرياضيات أو العلوم اكثر منه جندياً وقائداً . وكان يظهر على وقار وجهه مسحة من القلق الذاتي والاضطراب النفسي .

وفي هذه اللحظة ، أخذت الشمس تذر قرنها في الأفق ، وقـــد تحولت الى قرص ابيض لامع براق ، تشع على ضبـاب الصباح الخفيف تزيح برفق آخر أثر من آثار الليل الصحراوي . وقريبـاً على الطريق المحاذية للتلال التي تشبه الابزيم البراق يرتفع قصر العقيله ، وهو حصن كثيف دائروي البناء ، شيد من الغضار والآجر . وكان أشبه في منظره بقطعة الشطرنج المرقمـة ، أو بالاحرى ببناء صورته أسطورة الف ليلة

وابلة . وبعيداً في الصحراء كانت تتصاعد أعمدة من الغبـار في أجواء الفضاء ، وتمايل مترنحة تحت اعطاف نسيم الاصباح ، وكأن الارض لتستطيل الى اللانهاية وتتوشى رويداً رويداً بألوان الفجر الرمادي ، ثم يتحول لونها الى منظر الذهب الذائب . وكانت حبات الندى البراقة تلمع فوق غصينات الاعشاب الشائكة . وتتطاير ذراتها وتختفي في حنايا الفضاء ، وكانت زرقة السماء تزداد كثافة لحظة بعد لحظة ، حتى تحررت الشمس من أبخرة الفجر ، وبدأت أشعتهـا تتأجج على جوانب وحوافي الجبل البعيـد .

في هذه الآونة ، بدأ ضجيج المحركات يسمع من بعيد بضربات موزونة منتظمة . وبدأ الضجيج يتعالى ويقترب ، والهواء يزداد حرارة ولهيباً . آنئذٍ اقتربت ثلاث مدرعات من القصر ، وهدأ الضجيج لحظة في هذا السكون القائم ، وعلت اصوات رجال سدنتها الذين كانوا يصرخون الى حمـاة الموقع في الحصن ، ثم استأنفت المحركات ضجيجها السالف من جديد . وانطلقت السيارات الحربية الثلاث تتابع طريقها في قرقعة عالية تثيرها صفائح الجرارات الفولاذية وهي تقطر مدفعين من المدافع المضادة للطائرات من عيار ٨٨ م م رُكبا وثبتا على قاطرة جرارة ، ثم تبعتهـا الدراجات النارية التابعة لسرية الرماة الآلية ، وكانت أشبه بجموع الذنابير الهائجة . فالتفت الرجال الخمس الى الطريق بحركة واحدة وعاينوا ساعاتهم ثم تحولت أنظارهم فوراً الى الجو والاطراف يرقبون ويستطلعون .

انهم في منتصف شهر شباط ولما يمض بعد خمسة عشر يوماً على نزول القائد المشار اليه الى اليابسة في ميناء طرابلس على رأس الفرقة الخامسة الالمـانية التي هرعت عدواً الى الجبهة مع مجموعـة الاستطلاع ، وفصيل قناصة المدرعات .

شعر الجنرال بالتباين الواضح لديه بين معاني ومفاهيم كلمات افريقيا ،

ليبيا الصحراء التي كانت تدور في خلده سابقاً ، وظنها مجموعة من واحات أشجار النخيل الباسقة يثقلها ما تحمل من الرطب السكري اللذيذ ، واحات شيقة يانعة ، وينابيع ترد اليها نسوة البلد بقرابها وجرارها لتستقي وحيث الجمال ترعى الكلأ الاخضر سارحة مترنحة بتؤدة . أجل انه لم ير في هذه المناظر العيانية القائمة ما يشبه المناظر التي ارتسمت في مخيلته في الماضي . ومنذ ان ترك طرابلس الغرب احتضنته العواصف الرملية وألقته في أحشائها اللاهبة ولفحه ريح السموم النافح من أرجاء الصحراء البعيدة وهو يغمر الاصقاع بفيضه الخانق ويمنع النظر من التطاول الى الابعاد المترامية . كان من الصعب على المرء ان يتنفس بحرية وانطلاق فالحلوق تنكمش على نفسها من شدة الجفاف واليبوسة والالسنة المتضخمة من الحر تستنجد الماء والعيون تلتهب بالحرقة المؤلمة والرمل ينفذ بذراته الدقيقة الى كل مكان ؛ رمل رقيق دقيق جارح دسم مخيف . وكان العرب والبدو يحتمون من أذاه بخمارهم المعقود على الرقاب .

أجل لم يطل الزمن على هذا القائد الجديد ليتفهم معاني الصحراء الحقيقية وشروطها وكيف يجب ان يعيش المرء في أرجائها ؟ انها أرض خاوية خالية . كان هذا الخلاء رهيباً موحشاً مزعجاً . يبدأ الريح بالهبوب عندما تشرع الشمس بتدفئة الصحراء فيتحرك كالسيل الكثيف الجارف . وكانت المياه التي تنبع من اكثر المناطق وخاصة منطقة السرت مالحة لا يتقبلها الشارب الذي لم يألف شربها . كل هذه العوامل كانت غريبة على الذوق وشديدة التأثير على النفس الغربية . بيد ان الجنرال وصحبه ورجاله اعتمدوا تمرين انفسهم على هذه الشروط القاسية وتكييف اجسامهم على الحر الجهنمي الهابط من افران السماء الصافية من الغيوم وعلى صقيع الليل وبرودته وعلى المناظر المترامية الاطراف وعلى شعور الوحدة والانفراد ، الوحدة الخرساء الصامتة الرابضة تحت عديد ملايين النجوم اللامعة في

الافضاء الليلية . لم يسبق لهم ان عاشوا في مثل هذه الاقاليم والاجواء المرهقة ، وفي هذا الوجـود الذي لم تألفه احاسيسهم واعصابهم . انهم ارسلوا سراعاً الى هذه الاصقاع النائية بعد معاينة طبية عاجلة اقرت أن أجسامهم مهيأة لتعيش في البلاد الاستوائية . واعطيت لهم التعليمات والتوجيهات اللازمة لكيفية طهي اللحوم ، والتعليمات الصحية الواجب اتباعها وقواعد المجاملة التي يجب أن يتجملوا بهـا مع السكان العرب . لقد افهموهم ان منطقـــة السرت اصبحت بلدهم ووطنهم بحكم الاقامة التي فرضت عليهم، ولكنهم لم يجدوا ما يطهى حـتى ولا لحماً طريا ، ولم يشاهدوا شبحاً ولا بشراً سوياً . وقد اثرت ملوحة المياه في ابدانهم وصحتهم بسرعة مضطردة وتعلموا كيف يدفنون خيامهم وآلياتهم وعرباتهم طي الرمال ويختفون في حناياها وزواياها فراراً من وهج الشمس ولفح الحر ، وأدركوا أن ارجاء هذه الاصقاع المسطحة المكشوفة تهيء معاً امكانيات الاختفـاء والتمويه كغيرها من الأراضي والميادين .

وكانت المهمة المحدودة التي اسندت الى الجنرال آمر الحملة الافريقيـة لا تتعدى الدفاع عن منطقة السرت وهي مهمة دفاعية بحتة . ولكن منذ المحادثات الاولى في مقر القيادة العامة الايطالية تبخرت هـذه المهمة وذابت وانتقلت قطعات الفرقة الخامسة الخفيفة من حالة الدفاع الى الهجوم .

رفع الجنرال شترايخ (Streich) عصاه المعقدة وأخذ ينفض بهـا عـن بنطاله الغبار . وأحس بشيء من السعادة التي وضعت حـداً نهائياً للجمود الدفاعي المقرر . ولم يتردد في الاعـــتراف بأن المهمة الموكولة اليه ليست سهلة الانجـاز ، ولم تكن لديه الوسائل التي تذكـر ، ولم يصل حتى هذا الوقت من فرقه سوى قسم صغير ، وكل ما لديه قبضة من الرجال الالمان تستند الى حفنة من القوات الايطالية ذات القيمة الحربية المحدودة . وعلى الجانب الآخر كان ينتظره عدو جلود عنيد توفرت لديه

الوسائل والوسائط الكاملة ، ويتمتع بتفوق عددي هائل . ولكن هـذه الحالة الراهنة لم تمنع الرئيس من اتخاذ قرار حاسم والايعـاز بالهجوم . ولم تبدل الاوضـاع من قراره المسبق واعتماده شيئاً . وكان يثق بنفسه وإرادته الحازمة لاعطاء قرار مثبت . فما كان ليتردد قط ، ولم يتبين خططاً مخطوطة ، وبالفعل فهو ليس برجل ذي ميل دفاعي . فاذا كانت مهمته قابلة التنفيذ فانه لا يتقبلها بابتهاج إلا في اطار الهجوم والحركة السائرة ، وكان عليه ان يغامر ، فهل يصل الى غايته ؟ .

وفي هذه الاثناء سمع هدير خفيف تعالى في الفضاء . ثم ظهرت على الاثر طائرة فوق الخليج الرملي وكانت تقل رجلين بأن هيكلها من قفصها الشفاف . فرسمت منحنياً وغطست هابطة الى الأرض ووقفت تماماً أمام الجنرال وصحبه .

خرج منها رجل مربوع القامة قصيرها ، تبرز في أعلى وجهه جبهة مرتفعة متناسقة تشرف على أنف قائم بارز يشير الى القوة والنشاط والعزيمة ، ذو خدود مندفعة الى الأمام وفم صغير وشفتين ثابتتين فوق الذقن تدل على القدرة والإرادة الفذة . وكانت التجعدات العميقة التي تحيط بقاعدة الانف والفم تلطفها لفتة باسمة . وكانت عيناه الزرقاوان الصافيتان ذات النظرات الباردة الفاحصة حادة خارقة النظر . هكذا ظهر في ٣١ آذار الجنرال (اروين رومل) آمر الفيلق الافريقي الألماني امام رئيس أركان حرب الفرقة الخامسة الخفيفة ، والذي جاء بذاته ليقود الهجوم المعد على مرسى الريغـا .

وكانت النجدة التي قررت القيادة العليا الألمانية للجيش ارسالهـا لتمنع الكارثة المتوقعة في ليبيا تتألف من فرقتـين ، ولكن الباقي من الفرقة الخامسة الخفيفة لن يصل الى افريقيا قبل منتصف شهر نيسان ، والفرقة المدرعة الخامسة عشر حوالي نهاية شهر مايس . وكان الامر الذي

تلقاه روميل من القيادة العامة للفوهرر ينص على اجتماع الوحدات في منطقة طرابلس الغرب ، وعدم المبادرة الى سوقها للجبهة إلا بعد اكتمال عددها وعدتها ، كما أوحى بتأمين الدفاع عن طرابلس في شرق منطقة السرت وليبس في جوار العاصمة كما ارتأت روما اجرائه . ووضعت هـذه الخطة لضرورة تأمين حرية الحركة للوحدات الجوية الالمانية التي لا تستطيع القيام بعملياتها في طرابلس المحاصرة . وتم إلحاق القوات الآلية الايطالية بالفيلق الافريقي الذي اسندت قيادته العامة الى القائد العام الايطالي في ليبيا .

نزل روميل الى اليابسة في طرابلس في ١٢ شباط أي بعد ستة أيام من تلقيه المهمة المعطاة . فوجد القوات الايطـالية في حالة تفكك زريع اكثر مما كان يظن أو اخبر عنه . وحدث ان سقطت بنغازي قبل ثلاثة أيام ، وهلكت الفرقة المدرعة الايطالية الاخيرة في بيضافوم ، وكان ويفل مستمراً في تقدمه على طول الطريق الساحلية وقد اجتاز اجدابيا بالفعل .

إذن هل من الممكن ايقاف ويفل ؟ لقد ضاع كل ما يعتمد عليه في الصحراء . ضاع أو هلك أو وقع في ايدي العدو . ولم تبد أية عناية لتعويض الوسائل المفقودة . لقد ذاب كل شيء أمام الهجوم الانكليزي الظافر : المدرعات والسيارات والمدافع ومستودعات المؤن والذخائر والوقود التي جمعها غرازياني بجهود متواصلة طيلة عدة شهور وساقها الى الجبهة او وزعها في منطقتي برقه البيضاء (سيرانيكا) وبرقه الشرقية (مرمريكا) .

وتفحص بسرعة الوضعية والمصورات والخرائط دون ان تستوقفه العوامل المثبطة للعزائم . أصدر روميل أمره فوراً بدفع الجبهة الى الامام واقامة خط دفاعي قوي بسرعة كلية . وقد تصرف خلافاً للأوامر التي تلقاها حيث كان يلقي بالقوات الالمانية الواصلة تباعاً على هذا الخط . وفي هذه الاثناء وصل الى طرابلس الفيلق الايطالي المؤلف من فرق (بافيا Bavia) و (بريشيا Brescia) والفرقة المدرعة (اريتة Ariete) المشتملة على

سنتين مدرعة قديمة العهد ، بيد ان الجنرال الايطالي غاريبولدي القائد العام في ليبيا لم تكن تستولي عليه سوى فكرة الدفاع عن طرابلس فقط وتأمين هذه الغاية بأسرع ما يمكن لكي يمنع على الأقل وقوعها في يد ويفل ، ولا شك فانه اجفل فزعاً من استدراكات الجنرال رومل ومقرراته ، والذي كان يعتبر جديداً بين القادة . وخشي ان يغامر هذا بكل ما لديه بورقة واحدة ودفعة واحدة . كيف لا وهو يعتبر أن رومل يجهل الصحراء ولم يرها قط ، ولا يعرف منطقة السرت المنعزلة الخالية من الماء ، وليس لديه أية فكرة عن المصاعب الواجب التغلب عليها لتموين الجيوش في الصحراء على مسافات بعيدة .

فابتدره سائلا وهو مغمور بالقلق ، ماذا يحدث لو افترضنا وصول ويفل الى اجدابيا ؟ واذا اضطررنا الى خوض معارك شديدة فانها ولا شك ستثقلنا بالخسائر الفادحة ، فكيف ينتهي أمرنا بعد ذلك ؟

فابتسم رومل ابتسامته المعهودة وأجاب قائلاً : « كل ما نود هو ان أرى ويفل يتقدم الى اجدابيا فاننا لندحره حتما ونرده على أعقابه وناقي به وبجيشه اللجب خارج حدود سيرانيكا ، ان هدف رومل كان واضحاً جلياً وهو ملاقاة ويفل فقط وكان يرغب ان يغتنم الوقت الملائم فيضرب ويفل قبل ان تصل اليه نجدات وقوات جديدة . يدعم بها الفرق الخمسة التي تحت أمرته . فاذا قبل ويفل المعركة وهو ما يرجى ويؤمل افاض رومل ، فاننا سنتغلب عليه ، وان هو تراجع فاننا نكون قد حققنا الغاية المقصودة ولاحقناه دونما تردد ،

ولدى وصوله قام باستطلاع جوي فوق منطقة الجبهة ولاحظ ملياً عدم كفاية التدابير الدفاعية المتخذة للدفاع ، ولكن فكرة الانطلاق الثابتة مكنته من اعتماد امكانيات متعددة . انه لم يجزع ولم يخف من تفوق العدو ، ولا من السمعة الرفيعة التي اكتسبها من الانتصارات الرائعة التي

احرزها ، ولم يدع نفسه تستضعف وتستكين من تدني وتلاشي الوضعية التي يواجهها حلفائه الايطاليون ، ولا أن يتأثر بمثل هذا الميدان وشروطه لمثل هذه الحركات الحربية ، هذا الميدان الجديد بكليته وشروطه وشرائعه التي تتميز بخصائص كلها جديدة بالنسبة الى الميادين الاوروبية . انه لم يفكر بسوى ناحية واحدة وهي اكتشاف النقطة او النقاط الضعيفة في وضع العدو ، وفي خطوط دفاعه وهي متوفرة دوماً . فاذا تمكن من اكتشافها ومعرفتها تمكن من ضرب ويفل كما كان يتصور .

ومنذ السابع عشر شباط . انطلقت سيارات الاستطلاع الالمانية مع جمهرة سنتاماريا لتأمين التماس مع العدو . وعكساً لكل ما هو متوقع لم يستأنف ويفل تقدمه . ومنذ ١٢ الجاري وطبقا للاوامر التي اصدرها رومل من روما بدأ السلاح الجوي الالماني (Die Luftwaffe) يقصف العدو قصفا شديدا وتباعا موقعا بـه خسائر راهنة . وفي ليل ١١ / ١٢ قصفت ميناء بنغازي لاول مرة بنجاح كبير بفضل عمل مفاجئ سريع. ومنذ هذا الحين ظلت الطريق الساحلية مفتوحة لمراقبة الالمان . وظن ويفل انه من الافضل التريث والانتظار ريثما تصله نجدات جديدة ليواصل تقدمه المقرر . وقد امست قواعد وحدات الطيران البريطاني بعيدة جداً عن القوات المحاربة ومساندتها . والحقيقة التي لامراء فيها انه كان عسيرا جدا ايقاف فرق ويفل عن المضي في تقدمها ، هذه الفرق التي تريضت وتمرنت على حرب الصحراء . ولو انها انطلقت مندفعة إلى طرابلس لما وقفت في وجهها اية قوة حالية ولوصلت إلى غايتها بسهولة . والغريب في الامر ان ويفل توقف عن المضي بعد سقوط بنغازي واجدابيا ، وظل الآمر البريطاني مستمراً في تردده وفي اضاعة الوقت بالانتظار .

وفي هذه الاثناء كانت البواخر تبحر بدون انقطاع من نابولي إلى طرابلس فتفرغ حمولتها من الجيوش والمعدات والذخائر والمؤون . وكانت

الطريق الساحلية المعبدة المسماة لاتوريانا (La Littoriana) تمتد نحو الشرق على مسافة ٨٠٠ كيلو متر مارة بمدينة الخمس واراضيها الحضارية ولبدة اي « ليبتس مانيا Leptis Magnia » واثارها الرومانيه القديمة وامام مسراطه « Misurata » التي كان لها طابع المستعمرات الايطالية . ومن ثم تمتد مسافة ٥٠٠ كيلو متر في اراضي قاحلة جرداء غير منبتة في منطقة السرت الكبير المثقلة باتون الشمس النهارى ، والتي لاينبت في اراضيها سوى نبات الحلفا وبعض شجيرات الاعشاب الشائكة . وفي الافق البعيد الذي لايتحقق ، ترتسم الحوافي الوردية للجبل والتي لاتتميز إلا تحت السماء البلورية الصافيه التي تسبق هبوط الليل ، وكانت الرمال الساحلية البيضاء تعكس انوار الشمس الباهرة ، ومن الجهة الداخلية كان السراب يتموج فوق اليابسة تحت اعطاف الريح الهادي فتظهر بحيرات بمياهها الزرقاوية الخيالية العجيبة أمام الانظار .

وفي نهاية شهر شباط تم الاستيلاء على ابار النوفليه (Nufilia) وكان ماؤها مالحا ولكنه ماء ضروري للحياة . وهنـا أخذت بعض وحدات فرقتي برشيا وبافيا في بناء خط دفاعي في قطاع السرت واخيراً وبعد مضي شهر تقريبا أخذ الخط الدفاعي المذكور شكله الكامل . وفي نهاية شهر مايس اقترح روميل اجراء حركة تقدمية على اجدابيا بعد وصول آخر القوات الالمانية واذا تهيأت الامكانيات وجوب مهاجمة برقة البيضاء فوافقت القيادة الالمانيه العليا على القرار باستحسان .

وفي الثاني والعشرين اذار اجرت القوات الالمانية الخفيفة هجوماً استطلاعياً مسلحاً على العقيلة ، النقطة التعسة من الصحراء التي ليس لها اهمية تذكر سوى انها نقطة تروى واحة مراده الواقعة الى الجنوب والتي تشغلها حامية المانية - ايتالية مهمتها حماية الجانب المكشوف من الصحراء فانتفض الانكليز ذعراً من هذه المحاولة الرامية الى تحسين خط الجبهة .

وبعد التحام قصير أخلى الحصن للفيلق الالماني الافريقي والذي كان بمثابة قاعدة انطلاق وهجوم ملائمة ، ويسرت هذه الغارة العاجلة اقتناص بعض الاسرى . وكانوا شبانا أقوياء نحاسي الوجوه والاجسام . اشداء العزيمة تقبلوا مصيرهم بحيرة واندهال ، وكانوا يلقون بخوذاتهم على رقابهم وكانوا في بادئ الامر غير قادرين على الاجابة عندما سئلوا اذ كانوا يعرفون بوجود قوات المانية في هذا الميدان فاجابوا قائلين (وما على الالمان أن يعملوا في هذا الصقع الفتاك المبيد وهذا البلد المهجور المحروم من النعمة والنعيم) .

لم تتمكن القوات الالمانية من الحصول على استعلامات كافية عن حالة ووضع العدو حتى تاريخ ٢٥ آذار في جبهة العقيلة حيث اقتنصت امرا يومياً اشتمل مضمونه على العبارات التالية « يتوجب على كل منا ألا يتأثر بالواقع الذي سنواجهه وهو اننا بعد قليل سنقاتل قوات وفرقاً مدرعة المانية ، بل بالعكس يجب أن نسر ونغتبط باغتنام هذه الفرصة الجديدة . وقد استطرد الامر المذكور قائلا (لايذهب بنا الظن والاعتقاد بان الالمان هم اناس فوق البشر كما يدعون بل بالعكس فهم جنود من الدرجة الدنيا . وكان هذا الامر موقعاً بامضاء الجنرال كامبيرباري Gambier - Parry الذي وجد بعد عشرة ايام في عداد الاسرى الانكليز الذين وقعوا في قبضة الالمان .

اقبل يوم ٣١ آذار الذي اطلق عليه يوم الذكرى لانه كان اليوم الاول لمجموعة من الايام المشابهة . وبينما كان الجنرال شترايخ (Streich) واركان حربه ينتظرون وصول رومل ، انطلق رتل الماني من الفرقة الخامسة الخفيفة معرجا نحو الجنوب في اتجاه السويره (Sueirra) على الطريق الساحلية المسماة بطريق بالبو متقدما نحو الحدود المصرية ، وكان يضم بعض المدرعات ومدافع الدفاع الجوي من قياس ٨٨ مم ومدافع منقولة فاختار منطقة العقيله حيث يقوم حصن العقيله التركي القديم . واثناءها

كانت قناصة المدرعات تعمل على الجناح الايسر المجاور للبحر ، وبعيدا إلى الامام على الجناح الايمن كانت تقوم جمهرة أخرى مؤلفة من مدرعات كاذبة كان رومل ابتدعها من حطام السيارات الايطالية القديمة المهجورة سابقاً والتي كان من السهل الحصول عليها في الصحراء والتي اعدت لايهام العدو عن مقدار قوة الفيلق الافريقي الالماني الحقيقي .

وكان مرسى البريقا يشتمل على مجموعة من بيوت العرب القائمة حول جامع ابيض يقع على شاطئ البحر ويشكل هدف الحركة المقررة . وكثيرا ما كانت سيارات القوات السائرة تغرز في اماكن غير قابلة الاجتياز ، وتتعثر وتتقدم ببطء ودقة خطوة خطوة . وكانت وحدات الهندسة تعمل على عزل حقول الالغام ، والمشاة تصعد رويدا رويدا مرتفعات البريقا .

وحول الظهر تصاعدت درجة الحرارة الى الاربعين بمقياس سانتيغراد وبدأ لفح الحر الشديد يطغي بفيضه ولفحاته المحرقة . وظل الحر فيما بعد الرفيق الثقيل المزعج طيلة أيام الصيف ، وبغتة اطلقت نيران المدفعية الالمانية ضد الطيران من قياس ٨٨ مم نيرانها وحممها على مدى الرؤية تنصب على مواقع العدو . ولم تخرج المشاة الالمانية من مواقعها الا عندما بدأت القاصفات الالمانية الغاطسة تقصف وتدمر المواقع الانكليزية باحكام ودقة متناهية ، عندها انطلقت في غاراتها العنيفة إلى الامام .

وما ان مالت الشمس إلى المغيب والقت باشعتها التي ترطبت قليلا على رمال الصحراء الساخنة حيث بدأت تظل بيوت بريقا القرية الصغيرة حتى طرد الانكليز نهائياً وجلوا عن كافة مواقعهم وأخرجوا من أعشاش المقاومة الباقية التي نظفت تنظيفاً كاملا . فسقطت مرسا البريقا فورا وامست الجيوش الالمانية حينئذ على حدود برقة البيضاء .

أي ضعف اصاب بغتة فرق الجنرال ويفل المدربة المتمرنة . ؟ ولماذا تقهقرت بمثل هذه السرعة ؟ هذا ماكان يتساءله المراقبون فيما بينهم .

اني أظن قال الجنرال روومل بعد معاينته للاسرى البريطانيين ، ان ويفل ابدى خفة كبيرة واعتمد تقديرا خاطئا . وكان يظهر بان العدو لم يبق في وسعه وطاقته أن يعمل شيئاً ، ولا أن يقوم باية محاولة محتملة من شأنها تعديل الموقف في مصلحته ، لانه اعتقد انه قهر الايطاليين . انه خدع نفسه في الواقع وتجاهل الاحتمالات الممكنة . اننا سنحتل غداً اجدابيا وحيث ان العدو في تقهقر وتراجع ، اذاً فليس مايخيفنا البتة من قيامه بهجوم معاكس ، وبالعكس ايضا فاذا انطلقنا متقدمين في ارجاء منطقة برقة في اتجاه برتا ، فقد يسعدنا الحظ ان نقطع عليه خط الرجعة .

ووضع اعتماد روومل موضع التنفيذ . كان مصمما على ملاحقة العدو دون أن يترك له ايه فرصة للتجمع او الراحة .

وكان ان نزح عن اجدابيا تحت ضغط الحوادث سكانها البالغون ٦٠٠٠ نفس بمحض اختيارهم ونهبت منازلها ذات الطراز الاوربي منذ زمن بعيد من قبل السكان العرب ، وكانت تشكل الهدف التالي . وبالرغم من كون الفرقة الخامسة الخفيفة لم تكن بعد كاملة العداد والعدة ، فقد تمكنت من الاستيلاء عليها واحتلالها ولم يظهر في المعسكر المقابل أي حس أو شعور بضعف قوات روومل آنئذ . ولم يراودهم هـذا الخاطر مطلقا ، بينما لم يكن لدى الفيلق الافريقي الالماني من الاسلحة المؤثرة العاملة في سياق هذه الحركات سوى عاملين اثنين : القرار والسرعة .

لم يكن مع الفرقة الخامسة الخفيفة سوي جمهرة سانتا ماريا الايطالية التي اقتربت طلائعها الامامية الى مسافة عشرين كيلو متر من اجدابيا . ومنذ اكثر من اربعين كيلو متر لم يشاهد الجنود الالمان من العدو سوى اثار الاخلاء السريع : الخوذ الاستعمارية واغلاف الامشاط والذخيرة ووسائل الوطن الام النائي المتروكة عرضاً في المواقع والمراكز والذخائر

والعربات والسيارات والآليات . أجل كان هذا المنظر الذي بدأ في الثاني من شهر نيسان لقوات الهندسة ولفصائل فوج الرشاشات تحت امرة المقدم بونات « Pouath » ولسيارات الاستطلاع والاستكشاف التي قاربت اجدابيا منظراً مشجعاً للغاية مكن العزائم واطلق الهمم .

وكانت المدرعات المعرجة من جانب الصحراء تعمل على الجوانب . وبالرغم من سعة المرائي التي تسمح بمشاهدة مثل هذه البوادر لم يستطع المراقبون تحقق غير أعمدة الغبار المتصاعدة في الجو بينما كانت المدرعات الالمانية تلتحم في القتال مع المدرعات الانكليزية بتفوق ساحق . وكانت مدافع عيار ٨٨ مم تفتح نيرانها وتوجهها مباشره على مواقع أجدابيا . ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت ألسنة اللهيب من كل جانب ، وتكاثفت سحب الدخان من جراء انفجارات مستودعات الذخائر . فتم احتلال القرية حوالي الظهر تقريباً واقتنص الالمان عدداً كبيراً من الأسرى واغتنموا كميات وفيرة من السلاح والسيارات والذخائر والمؤن والمعدات المتروكة ، وفر العدو سراعاً مستفيداً من التموجات الارضية المجاورة . وكانت قوات رومل تسير بسرعة فائقة وكان يقول : « **يجب ملاحقة العدو على الاثر دون ان يترك له اية فرصة للراحة والانفلات ، واثارة عواصف هائلة من الغبار ورائه ، فالغبار يستر حركاتنا ويخفي تحركاتنا ويوفر علينا صرفيات الذخائر التي لا لزوم لها** » . ولم تتوقف جمهرة الاستطلاع إلا على مسافة ثلاثين كيلو متراً شرق اجدابيا . وكان التماس يؤمن نادراً أو عابراً مع العدو الهارب واشير اثناء القتال الى وجود عدد هام من المدرعات الانكليزية يظهر انها معطلة عن السير بسبب حاجتها للوقود ، وانها تتجمع وحداتها في جوار بيضافوم ، ولكن الاستطلاع المباشر الداني أثبت خطأ هذه الاشارة ، وانها لم تكن سوى مدرعات إيطالية تركت أثناء معركة الشتاء .

سجلت معركة اجدابيا موفقية باهرة وظفراً رائعاً وربحت دون أية خسارة تذكر ، وحققت في نفس الوقت اجتياز حـدود منطقة طرابلس وأقصت فوراً كل خطر مباشر وأصبحت طرابلس تبعد حوالي الف كيلومتر وراء الجبهة . وتوغل الفيلق الافريقي في منطقـة برقه وحصل على أهم نتيجة منتظرة في الواقع والحال وهي الاستحواز على ينابيع المياه الضرورية الغزيرة ووفرت عليه عناء التموين بالماء المالح من منطقة السرت .

وتمكن من الوصول الى ابعد من هدفه المعين في ايام قليلة ، ولا ريب ان هذا التوفيق أثر على وضع الجنرال ويغل الحربي إذ اكد الاستطلاع الجوي الالماني قيام العدو بحركات تراجعية شاملة مما دفع رومـــل الى استغلال هذه الوضعية استغلالا كاملا دونما تردد .

فأوعز الى جمهرة الاستطلاع تحت أمرة العقيد فـــون فيكمـار « Von Wechmar » باستئناف الملاحقة . وسبق أن أحرق الانكليز السلوش « Solosch » القرية الصغيرة المبنية من الاجر والتي تحيط بأطرافها الخيم المصنوعة من وبر الجمال وكانت السيارات الانكليزية المعطلة تملأ الرحاب. وقد صنعت بعض الصلبان الخشبية بصورة عاجلة لتوضع على قبور القتلى الالمان والانكليز في مدافن الصحراء .

وكان الحد الكيلومتري يشير « بنغازي ٤٠ كيلو متر » وهنا اخذ المنظر الطبيعي يتبدل الانظار فالارض مغطاة بالكلأ اليابس وهو منظر جديد في حـد ذاته بالنسبة الى الصحراء ، وكانت ارتال الجمال المبعثرة تسير الهوينا نافرة تائهة تطلع طويلا الى جانب الطريق كأنها تشاهد عجباً وتتوقع خطراً ، وكانت أعالي الاشجار الباسقة تظهر من بعيد على الخليج ومنها اشجار الزيتون ذات اللون الغـامق ، وكانت حقول الشعير تظهر هنا وهناك . ومن آن لآخر كان يري بعض السكان العرب يردون الى

الآبار يملأون قربهم الاستسقاء . وكان الهواء تعطره روائح نبات الزعتر العبقة .

ظهرت بنغازي الخصبة الخضراء لأول وهلة تفيء أرجاءها ظلال الاشجار النامية على الطريق وبالفعل كانت هذه المناظر تفرح الناظر الذي لم يشاهد حتى الآن سوى الاصقاع الجرداء والرمال .

وكانت جمهرة الاستطلاع التي لم تستمد بعد التماس مع العدو وصلت ليلا الى مطار المدينة حيث كانت تتكوم الطائرات المحطمة سابقاً وهي تلمع تحت أشعة القمر البراقة . وكانت تغطي أجواء المدينة سحب كثيفة من الدخان المتصاعد من حرائق وانفجارات مستودعات الذخائر التي كانت تضيء وتخبو بين الحين والآخر وترسل اضواءها بين الفترة والفترة وقد اخليت بنغازي منذ أمد قصير .

أنشأ المهاجرون الايطاليون بنغازي ، هذه المدينة الجديدة بالعمل والجد والجهد . وكان بين المائة والاربعين الف ايطالي النازحين الى هذه البلاد تسعة عشر الفاً منهم يقطنون بنغازي عاصمة المقاطعة التي تزينها الشوارع الجميلة الواسعة وتحيط بها البساتين والحدائق الغناء ، وترصع ميادينها الحديثة الابنية الرسمية المنسقة التي كانت تعطي هذه المدينة منظراً أنيقاً ، ولكن بنغازي الجميلة الضاحكة الهانئة بالأمس اصبحت في سياق الماضي منذ الآن وقد تناولتها الحرب القائمة فغمرتها بموجاتها وفيضها . لقد تراجع عنها غرازياني بجيوشه وقواته فراراً من العدو الزاحف وجاء في اثره الاوستراليون والنيوزيلانديون والهندوس والبولانديون والانكليز واستبدلت المدينة من جديد أسياداً بأسياد وهي لم تشاهد بعد الايام السوداء التي ستحيق بمصيرها القادم ، بيد انها اصيبت بجروح عديدة ولم تبق فيها بيوتاً لم تتصدع والميناء لم تعد سوى خرائب واطلال بفعل القصف والتدمير ، وأرصفة محطمة وحظائر محترقة واعمدة مطوية ، وسفن غارقة في اليم .

وفي صباح اليوم التالي تركت جمهرة الاستطلاع المدينة التي احتلتها قوات المانية جديدة وفي المساء دخلتها وحدات ايطالية أخرى . واعترى الاهلين الذهول من هذا التبدل المفاجئ الغير متوقع . كان رومل آنئذ يتمركز في اجدابيا ويتهيأ ليضرب ضربته القادمة وكان يقول : **ان سوق الانكليز امامنا لا يفيدنا شيئاً بل يجب القضاء عليهم نهائياً** . ووجد على خارطة برقة درباً ينطلق من اجدابيا عبر الصحراء ماراً بمروس والمخيلي ويصل الى الطريق الساحلية على خليج بامبا على الجانب الآخر من مدينة درنه فقرر سلوكها ليقطع على الانكليز مخارج برقة .

جزع الايطاليون الذين يعرفون البلاد من هذا القرار والتصرف ، وأفهموا رومل انه ليس من الممكن التقدم في جوف الصحراء إلا اذا تهيأت الوسائل الكافية بدقة لنجاح هذه المغامرة الخطيرة . فالوحدات الكبرى معرضة للتوزع والانتشار والمنطقة الجبلية الواجب اجتيازها تشتمل على اقسام غير قابلة العبور بالاضافة الى ان الجيوش الالمانية يعوزها التدريب المسبق للقيام بمثل هذه الحركات .

كانت هذه الاعتراضات واهية في نظر رومل بالرغم من ان الجنرال غاريبولدي نفسه لم يوافق على هذه الفكرة وعارضها معارضة شديدة ، وقد ارسل في ٢ نيسان برقية الى رومل ما نصها : **« ان المعلومات التي وصلتني تفيد انك ستستمر في تقدمك وهذا يخالف ما كنت حددته . ارجوك ان تنتظر حضوري قبل الانطلاق »** .

ولدى وصوله والتقائه برومل ، أبدى اعتراضاته على قرار القائد الالماني ، واوضح بأن خطته غير قابلة التطبيق والتنفيذ وانها تتعارض تماماً والاوامر التي اصدرها الدوتشي موسوليني بشأن تسيير الحركات . وأضاف بأن التموين لم ينظم بعد تنظيماً كافياً لمثل هذه الحركات وطلب انصياعاً مطلقاً لهذه الاوامر وعدم اتخاذ أي قرار أو اجراء من هذا

النوع دون موافقته مبدئياً أو قبل السؤال من روما والحصول على موافقتها قبل البدء بالحركات المقررة .

بيد ان رومل رد كل الاعتراضات المعروضة وأكد اعتماده وتصميمه على العمل فوراً مبدياً مطالعته بأن الحالة الراهنة وشروطها في الوقت الحاضر اكثر ملائمة وموافقة للاجراء ، وان طلب الموافقة من روما قد يتأخر ، والظروف والشروط قد تتبدل ، وقد تنقلب الامور في صالح العدو . وكانت الفرقة الخامسة الخفيفة يعوزها الوقود فأوعز اليها بالقيام بسير قهري والذهاب بعيداً لاستلام الوقود اللازمة فوراً وكان عليها ان تسير مسافة ٣٠٠ كيلومتر . وآنئذ أشير الى وجود جيوش انكليزية في المخيلي . وحال وصول رومل الى بنغازي أعطى أمراً للتوجه الى تميمي على البحر لقطع الطريق الساحية واستئناف سيره بعيداً عن بنغازي .

كلفت جمهرة بونات « Ponath » بالاستيلاء على درنه واهمال المخيلي . وكانت تتألف من رتلين تدعمها عناصر ايطالية تلقت أمراً بالمسير الى هذه النقطة المعينة . ولم يتناول الجنود طيلة الخمسة أيام سوى الماء والبسكوت واللحم المعلب المحفوظ وقدمت جمهرة المدفعية الايطالية فابريس « Fabris » خمسة وثلاثين صفيحة من البنزين وهي آخر احتياط لديها .

وكانت السيارات تسير على مسافات كبيرة فيما بينها منطلقة على الطريق المعبد المزفت باتجاه (السلوش) في ريح سموم تحد الرؤية والنظر ثم عرجت نحو الشرق على زاوية قائمة وبدأ السير في قلب الصحراء .

فالدرب هنا ككل الدروب الصحراوية . درب قديم كانت تسلكه القوافل العابرة وقد تحول قاعه مع الزمن الى طبقات من الرمل تغطي سطحه على عمق كثيف . ولتحاشي الغبار الصاعد اضطرت أرتال السيارات الى التعريج ذات اليمين وذات الشمال بصورة ان الطريق اصبحت بعد أيام قليلة واسعة فسيحة . وكانت الارتال تسير سير عمياء تحيطها الرمال

المحرقة من جراء هبوب رياح السموم ، وتكتنفها غيوم كثيفة من الغبار المتصاعد . وكانت مدينـــة (انتيلات) المؤلفة من مجوعة من القبـاب الفضارية ترمز الى آخر أثر للحياة المتحركة في هذا الصقع . وفي هذه النقطة بدت كافة الخرائط مشوهة مغلوطة لا يعتمد على صحتها ، وخطئها ناتج عن عدم معرفة قراءتها ، وكأن خرائط الصحراء لها قراءة خاصة فالاسماء المدونة تغيب آثارها مع الزمن ويتطلب كشفها نباهـة واستقراء واستطلاعاً خاصاً . وغالباً ما تظهر بئر معطلة مهجورة غمرتها الرمال أطلق عليها العرب أسماء تتفق وحالتها ومعناها ، ومرة أخرى تشاهد اكوامـاً من الحجارة يستدل منها ان القوافل كانت تستفيد منها أو تجمعها لربط جمالها ، هذا كل ما يشاهده العـابر . فلا مخلوق ولا شجرة ولا نقطة اتجاه سوى التجاوب الاصم اليائس في هذه الارض العارية الجرداء حيث عواصف الرمال تغمرها وتغطيها . واذا هدأت الريح تفتح الصحراء للشمس أحضانها الواسعة فينبعث السراب المتلاعب بمياهه وبحيراته الواهية البراقة الصافيـة ويعطي الاشماع للاعشاب الحقيرة أشكالاً متفـاوتة الاحجام والضخامة ويمنع رؤية السيارات وتنخدع العيون بأشكال خياليـة لا أثر لهـا في الواقع فيعجز السائر عن اتباع طريقـه الا بواسطة الموجهات المغناطيسية (البوصلات) ، وكان اجتياز الجبال شاقاً صعباً للغاية وكانت الارتال تسير رويداً رويداً في عمـاية مطبقة ثم تنزلق من جديد في عرض الصحراء .

ولكن رومل كان ذو حظ عظيم ، فقد نجحت الجيوش في اجتياز الجبل رغم كل الموانع المعترضة . وفي اليوم التـالي انصبت على الطرف الآخر بسرعة عجيبة هذه السرعة التي اتصفت بها فيما بعد كل حركات وتنقلات رومل والتي كانت احـدى الاسباب الهامة العـاملة على تحقيق المفاجئات على العدو والقضاء عليه . وتصادف في ذلك الوقت ان طائرتين

المانيتين صغيرتين هبطتا مطـار المخيلي باشارة من رومل الذي أوعز اليها بالاتصال بكافة الارتال الالمانية الموزعة المبعثرة والايعاز اليها باتخاذ اتجـاه المخيلي وأثنـاء ذلك استطلعتا تجمعات وحركات العدو وتبينتا أن معظم الفرقة الهندية متربصة في جوار هذه القرية .

كانت عملية جريئة جداً ومغامرة تفوق حد التقدير والتصور . فلو ان الانكليز اكتشفوا أو عرفوا بما يحدث ويجري عبر الصحراء أو توصلوا الى معرفة شيء عن هـذه الحركات وفهموا ان الارتال الصغيرة المتوزعة كانت تتجمع تباعاً في نقاط استنادية ، لو انهم أدركوا هذه البوادر في حينها ما كان أسهل عليهم التقدم الى هذه النقاط والتربص لهذه الارتال الصاعدة الى الميدان لمهاجمتها والقضاء عليها افراديا ونهائيـاً . انهم كانوا في جهل تام مطبق . وكانت مفارز الاستطلاع والاستكشاف الانكليزية في غيبوبة عميقة ، وكانت تجهل براعة وحذق الالمان في ابتداع وتطبيق مثل هذه التعبئات الخطيرة .

وقـد ضاق رومل صبراً ، فركب احدى الطائرات الصغيرة وانطلق بنفسه للبحث عن قواته وارتالهـا لاستدراجها في سير حثيث الى نقـاط القتال ، وقد أوشك ان يقع أسيراً في قبضة الانكليز ولكنه تبين وهو على ارتفاع ٨٠ متراً انه فوق منطقة معادية فارتفعت الطائرة مرة ثانيـة ونجا من الوقوع في الأسر .

وقد تم اجتماع القوات في المساء ، وانطلقت بعض الارتال نحو درنه وتيمي ، وانعقدت شبكتها حول المخيلي . وهدأت عندئذ رياح السموم بعد نهـار استعير من الجحيم اللاهب . وعادت الرطوبة تبرد ذلك الجو المحموم . وفي هذا اليوم الصافي الاديم تحررت الارض من كل مشاهداتها ومناظرها الطارئة فبان للناظر منظر عظيم في مباغتته ، ليس من جراء مشهد هذه القرية الصغيرة التي برزت لعابري الصحراء ولا لهيكل الجبل

في الأفق البعيد ، ولكن لمنظر كتلة الجيوش الانكليزية في وسط سياراتهم المعطلة بسبب الوقود .

فأوعز اليهم بالاستسلام المرة بعد المرة عند محاصرة المخيلي . ولكنهم رفضوا الاجابة والخضوع ، فانطلقت القوات المصفحة والمدرعات في فجر ٨ نيسان تهاجم القوات الانكليزية المحاصرة . وبعد معركة سريعة ماحقة احتلت القوات الالمانية القرية . ولم يتمكن من الفرار سوى قسم صغير من الحامية . وأسرت الفي جندي . وعلم بأن الفرقة اصيبت بخسائر دموية فادحة . وفي نفس الوقت أخبر بونات بأن درنه حوصرت ايضاً وانه اسر عدة مئات من الاسرى الانكليز بينهم الجنرال ب . نيامه « G. P. Neame » القائد الأعلى لمصر وشرق الاردن وكان قادماً في زيارة الى الجبهة الليبية ، والجنرال فيارد « G. Wiard » الذي قاد فيما سبق القوات الانكليزية في الانزال على اندالسن « Andalsnes » في النرويج والجنرالان اوكنور «G. Ocnnor» وكامبيه بيري « G. Cambier Pierry » وكان الآخر آمر الفرقة المدرعة الثانية .

وكانت الغنائم لا تعد ولا تحصى ، وهي في نظر العدو اكثر أهمية من خسارة الرجال البواسل والجنود الشجعان . واغتنم الالمان عدد وفير من الاسلحة والمدافع والذخائر ومعسكرات ومستودعات مترعة بالمؤن والذخائر والوقود بالاضافة الى سقوط بارشه في يد الألمان وقطع الطريق الساحلية ، وتحقق السيطرة التامة على مدخل برقه الغربية التي اصبحت مفتوحة الأطراف .

وفي التاسع نيسان أعطيت الأوامر بملاحقة العدو ، وقد تولى الجنرال فون بريتويتز « G. Von Pritwitz » آمر الفرقة الخامسة عشر المدرعة الذي لم يصل بعد آمرة الجمهرة المكلفة بالتقدم من تميمي نحــو الغزالة وطبرق . وكان على الجنرال شترايخ « G. Streich » آمر الفرقة الخامسة

الخفيفة ان يتبع الفرقة الآنفة الذكر مع كل قواته في حين ان القوات الايطالية كلفت بحماية الخيلي وأخلافها .

وكان النجاح الذي أحرزه رومل في الخيلي برهاناً قوياً يؤكد المرة الاولي تفوق رومل التعبوي وتفهمه جيداً طبيعة الارض الصحراوية التي تفرض على القيادة الزاميات محتمة وتقضي بحسن التجاوب والائتلاف ووجوب وضع اسس وشرعة لحرب الصحراء تتناول النقاط التالية :

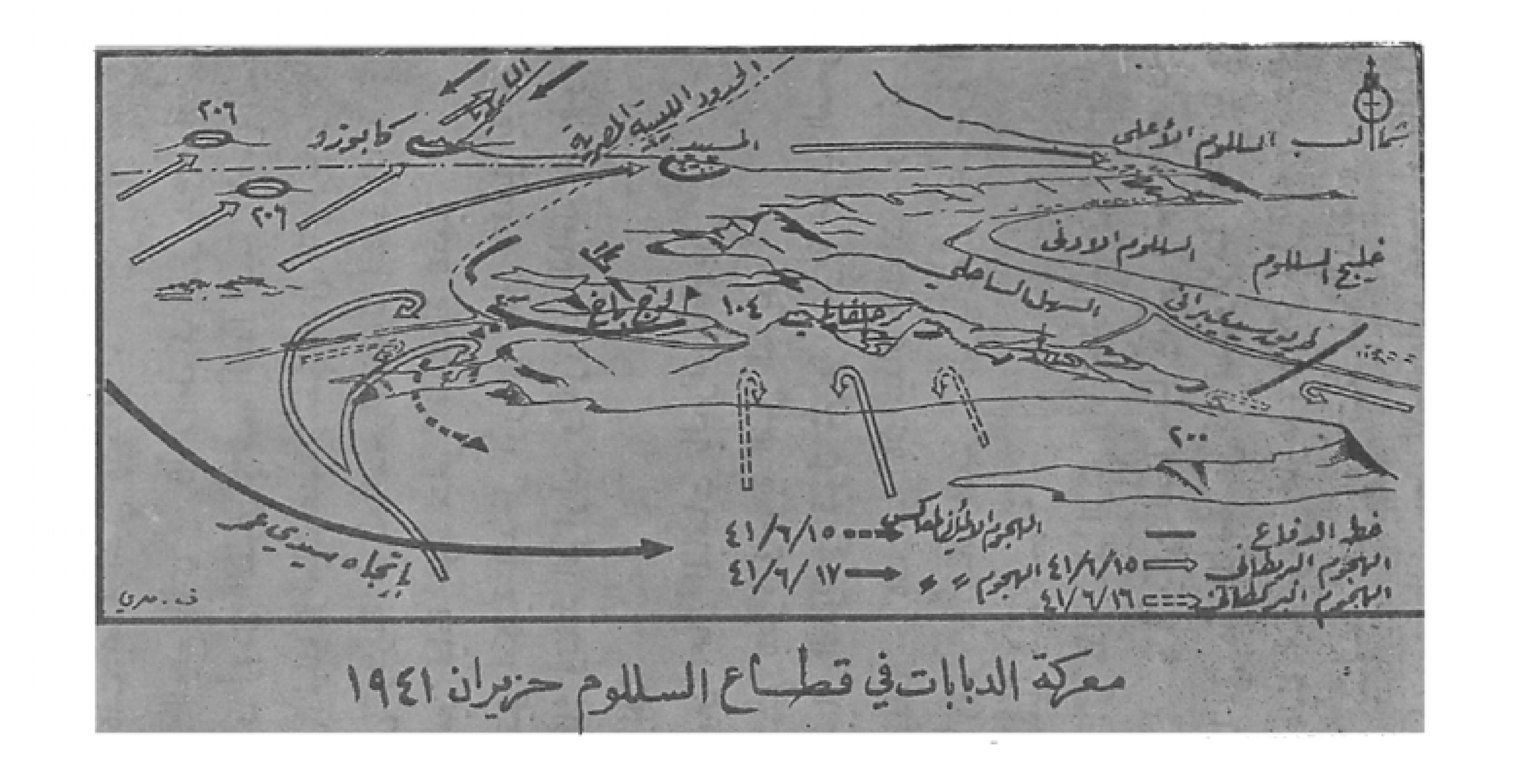
- تأمين قيادة حرة متحركة نشيطة تقدمية
- تحقيق امكانية التدخل فورا في تسيير وتعديل اية حركة موجهة
- اتخاذ وتنفيذ القرارات والمقررات العاجلة على ضوء التطورات الراهنة
- تأمين اعمال المباغتات بالسرعة المطلوبة
- التمتع بقدرة وحرية العمل السريع
- اجبار العدو على قبول شريعة وشرعة حروب الصحراء .

إن ميدان حركات ليبيا كان ميدان المباغتات ، والقائد الذي يحسنها له الحظ الاوفر باكتساب النصر بدون منازع . ومحاصرة الخيلي كانت نموذجاً مطابقاً لهذه السرعة .

وعلى اثر هذا الظفر الرائع والانتصار الساحق في هذه الموقعة الكبرى قال رومل : « لم يكن لدينا شيئاً يذكر نعتمد عليه ونستعين به . لقد انسقنا الى هذه الموقعة عن غير قصد والزمنا العدو بها ودفعنا اليها . وواجب علينا ان نخوض غمارها ، ولكن لمّا تنته بعد وقد تبقى علينا أصعب ما يستوجب عمله وهي تتمة هذه البداية » .

ولم يكن من عادة رومل الاستخفاف بخصمه او التقليل من قيمته وقدرته الحربية .

●●●



معركة الدبابات في قطاع السلوم حزيران ١٩٤١

الفصل الثاني

طبرق، حرب المواضع

STELLUNGSKRIEG , « TOBROK »

انتشر فوج الرشاش تحت امرة بونات « Ponath » على جانبي الطريق عند قرية (كازا استوريا) الواقعة على بعد ٣١ كيلومترا من طبرق استعداداً للهجوم . وعلى الجانب الايمن من القرية يتفرع درب يسير نحو الجنوب باتجاه اكروما . وهو قليل العرض في البداية ثم يتوسع بعد عدة مئات من الامتار . وعلى الجهة الاخرى من الطريق على الجانب الايسر باتجاه المرتفعات المحاذية للبحر تقوم مقبرة تضم رفاة جندي انكليزي وأربعة جنود افرنسيين قضوا نحبهم الاخير ابان معارك الشتاء الماضية . وبعيداً ينتصب شبح الجبل الاحمر الذي يتصل بسلسلة هضبات (البوشه) وهي مرتفعات صخرية جرداء حيث تقع عند قاعدتها الغربية قرية عين الغزالة .

تقدم الفوج المذكور في بادئ الامر بصورة مرضيـة . وقد بدأت سحب الغبار ترتفع بفعل القنابل المتساقطة على جانبي الطـــريق . وكانت اسلحة المشاة تفرقع بدون انقطاع على نسق متدافع ثم بدأت مدفعية العدو تصب حممها على مسافة ٢٠ كيلو متر من طبرق حيث نصبت حاجز أرتاج منيع أوقف الهجوم المنطلق . وكان من المستحيل اجتياز هذا الجدار الناري واصيب في اثنائها الجنرال فون بريثوتيز الذي تعمد سوق سراياه الى الامام

اصابة مباشرة قاتلة بقذيفة من المدافع ضد المدرعات . فقتل فوراً امام طبرق وكان اول القتلى الذين سقطوا في هذا الميدان . وعلى السهل المرتفع الهادئ الذي لا يختلف في طبيعته عن هذه الارض الصامتة ، كانت المدرعات الآنكليزية تجوب خلاله وتجول في أطرافه وهي تثير عجاجاً هائلا من الغبار . وكان جنود الالمان يتطلعون اليها باستغراب واندهال لانهم ما كانوا يملكون من الوسائل ما يجابهون به هذا التعرض وليس من المعقول مواجهة الخطر المحقق في أرض لم تهيء فيها أسباب التحصين ووسائل الدفاع . وقد واجه الفوج المذكور حقول الغام عميقة ، فأوقف واستبدل ليلا بقوات ايطالية جديدة وكان مقرراً القيام بالهجوم على طبرق من الجهة الجنوبية صباح الغد .

تقدم رومل في مدرعة انكليزية واسعة كان اقتنصها حديثاً من العدو في جوار المخيلي ، وشرع في دراسة الارض واستطلاعها يرافقه عدد من المصفحات حيث استطلع وتبين امكنة الدفاعات الانكليزية ، كما تقدمت جمهرة المانية بأمرة الزعيم (الكولونيل كنابه Knabe) مستمرة في اتجاهها نحو حصن كابوزو « Capozo » نقطة الاستناد الايطالية الواقعة على الحدود المصرية ، واستولت عليها بعد مهاجمة عاجلة قصيرة . ووصلت جمهرة الاستطلاع والاستكشاف الالمانية تحت أمرة الزعيم فيكمار « Wichmar » طريق بارديا — السللوم واجتازتها باتجاه الشرق . وأخذت الحلقة تنغلق رويداً رويداً حول طبرق التي توقع سقوطها في صبيحة الغد .

ركز رومل مقر قيادته في شرق اكروما في جنوب الميناء وكانت سحب الغبار المتصاعدة من سير القوات الزاحفة لاشغال مواضعها المعينة تختلط بالعجاج الثائر من جراء القنابل الانكليزية المتساقطة .

وحوالي الظهيرة بدأت المدفعية تقصف باستمرار الارض المقابلة وكان من الصعب تبين الاهداف بسبب الاشعاعات المتولدة من السراب المتراقص

أمام الانظار وآلات الرصد والتي كانت تبدل المرأى والمناظر الحقيقية القائمة . وتدخل السلاح الجوي البريطاني الملكي « R. A. F » بارسال أسراب عديدة من القاصفات لتعيق الانفتاح وتحضير الهجوم . ولم يتمكن السلاح الجوي الالماني « Die Luftwalfe » من متابعة سير رومل الحثيث والذي ما تزال مطاراته ومهابطه بعيدة المدى في منطقة السرت بينما مهابط سلاح الطيران الانكليزي كانت اقرب الى الجبهة . وكانت أسرابها القاصفة تتناوب تباعاً في كل نصف ساعة مفرغة شحناتها من القنابر التي كانت تؤثر في اعصاب الجنود الالمانية وترهقهم وتضعف مجهودهم . آجل اثارة الاعصاب فقط لان الاشعاعات كانت تحول دون رؤية الطائرات المهاجمة أهدافها بصورة واضحة ، وكانت القنابر تلقى على غير هدى .

وعند ظهيرة يوم ١ نيسان لفظت المدرعات والمصفحات والمشاة الالمانية هجوماً مركزياً متلاقياً على الجبهة ، بيد أن أعشاش المقاومة البريطانية كانت مستورة مموهة تماماً ومتجاوبة مع تعاريج الارض ومنعطفاتها تجاوباً ملائماً . وكانت موزعة بصورة متقنة ومدعومة دعماً قوياً مما ساعد منظمة النيران الانكليزية على تحطيم وإيقاف الغارة الالمانية . وكان الدفاع الانكليزي بنى خنادق مغطاة بالاعشاب تسترها الرمال مشكلة حاجزاً غير قابل الاجتياز . وفي صبيحة الغد تقدم رومل بنفسه الى الخطوط الامامية للتحقق من الوضعية الراهنة . فقرر في مساء ٣ الجاري اجراء هجوم عام على طول الجبهة ، وتعزز القوات المهاجمة بعناصر ايطالية . وكان منصما على توجيه الضربة الحاسمة نحو الجنوب الشرقي لفتح فرجة في خطوط الدفاع ثم دعم هذه الحركة بغارة جديدة تطلق في الغد .

وأوجز رومل في محاضرة ألقاها في ساحة القتال بأن الهجوم المقرر يجب أن تقوم به جيوش الصدام ، واننا بفضل سرعتنا تمكنا من طرد الانكليز من برقه البيضاء ووصلنا الآن الى السللوم . اني أعرف ان

قواتنا متعبة ولكننا مع ذلك لا نستطيع التربص والبقاء على هذا الجمود ، إذ يتوجب علينا ان نندفع الى الامام بدافع الاضطرار قبل ان تصل الى الانكليز نجدات جديدة من الشرق الاوسط . اذاً فليس لدينا ما نضيعه في الانتظار والتريث . وبالفعل نجح الفصل الاول من الحركة واجتاز فوج الهندسة وفوج بونات حقول الالغام والخنادق ضد المدرعات وفتحا ثغرة واسعة عميقة في خطوط الدفاع الانكليزية . وبعد تحضير مدفعي كثيف موفق انطلقت الغارة في ١٤ نيسان صباحاً واحتلت جانباً من الارض وتوغلت المشاة بعيداً داخل مواضع الدفاع الانكليزية . وقد اجرت هذه الحركة دون أن تتعرف جيداً على تنظيمات سياق الدفاع حيث تركت وراءها أعشاش مقاومة سالمة على اليمين واليسار كما اهملت اعطاء الفرجة الاتساع والعرض لتتمكن الغارات التالية من الانسياب فيها . كما توقفت المدرعات الالمانية التي وصلت الى مسافة ٤ كيلومترات من طبرق ، ووقعت تحت وابل نيران المدفعية والاسلحة المضادة للمدرعات المركزة بعناية ، فاضطرت الانسحاب خشية التدمير المحقق . ولكن الحقيقة هي انها وصلت الى المرتفع المسيطر على المدينة واستولت على أهم قسم من المنطقة المحصنة . ولكنها لم تستطع استغلال النجاح الكامل لنقص مساندة المدفعية لها ، ولسبب الارتباط الضعيف بينها وبين فوج بونات . ولو انها حاولت توسيع الفرجة على الجوانب بشكل انها مكنت دخول قوات جديدة اسقطت طبرق في نفس اليوم . ولكن المدرعات تراجعت وظل فوج بونات دون اسناد وارتباط وهوجم من الخلف من نقاط الاستناد الانكليزية . ففقد قسماً كبيراً من قواته وسقط الكولونيل بونات آمر الفوج بين القتلى وكان يوم أحد عيد الفصح . وكان روميل يظن أن في وسعه دخول طبرق قبل المساء . وظهر ان المدينة كانت محاطة بقلعة قوية التحكيم كاملة التجهيز تدافع عنها حامية مصممة على الدفاع وعدم الاستسلام بسهولة . وتبين من

نتيجة الغارات بأن الظفر غير مستدرك بدون اسلحة ثقيلة ، بل وثقيلة جداً » . وتقرر أخيراً تأجيل الحركات الحربية الواسعة بانتظار وصول الفرقة المدرعة الخامسة عشر والتي كان قسم منها يؤلف جبهة الباردية السللوم تحت امرة الزعيم فون هرف (Von Herf)من الفرقة المذكورة.

وفي الايام التالية وقعت بعض المعارك المختلفة التي اثبتت ان التعليم والتدريب العسكري الايطالي كان بحاجة لاعادة النظر فيه من أساسه كي ينطبق انطباقا تاماً على طرق الحرب الحديثة . لقد كان تأثير اندحار جيش غرزياني ذي أثر كبير على تدني معنويات الجندي الايطالي وضعف ثقته بنفسه ورؤسائه وبالتالي بسلاحه . فقد أضاع وفقد معظم اسلحته الثقيلة أثناء المعارك الاخيرة واصبح السلاح الباقي لديه غير كاف ولا يعتمد عليه . ولم يظهر حتى ذلك الحين أية بادرة جدية تدل على الاستعداد لتعويض الاسلحة المفقودة ، وكان ينقص المشاة الاسلحة المضادة المدرعات والاسلحة الاوتوماتيكية . وكانت المدفعية من طراز قديم ومدافعها من ايام الحرب الماضية الاولى ضعيفة القدرة محدودة المرمى . وكان من جراء انحطاط القيمة الحربية الايطالية ونقص المدفعية الكامل ، انه اصبح من الجزاف القول بأن طبرق حوصرت واحيطت ضمن دائرة فولاذية . والحقيقة فانه كان من السهل على حامية طبرق البريطانية أن تخرق دائرة الحصار في أي وقت كان ، وان تضع الفيلق الافريقي في وضعية عظيمة الخطورة ولكن من حسن الحظ ظلت متربصة على الدفاع المطلق ولم تصدر عن ويفل أية محاولة جريئة وظل بالفعل متردداً عن دفع القوات الالمانية إلا في قطاع السللوم عند الحدود المصرية . ونرى في هذه الجبهة اعتماد وضعية جديدة لم تلاحظ قبلا ولم تشبه أية وضعية أخرى مماثلة في عهد (حرب الصاعقة) ، وكانت العمليات الدائرة عبارة عن حرب مواضع حرب عنيفة صارمة كحرب ١٩١٧ — ١٩١٨

اذا فما هي طبرق هذه التي كانت تقف كالسد المنيع الاجتياز على طريق الفيلق الافريقي تنذرة وتهدده بالتوقف وعدم الاندفاع الى الامام ؟

ولما بدأت الفرقة الخامسة الخفيفة هجومها يوم احد عيد الفصح لم تكن تملك اية خريطة واضحة . وكانت تجهل تماما مدى وقدرة دفاعات المدينة المحصنة . وقد صمتت القيادة الايطالية العليا وسكت ضباط الارتباط الايطاليون لدى رومل . ولم يقدموا له اية معلومات تتعلق بهذه التحصينات والتحكيمات بالرغم من ان بعضهم وجد أو اشترك في اعمال التحصينات المذكورة . وكان على القوات الالمانية والايطالية نفسها أن تعمل على اقتناص المعلومات التي كانت تنقصها والتي كلفتها مع الاسف كثيراً من التضحيات والدماء . وكانت مدينـة طبرق أصغر من درنة وتعد حوالى (٤٠٠٠) نسمة فقط أيام السلم . وهي مستعمرة اوروبية تقوم في منتصف الصحراء القاحلة وتقع على خليج يتراوح عمق الماء فيه بين ١٥/ ٢٠ متراً وتهيء حماية كافية للسفن الراسية في الميناء . هـذه الخواص والاسباب جعلت منها بصورة خاصة ميناء من خير موانيء برقة ، وكان من الطبيعي بل من الضروري تحويل هذه المدينة ذات الخليج الطبيعي على البحر الى قلعة محصنة . وكانت المدينة مبنية على الساحل فوق المنحدرات المقابلة للجبل . وقد صرف غرزياني جهودا كبيرة وأبدى عناية تامة بها عندما هياء حملته فبنى ما يقارب من ١٧٠ استحكاما على السهل المرتفع الذي يحيط بالمدينة من داخل الجبهة . وكانت هـــذه الاستحكامات مسقوفة ومغطاة على سماكة متر ونصف المتر من الاسمنت المسلح دون خنادق مجاورة ولكنها كانت نقاط استناد عتيدة تتجاوب وتنطبق تماما على المناظر المقابلة . وما كان في مقدور اية قنبلة او قنبرة اختراقها وتدميرهـا . وكانت نقـاط الاستناد المكشوفة المحيطة بهذه الدفاعات لاتشغل إلا أثناء القتال وما كان ليظهر منها أي بروز او ارتفاع عن الارض

المحيطة . وهو ما حدث لموجات الغارات الالمانية أثناء انطلاقها اذ انهـا لم تستطع تبين هذه المواقع فأخذت من الخلف والحق بها جسيم الخسائر .

وهذه الارض ذات طبيعة صخرية والاودية المنحدرة فيها موزعة على غير انتظام تفرق بين المرتفعات التي اعتلتها الاستحكامات المذكورة الخفية المدفونة طي التراب والموزعة توزيعاً غير منتظم تحميها حقول الالغام والخنادق والحفر المعدة ضد المدرعات والاسلاك الشائكة الكثيفة . وكان من المستحيل احتلالها سراعاً بواسطة مختلف القوات المحاربه ما عدا المشاة التي كان بوسعها التغلب عليها وقهرها بتدميرها اعشاش المقاومة الواحد تلو الاخر وفي حالة الوصول إلى المرفأ مركز القلعة المحصنة يصبح إطار الدفاع عديم الفائدة وهو يشبه تماماً خط ماجينو الذي انتهى أمره بعد اختراق نقطة سدان . وكما تبين أثناء هجوم عيد الفصح ، كان يتوجب تهيئة قوات هامة واجراء تحضيرات واسعة . فقد نجح ويفل في اختراقها ، وكانت قواته بالطبع مؤلفة من النيوزيلانديين والاوستراليين والانكليز وهي خير القوات المحاربة التي كان يملكها الانكليز في افريقيا وقد تلقى أمراً بالدفاع عن طبرق حتى النهاية وبأي ثمن ممكن . وكانت حاميتها المؤلفة من ثلاثين الف جندي تموّن وتجهز باستمرار عن طريق البحر بالرغم من القصف الجوى المستمر ليلا نهاراً على الميناء والمدينة والاستحكامات . وقاد رومل المعركة استناداً إلى الاسس التي طالما استعملها اثناء الحرب العالمية الاولى أي (حرب المواضع) والتي تنص على القيام بالعمل رويدا رويدا وبدقة متناهية والتعرف على العدو وحالته ومواقعه تعرفا كاملا . ثم المباشرة بالاغارة مباغتة بسرعة الصاعقة . وكان عليه أن يستولي على القلعة شبراً شبراً ، وحالما تفتح ثغرة كافية في سياق منظمة الدفاع توسع هذه الفرجة ويهاجم منها العدو على الجوانب وهذا النوع من القتال يصور لنا وجه القائد الالماني الثاني . واذا كنا أعجبنا

حتى الآن بسرعة حركاته ومرونة مقرراته ومقدرته على استغلال أي ضعف يبدو من جانب العدو ، فقد أثبت في نظام مهاجمة المواقع الدفاعية والجبهات المتركزة بأنه قائد يحسن الحساب الدقيق ويحدد الخطط الفائقة ، وان لديه حساسية السيطرة في الحرب الدفاعية وحرب المواضع مما سنشرحه فيما يلي بصورة اوسع وأعم . لقد تبين لروميل منذ هذا الحين بان المسألة الاساسية الرئيسية في هذه الساحة هي مسألة التموين فمدينة طرابلس الغرب تبعد ١٦٠٠ كيلو متر عن طبرق و ١٧٥٠ كيلو متر عن السلوم . وبالرغم من هذه الابعاد فقد ظلت القاعدة الاساسية لعمليات تموين الفيلق الافريقي لأن الايطاليين كانوا يعتبرون أنفسهم غير قادرين على تأمين سلامة النقل البحري إلى موانئ بنغازي ودرنه . فأخذت المصالح الخلفية بسبب ذلك أهمية واسعة لأن عليها كان يتوقف تأمين حاجات الجيوش الايطالية ـ الالمانية على طول الطريق الساحلية ومن جراء ذلك نشأت ونتجت مصاعب خطيرة ان تتأخر نتائجها عن الظهور إلى حيز العيان .

وفي شهر مايس وفي أوقات عدة أخرى انقطع وارد الوقود تماما وتوقفت كافة الحركات الحربية على الجبهة . وكانت المصروفات أثناء المعركة تقدر يومياً بـ (١٢٠٠) طن من مختلف التجهيزات ومواد التموين والتذخير وكان من الصعب استحضار هذه الكميات بواسطة الطرق البرية وحدها . وبعد جهود عديدة تقرر ارسال بعض البواخر التي تمكنت من دخول ميناء بنغازي . وجرت محاولة أخرى بشأن اجراء الشحن بواسطة الغواصات ولكن روما رفضت هذا الاقتراح بداعي ان مياه البحر الابيض المتوسط راقة صافية ، وان اتباع هذه الطريقة من شأنها ان تشجع الانكليز لاستعمالها على مدى واسع .

بينما لم يتأخر ولم يتردد الانكليز مطلقا عن تموين حامية طبرق بدون

انقطاع وكانت سفنهم وبواخرهم تنساب عبر البحر في الليالي المظلمة الحالكة شاحنة الوقود والمؤون والمدرعات والذخائر . وكان سلاح الجو الالماني Die Luftwaffe آنئذ ضعيفاً جداً تنقصه القاذفات التي باستطاعتها التصدي لمثل هذه الحركات البحرية بنجاح .

وفي ٣٠ نيسان بدأت العملية الحربيـة الاولى الكبرى . فقد وصلت المدفعية الثقيلة وكافة الفرقة المدرعة التي نقل معظمها عن طريق الجو . وقـد طلب الى بعض الفرق تنفيذ العملية المذكورة في نفس المكان الذي فتحت فيه الثغرة السالفة الذكر أثنـاء الغارة الاولى والعمل على تشتيت فكر العدو عن غاية وقصد المعركة القادمة بالقيام بمظاهرات عسكرية في نقاط متعددة . بيد ان مركز ثقل العمليات الحربية كان يتوزع هذه المرة على جانبي رأس المدور الذي يؤلف المرتفعات ذات السفوح المتهاوية الى البحر والتي يستطيع العدو منها ملاحظة ومراقبة تحركات القوات على اخلاف الخطوط الالمانية وهذه المرتفعات كانت محـاطة باطار كامل من الاسلاك الشائكة وحقول الالغام المضاعفة . فتشكلت لهذه الغاية جمهرتان :

١ ــ الجمهرة الاولى من الفرقة الخامسة الخفيفة تحت قيادة الجنرال فون كيرشهايم C. Von. Kircheim .

٢ ــ الجمهرة الثانية مع الفرقة المدرعـة الخامسة عشر تحت امرة الجنرال ايزبيك G. Von Esebeck .

بدأت الغارة بعاصفة من نيران المدفعية الحامية التي كانت تنصب تباعاً على البطاريات الانكليزية بعيداً عن رأس المدور . وكانت المدرعات المحترقة تنير ظلمة الليل بوهج نارهـا ونافثات اللهب تبث حممها ونيرانهـا على الارجاء والمدفعية تطلق نيران التحضير والارتاج الحامية التي بلغت اقصى حدتها وشدتها ، عندئذ انطلقت وحدات المشاة تعرج الى أهدافها وانتزعت نقاط الاستناد الامامية حوالي منتصف الليل .

وفي صباح أول مايس سقط قسم كبير من رأس المدور في أيدي الالمان . والحقيقة ان القوات الالمانية لم تتمكن في نقطة ما ان تهبط السفوح الوصول الى حصن بلاستريتو « Blastrino » .

وكان النيوزيلانديون والاوستراليون يقاتلون بهمة وشجاعة فائقتين ، وتوفقوا في منع اختراق أية نقطة من الاطار المحكم . ومع ذلك فقد انهى أهم قسم من العملية واستوت القوات الالمانية على استحكامات المدور وسقط عماد هام من قوائم زاوية نظام الدفاع . ورد الانكليز على استحكامات المدور بقصف مدفعي شديد دام ز اء ستة وثلاثين ساعة ثم انتقلوا الى الهجوم المعاكس ولكنهم فشلوا في استرجاع أية نقطة استناد مفقودة . وكان الحر يضغط بعنف وحدة على المواضع ، والسراب والاشماع يملآن الارجاء . وكانت ملايين الذباب تحول الحياة الى عذاب مرير . وصعدت درجة الحرارة فوق الخمسين درجة سانتغراد . وكان الغذاء شيئاً لا يقارب وخاصة اللحم والسمك المعلب . وكانت قصوف المدفعيات وهجمات قوات الصدام وحملات المدرعات ورشاشات الطائرات تتعاقب بدون توقف ولم تترك في هذه الاثناء أية لحظة للراحة . وكانت مقبرة الحد الكيلومتري رقم ٣١ تتوسع يوماً بعد يوم وقد بلغت خسائر الفيلق الافريقي في ٩ مايس ١٦٧ قتيلا و ٥٦٩ جريحاً و ٢١٣ مفقودا .

كانت الوضعية العامة أمام طبرق في قبضة الجيوش الالمانية بيد ان جبهة بارديا — السلوم كانت ضعيفة الدفاع يشغلها خط دفاعي رقيق وكانت بانتظار هجوم كثير الاحتمال . وكان يتوجب قبل الابتداء بالمحاولة الجديدة ضد طبرق العمل على تدعيم وتقوية منظمة الدفاع عن الحدود . ولذا طلب رومل دعوة الفرق الايطالية لاستبدال الفرق المدرعة الخامسة عشر وضمها الى تشكيلات الاحتياط المتحرك ، وقد وعد بتلقي فرقة بافيا ولكن في نهاية الصيف . وأخيراً تم استبدال الوحدات المنهوكة واستعيض

عنها ببعض السرايا الالمانية الآلية التي كانت مخصصة لاشغال واحتي جغبوب وسيوا . لم يظل الجنرال رومل طيلة هـذه المدة بدون نشاط . فكان يجوب المواضع المحيطة بطبرق ليلا نهاراً . وكان يظهر بغتة في خطوط الاستحكامات الامامية . وكان مشغولا في نفس الوقت بالعنـاية بقواته وبالمحافظة على الارض المحتلة . وعمل على بناء دفاعات جديدة متحاشياً المواضع المتلاصقة وخنادق المواصلات . وقد أوجد ما يشابه استحكامات القلعة المحاصرة بانشائه نقاط استناد مقابلة مستقلة الواحدة عن الاخرى ومرتبة ومتكاملة فيما بينها بصورة تثير الاعجاب من حيث نظام التوزيع الدفاعي .

أعطت هذه المراقبات والاستطلاعات نتائج طيبة . وبفضل الارتباطات والاتصالات الدائمـة مع القوات المتقدمة استطاع رومل ان يتفهم مليـاً وبصورة بينة واضحة امكانياتها الهجومية والدفاعية ومعنويتها التي ساعدته على تحاشي كثيراً من المفاجآت غير المنتظرة . وكان دوماً على أهبة الاستعداد لاتخاذ القرار الفوري الاكثر ملائمة لأية وضعية قائمـة دون ان يضطر لارسالها وابلاغها عن طريق التسلسل البطيء . وما انفك يحقق هـذا التفوق الذي جعل منه عنوان حماس وتهيب في معسكر العدو وقبلة انظار ومحط آمال قواده وضباطه وجنوده ودعامة ثقة لا تتزعزع بمقدرة قائدهم الفذ . وأدرك رومل بثاقب بصره وفكره ونقاوة تفكيره وحسن استدراكه ان الحرب فوق هـذه الارض المجهولة لا يمكن ان تصل الى قرار الا بمعونة العمليات الهجوميـة . والعمليات التي جرت حتى الآن والعمليات التي هي قيد الاجراء أو التي ستجري فيما بعد كانت كلها جارية مفروضة بحكم الحال والوقع .

فالعمليات الجـارية في الصحراء لا تشبه العمليـات التي يشاهدهـا المحاربون في الميادين والساحات الاخرى . فمعركة الصحراء تشبه في

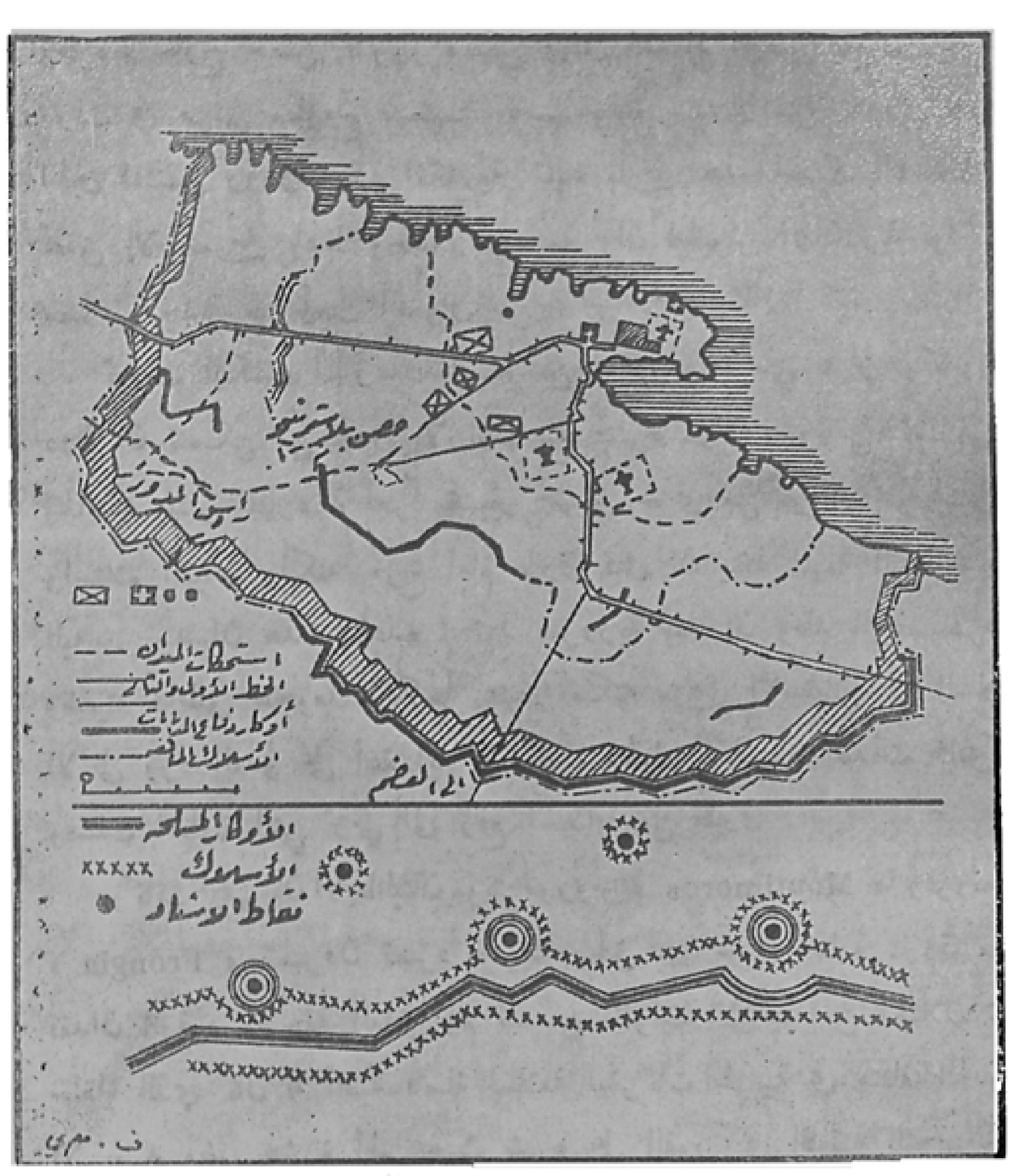
نظامها وشكلها وخاصتها المعركة البحرية . فالوحدات الكبرى والمتوسطة والخفيفة يجب ان تتحرك كلها طبق خطة موضوعة ولا يمكن تحقيق التفوق الا اذا ظلت هذه الوحدات مجتمعة تحت قيادة مباشرة آنية حرة . وعلى هذا الاساس يمكن ان تصعد الى ميدان المعركة لأن الصحراء كالبحر ليس لها حدود ولا تشتمل على مقاطع ارضية ومجال الرؤية فيها فسيح يتسع للمراقبة القاصية . وحرب المواضع التي جرت أمام طبرق لم تغير شيئاً من هذه الحقيقة .

وفي منتصف شهر مايس حدث ما كان يخشى رومل ويتوقع حدوثه على الجبهة الشرقية . فقد هاجم الجنرال ويفل السلوم وحصن كابوزو مباغتة بمائة مدرعة كان اكثرها من الطراز الحديث الثقيل فطرد جمهرة هرف من مواضعها ، وأصبحت الباردیا مهددة بصورة مباشرة . ومن الغريب ان شركة اخبار روتر كانت تعلن منذ ثلاثة أيام بأن الارض المصرية تحررت من كل عدو . فتنبه رومل لهذه الاخبار ولم تفته بادرة هذا الانذار المسبق بالخطر .

بدت الوضعية لأول وهلة عظيمة الخطورة . واضطر هرف الى التراجع بقوات لم تمس بعد على خط سيدي عزيز ، وعلى الطريق الواقعة جنوب الباردیه وأسرت جمهرة ايطالية كانت تؤلف المخافر الامامية وحوصرت جمهرة أخرى على الحدود .

كان مصير طبرق مرتبطاً ارتباطاً كلياً بمصير الحدود الشرقية . فتفحص رومل الحالة الراهنة واستدرك وجوب التخلي موقتاً عن احتلال طبرق . وكان يعتزم القيام بتراجع عام ليشكل جبهة جديدة على طول مرتفعات عين الغزالة ولكن فقدان الوقود جعله يفكر فيما اذا كان في امكان قواته الانسحاب إلى الخط الجديد في الوقت المعين . ولكنه عدل عن هذا القرار لصعوبة تنفيذه وسحب بعضاً من وحداته من دائرة حصار طبرق

وساقها بطريق العظم ، وكانت مؤلفة من كتيبة مدرعات من الفرقة الخامسة عشر المدرعة التي وصلت حديثاً تدعمها بطارية مدفعية من عيار ٨٨ مم



خطوط دفاع طبرق

وأمرت ان تنطلق حتى منطقة سيدي عزير — كابوزو لتساند وتعـاون جمهرة هرف .

وفي هـذه الاثناء تصدت القوات الالمـانية لفوج مدرعات انكليزي وطردته خارج حصن كابوزو ولكن ويفل استعاد الحصن بقوات جديدة أنزلت في مرسى مطروح مهمتهـا تدعيم موضع سيدي عزيز . وفي هـذا الحين اقتنص رومل برقية انكليزية تفيد بأن هذه الحركة الناجحة لم تحقق إلا بثمن باهظ وخسائر جسيمة وان الجيوش الانكليزية تواجـه مصاعب جدية من أجل التموين .

توقفت الكتيبة المدرعة الثانيـة عن استرجاع سيدي عزيز وكابوزو دون ان تتمكن من تأمين الارتباط مع جمهرة هرف . وتلقى قائد الفرقة الخامسة عشر المدرعـة أمراً بتسيير جمهرة أخرى من فرقته نحو الشرق واستلام القيادة ولكنه جرح أمام طبرق قبل ان ينفذ المهمة التي اسندت اليه . بيد ان هذه النجدة لم تعد ضرورية بعد ان وطد الزعيم هرف وضعيته واطلق هجوماً معاكساً عنيفاً مكنه من الاستيلاء على السلوم الاعلى ورد العدو على أعقـابه على طول الخط . عندها هدأت المعركة وفشلت المحاولة التي ترمي الى رفع الحصار عن طبرق .

وكانت الجمهرتان الايطاليتان مونتيموروس « Moutimoros » وفرونجيا « Frongia » تتصرفان تصرفاً جريئاً ولحق بهما خسائر هامة . وقد منع فقدان الوقود ملاحقة العدو ولم تتمكن القوات الالمانية من احتلال ممر حلفايا الذي كان له أهمية فاصلة لسلامة الحركات الحربية في منطقة الحدود إلا بعـد مضي عشرة أيام حيث شرع على الفور في إقامـة التحصينات وانشاء نقاط الاستناد اللازمة للحؤول دون مباغتة جديدة غير مسرة . وكانت الهجمات والغارات أمام طبرق تتوالى يومياً من قبل المشاة . فمرة تحطمت بعض الهجمات الانكليزية أمام الفرقة الايطالية « ارتيا » ، ومرة

أخرى ردت فرقة ترانتو قوات الصدام الاسترالية المهاجمة كما احرقت مدرعات انكليزية كانت وصلت الى مسافة ٥٠ متر ، ورُدت على أعقابها غارات القطعات الالمانية . ومرة ثالثة محت القوات الالمانية مجموعة من المغاوير البريطانيين الذين حاولوا النزول الى اليابسة في البارديه وأبيدو عن آخرهم وكانت مؤلفة من قوات فوج الصحراء ذي المدى البعيد Long Renge Desert وفي نهاية شهر مايس تراءى الخطر يهدد الشرق الاوسط وطبرق تهديداً مطلقاً بسبب سقوط جزيرة كريت في أيدي الالمان حيث تم الاستيلاء عليها بواسطة فرق المظليين الالمان ، والتي اصبحت تبعد حوالي ٣٦٠ كيلو متراً عن طبرق ونعني كونها أقرب مسافة من بنغازي .

وكان بامكان هذه الحادثة الخطيرة ان تشكل نقطة حاسمة في سياق هذه العمليات بالنسبة الى الفيلق الافريقي حيث اصبح من المؤكد امكان تعديل خطط التموين الموضوعة ومسألة النقل على طريق طرابلس الغرب التي تبعد (١٧٥٠) كيلومتر عن الجبهة . ان سقوط جزيرة كريت في يد الالمان ليسمح للطيران الالماني بمراقبة البحر المتوسط مراقبة جدية فعالة ويمنع اسطول العدو من محاولات تموين قواته في افريقيا الشمالية أو التجول بحرية تامة . ولكن هذا الاستيلاء لم يغير في أوضاع الحالة الراهنة شيئاً ولم يؤثر على مستقبل الحركات أو العمليات الحربية القادمة وكانت عملية الاستيلاء على جزيرة كريت في الواقع عملية غير مجدية كلفت كثيراً من الدماء والارواح ، ولم تحقق أي تطور في الوضعية القائمة سوى تأمين نصر عسكري بسيط بالنسبة الى مجمل الحركات قصد من ورائه تعزيز السمعة فقط .

٥٥٥

الفصل الثالث

قتال المدرعات في موقعة السلوم

احتلال مضيق حلفايا

Die Panzerschlacht Bei Sallum
Hâlt der Halfayapass

كان حصن كابوزو المنشأة المحصنة الايطالية الاخيرة الواقعة على صعيد ليبيا وهو حصن صحراوي أقيم على أقصى نقطة من خط الحدود . وكان عبارة عن بناء ضخم مربع الشكل يشتمل على مساكن للضباط والجنود ومخازن ومستودعات للذخائر والاعاشة ثم اصبح فيما بعد كالخرائب وقد تصدعت جدرانه وأطرافه وتحطمت نوافذه وأبوابه وتخرقت سقوفه وسطوحه . وكان أقرب مبنى اليه السلوم الاعلى الواقع على الارض المصرية الذي يشبه في منظرة حصن كابوزو ، ما خلا قشلاقات معسكر الكتائب الانكليزية التي كانت اكثر اتساعاً وترتيباً والتي كانت مكلفة بحماية الحدود .

وكانت الارض المحاذية للحصن تنحدر تباعاً نحو البحر . والمناظر التي يشرف عليها المرتفع خلابة رائعة . وعلى سفح جبل السلوم الادنى ترتفع بيوت العرب التي تتبسط الخليج الواسع بمياهه الزرقاء العميقة البراقة تحت أشعة الشمس اللامعة . ويمتد الساحل الرملي الابيض الناصع بلون الثلج الى الافق البعيد . وتخطط جوانب الجبل المرتفع منحدرات الاودية المنخفضة التي احدثتها الطبيعة إبان العصور السحيقة . وتصل الطريق الجبلية

الواسعة المبيدة بمنعطفاتها الصاعدة التي تربط السلوم الأعلى بالسلوم الادنى وتقود رأساً الى الميناء ثم تبتعد عن الساحل حيث تصعد السهل الداخلي المرتفع مارة بمضيق حلفايا . والسهل المذكور صحراوي بكليته . ومنذ الصباح الباكر ترتفع فيه درجة الحرارة الى ٥٠ — ٦٠ سانتيغراد .

ارتسمت الحدود وتخططت في هذه النقطة وتحددت بشبكة من الاسلاك الشائكة التي ترمز الى خط الحدود الذي بناه الجنرال غرازياني في مدة ستة أشهر ممتداً من البحر على خليج السلوم وآبار الرملة الى مسافة ٢٧٠ كيلومتر نحو الجنوب حيث واحة جغبوب . وكان لبناء هذا الخط معنىً خاصاً بالنسبة الى غرازياني الذي قصد منه بناء جدار من أسلاك حديدية شائكة لايقاف السنوسيين اللاجئين الى مصر عند هذا الحد الممتنع الذي ساعده على تهدئة اقليم برقة الثائر . أما اليوم فلم يعد له أية فائدة أو معنى سوى الاشارة الى قوات الانكليز والالمان المتحاربة وأن خط الاسلاك الشائكة هو خط الحدود الفاصل بين البلدين .

دُمر هذا الخط في بعض أقسامه وفتحت فيه فرجات متعددة ومفازات واسعة وتعلقت في أطرافه بقايا متنوعة حملتها الحرب الى هـذه الارض الضائعة . وكانت تجتازه كل يوم أرتال مصفحات الاستطلاع التي كانت تتمركز على الارض المصرية في مرتفع ٢٠٦ وفي سيدي عمر والتي كانت تشكل قوات التغطية المتقدمة أمام القوات الالمانية .

وفي تاريخ ١٤ — ١٥ حزيران أشار الاستطلاع الجوي والارضي الى وجود أرتال آلية كثيفة كانت تقترب على طول الساحل وتنساب في جوف الصحراء نحو الجنوب .

وضعية القوات الانكليزية قبل الموقعة :

حضّر ويفل حركته في منتهى السرية . فجمع الفرقة السابعة المدرعة

التي كانت احدى الوحدات الممتازة المدربة والمرنة وفرق مشاة آلية وأفواج مدفعية قوية وظهر انه كان يعتمد على شروط ثلاثة لاحراز الغلبة وهي :

اولا ـ مباغتة القوات الالمانية والايطالية واحداث ثغرة واسعة في القطاع الايطالي ثم الالتفاف على الفرقة الالمانية في قطاع السلوم والتي كانت بالفعل ترزح تحت صعوبات ثقيلة بسبب التموين . وكان من المتعذر عليها الحركة والانطلاق . وكان ويفل غافلاً عن وضعيتها وقد تربصت منذ الايام الاولى في هذه الخطوط ونقص عدادها نقصاً محسوساً .

ثانياً ـ استحواذه على عدد وافر من المدرعات الجديدة من طراز مارك ٢ (Mark 2) ، وكان مصمماً على زجها في الموقعة في كتلة متراصة . وكانت حديثة الصنع بنيت في مصانع الميتربول (في بريطانيا) ومجهزة ومعدة لدحر أية قوة تتصدى لها حسب تخمين وتقدير الخبراء الفنيين الانكليز .

خطة الحركات الانكليزية :

كانت الخطط الانكليزية تترتب على الوجه التالي :

أ ـ **الجناح البريطاني الأيمن** : سار على محاذاة الطريق الساحلية باتجاه مضيق حلفايا . وكان المفروض عليه الاستيلاء على المضيق المذكور لفتح الطريق تماماً وتسهيل وصول النجدات المتلاحقة والتموين باضطراد .

ب ـ **جمهرة الصدام** : تتألف أغلبها من وحدات مدرعة كلفت باجراء التفاف حول موضع حلفايا لمهاجمة حصن كابوزو مباشرة والتوغل حتى السلوم لامكان تطويق المضيق من الخلف عند الضرورة .

ج ـ **جمهرة اليسار** : وكانت مندفعة باستقامة داخل الصحراء ، مهمتها الاحاطة بالجبهة الالمانية بقوات مصفحة ، ثم قطع وتدمير القوات

الباقية في منطقة كابوزو وفي جنوب الbarديه . وبسقوط هـذه الامكنة تصبح الطريق حرة الى طبرق مما يساعد حاميتها على الاشتراك في الهجوم المنطلق على جوانب الفيلق الافريقي التي تحـدد مصيره ونهايتـه في نظر القادة الانكليز .

رتب ويفل خطته بعنـاية ودقة ولم يفته حتى تعيين نقـاط اجتماع الاسرى والغنائم ومخافر المساعدة الطبية والصحية وغير ذلك .

د ـ المطالعة :

١ ـ لم يُحقق الشطر الاول من هـذه الخطة ولم يباغت روميل . ومنذ ١١ حزيران كان الطيران الالماني يستطلع أوضاع القوات البريطانية وزحوفهـا السائرة كما تبين وصول نجدات العـدو وتحركاتها وجميل كافة الحركات السائرة على الخطوط الخلفية . إذاً فالجبهة الالمـانية كانت منبهة مستعدة للطوارئ . وعلى أثر المعلومات الواصلة سُحبت الفرقـة الخامسة الخفيفة بكاملها من جبهة طبرق كي تشترك في بنـاء الطريق الموصلة الى القلعة لأن صعوبات التموين أظهرت الحاجة الماسة إلى إنشاء مثل هـذه الطريق . وأصبحت هذه الفرقة في وضع الاحتياط المشترك ومعدة للدخول فوراً في المعركة .

وفي تاريخ ١٥ حزيران وصلت أيضـاً معلومات واضحة من الفرقة الخامسة عشر المدرعة عرف من مضمونها سعة ونظام حملة العدو وتجمعت الفرقة المذكورة جنوب غامبوت تحت قيادة الجنرال شترايخ وتلقت أمراً بالاستعداد للعمل وانذرت الفرقة المصفحة اريتي أيضـاً ولكن تبين ان مجموعة سانتاماريا كانت بدون وقود وبدون تموين وكانت في حالة لا تمكنها من الحركة والانطلاق .

هـ ـ التدبير الالماني : كان الأمر الذي أرسل إلى الفرقة الخـامسة عشر المدرعة بسيطاً جداً ويتضمن :

« المحافظة على مضيق حلفايا وصد العدو حتى اشعاراً آخر » . ترتب على هذه الفرقة قيادة المعركة الدفاعية لوحدها . وظل احتمال اطلاق هجوم مواز لجبهة طبرق . والمرة الاولى لوحظ اضطرار روميل للبقاء والمكوث في مقر قيادته في غرب المدينة المحاصرة . وفي الساعة العاشرة صباحاً فهم من المعلومات الواردة ان هدف ويفل الاساسي هو فك الحصار عن طبرق ، فدعمت الفرقـة الخامسة بفوج مدفعية إضافي وأوعز اليها بانتظار الحوادث القادمة .

وفي هذة الاثناء بدأ القتال يدور حول كابوزو وتمكنت المصفحات البريطانية من احتلال نقطـة الاستناد (٢٠٦) من جهة الغرب . وفي سيدي عمر كانت القوات الالمانية تدافع عن مواضعها بعناء وصعوبة ، ولكنها ردت كافة الهجمات المنطلقة على مضيق حلفايا بصورة دموية .

وفي هذا اليوم الاحد كان الهواء كتلة رمادية اللون يملأ العجاج رحابه . وكانت الصحراء تشبه صفحة براقة تموج حول حصن كابوزو القائم كالجبل الرمادي ينقبض وينفرج وكأن الحياة لتدب في أعطافه من شدة الحر . وكان النظر لا يتعدى عدة مئات من الامتـــار . وكانت الارض في قطاعات الحدود تهتز تحت وابل القنابل المتفجرة وانفجارات الالغام المتوالية وطلقات مدفعية المدرعات تتابع بانتظـام . وكانت سحب الغبار والرمال المتطايرة تمر فوق الحصن وتلتصق بالاحجار وبشاهدات القبور القائمة على اجداث البريطانيين والالمان .

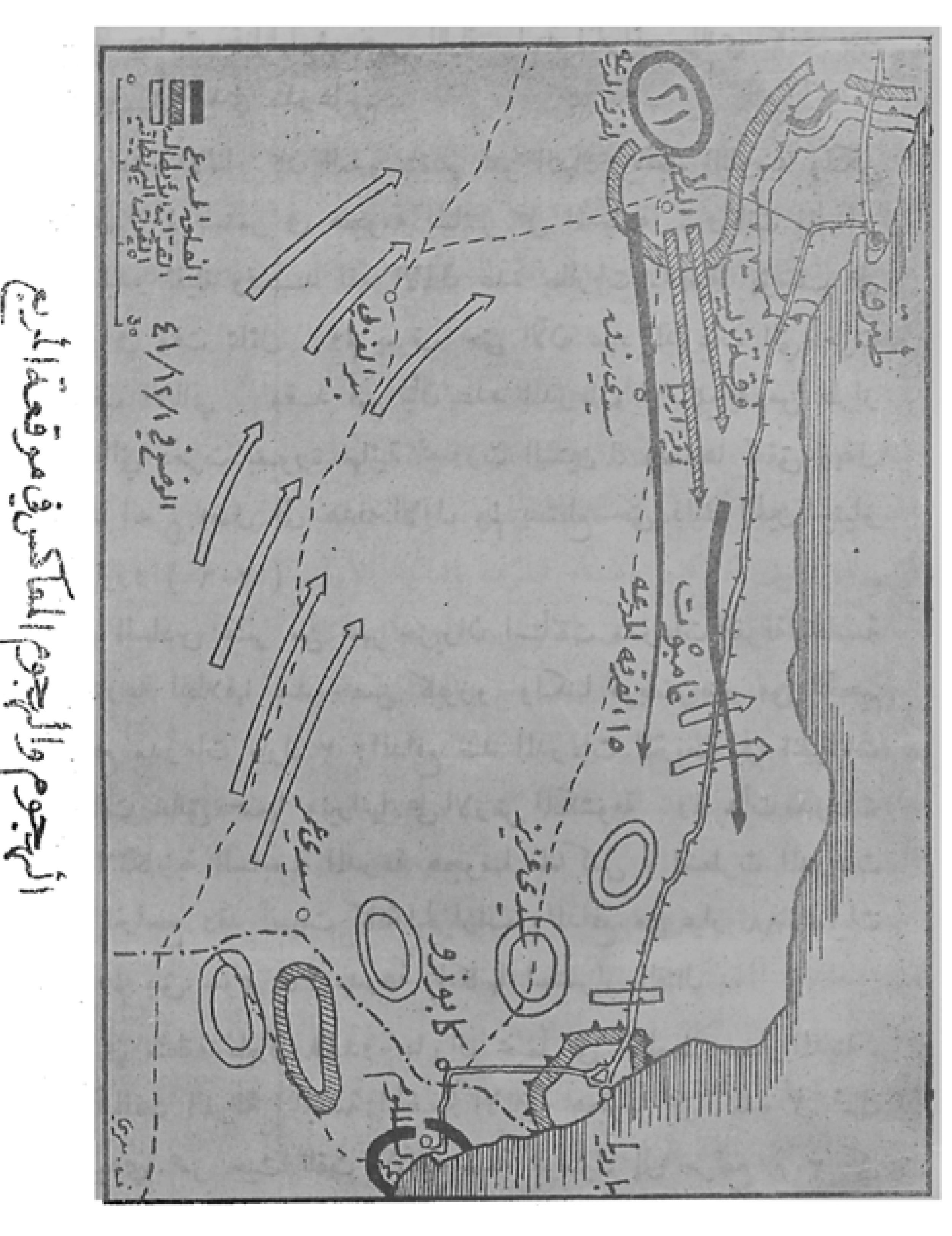
هاجمت مدرعات مارك ٢ مرتفع ٢٠٨ تصحبها قوات الهوسار (قوات خيالة خفيفة) والتي تعرفت عليها فرق الفيلق الالماني الافريقي في منطقة برقـة بالتماس مع فوج الاستطلاع تحت امرة فيكار . وجرت بينها اكثر من مصادمة . فـلم تعط هذه الحركات نتيجة ما بسبب نقص الاسلحـة الثقيلة . وكانت قوات الانكليز والالمان تدور حول بعضها مثيرة عجاجاً

هائلاً من الغبـــار حتى وصول فوج مدرع من الفرقـة الخامسة عشر المدرعة ودخوله المعركة مجبراً قوات الهوسار على التراجع .

تناوب حصن كابوزو الاحتلال والاسترداد أكثر من مرة . وعندما احتلت القوات الانكليزية الحصن للمرة الاخيرة تمكن أحد الضباط الالمان الشباب بشجاعة وجرأة لا نظير لها من احراق ثماني مدرعات انكليزية (مارك ٢) بمدفعـه المضاد للمدرعات على مسافة قريبة جـداً . وكانت المعارك تجري على نسق المعارك الافريقية الخاصة فـــلا قوات ويفل ولا قوات رومل كانت تعرف بالتـأكيد أين هو الخصم ولا من أين يظهر ولا من هو العدو أو الصديق ؟ . وفي سعة المسافات حيث يسعى المتحاربون إلى تحقيق القرار كانوا كثيراً ما يضيعون الفرص المؤاتية لكسبه . فالقوات المحاربة كلها كانت تستعمل السيارات المتشابهة وأحياناً نفسها والجنود يلبسون القميص الخاكي والبنطال القصير (الشورت) والخوذ المسطحة . وكانت خوذات جنود التومي Tommy الانكليزية تشبه كثيراً خوذ جنود المستعمرات الالمانية . وقد تناسى المتحاربون كافة الأسس والقواعد التي تلقوها أثناء الدراسة والتدريب . وظهر في المعسكرين المتحاربين شعور جديد شعور الرفق فيما بينهما والحس الودي الطبيعي . وكانت افريقيا هذه جرداء كأرضها لا بشر فيهـا حتى ولا أشباح ولا قرى ودساكر هادئة يجرفها هذا الصراع العاتي في طريقه . وقـد سبق ان أخليت الاماكن المأهولة القائمة في هذه الربوع من سكانها العرب تماماً ودمرت قبل ان تصل القوات الالمانية إلى افريقيا . لم يبق في هذه الاصقاع سوى الجنود الذين تعرضوا جميعاً دون استثناء لشرائع وشروط الحياة القاسية في الصحراء . وكانوا يتعاركون لا لكسب قطعة من الارض واحتلال مدينة أو قرية إذ ليست كل هذه الأهداف بذات أهمية أو شأن بالنسبة إلى الحركات الدائرة أو بالنسبة الي غاية المعسكرين المتحاربين لأن الهدف الاوحد هو

الحصول على القرار بواسطة السلاح وبفعل السلاح فقط في موقعة دائمة الحركة والتبدل . كما ان شعور العداء المشحون بالنقمة والانتقام الذي يتولد عادة بين قوات المشاة المتحاربة ، العداء الدموي العنيف الذي كان يبدو من الطرفين في بعض الاوقات لم يلاحظ البتة ولم ير له أثر ظاهر في معارك الصحراء . كانت هذه المعارك محكومة باعتبارات متبادلة ذاتياً وكانت تجري في جو شبه ودي تقريباً ووفقاً لقواعد معنوية خفية يتقبلها ويتبناها الطرفان عن غير قصد . فالشجاع لا يحتقر الشجاع الآخر لارتدائه كسوة أخرى بل يقدر بطولته ورجولته بالرغم من العداء وكان رجال المعسكرين يتفاخرون ويتبارون بهذه الروح الرياضية وهذه النزعة من الفروسية .

ولم تلاحظ عوامل القسوة والعنف الجائر في مدار معركة عصارى ١٥ حزيران . وكان العدوان يقتربان إلى مسافة ٥٠٠ متر . وظهر لأول مرة في هذه الموقعة ان مدفع عيار ٨٨ مم ضد الطائرات سلاح فتاك حاسم حيث استطاعت ثلاثة مدافع منها كانت تتقدم الكتيبة المدرعة الثامنة من تدمير ثماني عشر مدرعة مارك ٢ أثناء هجوم مماكس شن على حصن كابوزو . وتحرر أثناء هذه المهاجمات المقدم فوم Fomm آمر فوج الفرقة الالمانية والمقدم كنابه Knabe آمر فوج الدراجات النارية اللذين اجتاز العدو مراكزهما فاختبئا مع أركان حربهما في ملجأ على طريق فيا بالبيا بينما كانت المشاة الانكليزية تحتل مركز قيادتهما الواقع على بعد عشرين متراً منها . ان المعلومات التي تلقاها الفيلق الافريقي أثناء المساء وابان الليل كانت متضاربة جداً . وكان من المستحيل معها إعطاء فكرة واضحة عن الوضعية من جراء بعد نقاط الاستناد وتوزع الوحدات الواسع . وعند المساء أشار الزعيم نويمان سيلكو Neumann-SilKow قائد الفرقة الخامسة عشر المدرعة بأنه استعاد حصن كابوزو وما زال يهاجم العدو بقوة على



جانبي الحصن . وبعد ساعتين أرسل تأكيداً بأن القوات الالمانية ما تزال مستولية على الحصن، ولكنها أمست مطوقة ، كما ان الانكليز انفسهم لم يتبينوا لوحة واضحة تماماً عن ماهية الوضعية الجارية إذ علم ان القاصفات

الانكليزية حطمت بقنابلها في نفس الليلة ساحة الخرائب الذي كانت منذ وقت طويل في أيدي مدرعاتهم .

وفي هذه الاثناء كان العدو يتقدم نحو الشمال باتجاه البارديه ولكن لسبب مجهول لم يستمر في هجومه المباشر على المدينـة . وكانت الخسائر الالمانية تبدو ثقيلة وقـــد فقد الالمان عدة بطاريات مدفعية يؤسف على خسارتها في وقت مماثل . ولم يعرف حتى الآن عدد المدرعات التي دمرت من الجانب الالماني . وقـد فهم بأن عدد المدرعات الانكليزية من طراز مارك ٢ التي دمرت بصورة نهائية تجاوزت الستين . وعندها تحقق ويفل بالتأكيد انه لم يصل إلى هدفه الاول ولم يستطع حتى ذلك الحين اجتياز خط كابوزو (٢٠٦) .

وفي السادس عشر من شهر حزيران استأنفت مدرعات الفرقة الخامسة عشر المدرعة انطلاقها ضد حصن كابوزو ولكنها قوبلت بنار من الجحيم من مدافع مدرعات مارك ٢ والمدافع ضد المدرعات المتربصة في الخرابات حيث كانت تطلق حممها ونيرانها على الارض المكشوفة ولما بدأت مدرعات الفرقة الانكليزية السابعـة المدرعة هجومها المعاكس ، اضطرت المدرعات الالمانية للتراجع وقد أصيبت كافة الجرارات والمدافع من عيار ٨٨ اصابات مباشرة ولم يبق سوى ٣٥ مدرعة بامكانها استمرار القتال .

أما في منطقة طبرق فالهدوء ما زال مخيماً على خطوط حصار المدينة . وأخيراً أطلقت الفرقة الخامسة الخفيفة الالمانية هجوماً على العدو في شمال غربي سيدي عمر حيث تلقت كتلتها مهمة الوصول إلى مرتفع ٢٠٨ كي تهـاجم الانكليز على الجوانب . وكانت خطـة روميل في منتهى البساطة ومآلها : « اذا حاول العدو القيام بحركة تطويق فمن المتوجب على القوات الالمانية ان تتقدم حتى تصل الى جوانب قوات ويفل للعمل على تفكيك عرى الفرق البريطانية وتشتيتها

والحق يقال بأن الامور الحاسمة كانت معلقة في خيط من الامل لان المجهول في هـذه الموقعة كان وظل مضيق حلفـايا ، وان الهجوم المعاكس لا يمكن ان يتحقق نجاحه إلا بعد احتلال المضيق المذكور ولو ان ويفل تمكن من الاستيلاء عليه لأمكنه سوق قوات جديدة على طريق البارديه والى طبرق وموقعة السلوم وصار في مقدوره فك الحصار عن طبرق .

بيد ان مضيق حلفايا صمد الى النهاية صموداً جبـاراً . وكان يدافع عنه الرئيس باخ « Bach » الرجل الفولاذي المربوع القـامة ذو المظهر المهيب الاشبه بالقسيس منه بالمحارب . وكان بذاته آمر القطاع . وكان أسر من قبل الانكليز أثنـاء الحرب العالمية الاولى وبعد انقضاء الأسر صار قسيساً لقرية من قرى بالاتينا Palatina وكان على رأس فوج مدعم ببعض البطاريات من عيـار ٨٨ مم والبطارية الايطالية باردي Pardi . وكان يقود هذا الفوج بشجاعة فذة نادرة الوجود ورباطة جأش وحذر . وكان الموضع يستند الى البحر تحت مضيق حلفايا ومقدمه منتهيـاً فوق السهل المرتفـع . ولم يكن متواصلاً بل كان يشكل شبكة من النقـاط المحصنة المهيئة للقتال ومشرفاً على الاتجاهات الاربع . وقد بنيت هذه النقاط منذ احتلال المضيق في شهر مايس وكانت تحصيناتها تزداد يوماً بعد يوم بأوامر رومل . وكان الجهد الطويل الذي صرف على تحسين وتحصين هذا الموضع ينتظر الأجر الاوفر وكان سبباً أساسياً في اندحار ويفل وانتصار الفيلق الالماني الافريقي .

تحطمت كافة الهجمات الانكليزية على هذا الموضع . ونسفت فوق جنباته أرتال المدرعات وسيارات الاستطلاع وسيارات النقل وتطايرت أجزاؤهـا بفعل الالغام المديدة التي كانت تنفجر تحت عجلاتها وجراراتها فتدفن في حناياها القتلى والجثث الكثيرة . وقد سقط في أطرافه صرعى كثيرون

لان المشاة في الغـارات الاولى كانت ترافق وتلاحق المدرعات على خط منضم مضاعف وكأنهـا سائرة إلى نزهة عادية لا تحيق بهـا الاخطار . وكلفت هذه المحاولة الاولى العدو ثماني عشرة مدرعة مدرعة مارك ٢ . وعلى أثرها أطلق الرئيس باخ هجومـاً معاكساً موفقاً واقتنص كثيراً من الاسرى واستحوذ على مستندات عديدة أطلعته على نوايا العدو وخططه الواضحة . وبعد ان تفهم باخ الوضعية الراهنة وما يحيط بها من أسرار وما تشتمل على تأكيدات واحتمالات مثبتة انقطعت عنه الاتصالات المباشرة مع الاخلاف . ولكنه لم ييأس واستمر يعمل مسبقاً على تدبير الامور وادخار ما يلزم من الذخائر وتقنين المؤون وخاصة الماء جوهر الحياة الذي كان يعتبر من أهم المواد الضرورية للبقـــاء . وتلا الهجوم الاول هجوم آخر بعد الظهيرة سبقه تحضير قصف جوي كثيف . وقـد وصلت قوات المشـاة الهندية والانكليزية الى مسافة ٤٠٠ متر من الموضع ولكنها أجبرت على التوقف ولم تستطع بعدها ان تتقدم شبراً واحداً . وكانت البرقيات تملأ الاجواء نداء الى الرئيس باخ ما نصها « يجب المحافظة على مضيق حلفـايا بقوة النجدة آتية » وكان المراقبون يشاهدون استمار نار القتـال في المسيّد وأخيراً في السلوم الاعلى ممـا كان يدل على ان الانكليز ما زالوا بعيدين جداً الى الوراء . لقد ردت كل الهجمات والغـــارات المتوالية كما فشلت محـاولات مسح الموضع من عالم الوجود بفعل قصوف المدفعية والطيارات التي ظلت دون جدوى ولا نتيجة . وكانت الافواج الانكليزية والهندية تطلق غاراتهـا الواحدة تلو الاخرى ولكنها فشلت جميعها فشلاً تامـاً . واستمرت المدفعيـة الانكليزية في اطلاق نيرانهـا طيلة ساعات متوالية . وكانت القنابل المتفجرة في أعماق الوديان تملأ الفضاء بأصدائها المتعالية . ولكن فوج باخ ظل صامداً كالطود الاشم وظلت مقـاوماته المنيفة على أشدها وانتهت الغارات الانكليزية بغارات معاكسة من قوات باخ تساندها

مدرعة انكليزية مارك ٢ كان اقتنصها من العدو سابقاً .

لم تتأزم الوضعية الا في مساء اليوم التالي للقتال حيث أوشكت ذخيرة فوج ومدفعية باخ على النفاد .

وكانت بطاريات العدو من عيار ١٢٠ مم تدق الموضع طيلة ساعتين متواليتين حيث تلا هـذا القصف العنيف هجوم انكليزي جديد ولكنه تحطم ايضاً بفعل نيران الارتال . فلم يبق آنئذ لدى المدفعية الالمانية سوى ٦٠٠ طلقة . وكان التموين والماء يوشكان على الانتهاء فقرر المقدم باردي الانطلاق الى الاودية المجاورة التي قد تحتوي بعض الذخائر المتروكة منذ معركة الشتاء كما اقترح تهيئة سفينة قديمة للاقلاع بها الى البارديه أثنـاء الليل لاستحضار الذخيرة والمؤونة اللازمة .

وفي هـذه الاثناء سحب فوج المدرعات التابع للفرقة الخامسة عشر المدرعة من كابوزو بعد اجراء محاولة غير مجدية للاستيلاء عليه كي يهاجم في الغد بالارتباط مع الفرقة الخامسة الخفيفة جوانب وأخلاف العـدو . وفي الجنوب عند الجانب الايمن للجبهة الالمانية وصلت الفرقة الخامسة المذكورة سيدي سليمان والتي أوعز اليها بمهاجمة سيدي عمر . بيد ان حوادث القتـال لم تساعد الجنرال شترايخ على المسير الا في مساء اليوم السادس عشر ولم يصل الى المنطقة الواقعة شرق سيدي عمر سوى جزء من قواته . وكان يقاتل بعض عناصر من القوات المدرعة ووحدات قوية من المدفعية . وتوقف معظم فرقته وتثبت أمام الاسلاك الشائكة بفعل نيران العدو ولم تستطع هـذه القوات عمل شيء يذكر لأنها كانت تنتظر مناورة التطويق التي تقوم بها فرقة الجناح .

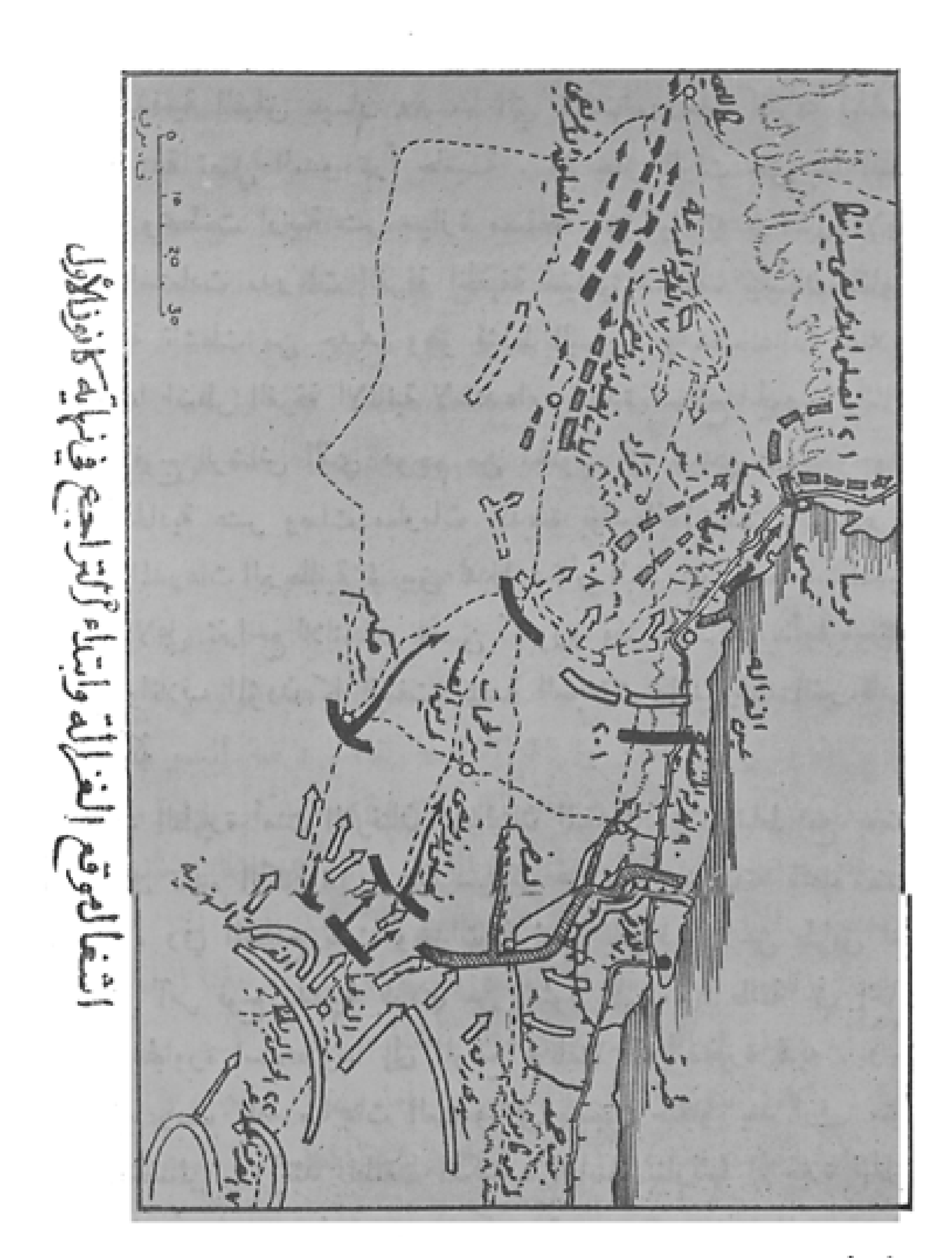
وفي منتصف الليل تلقت الفرقتان أوامر جديدة وهي :

الانطلاق الى خلف مضيق حلفايا واطلاق الهجوم النهائي لأن رومل كان يود استعجال القرار . وقـال : اذا استطاعت حلفايا ان تقاوم

حتى اليوم الثالث فمن المؤكد ان ويفل سيكون مهددا بفاجعة كاملة ، وانه لم يبق لديه سوى امكانية مفردة وهي ان يهاجم بقوات جديدة ليمنع عن وحداته الحصار في منطقة السلوم ـ كابوزو ، ولكنه لا يملك هذه القوات الآن . ان ويفل يمهد للسيطرة على الطريق الساحلية ولكنه في تأخر عن اجراء أية محاولة جديدة ، والمحاولة هذه هي ان ينصرف عن المانع القائم (أي مضيق حلفايا) والالتفاف حوله عبر الصحراء .

اننا لا ندري اذا كان رومل يعرف أو لا يعرف مبلغ التماسة التي كان يتقلب فيها ويفل ، وأية موفقية رائعة كان يهيئها له الرئيس باخ . ولو كان لدى رومل قوات احتياطية جديدة معدة لدخول الموقعة لانتهى الأمر مع ويفل على الفور ولذا طلب أثناء المعركة الى القيادة الايطالية في ليبيا ارسال فرقتين ، فرقة مواضع لمنطقة السلوم وفرقة أخرى لاشغال البرديه كما افتكر في جلب فرقة ثالثة لمنطقة سيدي عزيز وذلك لسحب الفرق الالمانية حالاً ليؤلف منها احتياط سوقي وتسهيل عمليات التموين وانهاء الطريق الجديدة حول طبرق بأسرع ما يمكن والتي تحتاج الى ٨٠٠ عامل . ان رومل يعرف تماماً بأن السلوم كانت تشكل الحاجز المعد لشكل الحركات القادمة واضاعة السلوم معناه فقدان الحظ المؤاتي لعمليات المستقبل .

سيرت القيادة الايطالية في ليبيا فرقة بافيا فور الطلب . وفهم بالتالي ان ويفل أحيط علماً بأن الفرقة المدرعة السابعة فقدت ما يزيد عن مائة مدرعة حتى اليوم الثالث من الموقعة وانها في عوز ماس خطير الذخيرة والوقود . اقتنصت البرقية هذه من قبل الفيلق الالماني الافريقي وفهم من ذلك ان ارتاج النار في مضيق حلفايا بدأت نتائجه الموفقة بالظهور والتأثير . وان خسارة القوات الانكليزية جسيمة جداً وخاصة في المدرعات التي تعوزها الوقود والذخيرة مما زاد في خطورة وضعيتها الراهنة . وعرف



الموقف العام وابتداء التراجع في نهاية كانون الاول

أيضاً بأن الجيوش البريطانية كادت تفقد العزم والنفس واقتضى العمل العاجل المباغت .

عندها تقدمت الفرقة الخامسة عشر المدرعة والفرقة الخامسة الخفيفة

اتواجه العدو بهزيمة جديدة وقد جرت معارك شديدة عبر الحدود . وكانت مدفعية الفيلق عيار ٨٨ مم التي تتقدم مدرعات الفرقة الخامسة عشر المدرعة تصلي العدو ناراً حامية . ولم يطل الوقت حتى بدأ العدو بالتراجع وتحطمت اربعة عشر سيارة مصفحة من سياراته في الغارة الاولى فقط ، واستعادت مدرعات الفرقة الخفيفة سيدي سليمان . بيد ان المقاومة الانكليزية تنشطت من جديد وهو نشاط اليأس وأبدت عناداً وصلابة متناهية مما اضطر الفرقة الالمانية لاستدعاء مساندة السلاح الجوي . وأثنائها انسحب فوج الرشاش الذي هوجم من الجنوب الى سيدي عمر . وحوالي الساعة الحادية عشر وصلت معلومات جديدة بواسطة التنصت الآلي عرف منها ان المدرعات البريطانية لم يبق لديها ذخائر البتة ، وان حاميات المسيّد والسلوم الاعلى تتراجع للالتحاق بحصن كابوزو وان الانكليز بدأوا باحراق الذخائر واتلاف المؤون كما نُسفت كافة العجلات والسيارات الغير قادرة على الحركة .

وبعد الظهيرة أمنت الفرقتان الالمانيتان المتقدمتان الارتباط مع بعضها وبعد قليل تقدم الكولونيل نويمان سيلكو على رأس مدرعاته باتجاه مضيق حلفايا ، وفي الصباح تلقت وحدات الرئيس باخ ذخائر عن طريق الجو كما تمكن آمر فوج مدفعية باردي من العثور على ٦٠٠ طلقة في إحدى الاودية المجاورة استحضرها إلى الموضع وكانت آخر ذخيرة لديه . وحتى الآن فقد ردت كافة مهاجمات العدو على مضيق حلفايا بعد ان منيت بأفدح الخسائر . وآنئذ انطلقت الكتائب الباسلة بغاراتها الاخيرة الجامحة سائرة الى أهدافها بدون تردد . وكنت ترى رجال سدنات المدرعات التي احترقت تنبعث تحت نيران المدافع تاركين عجلاتهم الملتهبة لخوض المعركة بالذات . وقد أبدى المعسكران المتحاربان من ضروب الجسارة والاقدام والتضحية والبسالة ما يعجز عنه اللسان ويقصر عنه البيان .

وفي مساء السابع عشر وللمرة الاخيرة اطلق الرئيس باخ الهجـــوم المعاكس الاخير مع مدرعات الفرقة الخامسة عشر حيث نُظفت كافة الاودية المحيطة بالمضيق . وأثناء ذلك ظهر رتل من السيارات حاملة المشاة وبعض عناصر الفرقة المدرعة السابعة الانكليزية المندحرة تحاول شق طريق لهـا في منطقة الفرقة الخامسة الخفيفة ولكن عبساً فاضطرت للاستسلام . أما كتل الفرق المغلوبة على أمرها والفرق التي لم يبق لديها ذخيرة للقتـال تفيت في عرض الصحراء . وفي الغد تم تنظيف كافة قطـاعات السللوم وحصن كابوزو وجوار سيدي عمر وسيدي سليمان والبرديه من كل جنود العدو الذين ظلوا في هذه الارجاء .

وهكذا تمكن روميل من إحـراز نصر رائع بقوات محدودة بفضل كفاءته وجدارته العسكرية التي تستحق كل التقدير والاعتبار ، وبفضل بطولة آمر متواضع من امار الوحـدات الصغرى وهو الرئيس باخ الذي استطاع ان يستوقف العدو بكل قواته ليعط لقائده فرصة النصر والغلبة .

ان هذه الموقعة التي دامت ثلاثة أيام بلياليها كانت اكبر موقعة مدرعات جرت منذ بداية الحرب وسجلت فيها القيادة والقوات الالمانية ظفراً مبيناً ولم يتمكـن الانكليز من الوصول الى هدفهم الاساسي وهو فك الحصار عن طبرق وتدمير كافة القوات المعادية العاملة في شرق هذه القلعة .

أسرف ويفل في التضحيات والدماء وأضاع القسم الاكـبر من قواته المدرعة . وكانت مئات الجثث ترقد صرعى أمام مضيق حلفايا وعلى السهل المرتفع رقدتها الاخيرة . وتركت مئات المدرعات المحطمة او المهجورة فوق ساحة القتال . ولم يبق لدى الفرقة السابعة المدرعة البريطانية سوى اربعة وعشرين مدرعة صالحة للعمل . بينما كانت خسائر القوات الالمانية زهيدة جداً بالنسبة الى خسائر الانكليز الفادحة . وكانت هذه النتيجة موضع العجب والاعجاب في آن واحد . وبلغ عدد القتلى من الفرقة الخامسة عشر المدرعة

ثلاثمائة قتيل وأسير ومفقود . ولم تفقد سوى خمسة عشر مدرعة فقط . وكان عدد قتلى الفرقة الخامسة الخفيفة ثلاثين قتيلا وخمسين جريحا ومفقوداً، ومن بينهم خمســة عشر قتيلا لقوا حتفهم بفعل الغارات الجوية الالمانية ودمرت عشرة مدرعات وتعطلت اربعون اخرى اعيد اصلاحهـا سراعاً وأصبحت صالحة للعمل . وفي العشرين من حزيران وجد لدى الفيلق الالماني من جديد ١٣٦ مدرعة المانية و ١٢ مدرعة انكليزية مارك (٢) .

وكانت خسائر فوج باخ لا تكاد تذكر بالرغم من الغـارات المتوالية والهاجمات العديدة والقصوف المستمرة فقد بلغت ثماني قتلى وثلاثين جريحاً ولم تتجاوز خسائر فوج باردي قتيلا وجريحين . وقد برهنت الحوادث المذكورة بصورة مثبتة عن أهمية منظمة نقاط الاستناد المحصنة التى وفرت كثيراً من الدماء وكانت عظيمة الخطورة على العدو الهاجم .

أما مجموع خسائر الفيلق الالماني بما فيها خسائر جبهة طبرق لم تتعد ٩٥ قتيلا و ٣٥٥ جريحاً و ٢٣٥ مفقوداً . وسجلت خسائر القوات الايطالية ٤٣ قتيلا و ٧ جرحى و ٣٠٠ مفقوداً . ومنذ بدء الحملة الالمـانية حتى الخامس من حزيران صعدت خسائر الفيلق المذكـور الى ٥١٣ قتيلا و ١٦٨٩ جريحاً و ١٠١٥ مفقوداً . وقد تحققت هذه الغلبة بالرغم من ضعف الوضع الالماني العام ، لانه عندما ارسل رومل الى افريقيا لم يتلق سوى مهمة محدودة . كان عليه ان يبعد التهديد القائم ووقوع الكارثة المنتظرة التي كانت تضغط على اعناق الايطاليين بمـا يحتمل ان تجره من النتائج السياسية والعسكرية الاليمة . إذاً فالمفروض على رومل حسب التوجيهات التي تلقاها ان يوطد جبهته على حدود برقة البيضاء وأن يتربص على الدفاع المطلق . وبدلا من تنفيذ المقررات التي أعطيت له بالتزام الدفاع انتقل الى حالة الهجوم الذي مكنه من رد العدو ثانية الى أرض مصر والصحراء كما قاده الى وضع الحصار حول طبرق . وتبين ايضاً بأن حرب افريقيـا

(أي حرب الصحراء) لها شرائطها المعينة . وهنا كما في أي مكان آخر ما كان لروميل ان يوفق في مهمته وان يصل بها الى الغاية المرغوبة لو تقبل البقاء على الوضع الدفاعي المقرر بصرف النظر عن عدم كفاية الوسائل التي وضعت تحت أمرته وتصرفه . وكان ضعيف الثقة الا بقواته الالمانية . فقد توجب على الفيلق الالماني وحده حمل ثقل القتال المرهق بكامله . وكانت القوات الايطالية المسيرة لتدعيم الفيلق الالماني الافريقي قلما تصل في حينها الاشتراك والعمل بصورة مجدية . كما اثبتت الوقائع ايضاً بان روميل بالاضافة إلى اشغاله نقاط المقاومة اشغالا قوياً كاملالم يكن ليستغني مطلقا عن تخصيص احتياط قوي متحرك بجمعه خالصاً من قوات ووحدات الفيلق الافريقي . ولذا اضطر لاستدعاء فرق ايطالية جديدة لاشغال المواضع الدفاعية الشرقية بينما كانت تدور المعركة ، وذلك اسحب القوات الالمانية الجديدة ليزيدها إلى احتياطه . وقد اشرنا فيما سبق الى ذكر هذا التدبير التي اتخذه روميل بدعوته الفرق الايطالية الثلاثة لانشاء خطوط دفاعية جديدة في المستقبل واعتزام اقامة ثلاثة خطوط دفاعية تشتمل على مهمات معينة وهي :

ا ــ الخط الاول : يمتد من نقطة ٢٠٨ حتى مضيق حلفايا على النقطة ٢٠٧ .

ب ــ الخط الثاني : معد لتغطية مناطق كابوزو والمسيّد والسلوم .

ج ــ الخط الثالث : حماية قلعة البردية والمدافعة عنها .

وفرض ان تشغل هذه الخطوط الثلاث من قبل الفرق الايطالية تدعمها عناصر من القوات الالمانية . وكانت الغاية من توطيد هذا الدفاع الجديد تحرير الفرقتين الالمانيتين المدرعتين ليشكل منهما قوة احتياطية متحركة مستعدة لمجابهة كل احتمال ومهيئة للعمل ضد أي هجوم جديد ينطلق من الارض المصرية ، وفي نفس الوقت تأمين الاشتراك والمساهمة في

الاغارة على طبرق . وحفظاً على ادامة الحصار على مدينة طبرق كان من المحتم المحافظة على جبهة السللوم محافظة قطعية . ولن يصبح في مقدور العدو مطلقا رفع الحصار عن طبرق طالما لم يتمكن من خرق الجبهة الاخيرة . اذا كان من المتوجب تقوية دفاع الصحراء المصرية باعتبار أن المحاولة البريطانية التالية لابد انها ستكون اقوى واعظم من سابقتها ، كما يحتمل أن تكون مهيئة قيد التنفيذ . لم يكن في وسع رومل اتخاذ أي اجراء آخر غير سحب قواته الالمانية من منطقة حصار طبرق . وبالرغم من كون هذا التصرف من دواعي اضعاف قوة المحاصرة طالما لم تصله بعد الفرق المطلوبة مع العلم بأن مثل هذا التدبير في ظروف مماثـلة قد يؤول إلى احداث ازمة خطيرة بالنسبة الى وضع الفيلق الافريقي الحربي. ان الاسلحة الايطالية السيئة وضعف قيمة هيئة الضباط والنقباء الايطاليين الحربية ومعنوية قواتهم المتأرجحة المتدنية ، كل هذه العوامل غير الثابتة لاتسمح بقبول الامتحان القاسي الذي يفرض على الايطاليين قتال خصم عنيد قوي المراس ومقاومة المهاجمات والغارات العنيفة . اذاً فالاحتياط الذي كان يعمل رومل على استدراكه دائماً للسلامة كان يتوجب الاحتفاظ به شاغرا لاستعماله في جبهة طبرق أو ضد أي احتمال آخر .

وبالاضافة الى ماتقدم لم يكن رومل ليطمئن الى مستقبل وضعيته الحالية باعتبار ان الفرقتين الالمانيتين اللتين يعتمد عليهما بصورة خاصة هما غـير كافيتين مطلقا اذا صممت برلين وروما على الاحتفاظ بـكامل المبادهة في العمليات ، وان وجوب تقوية الفيلق الالماني الافريقي كان يتجاوب مع انتباهات القائد الاعلى للقوات الالمانية المسلحة الذي أعطى في منتصف حزيران أمراً بتحضير وارسال وحدات اكثر اهمية وقوة . وقدم بالفعل في شهر تموز اقتراحا بوجوب احتلال طبرق نهائياً . ولكن مسألة التموين كانت تبدو غير قابلة التمهيد والحل . وكان الاحتلال امراً لامندوحة عنه

بل ومسألة حياة أو موت لهذه الجبهة . وكان كل شيء معلقاً على هذه المساندة يرتبط بها الجميع من أول قائد إلى آخر جندي من المشاة .

ولا نغالي اذا قلنا ان ساحة الحركات هذه هي كباقي الساحات الالمانية الاخرى والتي كانت مشاريع القيادة الالمانية العليا فيها من الضخامة الهائلة مما لا تتناسب مع الوسائل المعدة لتحقيقها وتنفيذها تماماً . وكان يكفي القليل من مزيد الوسائل الضرورية الوصول الى الغاية المنشودة . انه لمن الغرابة في هذا العصر ان نلاحظ بالنسبة لالمانيا العليمة البصيرة التي فرض فيها معرفة حساب الامور بالاستناد الى الوقائع والارقام البعيدة عن الخطأ نرى انصراف بعض قادتها ورجالها صوب الخيال والوهم والاعتقاد الخفي بأن المعنوية الكاملة في الجيش الالماني تستطيع ان تعوض الافلاس في الوقود والذخيرة والمدافع والآليات .

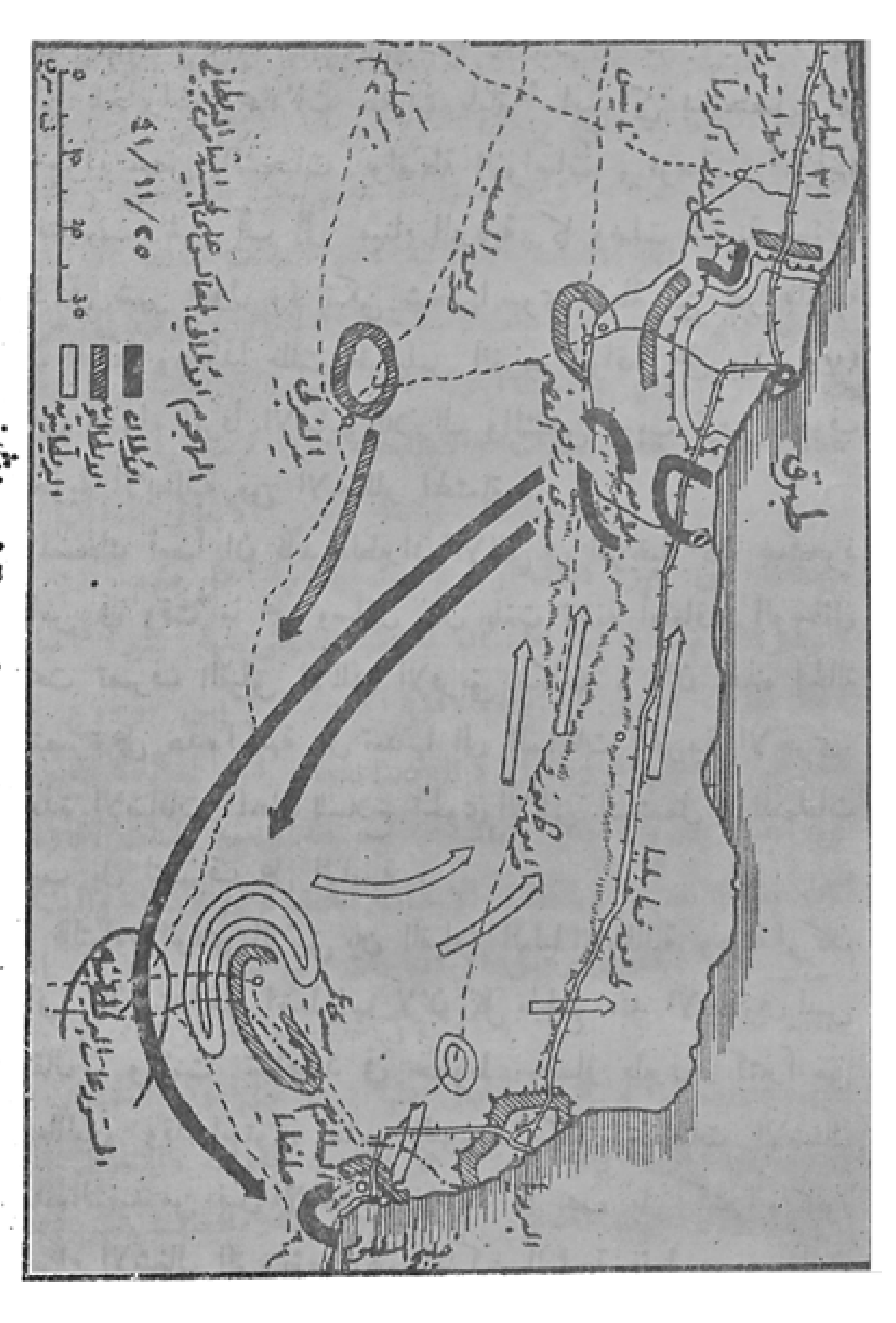
ان الجندي الالماني لايتراجع مطلقا هكذا اعلن هتلر على الملأ . ان هذا القول لصحيح الى حد ما فيما يتعلق بقيمة الجيش الحربية السامية ولكنه في الواقع تجاهل اعمى للحقائق التاريخية الثابتة ، وان تصريحاً كهذا عن لسان ومنطوق رئيس دولة فيه منتهى صرف النظر والفكر عن قيمة واوزان مقاييس الحرب مسألة عظيمة الخطورة سيئة النهاية . وبالفعل ان هذه الطريقة في الاعتقاد والتفكير كانت تسوق الى العماء التام في مجال الحركات الحربية كما لاحظنا استجابة بعض الرجال لعبادة هذه المعنوية الجديدة واهمال الحقائق المفروضة لصيانتها والمحافظة عليها .

أجل ماذا تنفع البطولة وروح التضحية والفداء في الجندي الذي منعت عنه ابسط الوسائل التي يحتاج اليها في الحماية والدفاع عن النفس والبقاء والقتال .

في مبدأ الصيف ،وفي أوائل شهر مايس عرف الفيلق الافريقي حالة اليمة بسبب قحط الوقود الذي تسبب عنه ان هيئة الاركان العامة بالذات

صرفت النظر عن كثير من زياراتها واستطلاعاتها الضرورية للجبهة . وكان الفيلق في عوز كبير الى مواد التموين والاعاشة التي وصلت حديثاً وانزلت في ميناء طرابلس وظلت عدة اسابيع وهي مكدسة تنتظر الجيش والجيش ينتظرها ولم تنقل الى اماكنها بسبب نقص السيارات وعدم وجود الوقود . حتى ان سرايا الواحات غير الالية لم تكن مجهزة بمطابخ ميدان كأفواج المواضع والتي كان يتوجب ارسالها اليها ولو بالطائرات . وكانت الفرق الايطالية لاتملك وسائل نقل كافية مما اوجب على مصالح النقل والتموين الالمانية تأمين حاجاتها أيضاً . وكانت المدفعية الثقيلة المعدة لحصار طبرق ما تزال تنتظر في نابولي قيد الشحن وقد قصفها العدو وهي ماتزال في الميناء . وقد فكر البعض في برلين بشأن تشكيل وحدات نقالة قوامها الجمال دون أن يدركوا بأن بعض الرشاشات من طائرات هاريكان تستطيع ان تبعثر في الهواء وتعيد الى العدم كتيبة من هذه الكتائب الاسطورية . ولم يتحمل أحد من هؤلاء المبدعين عناء التفكير في ان الفي جمل لاتستطيع أن تنقل الى الجبهة سوي ثلاثة أطنان يومياً ، بينما القوات المحاربة كانت تحتاج الى الف طن في اليوم الواحد وكانت هذه المشاريع الصبيانية تدور في خلد وعقل رجال جديين يشغلون مناصب عاليا على جانب كبير من الخطورة .

وكانت البحرية الايطالية تمثل الورقة الاساسية الرابحة أو الخاسرة التي يرتبط بها عامل الحياة او الموت في هذا الجزء من البحر . وكان عليها ان تؤمن سلامة النقل البحري ولكن لم يصدر عنها سوى المصاعب المضافة الى المصاعب الاخري العديدة . وعرض قائد الفيلق الالماني شرطين هامين ولكن لم ينالا الاستحسان والقبول . فقد أشار الى ضرورة اتباع الطريق الاقرب للتموين وهي طريق اليونان وجزيرة كريت وحل مسألة النقل البحري عن طريق ميناء نابولي مع وجوب وضع البحرية الالمانية


هجوم روميل المفاجئ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤١

تحت امرة القيادة الالمانية . وكانت البحرية الايطالية تعتبر نفسها غـير قادرة على استعمال موانيء بنغازي ودرنه حتى والبردية بينما كان في امكانها اقتصاد الآف الكيلو مترات على الطريق البرية . ونرى بالعكس ان

الانكليز كانوا يمونون طبرق مباشرة بدون توقف وبدون خشية الخسائر بينما كان الايطاليون يعتبرون أن الاخطار عظيمة والخسائر جسيمة والتزم رومل القيام بمخابرات ومحادثات عديدة طيلة أسابيع كي يستحصل على ترخيص باجراء بعض الشحنات بواسطة الغواصات . فوصلت الغواصة الاولى في منتصف شهر آب إلى ميناء البردية كما وصلت سفينة صغيرة أخرى فقط في شهر ايلول ولم تكن شحنتها سوى نقطة من بحر بالنسبة إلى الحاجات القائمة وهكذا ظلت طرابلس الغرب الواقعة على بعد ١٧٥ كيلو متر الى الوراء المرفأ الاساسي للانزال والشحن بسبب تردد وخوف القوات البحرية الايطالية من الاخطار المحتملة .

ومن المضحك أيضاً ان قائد الطيران الالماني في افريقيا كان يستحوذ لتموينه الخاص في وقت ما على وسائل نقل بلغت ثلاثة أضعاف الوسائل الموضوعة تحت تصرف الفيلق الالماني الافريقي بكامله . وان هذه الحالة لم تكن مقتصرة على هذه الجبهة بل تعدتها الى الساحات الحربية الاخرى. ولم تكن هذة الاضافات المعطاة للسلاح الجوي الالماني لتستعمل في العمليات الجوية فحسب بل لتصرف على اليابسة .

وأخيراً فالتعاون الودي الوثيق بين القيادة العليا الايطالية وهيئة اركان الفيلق الالماني كان يتداخله اضطراب لأن كل مايلمع عند الايطاليين ليس نضارا كما يقال . وكنت تشاهـد في خطوط حصار طبرق كثيراً من الخفراء الايطاليين وقد استولى عليهم النوم . وكانت مخططات الاشغال الموضوعة قيد التنفيذ من قبل الايطاليين لاتنفذ كما يجب بل كثيرا ما كانوا يكتفون باجراء الاشغال التي تؤمن لهم اماكن الراحة فقط . ويهملون الاقسام الاساسية المتعلقة بالدفاعات الهامة . وكانت الرغبة تقتصر على الاكتفاء بانشاء مواقع عرضية فقط لاخلائها عاجلا والنجاة بانفسهم من خطر الهجمات الانكليزية ، كما كانت مسألة الغنائم الحربية تلعب دورها

في الأخذ والرد كأن هذه الغنائم يستخدمها الالمان من أجل مصلحتهم فقط.

وحدث أن وجدت القوات الالمانية في منطقة البردية عدة مئات من المدافع الايطالية التي تركت اثناء معركة الشتاء في أيدي الانكليز. وكان اغلب البطاريات قائمة في مواضعها القديمة لم تصب بأي عطل وصالحة للاستعمال. ولم يستلفت نظر القيادة الايطالية هذه المعدات الهامة الا بعد ان سحبها رومل وأرسلها الى الرحبات لاصلاحها واستعمالها وسوقها الى مراكز المقاومة في السلوم. وفي منتصف ايلول طلبت القيادة الايطالية العليا بصورة مفاجئة عدم استعمال هذه المعدات والاسلحة بدون ترخيصها، كما شهدت في منطقة الخيلي – بنغازي حيث كان يرابط الجيش الايطالي معدات عديدة ظلت متروكة حتى شهر كانون أول لم يهتم بشأنها احد منهم. وقد حلت المسألة بالرضى العام. والحق ما كان لينتظر ان يعنى بها كثيراً لانها بالطبع كانت وقفاً لقوات المحور لاستعمالها وفق الحاجة. وليس موضوع بحث ان يجهد الجنرال الايطالي غريبولدي « Gariboldi » دوماً لمساندته المقترحات الالمانية على الجبهة بصورة جدية مخلصة. بيد انه واجه بالذات مقاومة شديدة مما كان يضطر معها في غالب الاحيان للخضوع والاذعان والسكوت. وقد عرض عليه الجنرال رومل الاحتياجات التي تتطلبها الاركان العامة الالمانية لتنفيذ الهجوم على طبرق وكونها في حاجة ماسة الى عشرين بطارية مدفعية ثقيلة وعدت بها ولكن لم يصل منها شيء حتى هذا الحين، كما أبدى غاريبولدي جزعه وقلقه من تأخر وصول القوات والتموين الضروري في الوقت الملائم حيث الهجوم كان مقرراً منذ منتصف شهر آب وقد قال: « طالما تدخلت في الامر مع روما بالحاح متزايد كي يصار الى تأمين النجدات والتموين بصورة عاجلة مرضية. فاذا لم تتحقق المساندة الضرورية لاجراء التحضيرات في الوقت المناسب فانني سأتنازل عن القيادة بكل رغبة لأي رجل آخر ».

وكان يذهب ابعد من رومل في تقدير الوسائل اللازمة ويُظهر اكثر حرصاً من الجنرال الالماني الذي كان يعتبر بأن فرقة مدرعة المانية تعززها ثمانية أفواج مشاة وفرقتان ايطاليتان كافية لتنفيـذ الهجوم ، بينما كان الجنرال غاريبولدي يقدر وجوب الحصول على التفوق الكامل في المدفعية والسيطرة الجوية وخاصة في طائرات مساندة المشاة وطائرات الغطس (شتوكا) واضافة فرقتين آليتين ، وطالب بتدخل الاسطول الايطالي للرد على الاسطول الانكليزي في حالة ظهوره في حلبة الميدان .

وزاد ارتياب الجنرال الايطالي في امكانية تنـازل رومل عن اطلاق هجومه المعتمد على الجبهة الشرقية . ولم تكن تلك المقررات التي طـال بحثها سوى حلم جميل في ليلة من ليالي الصيف المقمرة على قول غاريبولدي الذي رُفع من قيادته مباغتة وعين مكانه قائد جديد .

كان الجنرال الجديد الذي اختير لهذا المنصب بستيكو « Bastico » احد المقربين لموسوليني وأحد القادة الذين اشتركوا في حرب اسبانيـا ومعارك جزيرة كريت . وكان يظهر عليها انه سيعطي القيادة الجديدة نشاطاً اوفى وهمة أوفر . فبدأ بتشكيل هيئة أركان حرب ايطالية لجبهة طبرق . وتلى ذلك تأليف جمهرة مدرعة تتشكل من الفيلق الافريقي الالماني السابق المشتمل على الفرقة الخامسة عشر المدرعة والفرقة الخامسة الخفيفة وفرقة افريقية والتي ضمت كافة الافواج الخاصة بالمواضع وحاميات الوحدات واضيف اليها ايضاً فيلق ايطالي تألف من فرقة سافونا « Savona » وفرقة مدرعة من جيش الاحتياط الذي لم يبدر عنه اية قيمة عملية مجـدية في منطقة المخيلي ، وفرقة بولونيا « Pologna » التي أرسلت سابقاً الى منطقة الغزالة والمظم . وبناء على اقتراح القيادة العليا في ليبيا تأجل هجوم طبرق الى أجل غير مسمى .

وكان الجنرال باستيكو يفكر كما يظهر بفصل جبهة السللوم عن منطقة

طبرق بوضع الاخيرة تحت قيادة ايطالية مستقلة . ولكن هذه الفكرة ظلت في حيز الفكر والحدس فقط لعدم صحتها كما ردها موسوليني بالذات باعتبار ان المنطقتين لا يمكن فصلها البتة بالنسبة لميدان العمليات الحربية ، وان طبرق لا يمكن مهاجمتها الا من قبل القوات الالمانية .

بيد أن المعارضة غير الملحوظة ظاهراً كانت تحمل في طياتها بذور الحوادث التعسة القادمة . كان رومل يعرف ماذا يتوجب عليه عمله . وأدرك انه لا يمكن الاعتماد على الحذر الدائب والسلامة المطلقة التي تحتاط لها القيادة في مثل هذا الوضع والتي كانت في حكم المستحيل تأمينها بصورة قطعية ، وإن ما يتوجب اجراؤه هو احتفاظ قوات المحور بالمبادهة الحربية دوماً ، وانه اذا ترك للعدو الحرية الكاملة والوقت الكافي لجلب قوات جديدة يعزز بها وضعيته بصورة متينة لتعذر على جيوش المحور التصدي لها والمقاومة لغارات جديدة كثيرة الاحتمال .

ولم تكن القيادة الالمانية العليا في برلين وحدها تطلب اجراء عمل حاسم ضد طبرق بل روما ايضاً كانت تلح باستعجال الاجراء . وأخيراً فقد تقرر وضع خطة الهجوم على طبرق وأوعز باستيكو بأن الموقعة الحاسمة يجب أن تبدأ في شهر تشرين الثاني مع الاحتياط التام بحل مسألة التموين وتأمين عمليات الشحن بصورة نهائية . ظل رومل مع ذلك قوام تحضير القتال . وكان يذهب في كل يوم امام طبرق ويتصل بفيلق نافاريني « Navarini » ليتفحص الاشغال المقررة ويفتش التحصينات المطلوب انشاءها واحدة واحدة ليتحقق من مدى سيرها وامكان اضافتها لسلسلة التحصينات المقررة .

وفي ١٤ ايلول نفذت حركة موضعية اعدت خصيصاً لتفهم مقصد ونيات العدو وقد تبين منها عدم استعداده للقيام بأية تحضيرات هجومية قادمة .

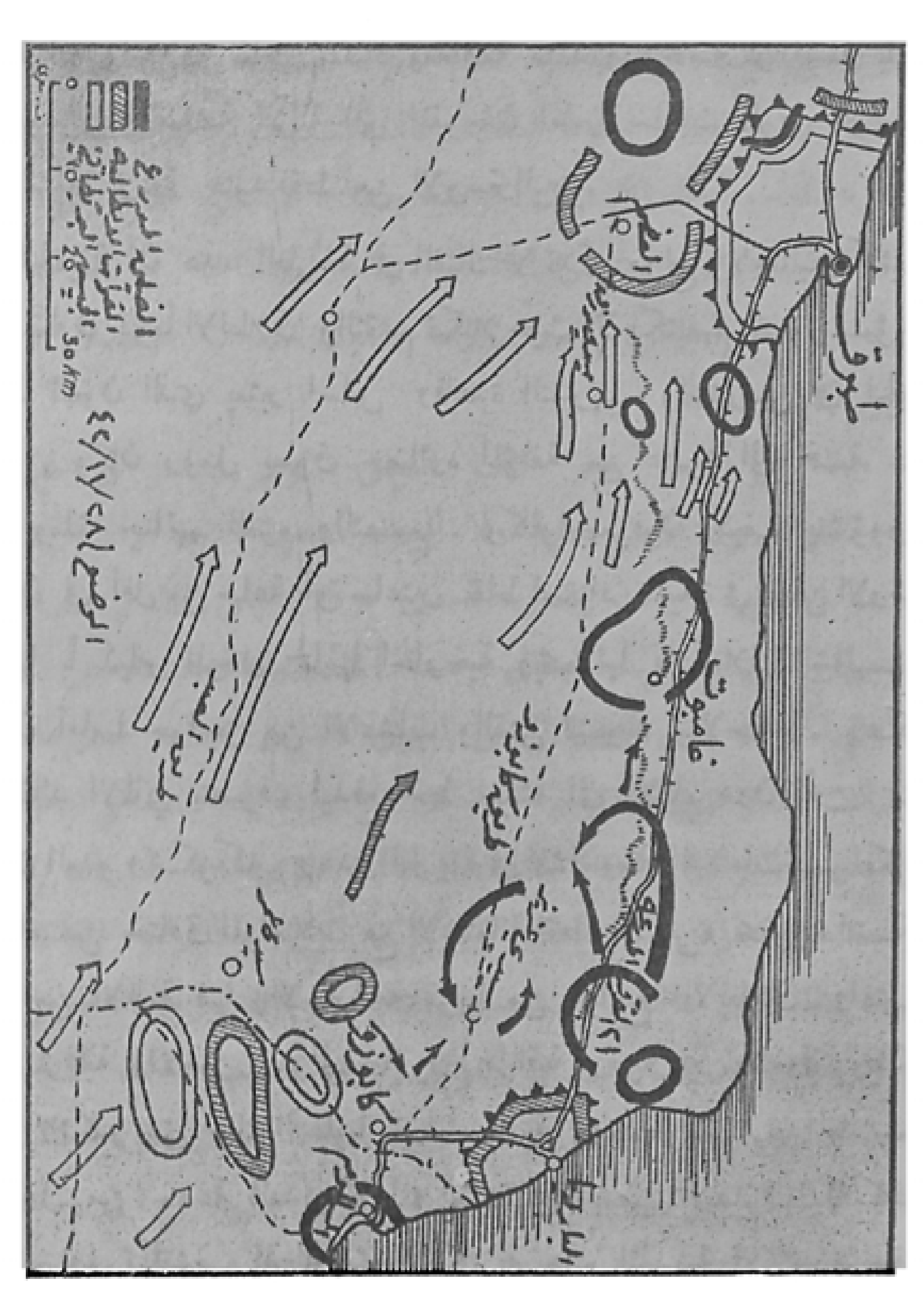
ولوحظ ان رومل انصرف عن اعتماد فكرة الاختراق الوصول الى الميناء من جهة رأس المدور وحصن بلاستريتو ، واقترح اجراء الهجوم

من الجبهة الجنوبية في المنطقة التي ظلت حتى هذا الحين اكثر هدوءاً من الجبهات الاخرى والاكتفاء باجراء التفاف فقط . وفي مطلع شهر تشرين الثاني كان عِلك حوالي مئتي مدفع ثقيل . وكان ثقل المعركة يترتب على الفرقة الالمانية الخامسة عشر المدرعة وعلى الفرقة الالمانية تساندها فرقتان ايطاليتان .

وباحتلال الميناء في اليوم الاول يصبح الساحل كله عندئذ في قبضة الالمان . وبحكم انقطاع المواصلات والتموين عن الدفاعات الانكليزية تضعف مقاومتها رويداً رويداً وتضطر الاستسلام . وان غارة مماثلة جديرة بالنجاح بالرغم من قوة التحصينات . ولم تكن الحامية من القوة لدرجة ان خطوط دفاعها في منجاة من نقاط ضعف قائمة في منظمة دفاعها العام . وكان يرمي رومل الى سوق الهجوم مباغتة في وحدة الحال والمجال . فقسم كبير من رأس المدور كان في أيدي الالمان . وما كان العدو ليظن بأن الهجوم سينطلق هذه المرة من الجنوب الغربي . فالتحصينات فقدت كثيراً من قيمتها بسبب انكشافها في هذه الفترة من الزمن وتعيين اماكنها ونقاطها الهامة بفضل المراقبة والاستطلاع وتحقيق التجاوب لشروط وجودها وأهميتها . ومنذ طلوع النهار كان الهواء يبدأ بالاشعاع مما يتعذر معه على المدفعية تمييز أهدافها بصورة واضحة ، كما ان المشاة ذاتها كان يصعب عليها اتخاذ الاتجاهات المقررة بين الدفاعات . وكان على الضباط استطلاع وتعيين اماكن القوات بدقة وعناية جلى كي تحتل القوات اماكن الانطلاق ليلاً وان يكون بداء الهجوم عند الفجر دون تحضير مدفعي سابق . ولتسهيل تنفيذ الحركة اقتضى تقديم خط الجبهة تباعاً الى الأمام للاقتراب من خطوط ومراكز العدو حسب توصيات واشارات الجنرال رومل .

ان استدراك طرق القتال الذي كانت تتبع في هذا المجال تبدت بوضوح ايضاً من قبل العدو الذي اعتمدها في قتاله . وفي أثناء الغارة على مرتفع

١٤٦ شوهد بعد احتلاله اربعة جنود اوستراليين بواسل فقط لم يتمكنوا في موضعهم من رد العدد الكبير من المهاجمين الذين استولوا عليه اخيرا الا بفضل حسن اختيار وتحصين الموقع المذكـور . وعند استسلامهم لم يجدوا فيه سوى قتيلين وجريحين . بيد ان الساحة المقـابلة لهذا الموضع



كان يتمدد فوقها تسعون قتيلاً وجريحاً من قوات المحور . وقد أثرت هذه الظاهرة في نفس روميل تأثيراً عميقاً وملأت نفسه إعجاباً وإجلالا بقوة هذا الدفاع المبين . واتخذه اساساً ثابتاً في انشاء وبناء المواضع الدفاعية مع الاشارة الى أن مرتفع ١٤٦ ليتعذر جداً سقوطه واحتلاله لو وجد على اطرافه واخلافه نقاط استناد ومقاومة متعددة وخاصة لو اشغل بقوة كافية وعزز بالاسلحة الآلية التي انفرجت امامها ساحات الرمي الواسعة ، لا كما شغله اربعة جنود فقط من الاوستراليين .

والحقيقة ان هذه الطريقة في القتال لا تلائم مزاج الايطاليين كثيراً . وهم يفضلون دوماً الانطلاق والتقدم تكتلا حيث لا يكتنفهم شعور مسؤولية الضابط العون الذي يعتبر اساس وقاعدة التدريب والتدريس في الجيش الالماني . وكان روميل يسوق حضائره المؤلفة من عشرة الى خمسة عشر جندي وملؤ جنانهم العزم والتصميم . وكانوا يعرفون كيف ينشؤون ويهيؤون في أقل من ساعة أو ساعتين نقاط استناد عديدة في باطن الارض، يدعمونها بأكياس الرمل لحمايتها الخارجية ويحمونها بالأسلاك الشائكة ويقيمون أمامها حواجز من الاعشاب والقش للتمويه والاخفاء . وهكذا كان القائد الالماني يتصرف ليدفع خط جبهته الى الامام دون أن يثير انتباهات العدو وشكوكه . وهذه الطريقة في انشاء وبناء الدفاعات تيسر امكانية الاستغناء عن خنادق المواصلات مع الاستعانة فقط بملاجىء محفورة لتتمكن القوات من الاقامة فيها والاستراحة قريباً من مواضع الانطلاق . وانشاء لحاجات المراقبة والامن حوالي ٦٠ برج مراقبة ارضية غير مشغولة وبالكاد ان لمحها الانكليز حتى صلتوا عليها نيراناً حامية مدة طويلة . هذا ما سعى اليه روميل من خدعة العدو كما انه ثبّت فيها بعض الاهداف الكاذبة المموهة . ولم تكتشف البطاريات الانكليزية هذه الخديعة الا بعد وقت طويل كون هذه الأهداف غير حقيقية ، فكفت عن رميها ولكنها لم

تخل فيما بعد واستمرت تقوم بمهمة المراقبة بصورة ممتازة بالرغم عن انها كلفت العدو خسائر جسيمة في الذخائر والمعدات واشغلتهم عن الاهتمام بأهداف أخرى اكثر أهمية .

بيد ان الصعوبات الاولى لم تتأخر عن اثبات عدم امكانية التغلب على طبرق ، واصبح من المؤكد عدم امكان احتلالها بدون سيطرة السلاح الجوي . ولكن القوة الجوية الحالية كانت تتناول أولا حماية قوافل التموين البحرية للوصول الى الارض الافريقية سالمة ، وبالتالي حماية القوافل البرية السائرة على طريق طرابلس ـ السلوم وأخيراً المساهمة في القتال وقصف طبرق . فهذه السيطرة كانت موزعة القوى متعددة الاهداف لم تستطع تحقيق كامل الغاية .

وبناء على أوامر هتلر كلف الفيلق الجوي العاشر في شهر ايلول بحماية القوافل وقد فرض عليه أولا ايصال المدفعية الثقيلة والذخائر والوقود وخاصة الجيوش . وكان ينقص احدى فرق الفيلق الالماني أربعة آلاف شخص وفيلق نفاريني الايطالي خمسة آلاف وثلاثمائة شخص لاتمام عدادهم . وقد ظهر ان الفيلق الجوي العاشر حسب تصريحات قائده الجنرال غايزلو Geisleu ان الوسائل الموجودة لديه لاتكفي لحماية اكثر من نصف القوافل لانه ما كان يملك آنئذ سوي ثلاثة أسراب كل سرب مؤلف من عشرة طائرات فقط . وكانت تعوزه الطائرات المقاتلة . اذن فالمهمة الملقاة على عاتقه كانت عسيرة التنفيذ . وكان سربان فقط من أسرابه في افريقيا فاشتركت فوراً في العمل ولكن السرب الثالث كان في حالة استبدال ولن يكون شاغراً قبل شهرين . اذاً فهذه القوة كانت غير كافية لاسكات جزيرة مالطا وتحقيق السيطرة الجوية في آن واحد . وقد افاد مقر قيادة الفوهرر بقرب ارسال قنابر من وزن طنين ونصف الطن توضع تحت تصرف طائرات الهجوم لقصف طبرق . ان هذه الوعود

لم تنفذ ولا يمكن أن تنفذ لان الفوج الجوي ما كان يملك طائرات باستطاعتها رمي هذه القنابر الضخمة .

وكان الاهمال المؤسف الذي تناول تشكيلات مقاتلات السلاح الجوي الالماني ظاهرا يبدو ويزداد يوما بعد يوم . وكان من جراء هذه الاهمال وقوع القيادة في اخطاء لاذاتية كما كان يحول دون قيامها بواجباتها الضرورية لمصلحة القتال . وكان من العجز بل من المستحيل والحالة هذه تحقيق السيطرة الجوية . فكيف العمل لو توجب اجراء موقعة مزدوجة أي مهاجمة طبرق ورد هجوم العدو على جبهة الشرق في محاولة انقاذ طبرق ؟ ان وضع قوات المحور والوسائل الموضوعة تحت تصرفها لاتقرها اى ادارة عالية ولا تقبل بها قيادة عليا تعرف وتقدر الامور وتحسب بالارقام . وقد حفرت حفرة هائلة غير قابلة الاجتياز بين القيادة والمنفذين. فهتلر يقرر مساعدة الفيلق الافريقي ومساندته جواً بينما آمر الطيران الالماني في افريقيا الشمالية يعترف بأن كل الوسائل والقوات التي لديه تشغلها حماية القوافل فقط . وقد طغت كثرة المهات على هـذا السلاح حتى انه لم يتمكن من منع وصول سفن العدو الى ميناء طبرق بصورة حاسمة مع العلم بان الطيارات النفاثة كانت جاهزة للصنع منذ عام ١٩٤١ ولكنها لم تبن بعداد كافية نهائياً الا في عام ١٩٤٣ ولو انها نزلت الى الميدان في حينها لكانت مباغتة هائلة لسلاح العدو الجوي . وبالفعل فقد كان الطيران الالماني يقذف كل يوم قنابره على القلعة المحصنة ولكنه لم يتمكن مطلقا من منع وصول التموين والنجدات ، كما عمل العدو على تنظيم مسألة التجريم والشحن البحري تنظيما فائقا . وكانت سفن التجريم الصغيرة تظهر ليلا في الاوقات التي لايمكن فيها للطائرات الالمانية اعتلاء الجو ، وقد نقصت طائرات نقل الجيوش الى درجة مريعة امتنع معها امكان نقل القوات الضرورية التى كان يطلبها قائد الفرقة المدرعة . وكانت القناصات

الليلية مفقودة بالكلية وكافة المواد الضرورية غير موجودة .

وتحت هذه الشروط غير المؤاتية كان يزداد اغراق السفن الناقلة بصورة مستمرة . ففي شهر تشرين أول تلقى الفيلق الافريقي عبر البحر ١٥٨٨٤ طناً من التموين و ٥٥ مدفعاً و ٩٤٢ سيارة ولكن فقد منها ٧٥٣٦ طنا و ١٨ مدفعا و ٥٠٣ سيارات أرسلت إلى قاع البحر . وبالنسبة الى مشحونات شهر ايلول ، قدرت الخسائر بـ ٥٠ ٪ في التموين ٥٠ ٪ بالمدافع و ٧٥ ٪ في السيارات ولم يصل من العتاد سوى ٢٦٤٠ جندي بطريق الجو و ٥١٨٠ عن طريق البحر . اذاً فلم يكن بالامكان تعويض النقص في عداد الجنود والنقباء الذي بلغ في شهر آب ١٥٩٥٨ شخصا وكان ينقص المشاة ٧٦٧٠ جنديا وبطاريات المدفعية ٢٣٠٥ ، والوحدات المدرعة ٩١١ رجلا . وكانت الوضعية جد مزعجة وكان موعد مهاجمة طبرق قد حدد بصورة نهائية وكان بالفعل موضوع اتفاق تام بين هتلر وموسوليني . فهل تنفذ شروط هذا الاتفاق بالضبط ياترى ؟؟

وقد تقرر انجاز هذا الوعد في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني على آخر تقدير بعد أن تأجل أكثر من مرة . وقد أبدى الجنرال غامبارا Gambara الذي كان يقود الفيلق الاحتياطي المرابط في ميكاللي بعد الاعتراضات الجديدة على لسان الجنرال بستيكو قائلا : « ان موعد تنفيذ الهجوم يتوقف على امكانيات النقل . وهذه الامكانيات مع الاسف لايمكن ان تتم حسب الرغبة والقرار . لقد غرق حديثاً كثيراً من السفن المشحونة واصبنا بخسائر فادحة واستطرد بضحكة هادئة قائلا : لقد وعدنا الالمان بتأمين حماية القوافل بواسطة سلاحهم الجوي في سيسليا ولكنهم لم يوفقوا . ولذا فان فرقتي ترانتو Tarento وتريستا Trieste لم تستكمل عدادها حتى الآن . ونتج عن ذلك ان الفيلق الايطالي الآلي لن يكون مهيئاً في الوقت المحدد المضروب » .

— فأجاب رومل فورا « ان دافع البقاء يضرنا ويقتضي المهاجمة حتى بعداد منقوصة . وكلما طال الوقت تأزمت الوضعية الراهنة بالنسبة الينا وتحسنت لصالح العدو . ان لدينا فرقتين المانيتين جاهزتين مع مدفعيتها ، وقد آن الوقت لوضع حد لهذا التردد والتباطيء . وأفاض قائلا انه يتنازل عن المدفعية الايطالية الثقيلة ويكفيه الاستعانة بفرقتي ترانتوا وتريستا في حالتها الحاضرة التي يعتبرها كافيتين للمهمة المقررة .

— واذا كانت الخسائر جسيمة سأل غامبارا !

— ان هذا الاعتبار غير وارد مسبقاً . والمهم احتلال طبرق بغارة طارئة . فالعملية ان تتجاوز ثلاثة أيام على حد أقصى . فاذا تمكنا من الوصول الى الميناء في مساء اليوم الاول كما هو منتظر لن يبقى امامنا إلا عمليات التنظيف فقط وعندها ينقطع احتمال وقوع تفاعيل معادية على جبهة السللوم حسب المعلومات الواردة . ولو فرضنا جدلا هذا الاحتمال فان الانكليز ليحتاجون الى ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل ليتمكنوا من تركيز قواتهم وسوقها للحركات القادمة . اذاً فان احتلال طبرق وانهاء تصفية حسابها ليتم عاجلا في بون هذه الفترة .

بيد ان غنبارا اجاب كلا ! وليس في الامكان كما اعتبر اطلاق ترانتو وتريستا بعدادهما الحالي للهجوم .

— ولكن موسوليني سبق ان أوعز بارسال خمسمائة جندي كل يوم عن طريق الجو فان النقص والحالة هذه سيؤمن في وقت قصير أجاب رومل . عندها هز الجنرال غامبارا كتفيه قائلا :

— ان الامر لعسير ومستحيل التنفيذ . ولكن يجب مراعات الموعد المحدد اعاد رومل القول . والا فالعدو سيكون لديه الوقت الكافي لسوق عدد كبير من الفرق لاتقل هذه المرة عن خمسة عشر فرقة إلى مصر في هذا الشتاء . ولن يكون في استطاعتنا عندئذ ان نحتفظ بمواضعنا .



الماريشال روومل مع ضباط اركانه يدرسون الوضعية الحربية على الخارطة

أما إذا تمكنا من احتلال طبرق بغارة فجائية عاجلة لن يبقى للعدو أي مبرر أو غاية للقيام بهجوم جديد لازالة جبهة السللوم. وكان من المستحيل تغيير رأي غانبارا وتحويله عن تصلبه المطلق.

حقا اننا تلقينا أمراً بمهاجمة طبرق اشار غانبارا ولكن هذا الامر لايمكن ان ينفذ الا بعد وصول فرقة ليتوريا Littoria والعتاد اللازم لفرقتي ترانتوا وتريستا.

ولاجابة طلب غانبارا هذا كان يقتضي الانتظار بعد ثلاثة اشهر. والانتظار طويلا معناه التنازل نهائياً عن المبادهة وافساح المجال للعدو للقيام بهجومه المنتظر بقوة لاتقل هذه المرة عن ١٥٠٠ مدرعة. وكان من الحتم ازالة الحاجز القائم الذي يؤلف طبرق المحصنة. فيصبح عندئذ في مقدور الفيلق المدرع صد الهجوم الانكليزي. وكان رومل يعتقد انه في امكانه تحقيق هذه الغاية. واقترح كحل أخير أعطائه فرقة ترانتو وحدها واعدادها للعملية المهيئة ضد طبرق. وهنا رضي غامبارا وتنازل عن الفرقة المطلوبة مما ساعد رومل على رفع فرقة من فرقه واستبدالها بفيلق غامبارا المدرع وجعله احتياطاً استعداداً لهجوم تشرين الثاني. وكان يترتب على قوات غانبارا القيام بحركة التفاف فقط في منطقة السللوم، مع وضع الاحتياط بكامله جنوب طبرق. انصاع غانبارا لهذه الترتيبات ووضع فرقة ترانتو تحت تصرف رومل ووعد بأن يسوق قواته الباقية من الجبلي الى منطقة بئر حكيم.

ومنذ الليلة القادمة اطلقت عملية « ميكاييل » Mikael مباغتة تحت حماية المدرعات. وفي حركة عاجلة امكن دفع خطوط الجبهة بكاملها باتجاه طبرق. ولم يبد العدو ازاء هذه المحاولة سوى مقاومة جزئية. وقد رد هجوم معاكس دون خسارة تذكر. واثناء الليل قامت القوات بتمويه واخفاء المواقع الجديدة بصورة متقنة وبشتى الوسائل. ولم يلاحظ العدو

ادنى تغيير في الخطوط الالمانية الجديدة وقد تم الوضع وتوطد بعيداً عن الطريق وتحقق الشرط الاساسي الاول للهجوم على طبرق . احيط الجنرال كروفل Krowei قائد الفيلق الالماني الافريقي والجنرال نافاريني Navarini آمر الفيلق الايطالي الحادي عشر علماً بالخطة الموضوعة لمهاجمة طبرق .

وارسل كل ما امكن رفعه عن جبهة الحصار الى الوراء لتلقي التدريب الخاص بالغارة المقررة . . ووضعت النقاط على الحروف فيما يتعلق بالتعاون والتساند الناري بين المدفعية والمشاة المرافقة تحاشيا للاخطاء التي سبقت من نقصان المدفعية المذكورة ومساندتها مما سبب اخفاق هجوم عيد الفصح السابق بالرغم من النجاح البدائي الذي احرزته الغارات المشار اليها حيث كان يتوجب على هذه المدفعية ان تطلق نيرانها المباشرة على مدى الرؤية. وقد أشار غانبارا الى امكانية انزال فوج في اقفية الانكليز قريباً جدا من طبرق اثناء انطلاق الهجوم . وفي منتصف شهر تشرين الثاني بلغت عدد المدافع المركزة امام طبرق ٤٦١ مدفعا منها ٤٨ مدفع خفيف و ٨٩ مدفع ثقيل للالمان و ١٥٦ مدفع خفيف و ١٦٨ ثقيل للايطاليين . وأعدت البطاريات الايطالية لاجراء القصف على الجانب الايمن ، والبطاريات الالمانية للعمل على الجانب الايسر . وبهذه القوة أصبح في الامكان تحطيم الدفاعات القائمة عرض الطريق منذ الليلة الاولى ، وعلى هذا الوجه تعزل قوات نافاريني المنطقة اليمنى وتنطلق حتى الساحل بينما يشل كرويل Krowel الجناح الايسر . ثم يتلاقى الفيلقان على السهل الساحلي ويتقدما سوياً على طبرق . ولكن الغيوم المظلمة في هذه الايام من شهر تشرين الثاني كانت تغمر سماء الصحراء تسوقها الرياح الجليدية ، والامطار تهطل قراباً ، وزوابع الرمل تتحرك لتحجب السماء من أجل غاية خفية . ولم يكن في الحسبان ان القتال من أجل افريقيا الشمالية سيصل قريباً إلى زروته العليا في اعنف مواقع عرفتها الحرب العالمية الثانية حيث في اللحظة

التي يقرر فيها روميل الموعد المضروب للهجوم على طبرق ، كان العدو يطلق هجوماً واسعاً على طول الجبهة المصرية . وقد وقع ما تنبأ به الجنرال الالماني واستدركه وكان يظن انه يسبق العدو في تدبيره وانهاء احتلال طبرق قبل أن يتهيء لهجوم جديد ولكنه سُبق روميل بالمبادئة بقوات هائله عديدة .

ان غاية الهجوم (اعلن تشرشل في مجلس العموم هو تدمير قوات العدو المسلحة وبصورة خاصة قواته المدرعة) وقد أصدر الجنرال اوكنليك Aukenlick القائد العام الجديد للشرق الاوسط أمراً يومياً الى قواته أمسية المعركة بتاريخ ١٧ تشرين الثاني هذا نصه :

« اذفت الساعة لنضرب ضربتنا الجبارة من أجل الوطن والحرية ومن أجل الحصول على النصر النهائي . ان جيش الصحراء ليستطيع أن يسجل في كتاب التاريخ صفحة مظفرة لن يستبدلها بانتصارات بلنهايم Blenheim واوترلو Waterloo » .

وكان أن لاحظ روميل في هذه الفترات ازدياد واشتداد القصوف الجوية الانكليزية على قواعد تموين قوات المحور . احس باحتمال اقتراب هجوم العدو وقد بوغت في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني عندما أخبر بارتفاع العجاج وسحب الغبار الهائـلة الثائرة السائرة القادمة من الشرق والمنذرة باقتراب جيش عظيم عبر الصحراء الشرقية .

الفَصلُ الرابعُ

ازفت الساعة

Die Stunde Hat Geschlagen

استفاد رومل من الفترة التي اعقبت موقعة المدرعات في السللوم ليضع بعناية خطة الهجوم على طبرق بالرغم من كل الموانع التي صادفها ولكن العدو مع ذلك لم يظل بدون نشاط . وترك الجنرال ويفل الذي خانه الحظ في الظفر القيادة الى الجنرال اوكنليك . وتألف الجيش الثامن من جديد بقيادة الجنرال آلان كونينغهام « Allan Cuningham » تحت امرته . وأخذت انكلترة ترسل الباخرة تلو الباخرة عن طريق الكاب ورأس الرجاء الصالح « Cape Bonne Espèance » حاملة الى ارض النيل الجيوش والمدرعات والمدافع والوقود وتجهيزات الشتاء وقطع الغيار والتبديل وكانت الفرق والاسلحة والمعدات الجديدة تفرغ كالفيض المستمر وتساق الى الصحراء الغربية . وكان النشاط يغمر المقر العام في القاهرة .واستعادت النفوس الثقة المفقودة كما أشارت الصحافة البريطانية بصورة ظاهرة . وليس لنا ان نعجب اذ تنبه رومل الى ان العدو كان يتحضر بشكل منقطع النظير في المعسكر المقابل ويجمع القوات الهائلة ليضرب بها رومل الضربة الاخيرة . واعد الانكليز عمارة جبارة قوامها ما يزيد على الف مدرعة تنتظر اليوم المعين وتتقدم سيارات القتال بصريرها وجريرها المفزع .

وحشدوا ما يزيد على الف طائرة ايضاً تنطلق في أجواء برقه لتفرق عبر الاجواء والاهوية القبضة المتواضعة من الطيارين الالمان .

تحقق رومل عندها بأنه لم يعد لديه ساعة واحدة للاضاعة . واستوجب عليه أن ينهي حصار طبرق قبل أن تتحرك قوات اوكنليك ، بيد ان حشد كامل القوات التي لديه على الجبهة الشرقية بعث في نفسه شيئاً من الامل في النجاح بمجابهة الجيش الثامن . وكان رومل ينتظر بفارغ الصبر اسبوعاً بعد آخر تنفيذ وعود برلين وروما . وكان عليه ان يجاهد بقوة من أجل كل طن من التموين القادم . لقد دحر المرة الاولى لا في ساحات الموقعة او أمام فرق كونينغهام ولكنه قهر تباعاً وهو يناضل ضد الوقت والوعود . أجل انه دحر بفعل السيادة العسكرية العليا الالمانية في برلين وقوى المقاومة المتيدة السرية وليدة الكسل والعجز عن التحرر من نظام الروتين في الدوائر العليا وعدم الكفاءات المهنية لسد الهوة الفاصلة بين الامر وبين التنفيذ . وكانت المؤن والذخائر تصل الى الجبهة من شريان ضعيف وليس كالموج الذاخر والفيض الهاطل كما تقتضيه الحالة والعوز . وازداد قلق الايطاليين وطغى وتوسعت احتياطاتهم المتولدة عن الجزع والخوف من حركة واسعة قدروا انهم لا يستطيعون مجابهتها .

وكانت الدوائر الالمانية والايطالية لا تعرف الشيء الكثير عن الجنرال كونينغهام ، ولا عن القائد الجديد للشرق الاوسط .

لقد كانا جنديان محترفان . وكان من الخطأ اساءة تقدير قدرتهما الحربية . وكانت التجارب المتعاقبة افهمت الفيلق الافريقي بأن الاعداء قدوا من نسيج خشن وان جيوش الامبراطورية البريطانية تتميز في جموعها بقوة المقاومة والصلابة وليدة الخلق الانكليزي العتيد المشهور بالعناد الموروث. وكانت القوات الانكليزية المحاصرة في طبرق تحت قيادة الجنرال «مورهيد G, Morheid » ، تقدم في كل يوم البرهان الثابت على هذه الصفات

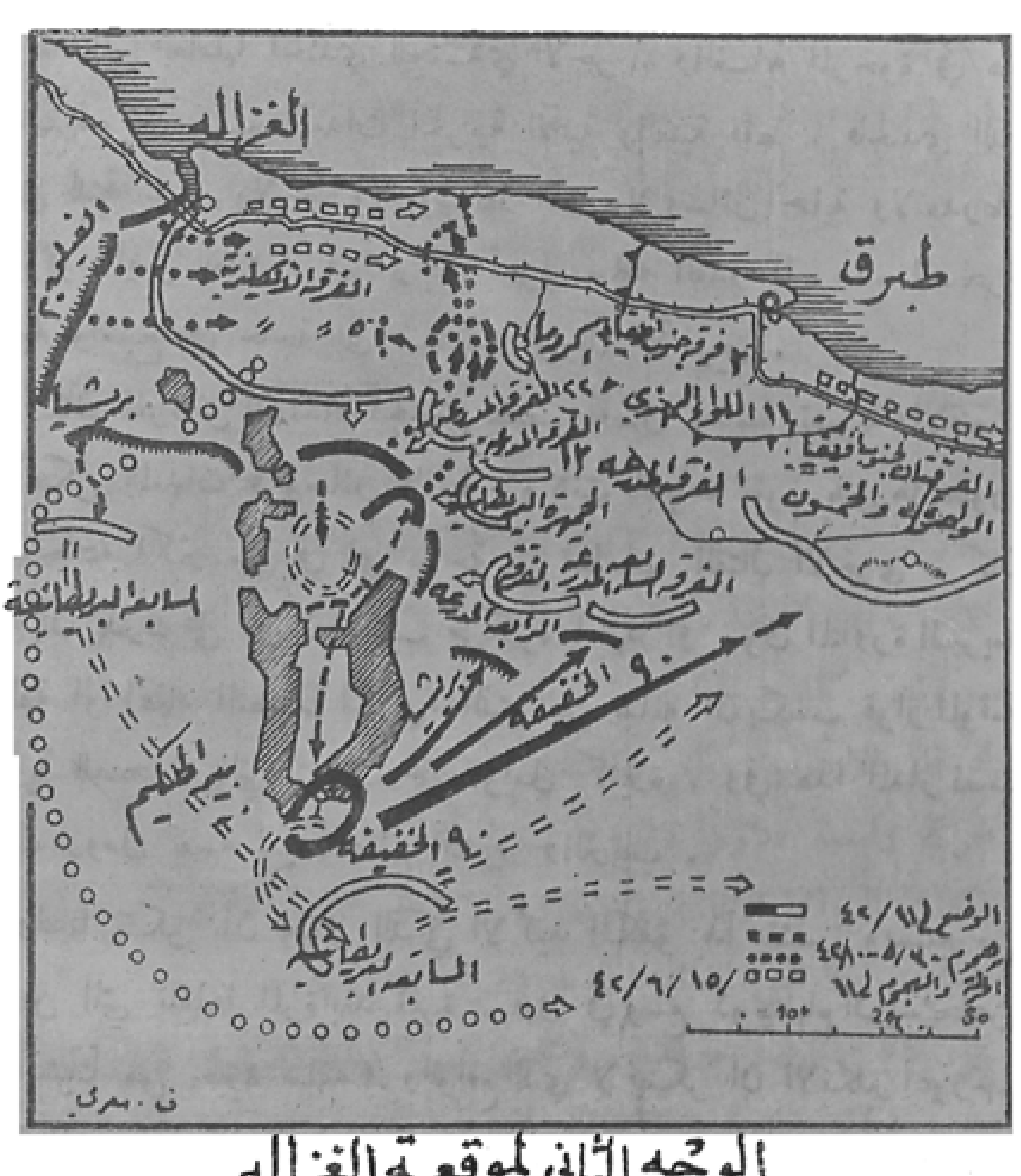
وقد اثبتت موقعة السلوم بأن هؤلاء الجنود لا يرهبون الموت ولا يخشون الشيطان . وكان الشيء الوحيد الأكيد في هذه الحرب التي لم تهدف الى قتل الرجال ، الغاية التي لم يألفها الصديق ولا العدو ولا يقيمون لها وزناً. وكان الأسرى والجرحى يعاملون في كل من المعسكرين نفس المعاملة الشريفة التي يعاملها الجندي للجندي الآخر . والغاية المرجوة في هذا النضال هو تدمير المعدات الحربية الآلية والفنية فقط . فالجندي الذي لم يبق لديه غذاء ولا ماء ولا وسائط نقل ولا وسائل حماية ولا مدرعات ولا وقود ليس بعدو . فهو رجل أعزل سلمه القدر الى هذه الصحراء الغريبة واصبح في حاجة الى مساعدة الرجال الآخرين .

وكان المفروض ان تساق الجيوش بمقتضى أفضل وضعية تعبوية والاقتصاد مهما أمكن بالمعدات والوسائل الفنية . وكانت القيادة تقوم بدورها بصورة متقنة حاسمة أكثر منها في اي ساحة من ساحات القتال الاخرى . كان عليها أن تدرك على أي نقطة يجب مركزة الجهد او سوق المناورة السريعة الخاطفة او اعتماد التصميم الجريء الذي من شأنه ان يكسب قرار الموقعة البحرية للصحراء التي تتوقف على عوامل كثيرة . وفي هذا المدار نصب الجنرال روميل نفسه سيداً عظيم التدبير والترتيب .

ولسنا ننكر بأن ويفل الذكي الاكيد الكفؤ بدأ يقتبس ويستنير من الدروس التي تلقاها المرة بعد المرة . فهل في وسع كونينغهام ان يستخلص لنفسه شيئاً من خبرة سلفه ؟. والواقع الذي لا ينكر ان الانكليز اعوزتهم المرونة التعبوية . كانوا لا يحورون بمحض اختيارهم خططهم عندما تدور الحوادث على عكس الاستدراكات التي اتخذوها سابقاً . وكانوا لا يعرفون فن قيادة الوحدات الكبرى المدرعة . وكانت طرقهم في القتال غير مضبوطة ولا ماهرة . ولذا كانت الهجمات الالمانية المعاكسة تنجح في غالب الاحيان .

والحقيقة ان طريقة قيادة رومل الفذة وأسبسه التعبوية الصحيحة لم

لم تنج من النقد . والمعروف بأن مكان القائد في القتـال ليس في نقطة من نقاط الجيش الموزعة ، وليس له ان ينساق انسياق الفارس الجامح . ان مكانه في المحل الذي يعقد فيه خيط الفاجعة وحيث يتمكن من الاستطلاع



الوجه الثاني لموقعة الغزالة

التام ، واعني في مقر قيادته حيث تقوم هيئة اركان حربه ، ولكن ماذا يعرف هؤلاء العلماء العسكريون عن الحرب الافريقيه بالرغم من دراساتهم العسكرية الواسعة التي تلقوها وتلقنوها في معاهد الحرب الاوروبية ؟؟

أين تعقد هذه الخيوط ؟ وأين توطد الارتباطات وأجهزة الاستعلامات العاملة بدون توقف ؟ فالأعصاب الحيوية تسمح بقيادة الأمور من الاعلى. فأمير البحر (الاميرال) الذي يستطيع ان يوجه الموقعة البحرية من المرفأ لم يلد بعد ، أوانه ما زال قيد الايجاد . وقد تبين بالبرهان الذي تحقق يوماً بعد يوم ، ان الالمان لم يكتسبوا تفوقهم إلا بطريقتهم الخاصة في القيادة ، لان هذا التفوق لا يتمركز في كثرة العداد وفي غزارة المعدات .

لم يكن روميل طيلة هذه الحرب ليستحوذ على اكثر من أربع فرق المانية يقودها غالباً بذاته . وكان اوكنيليك يتخذ مقرراته وهو في القاهرة وكونينغهام يعطي أوامره من مقر القيادة ، بينما كان روميل يعمل في الجبهة مباشرة ويتخذ قراراته وينفذها عاجلا قبل ان يأخذ الانكليز اية فكرة واضحة عن الوضعية القائمة .

دفع كونينغهام فيالقه في منطقة جغبوب وسيوا ، ووزع في الصحراء قواته البالغة ٧٥٠٠٠٠ جندياً مع المصالح الخلفية الملحقة بها والتي تغيبت في عرض الصحراء الواسعة دون ان تختفي عن انظار قوات المحور. وكان عداد الخطوط الامامية حوالي ١٠٠٠٠٠ الف جندي بما فيها عداد قوات سلاح الطيران والبحرية . وفيما يلي تشكيلات الجيش الانكليزي :

الفيلق الثالث عشر : تحت قيادة الجنرال غودوين اوستن « G. Godwin Austin » ويشتمل على :

— الفرقة النيوزيلاندية
— الفرقة الهندية
— اللواء المدرع .

الفيلق الثلاثون : تحت امرة الجنرال نورية « G. Norrié » ويضم :

— الفرقة المدرعة السابعة

- اللواء الرابع المدرع
- اللواء الثاني والعشرين الآلي للحرس
- الفرقة الاولى لجنوب افريقيا
- الفرقة الثانية الاحتياطية لجنوب افريقيا
- يضاف الى هذه القوات فوج صحراوي لمهاجمة اتجاه جيالو .

وحاميه طبرق المشتملة على :

- الفرقة السبعون
- اللواء المدرع الثاني والثلاثين
- لواء المشاة البولوني .

وضع كونينغهام في الخط الاول ٤٥٥ مدرعة مجهزة بمدافع من قياس ٢٥ مم والتي كانت أقصر مرمى من مدافع مدرعات الفيلق الالماني .

وظن رومل انه سيواجه في هذه المرة ما لا يقل عن خمسة عشر فرقة ولكن هذا الظن تعدل في الواقع الى درجة ما . بيد ان قوات الجيش الثامن كانت تفوق قواته تفوقاً هائلا في العدد والعدة .

وكان الفيلق الافريقي لا يملك سوى ٢٤٩ مدرعة ويشتمل على :

- الفرقة المدرعة الخامسة عشر
- الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين وهي الفرقة الخامسة الخفيفة التي تحولت اخيراً الى فرقة مدرعة .
- الفرقة التسعون الخفيفة وهي الفرقة الافريقية السابقة .

بيد أن حالة هذه الفرق تحسنت نوعاً ما بعد فترة راحة قصيرة بالرغم من انها كانت باستمرار في حالة تماس مع العدو منذ شهر آذار أي منذ نزولها الى افريقيا . وقد ذاقت أنواع العذاب والامتحانات القاسية من جراء صيف قاتل ، إذ كانت تعيش على المعلبات والمحفوظات وتعمل على إصلاح وترميم عجلاتها بمختلف الوسائل والقطع البسيطة ، وعانت الجوع

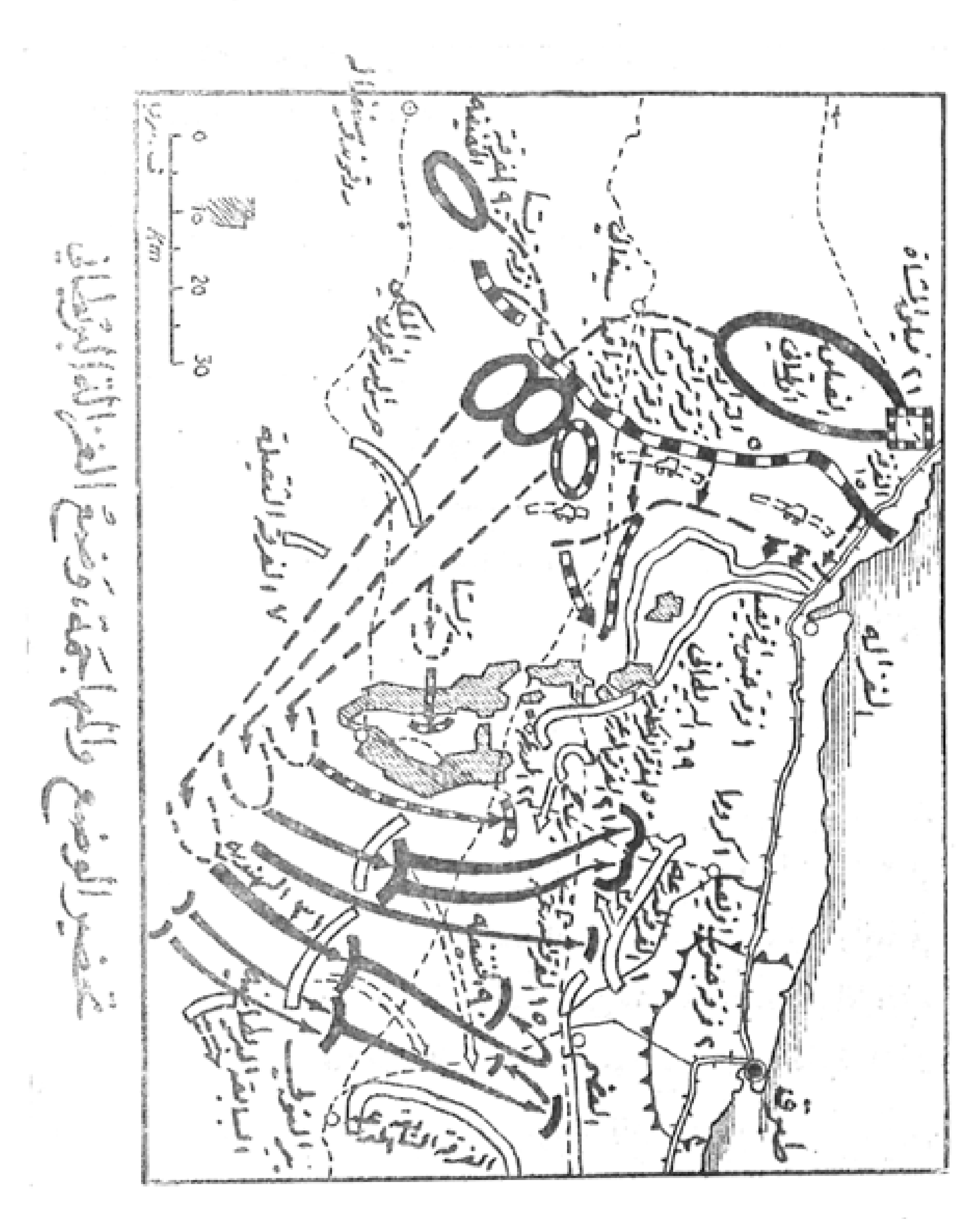
والعطش ، وتحملت مختلف الامراض الطارئة . وكانت تعبة منهوكة ولكنها كانت تشبه خيول فرسان الجيش التى تهتاج وتتراقص حال سماعها ايقاع أنغام أبواق الجند تدعوها للانطلاق الى الموقعة .

ولم تكن هذه الفرقة آلية إلا جزئياً . واذا كان بعض هذه الفرق آلياً فان نصف السيارات تكون على الأقل غير شاغرة او معطلة والنصف الآخر لا يسير الا بمعونة القادر .

واذا اخذنا بعين الاعتبار الفرق الايطالية ، فالفيلق المدرع بما فيه احتياط الجيش الموضوع تحت امرة غامبارا كان يعادل في عداده قوات كونينغهام القائمة في الخط الاول . فقيادة العدو تعرف جيداً كالقيادة الالمانية بأن القوى لا تقاس ولا توزن بعداد الجنود فقط ، بل ترتبط بعوامل شتى اخرى تدخل قائمة الحساب والقيد . فالوحدات الايطالية تؤلف عنصراً غامضاً ولا يمكن استعمالها والاعتماد عليها كلياً في مجال الحركات والعمليات الحربية المتيدة .

وكان الجندي الالماني يعرف ذلك جيدا ولكن لم يكن محقاً دوما في حكمه القاسي على حليف يلقي عليه دوماً اثقل الاعمال بدون حياء أو خجل وهو يتمتع بكل الصفات ما عدا صفات جندي من جنود رماة بوميرانيا « Boméranien » (مقاطعة ألمانية في شمال شرقي ألمانيا) او نقيب من نقباء مقاطعة شفابن « Schwaben » (منطقة ألمانية واقعة في جنوب غربي بافاريا) . وقد لاحظ الانكليز من مشاهدة الدفاعات الايطالية انها كانت اقرب الى مواقع اصطياف منها الى مواضع معدة لمجابهة القتال والقنابل الانكليزية . وكانوا يشاهدون عربات تقل ايطالية تقل صناديق اوعية الفخار (بروسلين) ومفروشات لمطاعم الضباط والنقباء بدلا من الماء والذخائر والمعدات اللازمة لهذه الدفاعات والحصون . وصادفوا كثيراً من الخنادق والاستحكامات على السفوح المقابلة لساحات الرمي من أسخف

ما عرف نظام انشاء الاستحكامات . وكانت تشاهدها قوات احتياط العدو المرابط في الخطوط التالية للخط الاول دون ملاجئ للسرايا والتي غالباً ما كانت تقاتل وحدها بدون ضباط وكانت بطاريات الدفاع الجوي الايطالية



كثيراً ما تبدأ اطلاق نيرانها بعدما تلقى آخر قنبرة طائرة على الخطوط الدفاعية الايطالية . وكان الايطالي يهز رأسه عندما كان جنود الانكليز

يحدثونه بصورة ودية حبية عن عدد الوجبات الثلاثة التي يتلقونها يومياً في جيشهم بينما افراد الجيش الالماني لا يصيبهم سوى وقعة واحدة طيلة اليوم .

والحقيقة فالجندي الايطالي لم يكن بالجيد ولا بالسيء . فهو ينتسب الى شعب مسالم هادىء لم تبق له اية صلة بروحية ونفسية جوقات الرومان القديمة . ولم يعرف الراحة مطلقاً منذ قيام الحرب الايطالية التركية ، وها هو يجد نفسه من جديد ازاء صراع عنيف لا أهلية له لمجابهته ومواجهته .

وكان يعوزه كل شيء كي يتجاوب مع هذه الاحوال القاسية . ولنبدأ بالسلاح الى أن ننتهي باللوازم المستوجبة . كان ينقصه التدريب والتمرين . واذا كانت هيئة الضباط لا تنقصها الارادة الطيبة فانه ينقصها كلياً القدرة على اتخاذ القرارات الذاتية ، وهي نفسها مشلولة بسبب نقص الثقة بالنفس والاعتماد على الكفائة الشخصية . وبينما يستطيع الفرد أن يتصرف والرئيس العون ان يتدبر استناداً الى الاسس التي هي قيد الاعتبار ، نرى ان الايطالي لا يستطيع العمل الا مع الكتل متتبعاً الفطرة العمياء . وان مجمل هذه هذة الاخطاء كلها لا تقع على الجندي وحده ولكن على نظام يعتبر نوعاً ما مسؤول لاعتبار قواته اكثر مما هي عليه في الواقع والتي هي اكثر أهلية لمناوشات المستعمرات والقوات الوطنية منها لمجابهة عمليات الحرب الحديثة الضارية .

وكم من الأمثلة الرائعة الحربية والاعمال الفائقة العيانية التي تعاقبت في هذا الميدان امام بصر الايطاليين وسمعهم تخللتها عوامل الشجاعة والاقدام والبطولة من جانب العسكرين المتحاربين فيها استخفاف بالخطر واحتقار الموت والتي من شأنها ان تجعل من أفراد ووحدات الفرق الايطالية مثيلات الفرق الالمانية . وفي الواقع الثابت كان الفيلق الالماني الافريقي وحده الذي يشكل فقط سلاحاً فعالاً حاسماً في أيدي القيادة العامة ،

وكانت القوات الايطالية في واقعها وحالتها عبئاً ثقيلا على الفيلق الالماني الافريقي وعدداً منقوصاً لا يمكن أخذه بعين الاعتبار التام . وكم مرة كانت هذه الفرق سبباً في تأزم خطورة الأوضاع الجارية . وليس من الممكن ادراك هذه الامور اذا لم تعرف تماماً عوامل النقص العديدة الكامنة في القوات الايطالية .

استدرك الجنرال اوكنايك مباشرة هجومه بضربة جريئة على جانب كبير من المغامرة فعين جمهرة من قوات الصحراء Long Renge De-sert Group » - مهمتها اقتناص روميل من مقره العام . نفذت هذه المحاولة الفاشلة في ليل ١٧ و ١٨ تشرين ثاني ، وبدلا من مهاجمة قيادة روميل هاجمت خيمة مقر قيادة القائد العام في بيضا ليتوريا « Beda Littoria » وقتلت ضابطين وجنديين المانيين .

افتتح الطيران البريطاني الموقعة في صبيحة اليوم الثامن عشر . وكانت الاسراب تهدر فوق خطوط السلوم دون انقطاع ، بينما كانت الاسراب الاخرى تغرق الباردیا وغامبوت ومنطقة العظم بأمواج الرمال والأحجار والفولاذ الذائب المتلاطمة . واستحوذت على السيطرة الجوية الكاملة . وكانت تحت قيادة الجنرال كونينغهام والثالث منهم هو قائد الاسطول البريطاني . وكان عنده من الطائرات المقاتلة ضعفين ومن القاصفات وطائرات الاستطلاع والاستكشاف ضعف ونصف الطائرات الألمانية .

اجتازت طلائع الفرق المدرعة الانكليزية اسلاك الحدود الشائكة في جنوب سيدي عمر . ولدى وصولها القطار الليبي رسمت دائرة واسعة للاتجاه صوب طبرق وقطع قوات المحور المرابطة في القسم الشرقي من ساحة القتال . وكانت الفرق الآلية تتبع الفرق المدرعة وهي مؤلفة من الانكليز وجنود جنوب افريقيا والنيوزيلانديين والهنود والاوستراليين وكانت مهمتهم خرق جبهة سيدي عمر وفتح مضيق حلفايا والطريق الساحلية الهامة

وتنظيف الارض المتوسطة والوصول الى الطريق الساحلية شرق طبرق . وهذه العمليات في مجملها منبثقة عن خطة ويفل أو بالاحرى إعادة خطة ويفل ذاتها والتي عزم على تنفيذها في ١٥ حزيران الماضي ولكن هذه المرة بعداد ومعدات أقوى وأعظم .

استطاع كونينغهام الاستفادة بمهارة من سعة المجال ورحابة الارجاء لاجراء انتشار قواته العديدة . وجرى حشد الجيش بموجب تغطية بارعة وتمويه منظم محكم ، كما اخرست تماماً كافة المواصلات اللاسلكية في الايام الاخيرة. وكانت القوات موزعة على الوجه التالي :

الجناح الأيمن : ويشتمل على الفيلق الثلاثين وكان يضم :

- الفرقة السابعة المدرعة
- الألوية التالية : اللواء الرابع والسابع والثاني والعشرين المدرع
- جمهرة استطلاع جنوب افريقيا
- لواء الهوسار الحادي عشر وخيالة الحرس الآلية
- فرقة جنوب افريقيا
- لواء حرس الهوسار الثاني والعشرين .

الجناح الأيسر : ويتألف من : الفيلق الثالث عشر ويشتمل على :

- الفرقة النيوزيلاندية
- الفرقة الرابعة الهندية
- اللواء الاول المدرع .

وكانت تتقدم من جغبوب في الجنوب جمهرة صحراوية في عرض الصحراء باتجاه الغرب وتشتمل على مجموعتين للاستطلاع وكتيبة مدفعية وسرية مدافع ضد المدرعات .

لم تتمكن القيادة الالمانية من معرفة نظام الانتشار . وكانت عمليات جمهرات الصدام الاولى تجري طبقاً للنهج المقرر . وفي المساء وصلت المدرعات

الى الخط الواصل بين سيدي عمر وبير الغوبي بموازاة الساحل . وكانت هذه الاسماء في الصحراء اكبر من مدلولها ومفهومها ولم تكن سوى رمز باهت كثيراً ما يدل على مرتفع او بئر او صهريج ماء مجموع أو كومة من الاحجار او كلمة سيدي الدالة على وجود قبر ما كان معروفاً في السابق . وكانت الآبار والصهاريج مفقودة واذا وجدت عرضاً فهي لا تحوي ماء مطلقاً مما يفقدها كل قيمة عملية . وفي التاسع عشر من شهر تشرين الثاني التقت فرقة اريتيا الايطالية المدرعة التي كانت مؤلفة من مدرعات قديمة ليس لها قدرة على القتال الفعال مع القوات الانكليزية التي وصلت الى سيدي رزق القريبة من البحر في جنوب طبرق . ولم يحتدم القتال إلا في اليوم الثالث حيث أعلنت روتير بأن المدرعات الالمانية فصلت الى شطرين وان الشطر الهام منها يتربص في قطاعات كابوزو وغامبوت والشطر الآخر في جنوب طبرق . وعلقت الصحف الانكليزية قائلة بأن ٤٠,٠٠٠ جندي حوصروانهائياً . وتعددت التصريحات والاعلانات والبيانات الرسمية وغير الرسمية الكاذبة الواهية عن وضعية قوات الدفاع الالمانية الحقيقية . وكانت الدعاية المروجة ترمي الى إضعاف معنويات قوات المحور في الخارج والداخل مشيرة الى حدوث انتصار انكليزي عظيم الاهمية واعتبرت الاوساط العالمية السياسية والعسكرية بأن قوات رومل دحرت ودمرت نهائياً ، بينما الواقع كان بعيداً عن هذه الحقيقة كل البعد . وقدر العدو خسائر المدرعات الالمانية بعداد لم يسبق ان استحوذت عليها مطلقاً . وكانت الوضعية بدون جدال حرجة وصعبة ولكن لم تكن جدية الى هذا الحد . ولم ينظر رومل اليها نظرة اليائس القانط . وكانت بعيدة عن هذا الواقع الموهوم . وكان ابعد من أن يفكر بالخضوع والاستسلام حسبما كان يتصور العدو ويتوقع . وكانت الوضعية في ساحات القتال تظهر بوجه آخر وبصورة متفاوتة جداً .

وقد فصل كونينغهام قواته المدرعة الى ثلاث مجموعات متفرقة . وكان

هذا التصرف تصرفاً خطراً له محظوراته السيئة وغير القابلة التلافي . وكان عليه ان ينبش الصحراء وأن يبحث عن قوات المحور لتدميرها بهذه القوات الكاسحة المتكتلة . وقد وصل الجنرال كامبيل الى سيدي رزق ولكنه توقف عن السير بسبب نفاذ الوقود كما وقعت جمهرة الجنرال كـيتهوس « G. Gatehous » المؤلفة من مدرعات جديدة مصنوعة حديثاً في المصانع الأميركية طراز هنيتنك « Honeytanks » واصطدمت بمقدمة مدرعات الفيلق الافريقي التي دحرتها على الفور بسبب ضعف مرمى مدافعها التي قصرت عن مدى اهدافها ، واحرقت كثيراً منها بفعل المدافع الالمانية من عيار ٨٨ مم . وبالرغم من مهارة سدنتها لم تتمكن دروعها من مقاومة القذائف الالمانية . وكانت قذائف مدافعها من عيار ٣٧ مم لا تصل الى الاهداف المقابلة . وكان الالمان يرفقون قواتهم المدرعة بحظائر رحبات سيارة لاجراء التصليحات العاجلة آنياً . وقد تبين بأن هذه التشكيلات كانت ذات أهمية عظيمة لادامة وصيانة واستمرار عمل القوات المدرعة ، بينما الانكليز كانوا يهجرون مدرعاتهم وسياراتهم المعطبة ولو جزئياً لعدم امكانهم اصلاحها في الحال . وكانت التشكيلات المذكورة لا تقتصر على تصليح المدرعات والسيارات الالمانية المعطلة فحسب بل حتى على اصلاح واستعمال وتجديد قسم كبير من آليات العدو المخربة .

وفي الواحد والعشرين من تشرين الثاني ساد الهدوء منطقة السللوم والبرديه ، وكانت الموقعة تبدو أكثر احتداماً وتمركزاً في المربع الواقع بين حصن كابوزو وسيدي عمر وبئر الغوبي وسيدي رزق . وكان رومل يستعجل ايضاً خصمه . وقاد بنفسه اكثر من مرة هجوماً معاكساً مع جمهرة الاستطلاع التابعة للفرقة الحادية والعشرين المدرعـــة . وكان يعمل مسبقاً للحصول على فكرة واضحة عن مجمل الوضعية الجارية لأن أغلب وسائل المواصلات والمخابرات اصيبت وتدمرت اثناء القتال .

وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني هاجمت الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين حصن كابوزو مباغتة والحقت خسائر جسيمة بالعدو الذي ما تزال مجموعة كتلته تعمل على أطراف سيدي رزق . فقرر رومل مهاجمتها . وكان قصده الظاهر عدم التربص على الدفاع بل العمل على انهاك العدو ومعاجلته بضربات متوالية مرهقة .

هاجمت الفرقة الخامسة عشر والفرقة الحادية والعشرين المدرعتان الوحدات الانكليزية في سيدي رزق بعد ظهيرة اليوم الثالث والعشرين ودمرت فرقة كامبل المدرعة التي كانت تدافع دفاعاً مستميتاً جباراً . وهذه المعركة التي تقابل فيها خصمان مصممان عنيدان كانت نهايتها حاسمة مطلقة. وعقب الأزمة الشديدة التي عانتها قوات المحور تحولت هـذه الى الجانب الانكليزي المهاجم . وعلى اثر ذلك استبدل الجنرال كامبيل الذي عمل كل جهده ووسعه في القتال بالجنرال ريتشي « G. Richtie » الذي لم يتمكن بدوره من تعديل وتبديل الحالة الراهنة واصبح الانكفاف والتراجع أمراً لا مفر منه وتوجب على ريشتي ان يتخذ نفس القرارات التي أراد اتخاذها كونينغهام والتي بسببها رفع من قيادته .

بيد أن هجوم جمهرة المدرعات الالمانية المعاكس توالى تباعاً واستمر احتدام القتال في كابوزو ثم تجدد في سيدي عمر وبير الغوبي والمطم . وتوفقت جمهرة المانية خفيفة سريعة من اجتياز الحدود المصرية والتوغل وراء قطاعات الخطوط البريطانية وراحت تزرع الرعب والهلع في هذه الخطوط .

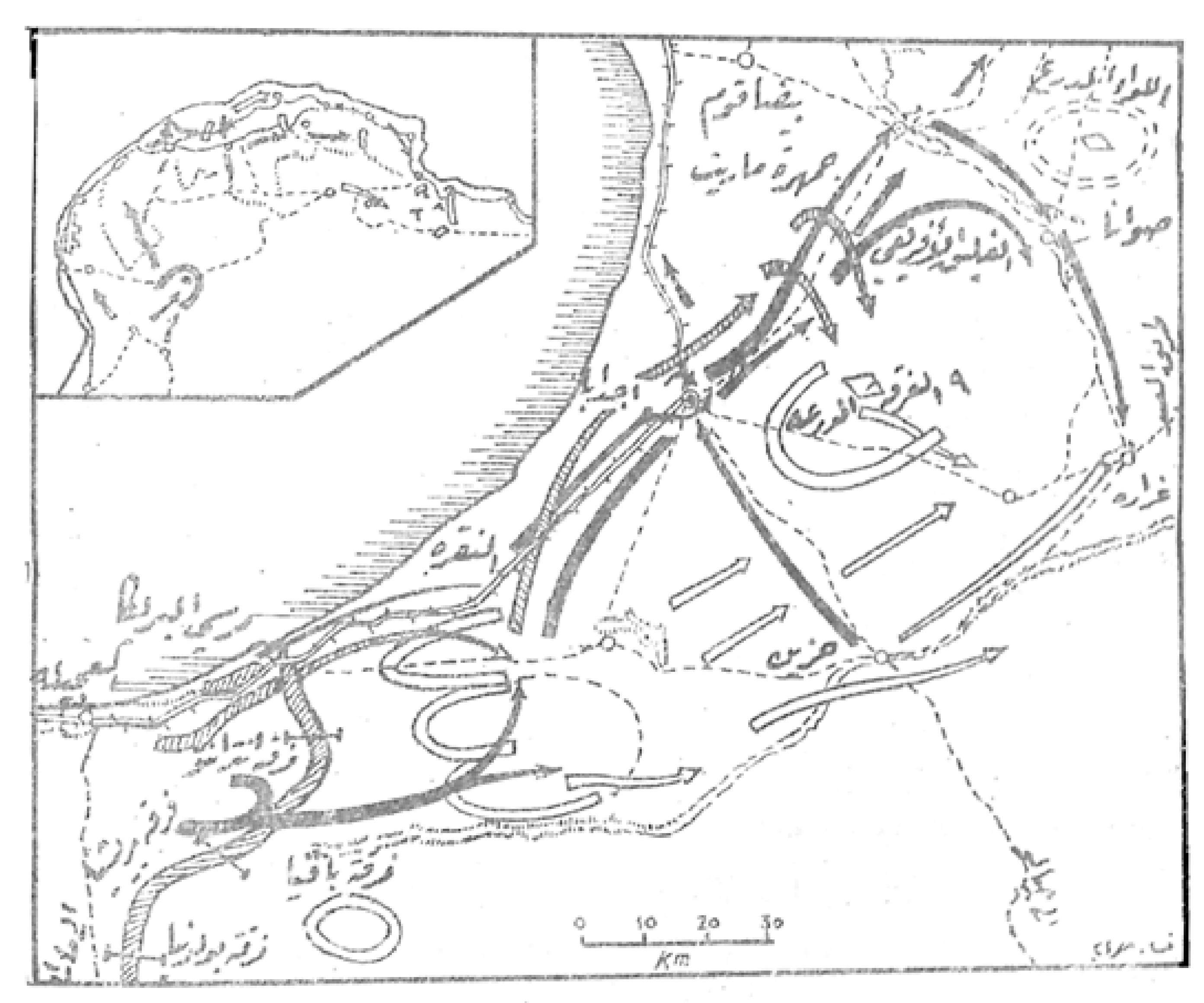
في هذا اليوم السعيد بدأ مصير الجيش البريطاني وكأنه معلق في خيط واه يكاد ينقطع . وكان يكفي ان تطلق الفرقة الاحدى والعشرين المدرعة هجومها الاخير لانهاء الخاتمة الاخيرة الفاجعة على الجيش البريطاني . وفي هذه اللحظة جرت حادثة مفاجئة غير منتظرة ولا مستدركة كالحوادث

المديدة المشابهة التي تحدث أحياناً في مجال القتال وسيره فتغير مجرى الحوادث فبدت حادثة جديدة في غاية التطور . وبدت هذه الحادثة الفجائية لما قامت الفرقة الحادية والعشرين بهجومها على سيدي رزق في الثالث والعشرين والرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني إذ رسمت الوحدات الانكليزية في اثنائها حركة دائروية واسعة ، وتظاهرت امام سيدي عمر وحصن كابوزو وفي جنوب سيدي عمر المعقل الصحراوي المتقـدم بعيداً في الصحراء . تحت مجموعة الجنرال فون رفنشتين « G, Von Ravenstein » على جانبها بعض المدرعات المعادية ولم يكن لديها آنئذ أي وقت للانشغال بها كما لم تعط مهمة الاهتمام بمثل هذه القوة المؤلفة من عناصر ضعيفة قليلة كهذه ، وليس لديها لحظة واحدة تضيعها معها بالنسبة الى مهمتها الاساسية المقررة فتركتها وشأنها واستمرت في اتجاهها .

وهنا في هذه الساحة التي لا تتعدى عشرة كيلومترات فقط ، كان يتمركز مستودعان كبيران لتموين الجيش البريطاني الثامن . وكانا يحتويان على كميات هائلة من الوقود والذخيرة والماء والمؤن . وكانا خاليين من الحماية ومعرضان للهجمات الالمانية وموزعان ومموهان بصورة متقنه . أجل انهما كانا بدون حماية وان المدرعات التي شوهدت لم تكن سوى أشباح تمويه واخفـاء . وكانت المستودعات غير محروسة بتاتاً . ومرت الفرقة الحادية والعشرين من أمامها بدون مبالاة ، إذ لو انها فطنت اليها في ذلك الحين واستولت عليهـا لشلت حركة الجيش البريطاني الثامن في أقل من ساعة من الزمن . وكان في احتلال او تدمير هذه المستودعات تدمـير الفرق البريطانية تدميراً محققاً ، كما لم تفطن القيادة البريطـانية في بادىء الأمر الى هذا الخطر الهائل ، ولم ترتب مطلقاً في الأمر لانه لم يكن لديها اية نظرة عامة عن سير فصول الموقعة ووجوهها المختلفة . وامتلأت القلوب الانكليزية جزعاً ورعباً عنـدما عرفت بالأمر وعظمة خطورته ،

ولكن الخطر مر سراعاً دون أن يستوقف الالمان هذا المركز الحساس وكأن آلهة الصحراء وآلهة الحرب في هذه المرة كانت تجانب وتحالف الجنرال اوكنليك في مساعيه .

كان الجنرال رومل يقصد تمزيق وتدمير الجيش البريطاني بمعارك عديدة خاصة وقد تهيأ هذا القصد وسهل بفعل نظام توزيع القوات الذي اعتمده القائد الانكليزي وفرضه على وحدات مدرعاته . وكانت جبهة السالوم تدافع بقوة فائقة وكانت ودفاعاتها القوية الثابتة لا تتزعزع . وظل مضيق حلفايا قويا في حوزة الالمان . وكان الرئيس باخ ينصب حاجزاً من فولاذ



هجوم رومل لاسترجاع سيرانيكا

على الطريق الساحلية مما كان يسهل بذلك عمل المجموعات الالمانية المحاربة ويزيد في مصاعب العدو الذي اضطر ان يسوق كل تموينه عبر الصحراء. وفي أواخر تشرين ثاني تمكن الانكليز من الاتصال بنقطة من حصار طبرق . ولكن الفرجة اغلقت فوراً وامتنع الاتصال بفعل هجوم معاكس من قبل الالمان واعيدت دائرة الحصار على المدينة بصورة محكمة . ولم يعتر الوضعية في البرديه أي تعديل يذكر . ولم تتأرجح الموقعة إلا في جنوب غرب طبرق . وكان رومل يري دوما في مدرعته يجول ويتنقل في الميدان وكثيراً ما أحاطت به بعض مدرعات العدو ولكنه لم يفقد مرة واحدة هدفه المعين وكان ينسحب بقواته في اية لحظة وحسب مقتضيات الظروف بالرغم من الموفقيات الجديدة التي حققها أثناء هذه الموقعة . كان يرى بصورة واقعية واضحة الوضعية العامة بكاملها . وما كان ليجزم بربحه الموقعة مطلقا لعلمه أن قواته كانت اضعف بكثير من قوات العدو الذي كان يبعث إلى الساحات بقوات جديدة في كل آونة ،

وفي الرابع من شهر كانون الاول صدرت الاوامر الاولى لتثبيت مهمة جبهة طبرق . وبعد يومين قررت القيادة اجراء انسحاب معين تقرر منذ عدة أشهر الى موضع عين الغزالة . ففكت وحدات المدفعية الآلية فوراً كما تلقت حاميات البرديه ومضيق حلفايا أمراً بالمثابرة على الدفاع والمقاومة حتى إشعار آخر .

ضعفت قوات الجنرال رتيشي ولكنها لم تفقد بعد عنادها ولما تنهك تماماً . وقد جرت معارك عديدة خاصة في هذه الاثناء . وكانت المدرعات الالمانية تهاجم العدو ثم تنسحب وتختفي بسرعة . واصبحت الوضعية غامضة الى درجة انه اختلط على المحاربين التمييز بين العدو والصديق . وكنت ترى بعض المدرعات تواكب سدنات المانية ، وسيارات ايطالية تحمل جنوداً هندية وسيارات انكليزية ترافق رتلا المانيا وتنضم الى آلياته وتجتاز

معها المواضع الالمانية . وشوهدت سدنة مدرعات ريتشي تحيى في طريقها المشاة الالمانية دون أن تفطن بانها قوات معادية وهل بوسع هذه القوات سوق الاسرى وهي عطشى ليس لديها الماء للشرب ولا السيارات للنقل . وكانت مخافر العون الصحية تستبدل على التوالي الآمرة والراية . وكان الاطباء الالمان والانكليز يعملون جنباً إلى جنب دون أن يدركون ايهم الاسير . وكانت الغيوم السوداء القاتمة تسوقها الرياح الباردة والامطار المتدفقة اشد ويلا من حمأة الصيف المحرقة ، وقد بدأ البرد أ كثر تأثيراً مما سبق .

وفي السابع كانون الاول ظهر أن الجيش الثامن كان يستعد لاطلاق غارة جديدة بكامل قواته المجتمعة . فقرر رومل انتظار الصدام ثم استئناف الهجوم من جديد لطرد العدو بعيداً عن بير الغوبي . فاذا بدا له ان العدو مازال على قوته وبأسه فان المدرعات الالمانية ترتد منسحبة تحت ستار الليل .

حاولت المدرعات الانكليزية في البداية نسف الارتباط القائم بين الفرقة الخامسة عشر والفرقة الاحدى والعشرين المدرعة ولكن هذه المحاولة لم تبد نفعاً وظلت بدون جدوى .

ولم تصل الفرقة المدرعة الايطالية التي تلقت أمراً بالهجوم المعاكس في الوقت المعين وفي صبيحة اليوم أعطي الأمر للفرقة المدرعة بالانسحاب الى خط عين الغزالة وكان مقرها عندئذ غرب بير الغوبي .

ولكن العدو لم يلاحق طويلا الفرقة التي تراجعت مع باقي الفرق الايطالية بانتظام تام . وبلغ عدد الاسرى الانكليزي ٩٠٠٠ أسيراً سيقوا الى الوراء . وظهر بعد هذه النتيجة أن الشق الاول من الموقعه ظل غير معين بل مازال في جانب الجنرال رومل لان اوكنيلك لم يتمكن من تطويقه وتدمير قواته كما كان مؤملا وحسبما اعلن في تصريحاتـــه

واوامره العديدة ولكنه لم يفقد الامل ولم يتخل عن قراره المصمم بعد .

وكما أعلن تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ١١ كانون اول بصراحته المعتادة « بأن اوكنليك سار في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني مستهدفاً تدمير مجموعة القوات الالمانية ـ الايطالية في برقة البيضاء » ولكن الحادث لم يأخذ المجرى الذي توقعه هو وغيره من المراقبين . وكان يبدو له مع ذلك كبير احتمال للوصول الى الهدف المنتظر وللغاية المؤملة . وكان الرؤساء العسكريون الانكليز يظنون كما أشاروا الى أن المدرعات الالمانية المحصورة تحاول ايقاف الهجوم البريطاني ولكن الظفر حال دون تحقق رغبة وامنية العدو .

اذاً كان المعتقد في لندن والمؤمل في القاهرة هو الوصول إلى الهدف وما سبق ان ظهر مرة لابد انه سيعود الى الميان مرة أخرى .

وافاض روءل حول هذا الموضوع قائلا « ليس الامر مسألة احتلال برقة البيضاء او برقة الشرقية او هذه المنطقة او تلك في الصحراء . فالقتال لايقرر الا بتدمير احد الخصمين وليس باكتساب او خسارة قطعة من الارض . فاغتنام الارض ليس معناه الغلبة ويحتمل أن ينتج عن هذا الكسب مساوىء غير مرغوبة . ولن يطل الوقت على اوكنليك حتى يلمس هذه البادرة وخاصة منذ ان ابتعد الجيش الثامن عن قواعده وخطوط تموينه ومواصلاته التي استطالت ، وبقاء الطريق الساحلية مغلقة عليه بسبب مقاومة مضيق حلفايا والبردية . فالمسائل التي كانت مستوجبة الحل علية فيا سبق بدأت تقع على اوكنليك وريتشى ، والرغبات القائمة استبدلت معسكروا بمعسكر .

واجه روءل ضرورة التربص على خط الغزالة عند جبل الاخضر . كانت فكرة رومل الاولى عندما اوعز بالانكفاف تتناول امكانية القاء قوات هامة في منطقة اجدابيه ومراده كما فكر ايضاً بالاحتفاظ بواحة

جالو لانه كان من المعقول عندها المحافظة على برقة الغربية . وكان يحتمل ان يقطع الفيلق الافريقي ويعزله كما جرى له سابقاً أثناء تقدمه وما اكثر هذا الاحتمال ليس فقط من جبهة الخيلى واجدابية وحتى من جنوب واحتي مراده وجالو . بيد انه استوجب الا تخلى برقة الغربية الا بقتال الانكفاف . وكان ذلك الانسحاب يعني الحاق خسائر كبيرة وعظيمة قدر الامكان بالعدو .

اذاً فالشق الثاني من الموقعة كان يبدأ الآن وما هو إلا ملاحق لمعارك خاصة ومعارك متفرقة . وظن ريتشي ان العدو المنسحب أمامه غلب على أمره وانه سائر في طريق الاندحار وهكذا عادت الابواق تنفخ من جديد معلنة : « بدأت بقايا الفيلق الافريقي والفرق الايطالية تهرب على طول طريق سرته باتجاه طرابلس » وتم الوصول إلى الهدف وذلك بتدمير قوات العدو في الصحراء الغربية . وقد دحرت تقريباً كافة القوات المدرعة الالمانية . ولم يبق منها إلا قبضة من المدرعات تنجو بنفسها في اتجاه طرابلس الغرب (اخبار روتر بتاريخ ٢٦ كانون أول) .

فهذه البقايا من الفرق المدرعة الالمانية التي نوهت عنها اخبار الصحف كانت تقودها ارادة جبارة فولاذية ويسيرها عقل مجدد مبدع وفق خطة موضوعة مركزة وفكرة حربية واضحة . والحق فان مسؤولية عظمى كانت تثقل الجنرال رومل . لقد ترك لوحده ولنفسه وكان يشحذ حواسه وتفكيره لابداع ووضع قرار حاسم موفق يستطيع معه ان يبدل الوضعية الحربية الراهنة والسياسية معاً والتي لاتقل اهميتها عن الاولى من حيث استعادة الثقة المعنوية الوطنية والعالمية الكامنة .

لم يكن بجانب رومل من يعتمد عليه في المشورة والتوجيه . وكانت برلين بعيدة جداً وأبعد منها ايضاً روما وحتى طرابلس الغرب ومن فيها من القادة الذين لايعرفون شيئاً عن الحالة القائمة حتى ولا الامكانيات او

عدم الامكانيات التي تهيئها حركات الصحراء .

ولم يدرك رومل الا بعد وصوله الى عين الغزالة الرعب والهلع اللذين اطلقهما قراره المتخذ . فوطد مقره في واد صغير جنوب قرية الغزالة . وقد وصل الجنرال باستيكو في الثاني عشر من كانون الثاني بصورة مباغتة وظهر عليه القلق والاضطراب من سير المعارك . وانشغل بالتدابير الواجب اتخاذها للمحافظة على اجدابيا خوفاً من محاولة العدو تطويق منطقة برقة الغربية . وطلب على الفور فرقة ايطالية سحبت رأساً من جبهة الغزالة لارسالها الى اجدابيا .

واعاد رومل ذكر المحادثات التي جرت بينه وبين باستيكو وغامبارا والتي ابدي اثناؤها لهذين القائدين ضرورة استعجال احتلال طبرق . ومحاولته الملحة معهما للحصول على موافقتهما لاجراء هذا الهجوم بأسرع ما يمكن . وقد أجاب الجنرال باستيكو بكل حدة بأنه لم يكن قائدا عاما إلا شكلا وفي الوقت ذاته لم يشترك مطلقاً بصفته المذكورة في المعارك الاخيرة . وابدى رومل رفضا مطلقا لاي بادرة من هـذا النوع يقوم بها الجنرال المذكور وافهمه بصريح العبارة انه في حالة أي تصرف مماثل يصدر عنه وفي شروط كهذه فانه يضطر لسحب قواته الالمانية من ميدان برقة البيضاء ويدع الفرق الايطالية تدبر شأنها بنفسها تاركا اياها للقيادة الايطالية تتصرف بها كما تشاء واضاف قائلا :

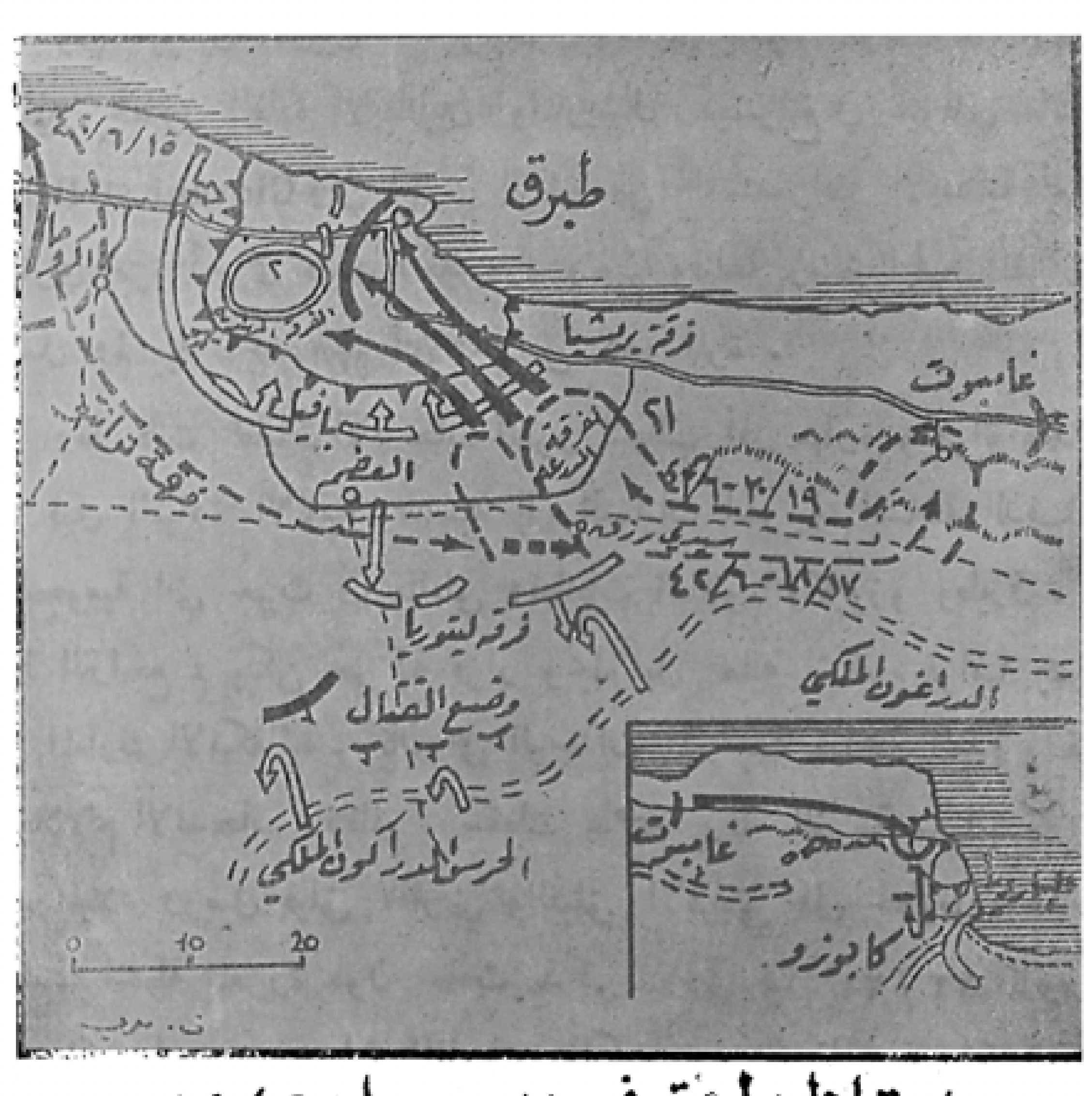
(انني واثق تمام الثقة بأننا سنوفق نحن بالمرور كما انني اثق جيداً بان الوحدات الايطالية عاجزة تماماً عن أن تنجو من هذا المأزق وان تمر بسلامة دون مساعدتنا ، كما انني لن اسمح مطلقاً برفع أي جندي ايطالي من هذا الوضع) . خضع باستيكو فوراً ازاء هذا التهديد الشديد وسحب رومل فرقه واحدة بعد واحدة . ولم يترك في حالة التماس مع العدو سوى جمهرات اعاقة تقاتل العدو وترتمي على اطرافه ووحداته بين الحين والاخر

سعيا لتثبيت نظامه السائر الى أمد طويل . وفي السادس عشر كانون الثاني وصل ريتشي الى خليج عين الغزالة بقوات هامة جداً حيث تمكن من محاصرة القوات الالمانية . ولم يبق بعد سوى طريق واحد للانسحاب باتجاه تميمي . وبسبب المقاومة العنيدة التي كان الفيلق الافريقي يقوم بها اوشكت ان تقوده الى الضياع . وكان يتوجب عليه العمل دون ابطاء والا فالنهاية السيئه كانت قاب قوسين أو أدني . اضطربت روما للاخبار المقلقة الاليمة الواردة فارسلت القيادة الايطالية العليا فوراً الجنرال الكونت كافاليرو G . Conte Cavallero للاستعلام عن الوضعية الحربية العامة في ليبيا ووافق على قرار الانسحاب على الجبلي ودرنه . وقبل منتصف الليل بقليل وصل الجنرال باستيكو برفقة الماريشال الالماني كيسرلنغ Kesserling والجنرال كافاليرو والجنرال غامبارا الى مقر الجنرال روميل وبكلمات متدفقة يؤيدها غامبارا طلب الغاء الانسحاب الصادر عن روميل واضاف بان ضياع برقة البيضاء الفرعية ليحدث نتائج سياسية غير متوقعة لموسوليني . اذاً فالمرغوب الحؤول دون سقوطها في أيدي العدو مهما كلف الامر .

وكان الماريشال كيسرلنغ يؤيد هذه الفكرة وابدى ملاحظته على عدم اخلاء مطار درنة اخلاءً منظماً .

رفض روميل كل هذه المقترحات واجاب قائلا « لقد صدرت الاوامر وبلغت في حينها ونفذت على الفور : فان رغبتم ألا تتعرض القوات المدرعة للهلاك والتدمير المحتم الكامل فما عليها الا قطع التماس مع العدو والانسحاب اثناء الليل ذاته . ان الامر المهم عندي يتعلق بمعرفة ما اذا كنتم تريدون تضحية هذه الجمهرة المدرعة وبرقة معاً وبالتالى اضاعة طرابلس برمتها أو ان تحافظوا عليها جميعاً والانسحاب إلى منطقة اجدابيه وتقبل هذا الانسحاب والانكفاف . هذا هو الحل الوحيد والاخير الذي أستطيع اعتماده فاختاروا ماتحبون وترغبون :

أدرك المارشال كيسرلنغ والجنرال كافاليرو في الحال صحة نظر رومل وتحقق لهما ان لامناص من قبول قراره ، والا فالنتيجة المعلنة ستكون الواقع المحزن المنتظر . بيد أن الجنرالين باستيكو وغامبارا ظلا بعيدين عن فهم نوايا ومقاصد رومل الحربية الدقيقة . وقد فقدوا السيطرة على اعصابهما . وكانا يفرضان بصوت عال وجوب استعادة القرار الصادر وابطاله . فنظر رومل وتأمل في وجهي الجنرالين وظل صامتاً برهة ينتظر باستغراب وتعجب موقف ووضعية هذين الرجلين الضعيفين وسأل الجنرال باستيكو بصفته القائد العام للجبهة الليبية قائلا :



احتلال طبرق في ٢٠ حزيران ١٩٤٢

كيف يقرر بمرفه ومعرفته الطريقة المتوجبة لتعديل وتقويم الوضعية.
وقد لوحظ عجز الجنرال المذكور عن الاجابة واعطاء أية فكرة ايجابية على السؤال المعروض .

اذاً بصفتك قائداً عاماً لهذا الجيش أجاب روميل قائلا ما نصه :

انك لست هنا لعرض مقاصدك ولست تحت عامل الضرورة لاجراء ذلك . ان عليك ان تؤكد قراراً فقط بضرورة ايقاف انسحاب الجيوش

ابتسم روميل ولكن لم تكن البسمة الطيبة التي غمرت فاهه . عرف وتأكد انه وحده ، ووحده الذي يجب عليه ان يتحمل المسؤولية الكبرى.

وفي اليومين التاليين ، استؤنفت محادثات جديدة حول هذا الموضوع الخطير بحضور القادة الايطاليين والماريشال كيسرلنغ في غيوفاني سانتبرتا Giovani st. Berta وهي القرى اليانعة من المستعمرات الايطالية ثم في بنغازي مرة أخرى وبعد أخذ ورد وتفهم وقناعة رضخ الجميع لقرارات روميل ولم يبد أحد منهم أي اعتراض هذه المرة .

وما كانت عمليات الانسحاب المقرر لتتطلب أقل مهارة وجرأة وتدبيراً من قبل القيادة الالمانية بالنسبة إلى العمليات الحربية السابقة الدفاعية والهجومية التي جرت في مناطق وقطاعات السلوم وكابوزو وطبرق . ان هذا التراجع لم يكن حركة فرار ونجاة بل عملية انكفاء قوامها مجموعة من المعارك الانكفائية . كان على الوحدات المتراجعة مهاجمة العدو وايقافه طويلا ثم الانسحاب بانتظام . سقطت عاصمة برقة الغربية سرانيكا يوم عيد الميلاد ووصل فيلق نافاريني والفيلق الافريقي الى خطوط اجدابيه حسب الخطة المقررة دون حادث يذكر . وفي ليل ٢١ / ٢٢ كانون أول شنت احدى وحدات المناوير (الكومندوس) غارة جريئة للغاية حيث هاجمت مطاراً ايطالياً في هذا المكان واحرقت اربعة عشر طائرة في المطار ولكن اعيد الامن فوراً إثر تلك العملية المفاجئة .

وفي الايام التالية توغل ريتشي متقدما إلى الامام ولكنه أصيب بردة خائبة دامية . وقبل اول العام أضاع وفقد مايقرب من مائة مدرعة . وقد احيطت القيادة البريطانية علما بهذه المفاجئة غير المنتظرة . وشعر الانكليز بالخطأ الناجم عن سوء تقدير قوات العدو المقابلة التي كانت تفوق وتتعدى استنتاجاتهم وظنونهم ومعلوماتهم عنها مما يستدل على انهم لم يتعلموا من الدروس السالفة ما يجب الاحتياط له في الحاضر .

وفي مجرى الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني ١٩٤٢ توطد خط القتال الاساسي على المواضع المهيئة في مراده وماتن جفر ومرسى البريغا واجريت عمليات التنظيم والتوطيد ووضع الجيوش في اماكنها المعينة بكل هدوء ونظام . وبما ان خطوط المواصلات والنقل قصرت كثيراً عن السابق فقد تحسنت أعمال التموين وانتظمت يوماً بعد يوم ، وانتهت المناورة على اكمل طرز ونسق . ولو حاول الآن ريتشي القيام بهجومه المنتظر بقوات ساحقة فلن يشكل بعد اليوم خطراً يخشي أمره .

الفصل الخامس

الظفر

روميل يتذرع بالصمت والعمل

Der Triumph . Rommel schweigt und handelt

فشل غرازياني في الهجوم الذي أتينا على ذكره في الفصول السابقة وعزي هذا الاخفاق غير المنتظر الى عوامل عديدة نخص بالذكر منها ما كان يتعلق بحالة الجيوش المعنوية والمادية وعدم كفائة القيادات الملحقة ، ولكن الحقيقة والواقع معاً يبرزان عاملاً اضافياً آخر ، واذا شئت قل سبباً هاماً كان أبعد مدى وأعمق تأثيراً على ذلك الهجوم الفاشل والذى تكمن اسراره في طبيعة الصحراء بالذات . ومن البديهى القول بأنه لم يكن في وسع الماريشال غرازياني قط اخضاع وتسخير مساحات الصحراء الواسعة اللامتناهية ذات الخطورة الراهنة . ونلاحظ ملياً بأن الجنرال ويفل الذي يعتبر أحد القادة البريطانيين القلائل ممن اشتهروا بكثرة الحذر وشدة الحيطة عاني هو ايضاً تجارب الصحراء التي عجم عودها طويلا ثم جاء دور رومل . وانتقل الآن دور التجربة الى الجنرال اوكنليك . وكان كل غاية هذا الاخير وقصده الاوحد احتلال طرابلس الغرب ووضع حد نهائي للنزاع العنيف القائم في شمال افريقيا ولكنه توقف امام موضع مرسى البريقا وقوات روميل الدفاعية التي تحولت مع الزمن الى جيش مدرع بكامله . ولم يستطع اجتياز منطقة اجدابيا وقد التقى كل من الخصمين

وهما في أقصى حدود الطاقة . فقررا مجبرين على التوقف نهائياً عند هذا الحد .

وبالفعل كان الجيش الثامن البريطاني تعباً منهوكا . وبالرغم من احرازه نجاحين متواليين ، احدهما دشن مطلع العام ولكنهما لم ينجحا في تغيير الامور تغييراً مذكوراً . سقطت البردية بعد دفاع عنيف ومقاومة مجيدة . ومضى مضيق حلفايا في المقاومة الجبارة وظلت الحاميـة الصغيرة المدافعة تقف سداً حائلا منيعاً يضطر العدو الى سوق تموينه عبر الصحراء سالكا دروباً طويلة متعرجـة تضيع الوقت وتتلف المعدات والآليات . وبحـكم هذه المقاومة المستعصية على العدو استطاع الرئيس باخ ان يقدم الى الفيلق الافريقي وقوات المحور مساعدة لاتقـدر . فموقعـة الاحصـاء التي كان الجنرال روميل يقودها في سيدي رزق وهجماته العديدة التي قام بها في مجال المربع المعروف ، وأخيراً عملية الانكفاء التي سيرها في منطقة اجدابيا تكللت كلها بالتوفيق التام ونجحت بفضل التغطية والحماية التي اجرتها حامية مضيق حلفايا الالمانية ، هذه القوة التي انعزلت تماماً عن كل اتصال وارتبـاط وتموين مباشر طيـــلة اسابيع وقد اعوزتها الذخيرة والتموين والمـاء والغذاء ووصلت الى اقصى حدود المقاومة الطبيعية في منتصف كانون الثاني حيث وجدت نفسها مرغمة مضطرة الى القاء السلاح والاستسلام بعد نفاذ الذخيرة الكامل . وكانت تبدو على الوجوه الباسلة المستسلمة الى القضاء ملامح وتقاطيـع الارهاق والتعب والاجهاد . وقد انتزع الرئيس باخ وكما كان يسمونه جنوده « الاب باخ » اعجاب العدو وأصبح هذا الاسم معروفاً جيداً لا في معسكر المحور فحسب بل في معسكر العدو ايضاً . ولم يكن هذا الاسم المأهول عنوان شهرة ذائعة في صفوف القوات المدرعة الالمانية فحسب ، بل كان اكثر شهرة ومعرفـــة في المعسكر الآخر . وللمرة الثانية في حياته العسكرية سار هذا البطل على طريق الاسر ولكن للمرة الاخيرة حيث لن يشاهد بلاده ووطنه بعد اليوم .

قضى القسيس المحارب نحبه الاخير بعيداً عن الوطن الذي أحبه وجاهد في سبيله حتى الموت بعد ان سجل في صفحات تاريخه العسكري اروع البطولات إثر نزلة صدرية حادة وهو في طريقه الى معسكر الاعتقال .

فاذا كانت هاتان الموقعتان من الاسباب التي حسنت الوضعيةالبريطانية بيدانهما كانتا غير كافيتين لوضع حد نهائي لمشاغل الجنرال اوكنليك وحل مسألة التموين المعطـــلة . وكان الاسرى الانكليز يشتكون كثيراً من الاطعام الذي كان أوفر بكثير من الطعام المخصص للجيش المدرع الالماني الذي كان اهم مواده مازال مكدسـاً في المخازن والمستودعات الخلفيـة بانتظار النقل او سقط معظمه في ايدي العدو . وبالاضافة الى هذا النقص نرى ان الفرق الانكليزية عانت في منطقة السرت نقصاً مريعاً في الوقود كما كانت تقاسي اعراض الشتاء الشديدة وعواصف الامطار التي كانت تحول اراضي الصحراء الى مستنقعات تغمرهـا الوحول التي كانت تسد السبل والمنافذ على وسائل النقل وتعطل الحركة تعطيلا شاملا .

وكان شعور الجيش الثامن بعيداً عن فكرة الاقتناع بأنه كسب المعركة الدائره وبالعكس كان يظهر على وجوه افراده وجنوده اثر انهيار الهزيمة ، والا فليس مايبرر توقف وتأخر سير الحوادث عن الاستمرار . كان روميل على علم تام بمعنوية العدو المتقهقرة ومعنوية جيشه وقواته التي لم يخالجها أي شعور بالاندحار التام ولا أي اعتقاد بأن الموقعـــة انتهى امرها وتقررت نهايتها . وكان ينتظر اول فرصة مؤاتيـة للانتقال الى الهجوم والانقضاض على العدو . وكان يقضي الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني في تحضير خططه بكل سكينة وهدوء . وفي اليوم الثالث‌عشر من الشهر الجاري عين لاحدى وحداته الالمانية موضعاً بدائياً للقيام بالهجوم واعتمد اطلاقه بين الساحل وقرية السويرة دون ان يهتم باحتمال انطلاق غارة انكليزية من هذه النــاحية . وكان عليه ان يتصرف ويعمل .

وكان يدرك جازماً بان كل دفاع ثابت نهايتـــه الاندحار مهما طال امده . اذاً فالدفاع يجب ان يسير بطريقة هجومية وان يعين له هدفاً ثابتاً غايتـه اضعاف وانهاك قوات العدو المهاجمـه بانتظار التحول الى الهجوم المقرر .

تحسنت اعمال التموين نوعاً ما ولكن ليست بالنسبة المطلوبة . ولم يكن هناك اي احتمال باستكمال عداد الفرق الالمانيه المنقوصة . ولم يصل من القوات المنتظرة غير سرايا معدودة من فوج المظليين . وقد انبأت المعلومات الواردة عن العدو بأن عداده كانت منقوصة ايضاً وأدنى من عداد القوات الالمانية في كثير من النقاط الاساسية في الجبهة . اذا فقد كان في حيز الامكان اطلاق هجوم عنيف على العدو وتدمير كتلة قوات ريتشي المتقدمة .

اصدر روميل امر الهجوم المقرر في ١٨ كانون ثاني . وفي الغـد تقدم الفيلق الالماني حتى شرق المقيلة في عاصفة رملية هائلة . وفي الواحد والعشرين صباحاً انطلق الجنرال الالماني على رأس جمهرة الزعيم مارك Mark ليقودها عبر حقول الالغام المزروعة في شرق مرسى البريغا ، بينما سلك الفيلق الافريقي طريق فيابالبيا والى الجنوب من اجدابيا توفق في احتلال قرية انتيلات .

لم يكن العدو لينتظر مثل هذه المفاجئة ولم يستدرك مثل هـــذه العملية المحتملة بالرغم من الغارات الاستطلاعية التي قام بهـا في منتصف كانون الثاني للاستعلام عن قوات المحور . ومنذ اللحظة التي ظهرت فيها المدرعات الالمانية في ساحات القتال انهارت الجبهة البريطانية على الفور . وفي أقل من ثلاثة ايام تحول التقدم البريطاني الى انسحاب ثم الى اندحار تطور فيما بعد الى هزيمة مطلقة بسبب نقص الوقود وفقدان عمل القيادة التام وسيطرتها على الوضع مما يدل على انها كانت فاقدة التوجيه والاتجاه .

لم يباغت الجنرال ريتشي وحده بل شملت المباغتـة كلا من معسكر

العدو والمعسكر الايطالي ومقر القيادة الالمانية العليا والعالم ايضاً . لقد ظل روميل صامتاً وترك الجميع في غيبوبة عميقة وجهل تام عن مقاصده ونواياه . ومما قاله في عرض الحوادث أخيراً مانصه :

« لقد أثبتت التجارب بأن الايطاليين لايحفظون سراً . وكل ماأبرق الى روما كان يصل الى علم العدو بسهولة وسرعة . وقد اهتممت بابلاغ القيادة العامة امر الهجوم الصادر في ٢١ كانون الثاني واحيط الجنرال باستيكو وهو في الخمس علماً بالهجوم ولكن متأخراً ، ولم يهتاج للأمر لعدم وصوله في حينه ولم يتمكن من اعلام روما الا بعد ان سلكت الامور المطلوبة مجراها المقرر ، ولم يستغرب قدوم الجنرال كافاليرو بعد عدة ايام من الهجوم ليتصل بي شخصياً في مرسى البريغا » .

وجلب كافاليرو معه توجيهات من الدوتشي يوصي بها بوجوب استئناف القتال وملاحقة العدو بواسطة القوات الآلية وحدها ولزوم بقاء قوات المشاة في اماكنها . ولاحظ روميل بأن هجومه لم يكن موضع موافقة روما مطلقاً وانه ينتظر بين اللحظة والاخرى تلقي الامر بايقافه بالسرعة الممكنة ، حتى أن الجنرال كافاليرو صرح بالذات قائلاً : « ان العملية في نظري لاتتعدى خروج هجومي من الخطوط للعودة اليها حالاً » ولكن روميل لم يصرح بكامل فكرته واجاب بأنه سيلاحق الجيش البريطاني الثامن ليصفي معه حسابه تصفية عادلة عاجلة بقدر ماتساعده قواته وتسمح به وسائل تموينه . استمر الجيش المدرع في انطلاقه من جديد . وكانت الضربات الاولى التي انزلها بالعدو مؤثرة ساحقة . وكان روميل يعلم مايدور في خلد روما من الافكار التي لاتؤمن بأي تطور ممكن الاحتمال من شأنه أن يبدل الوضعية القائمة ولا ان تقتنع بما كان يؤمله روميل من الموفقيات المنتظرة . ولكن الواقع الذي كان يستهدفه روميل بحكم معرفته للحقائق الواضحة عن العدو الذي سيطر على قواته شعور

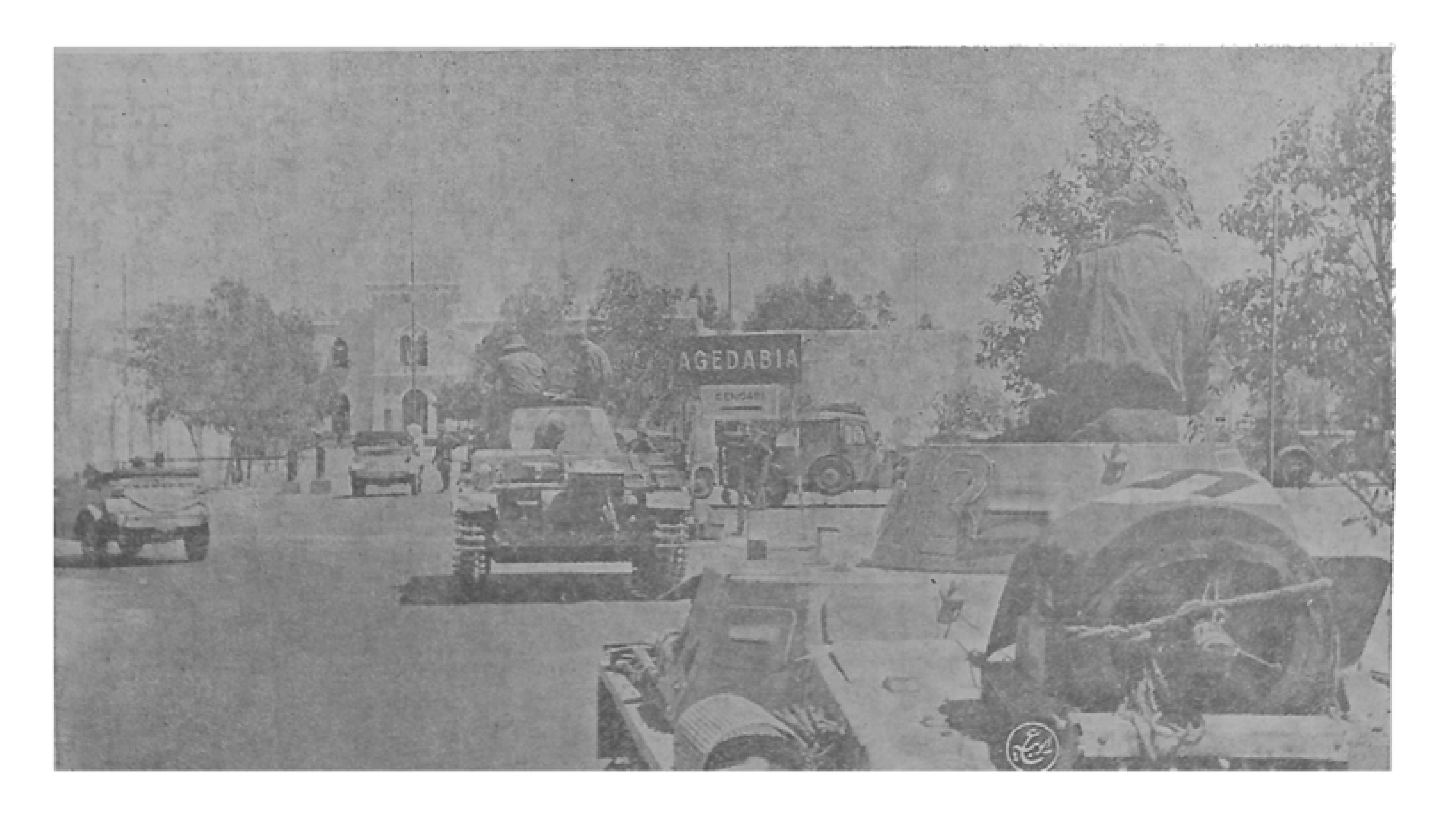
اليأس ووهن العزيمة واحتمال الخضوع والاستسلام ، كل هـذه العوامل التي تحققها كشفت له عن النتيجة المتوقعة وهي ان العدو قهر حتماً وغلب على أمره واندحر نهائياً .

وعد رومل بأنه على استعداد للعودة الى خطوط البريغا الدفاعية اذا لزم الامر . ولكنه في الواقع كان يهدف الى غاية كبرى بعيدة المدى . وأقسم عليه الجنرال الايطالي بأن يتنازل عن مشاريعه ومقاصده الخطيرة واكتفى رومل بالاجابة على هذا الالحاح بأن هتلر وحده يستطيع تعديل نواياه . واضاف مؤكدا بأن القوات الالمانية وحدها هي التي ستقود المعارك الجارية واكتفى كافاليرو أخيراً بالانسحاب متمماً عدم قناعته بأقوال رومل ولم يتأخر عن الانتقام من محدثه بأن أوعز الى الفيلق الايطالي بالبقاء والتربص في موضع البريغا ومنطقة اجدابيا وتم له انتزاعه واخراجه من قيادة الجيش المدرع الالماني . وبالرغم من هذا التصرف الشائن الذي تدبره القائد الايطالي لم تعجز القوات الالمانية وحدها عن استعادة برقة واحتلالها مرة ثانية . وفي الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني عند الظهر تقدمت الوحدات الالمانية بعيداً نحو الشرق مما ساعد الاسراب الجوية الالمانية على الهبوط في مطار اجدابيه بعد ان نُظف من الالغام التي وضعت من قبل القوات الانكليزية قبل انسحابها . وكانت هذه الاسراب مؤلفة من طائرات شتوكا Stukas ومن المقاتلات الحديثة المعدة لمساندة القوات الالمانية الزاحفة .

وفي الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني بدأ رومل انطلاقه الجديد ورتب قوات الفيلق الالماني على النسق التالي :

الجناح الايمن ـ الفرقة المدرعة الالمانية الخامسة عشر .

الجناح الايسر ـ الفرقة المدرعة الحادية والعشرين ، والتي عرجت على انتيلات نحو الجنوب وتوجهت على جبهة واسعة باتجاه ماتن جفر .



المدرعات الالمانية تصطف امام سراي اجدابيا في مقاطعة برقة

الجمهرات المساعدة	جمهرة مارك ومهمتها الانطلاق نحو الشرق لاكمال حركة التطويق المطلوبة . جمهرة ايطالية آلية دمجت مع الجناح الايمن .

واثناء هذه الحركة توقفت بعض القوات الانكليزية من الافلات والنجاة فارة باتجاه مزوس . ولم يتأمن الارتباط بين الفرقة المدرعة الحادية والعشرين وجمهرة مارك سراعاً ولكن كتلة القوات الانكليزية حوصرت كلها ودمرت تدميراً كاملا . واستولت القوات الالمانية في جنوب ساتو على ١١٧ مدرعة انكليزية و ٣٣ مدفعاً وسيارات عديدة وما يزيد على الف اسير . وفي ٢٤ الجاري عند الظهيرة خلت كافة المنطقة الجنوبية الشرقية لاجدابيه من العدو الذي فر في اتجاه الشمال . عادت الوحدات الالمانية فوراً الى اجدابيه وانطلقت في الغد للهجوم على مزوس التي سقطت دون مقاومة كما وقع في قبضتها ورشة تصليح آلية ومعها ٥٠ مدرعة متروكة كانت تؤلف غنيمة عظيمة القيمة والاهمية . كانت مزوس أهم مركز تموين لقوات ريتشي المتقدمة وبالرغم من الوقود التي أحرقت والمؤن التي أتلفت قبل الانسحاب فقد وقع في يد رومل كميات هائلة منها كانت بمثابة عون كبير للقوات الالمانية في مثل هذه الظروف . وفي هذه الايام القليلة اقتنصت القوات الالمانية ما يزيد على ٦٠٠ سيارة و ١٢٧ مدفعاً و ٢٨٠ مدرعة . وكانت هذه الموقعة رائعة جداً والغنائم القيمة تبهر الانظار في حين ان الموقعة ما تزال في البداية .

عزم رومل على تشكيل اربعة جمهرات تعبوية . فالثلاثة الاولى طردت العدو في كل مكان تلاقت معه ودمرت وحداته التي كانت تقاتل بدون ارتباط او تطلب النجاة بالفرار . وكان يسير مع قواته باتجاه الخيلي العام لا لقصد تجديد المناورة التي قام بها في السنة الماضية بل محاولة خدعة العدو فقط . وسقطت بنغازي إثر غارة مفاجئة ثم تبعها احتلال المناطق

الاخري من ارجاء برقة الغربية والمناطق القائمة عبر الصحراء . وعلى طول المنطقة الساحلية وبعد استراحة الفيلق الافريقي يوم ٢٥ كانون الثاني في منطقة مزوس - انقيلات استمرت جمهرات الاستطلاع في تأمين التماس مع العدو الهارب . وبدت ضرورة الاعتماد على السرعة والمرونة اللتين بوسعهما فقط تحقيق النجاح والظفر . وكان هذا الاستطلاع المسلح الجاري تقوم به كتيبة الرماة المدرعة (١٠٤) Panzergrenadiere باستثناء الفوج الاول تحت أمرة المقدم باخ الذي استسلم اخيراً في مضيق حلفايا مع كتيبة الرماة المدرعة (١١٥) بأمرة الجنرال غايزلر وفصائل استطلاع أخري .

استلم روملر بالذات قيادة جمهرة الزعيم مارك مع جمهرة القتال الخاصة . وبعد سير ليلي مرهق في ليلة ظلماء ممطرة وصل في الساعات الاولى من فجر يوم ٢٧ كانون الثاني الى جنوب الرجيماء . وفي الساعة السادسة عشر الى بنينا أي انه وصل فوق ارض مطار بنغازي حيث احتلت الطلائع الامامية حدود المدينة الشرقيه . ولكن المشاة استمرت في سبيلها على طريق فيابابيا ومهمتها التربص في كويفيا لقطع طريق درنه على العدو الذي ما يزال في بنغازي . وفي المساء تصاعدت النيران من ارجاء المدينة التي جددت للمرة الرابعة فاتحين بفاتحين بعد ان قصفت ليلاً نهاراً . وكان مشهد يثير الوحشة امام انظار الجيوش الزاحفة التي لم تألف طيلة هذه الحالة رؤية المدن والقرى وهي تزخم بالحرائق . وكانت اصوات النساء الهلعة ومنظر الاطفال الهاربة وشقاء شعب مدني لم تسمح ضرورات القتال بتوفيره ورؤية رجال عزل بدون حماية او دفاع وقد امتلأت عيونهم بالخوف والرعب ، كل هذه المناظر لم تشاهد في الصحراء حتى الآن ولكنها صارت اليوم حقيقة ماثلة للعيان .

وانتهى احتلال بنغازي وسقوطها باستسلام لواء هندي حوصر بين

المدينة وقرية الكويفيا . وبالرغم من التدمير والاتلاف اللذين كانت تقوم بها القوات المنسحبة فقد وجد الجيش الالماني غنائم لا تحصى ولا تعد من الوقود والاسلحة والمعدات المتنوعـة والمؤون والاغذية والسيارات والشاحنات والجرارات وسفن التجريم البحرية القادمة من الاسكندرية والتي لم تكف لحظـة واحدة عن انزال النجدات والاحتياطات حتى يوم الهجوم . وبلغت عدد سيارات الشحن (الكميونات) التي وقعت في يد الالمان ١٣٠٠ سيارة كلها في حالة جيدة الاستعمال والسير والتي ساعدت على حل أزمة النقل الالماني دفعة واحدة .

وفي الثامن عشر من شهر كانون الثاني تنبأ تشرشل معلناً في مجلس العموم تدمير قوات رومل في الصحراء نهائياً . وأخذ يتكلم آنئذ قائلا : انهـا موقعة الصحراء الغربية المبهمة التي لم يطلق فيها اكثر من ٤٥٠٠٠ جندي . وبالفعل فالاخبار البريطانية لم تتوقف لحظة عن اعلان النتائج المفاجئة في كل لحظة وهنا نقرأ ما كتبه توم ورتينغهوم Tom Wirtinghom في صحيفة البريد المصور Picture-Post من العناوين البارزة التي نشرت ايضاً في الدايلي اكسبريس والسانداي اكسبريس مع التواريخ التالية :

— ٢٢ تشرين الثاني محاصرة رومل .
— ٢٣ » » دمر ثلث القوات المدرعـة التي يملكها المحور في ليبيا .
— ٢٤ » » مزقت قوات رومل عن آخرها .
— ٢٦ » » ربحت انكلترا موقعة الدبابات الليلية .
— ٢٨ » » ربح اخو كونينغهام الشق الاول من الموقعة .
— ٢٩ » » انسحب رومل الى الغرب تحت قصف الطائرات البريطانية .
— ١ كانون الثاني رومل يلقي في الموقعة آخر مدرعاته .

— ٢ كانون الثاني أطلق رومل في الميدان آخر قواته الاحتياطية .
— ٣ « « طرد الالمان بالحراب من صحراء سيدي رزق .

وفي الثاني عشر من تشرين الثاني اعلنت التايمس ما نصه : « قهرت قوات رومل وغلبت نهائياً بصورة حاسمة . وتحاول بقايا الجيش الالماني الايطالي النجاة من التدمير الكامل . وقد انتهى رومل البارحة بصورة مباغتة . وفي الغد اذاعت محطة الراديو معلنة بأن الهدف الهجومي القاضي بتدمير مجموعة قوات المحور يمكن اعتباره منذ اليوم أمراً محققاً . لقد تابع الفيلق الافريقي دفاعاً مجيداً وان رومل ليستحق من جميع وجهات النظر ان يوسد جثمانه الجدث الذي هيأه لرفاته الجيش البريطاني » . وكتب ليدلهارت Liddel Hort في صحيفة الدايلي ميل قائلا : « كم مرة قالوا لنا بأن وحدات رومل المدرعة وصلت الى اقصى حدود المقاومة ولكن يظهر انها لم تهن هذه القوة ولما تضعضعت بعد وما اشبهها بجرة زيت الارملة المذكورة في التوراة . وذكر المذيع الاميركي في ٢٨ كانون الثاني بأن كافة الاخبار الجديدة الواردة تؤلف برهاناً اخيراً على ان الجنرال ايروين رومل الطفل المقلق المزعج بين القادة الاحداث بدأ يخرج من جعبته دوراً جديداً لقصة جديدة . ونعود الى المستر تشرشل الذي طالما تنبأ بنهاية رومل المفجعة يقول امام مجلس الشيوخ في واشنطون في الخامس والعشرين من كانون الثاني وعلى وجهه علائم التعجب وامائر الخيبة والذهول من ملاحظة الدور الجاري طي الحوادث المتعاقبة المتلاطمة في كل مكان كالامواج الصاخبة واضاف قائلا في مجلس العموم بتاريخ ٢١ كانون الثاني على طريقته المعهودة الجريئة قائلا « انه لعسير علي ان ابسط حالياً بوضوح الوضعية الراهنة في منطقة برقة . اننا نجابه عدواً جريئاً للغاية ماهراً في منتهى المهارة ولا أتردد في القول بأننا أمام قائد كبير .

ونرى هنا كيف ظلت ليبيا اثناء الحرب الكونية الثانية وحدها ساحة العمليات الحربية الوحيدة التي احترمت فيها الشرائع المعنوية الكامنة في الجندي ، والتي حافظت على قيمها محافظة فاضلة . فالاعتبار المشترك الذي كان يقيمه كل محارب في هذه الجبهة من أدنى جندي الى أرفع قائد كان موضع المحافظة والتقدير الكلي . وكان هذا الاعتبار احدى الحقائق الثابتة في الجبهة . ولم يخف رومل مطلقاً استئناسه واعجابه اللذين كان يشعر بهما تجاه خصومه البريطانيين . وفي يوم من أيام الصيف بينما كان يشاهد عرض الاسرى الانكليز في اكروما التفت بغتة وأخذ يضحك قائلاً :

« يجب ان اراهم ومن يدري لربما يصبحوا حلفاؤنا في الغد » .

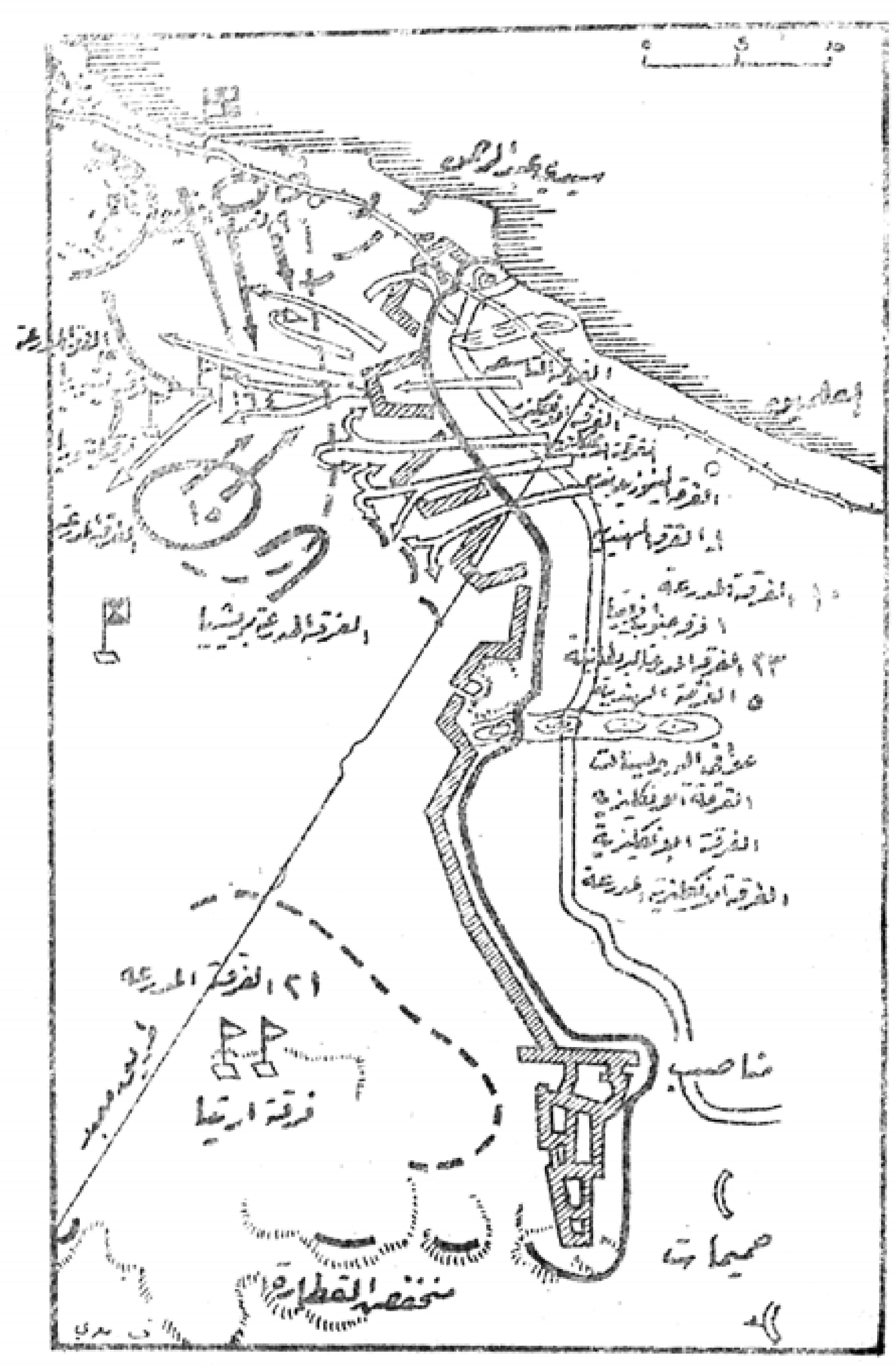
وبحكم المصادفة التي لا تخلو من مؤثرات جارحة تلقى رومل في يوم احتلال بنغازي بالذات تعليمات موسوليني القائلة : (في حالة انسحاب العدو وعزمه على الانكفاء يقتضي احتلال المدينة بقوات الاستطلاع دون الالتجاء الى دعوة فرق المشاة المتربصة في خطوط البريغا حيث يجب ان تظل مرابطة فيها مهما كان الأمر .

ولكن رومل كان يهتم بأشياء اخرى اهم من مطالبات موسوليني . فبينما كانت فرقة اريتيا المدرعة تعمل على تأمين الأمن في شرق بنغازي وفرقة ترانتو المدرعة تقوم بنفس المهمة في منطقة جمينه وكانت القناصة المدرعة وأفواج الاستطلاع تلاحق تقدمها عبر برقه البيضاء سقطت توكرا وهوجمت مراده من الخلف وتم احتلالها بعد معارك عنيفة ثم استمر التقدم على سيرين .

وصلت القوات الالمانية في الثاني من شهر شباط الى مرطوبه حيث دحر اللواء الهندي . وانطلق رومل بالذات في سيارة استطلاع قاصداً درنه فوجدها خالية من العدو فأوعز على الفور بالسير نحو تميمي كما ارسل الفوج المحافظ على الخيلي للوصول الى الساحل . وكانت الغاية ترمي الى

خط الغزالة بقوات الاستطلاع بينما تبقى كتلة الفيلق الافريقي في بنغازي كما كلف الفيلق الواحد والعشرين بالمحافظة على سلامة منطقة بنغازي واتخذت التدابير اللازمة لبث الالغام أمام خطوط الغزالة والممتدة في الصحراء على عرض مائتي كيلو متر . وفي التاسع من شهر شباط اشغل الطيران الالماني مطارات قرطبة ودرنه وتميمي . واضطر موسوليني اخيراً لتحرير فرق المشاة الايطالية لارسالها للعمل على حدود برقه الشرقية وظل الفيلق العاشر بقيادة الجنرال غامبارا في حالة احتياط الجيش في منطقة اجدابيا . واحتل فوج من المظليين الالمان واحة جيالو مباغتة كما أرسل على الفور فوج ايطالي يؤلف حامية الواحة في الصحراء . وهكذا فقد تغطي الجانب الأيمن للقوات المتقدمة وزرعت الالغام على الدروب الخلفية ودعمت مواقعها بمدافع ضد الدبابات . اتخذت كل هذه التدابير لحماية برقة الغربية التي بحكم وضعها الجغرافي تستدرج بصورة خطيرة مناورات الاحاطة والتطويق. وكانت اللنشات البحرية ذات المحركات التي اقتنصت من العدو تعمل على تأمين التموين حتى خليج بامبا .

تحسنت الوضعية بصورة شاملة كما تحسن الوضع القائم واصبح من العسير على الجيش الثامن استئناف الهجوم من جديد لأمد طويل . وأفاض رومل في معرض حديث له قائلاً « أزف الوقت بل حانت الساعة التي تتطلب استئناف العمليات القادمة وعدم اضاعة الفرصة المؤاتية بالانتظار ، ووجب تحضير الهجوم على القاهرة واطلاقه في الوقت المرغوب » بيد ان ان القوات جميعها كانت بحاجة الى الراحة لأنها منذ تشرين الثاني لم تنقطع عن القتال . اوعز رومل بتدبير كافة الأمور والشؤون والاستفادة من الأسابيع القادمة لتنظيم الوحدات واعادة النظر في التدريب العام والتموين طيلة هذه المدة بصورة متقنة تامة ثم سافر تواً الى برلين عن طريق روما جواً لتقديم تقريره الى مقر الفوهرر العام .



حركة الاختراق الانكليزية في ٢ تشرين الثاني

والحقيقة فان موقعة الشتاء كلفت كل من الجانبين خسائر جسيمة ودماء غزيرة . وبلغت الخسائر البريطانية ١٢،٠٠٠ أسير ، و ١٠،٠٠٠ قتيل وجريح وكانت الخسائر المادية ثقيلة جداً : منها ١٦٢٣ دبابة وسيارة مصفحة دمرت أو عطلت و ٢٥٠٠ سيارة اقتنصت، واسقطت ٣٢٩ طائرة. وفي عام ١٩٤١ كله بلغت خسائر الفيلق الالماني الافريقي ١٦٣٤ قتيلاً ، و ٥٩٥٢ جريحاً و ٥٠٥٤ مفقوداً و ٥٧٢٦٧ مريضاً اخلو جميعهم . ومنذ بدأ الهجوم البريطاني بلغت خسائر الجيش المدرع العدد التالي :

الضباط	الالمان		النسبة المئوية	الايتاليون		النسبة المئوية
القتلى	١٠٤	=	٧ ٪	٨٥	=	٣ ٪
الجرحى	١٤٤	=	٨،٥ ٪	١٥٥	=	٤ ٪
المفقودون	٢٠١	=	١٠،٥ ٪	١١٧٢	=	٣٤ ٪
المجموع	٤٤٩			١،٣١٢		
الافراد						
القتلى	١،٠٣٢	=	٢ ٪	٩٥١	=	١،٥ ٪
الجرحي	٣،٣٣٩	=	٧ ٪	١،٩٦٧	=	٣ ٪
المفقودون	٩،٩٤٠	=	٢٠ ٪	١٢،٣٨٢	=	٣٠ ٪

منهم ٤٥٠٠٠ شخصاً في ممر حلفايا

والخلاصة خسرت الوحدات الالمانية ٣٣ ٪ أي ما يعادل ١٤،٧٦٠ شخصاً وخسرت الوحدات الايطالية ٤٠ ٪ أي ما يعادل ٢١٧١٢ شخصاً ، أما الخسائر المادية فكانت ثقيلة باهظة صمدت الى العدد التالى :

	الالمان		النسبة المئوية	الايطاليون		النسبة المئوية
الدبابات والمدرعات	٢٢٠	=	٥٠ ٪	١٢٠	=	٨٠ ٪
المدافع	٤٢	=	٤٠ ٪	١٨١	=	٤٨ ٪
الطائرات	١٧٠	=	١٦٠ ٪	١٠٥	=	١٠٥ ٪

— بير الحكيم —

تحققت سلامة دفاع برقه البيضاء ولكن الجيش الثامن لم يدمر تدميراً كاملا . وكان الكل يوصي بوجوب اكمال عداد الوحدات الالمانية قبل نهاية شهر أيار استعداداً لتحقيق نجاح الهجوم القادم ، وخاصة لأن قائد السلاح الجوي الالماني لم يعد في مقدوره تأمين التعاون في هذا الوقت . قرر روميل بداية العمل في نهاية شهر نيسان . وكانت طبرق داخلة في نطاق هذا العمل المقرر واصبح من الضروري احتلالها نهائياً . وصرفت في هذه المرة عناية زائدة لاجراء الاحتلال بصورة عاجلة اذ كان يتوجب القيام باجراءات وتحضيرات هامة واسعة المدى .

وكان ينقص الفيلق الألماني الافريقي ١٢،٠٠٠ رجلا . وكان العداد الحالي لا يتجاوز ٣٦،٠٠٠ نفراً بما فيهم عداد المصالح الخلفية . وكانت القوات الايطالية في انتظار النجدات والمعدات . أما حالة الدبابات والمصفحات فقد كانت حسنة نوعاً ما ولكنها لم تكن كافية تماماً للقيام بحركة واسعة المدى . وكان لدى الفيلق الالماني في أواخر شبـاط ١٣٩ دبابة والفيلق الايطالي ٦٣ مدرعة . وفي ٢٠ آذار ازداد هذا العدد فبلغ ١٦١ و ٨٥ ثم صعد الى ٢٧٠ و ١١٧ في شهر نيسان . وكانت كميات هائلة من المعدات والنجدات ما تزال تنتظر في ايطاليا بعد لأن مسألة النقل لم تجد حلا نهائياً حتى هذا الحين . وكانت كميات الوقود المقرر ارسالها في شهر آذار الى روميل تقدر بـ ٦٠،٠٠٠ طن لم يصل منها سوى ١٣،٥٠٠ طناً .

وفي الثامن والعشرين من شهر نيسان وصل الى ليبيا المارشال كيسرلنغ القائد العام لساحة العمليات الحربية الجنوبية الاتصال بروميل وكان يحمل معه من مقر الفوهرر العام خبراً هاماً جداً حيث تقرر مصير مالطا بصورة نهائية وذلك بقصفها جواً طيلة عدة أسابيع ثم احتلالها حـوالي

حوالي شهر ايار القادم . وتقرر ايضاً اشتراك الاسطول الجوي في العمليات مع فوجين من المظليين . وبعد انتهاء احتلال الجزيرة يستأنف الهجوم على الجيش الثامن البريطاني فورا . وكان السلاح الجوي الالماني المعد لمساندة العمليات الحربية في افريقيا مؤلفاً من جناح يشتمل على اربعة اسراب من طائرات شتوكا وجناح طائرات مقاتلة مؤلفاً من اربعة اسراب ايضاً وجناح قاصفات وجناح التدريب التابع للفيلق الجوي العاشر .

ثم تأجلت العمليات المقررة في السادس من ايار ضد مالطا الى أجل غير مسمى يبدأ بعد الانتهاء من الهجوم على برقة الشرقية .

وعد الماريشال كيسرلنغ بتأمين معاونة سلاح الجو الالماني في عمليات احتلال طبرق بعد عشرة ايام . وكان المشروع الخاص المتعلق باحتلال مالطة لايزال في الافق البعيد ولن يتأخر عن الاختفاء بصورة نهائية وان هذا ما كان يقع في غالب الاحيان . فروما لم تكن تقدر ولا تريد أن تعمل شيئاً وتتمنى كل شيء . لقد ارسلت على سبيل الاستبدال في نهاية حزيران ثلاثة افواج وصلت الى بنغازي في ٢٣ ايار ولكنها كانت على غير استعداد لاستعمالها في العمليات الحربية القادمة لعدم استكمالها معداتها . وكان ينقصها التدريب والاسلحة الهـامة والاسلحة المضادة للدبابات كما وصل ستة آلاف جندي الماني بالطائرات اثناء هذه المدة .

وفي الخامس والعشرين من شهر ايار كانت الوحدات تملك ثمانية عشر وحدة من الوقود خمسة منها تحت تصرف القوات وخمسة منها في اقليم الجبهة وثمانية اخرى في منطقة طرابلس الغرب . وكانت الجيوش تملك وحدة نارية واحدة قيد التصرف المباشر وثلاثة على مقربة من الجبهة واثنتان في طرابلس وفي اقليم الجبهة ، وكانت كميات المؤن تكفي لمدة شهر واحد فقط .

وكان الفيلق الالماني الافريقي يملك ٣٣٢ دبابة والفيلق الايطالي ٢٢٨

دبابة من الطراز القديم يضاف اليها ٤٢ دبابة مقتنصـــة من العدو الذى مازال يملك مالا يقل عن ٦٥٠ دبابة ومدرعة .

ومنذ شهر نيسان استطالت الجبهة قليلا الى الجنوب لاشغال المواضع الملائمة للانطلاق القادم دون استدراج نظر العدو الى هذه الحركة وقد ترتب نظام الموقعة على الشكل التالي :

- الفيلق الواحد والعشرين بقيادة الجنرال نافاريني الذي نقل الى جانب فيلق الجنرال جيودا (Gioda)

- فيلق الجنرال جيودا G . Gioda

- الفيلق الآلي بقيادة الجنرال بالداساري G . Baldassare

- الفيلق الالماني الافريقي)
- الفيلق العشرون المؤلف من :) يشكلان قوة الصدام .

فرقتي اريتيـا وتريستا وتحصينات ميدان عديدة قوية واقيمت شبكة واسعة من نقاط الاستناد المحصنة . ولتأمين مجال السلامة وطدت شبكات متعددة لمخافر الاستسماع الصوتي على طول الجبهة بالارتباط مع مخافر المراقبة التابعة لسلاح المدفعية التي كان عليها انذار المقاتلات الالمانية الموضوعة خاصة قيد الطواري لمقابلة دورية طيران العدو .

وضعت خطة الهجوم وهيئت تفاصيلها بعناية كافيـة . وكانت الفيالق المدرعة مكلفة باطلاق الموقعة الحاسمة في الجنوب ثم مهاجمـــة العدو على الجوانب والاخلاف بينما الارتال السريعة تندفع ابان الاربعـة والعشرين ساعة القادمة الى المنطقة الواقعة شرق طبرق .

كانت قوات الجانبين المتحاربين المتقابلة متساوية تقريبـــاً من حيث العداد . اما من حيث الآليات فقوات المحور لم تكن على سعة كافيـــة بالنسبة الى قوات الجيش الثامن البريطاني . وكانت قوات المحـور ترتكز على طريق مواصلات وتموين أطول ، وبالرغم من أهمية ليبيا لم تكن

القيادة الالمانية العليا لتعتبرها سوى ساحات عمليات ثانوية . ومن جراء هذا الاعتبار ما كان ليتلقى هذا الميدان الكفاية مما تحتاج اليه آلياته من اللوازم وقطع التبديل الضروريه . وكانت الجيوش المحاربة في الجبهـــة الروسية تبتلع وتهضم كل شيء ، ولذا لم تجد القيادة الالمانية سبيلا لتأمين الحاجيات ذات الضرورة القصوى المعدة لافريقيا الشماليـة . ومن حسن الحظ وبفضل تعاون اخصائي البحرية الالمانية أمكن الاستفادة من مرفأ بنغازي استفادة كلية لتموين منطقة درنه بواسطـة سفن التجريم التي اقتنصت من العدو والتي كانت تجهز بشحناتها المتوالية المراكز الساحلية . وبالاضافة الى ماتقدم فقد اصلح الخط الحديدي الواصل بين درنه وبرجه وصار معـــدا للاستخدام . بيد ان الجيش ظل في حالة عوز شديد للوقود والذخائر .

وعلى الجهة المقابلة امام الفيلق الالمـاني والفيلق الايطالي العشرين كان يتربص فيلقان انكليزيان وهما :

١ – الفيلق الثالث عشر بقيادة الجنرال غوت (Gott) وهو قائد قـديم متمرن على حروب الصحراء والمؤلف من :

- الفرقة الخسون
- الفرقة الاولى لقوات جنوب افريقيا
- الفرقة الثانية لقوات جنوب افريقيا
- اللواء المدرع الاول
- لواء المشاة الهندي

٢– الفيلق الثلاثون بقيادة الجنرال نوريه G . Norrie المؤلف من :

- لواء الحرس الالي ٢٠١
- اللواء السابع الالي
- اللواء الثالث الهندي

- الزمرة الآلية الهندية
- اللواء الافرنسي الحر
- الفرقة الاولى المدرعة الهندية
- الفرقة السابعة المدرعة الهندية
- اللواء المدرع الثاني
- اللواء المدرع الرابع
- اللواء المدرع الثاني والعشرين
- الفرقة الخامسة الهندية) اللتان تشكلان احتياط الفيلق
- الفرقة العاشرة الهندية)

وفيما يلي نظام توزيع القوات الانكليزية على الجبهة حسب الترتيب التالي :

- فرقتا قوات جنوب افريقيا وفرقة انكليزية متربصة في الاستحكامات المنشئة حول عين الغزالة .
- الحرس وكان يشغل نقطة استناد نايتس بريدج Knightsbridge
- الجناح الايسر الذي تألف من القوات الفرنسية الحرة تحت امرة العقيد كونيغ koenig المرابطة في بير الحكيم .
- الفرقة الهندية المتربصة وراء خطوط موضع بير الحكيم على موازاة خط المظم تقريباً .
- ثلاث فرق مدرعة بقيادة الجنرال ميسرفي Messervy الذي استبدل الجنرال كامبيل القتيل في المعارك السابقة وكانت تشكل الاحتياط المتحرك .

وكانت العداد كاملة تقريباً مع الاضافة اليها المدافع الجديدة المحدودة المهب عيار ٧٥ سم والتي جلبت حديثاً الى هذه الجبهة . والمدرعات الاميركية طراز غرانت Grant وهي تفوق المدرعات طراز هنيتنك السابقة بمراحل والتي كانت تتطاير كالاشلاء بفعل القذائف الالمانيه .

بدأ انتشار القوات في ليل ٢٥/٢٦ ايار . وفي الشمال في قطاعات

الفيلق الواحد والعشرين نفذت حركة التفاف قوامها الدبابات المقتنصة من العدو وسيارات شحن مهمتها احداث ضجيج كبير فقط واجراء مظاهرة حربية يقصد منها اثارة ظنون العدو عن احتمال اقتراب هجوم مدرع الماني واسع المدى . ونصبت ورتبت مختلف انواع التمويهات والخدعات على الجبهة ترتيباً منظماً منها دبابات كاذبة وآلات نافثات الدخان واللهب ، وآلات مثيرات الغبار والعجاج وسيارات خاصة بمراوح كبرى هيئت لهذا الغرض اعتقاداً مستنداً الى تجارب العمليات الصحراوية القائلة بأن سحب العجاج والغبار تخفي الحركات والعمليات السائرة وتوفر على القوات مصروف الذخائر .

لم تباغت هذه التدابير التمويهية وحدها فقط قوات العدو بل أن الهجوم كان أشد مباغتة على ريتشي بالرغم من كون الجبهتين المعاديتين كانتا منتبهتين منذ أسابيع للطوارئ والاحتمالات المرتقبة . وكانت كل منهما ترقب في حالة تشبه الحمى انطلاق الحوادث القادمة . وبعد يوم طغى جوه طغياناً هائلا وتخللته عواصف رملية خانقة تقدم الفيلق الالماني الافريقي على يمين الفيلق الايطالي العشرين ليلاً باتجاه الجنوب الشرقي للاطباق على جانب العدو . وتقرر الوصول الى المنطقة الواقعة جنوب بير الحكيم .

كانت ليلة مقمرة رائعة من ليالي الصحراء الافريقيه التي تمنحها الصحراء وحدها دون غيرها عند مايطيب لها العطاء . ليلة تنسي المرء المتاعب والالآم ووطأة الحر القاتلة وعواصف الرمال الجافة المحرقة وعادية الذباب المنهكة والحرمان من الظل الوارف . وفي الافق كانت الاضواء تبدو منعشة تثير أعمق الاحاسيس والشعور ، أضواء تبعث في النفس اليقظة الروحية الكامنة . وكان يسمع من آن لآن في أجواء الفضاء الصافي البراق هدير القاصفات البعيدة ثم يتلو الهدوء الصامت ، وكانت السماء تنشر على الارض السلامة والغبطة وتحت القبة السماوية المرصعة بملايين

النجوم وكانت الحياة تبدو كأنها عديمة الاهمية .

وكانت آلاف القوات سائرة في سبلهـا وآلاف اخرى في خنادقهـا وملاجئها واستحكاماتها تنتظر على الصيحة العارخة (قف — من أنت ؟) وكنت ترى وحدات المشاة والهندسة وسدنات الدبابات والمدرعات ينتظرون جميعهم الامر . وفوق هذه الساحة المربعة من الارض الصحراوية المنفردة المميتة كان يقف الجيشان على أهبة الانتظار للتلاقي والتماس والقتال تعززهم جميعاً فكرة واحدة وهي تدمير الآخر . وعند اشراق الفجر اجتـازت الوحدات السـائرة لتضاعف خط دفاعات بير الحكيم — النزالة . وكان يتوجب عليها الوقوف والتريث مدة ساعتين من الزمن لرفع الالغام المزروعة ثم استمر السير بهمة اقوى . وفي الساعة العاشرة وصلت الفرقة الخفيفة التسعون الى العضم وكانت بقايا الطائرات الساقطة تضجع على الارض تشير الى آثار الهجوم السابق . وقد وقعت معركة الدبابات الاولى الضارية في جنوب شرقي بير الحرمات . وكانت المدرعات الالمانية غير مرفوقة بمدفعيتها المساندة وخاصة مدافع الفيلق من عيـار ٨٨ مم التي كانت تصحبها عادة فهوجمت وأصيبت بخسائر باهظـة بفعل مدافع الدبابات الانكليزية الجديدة التي كانت ترمي قذائفها بعيداً ولكنها مع ذلك استطاعت ان ترغم العدو على الانسحاب .

وأثناء ذلك كان رومل مع اركان حربه يسير في طريقه للاتصال بالفيلق الالماني الافريقي فالتقى ببطارية انكليزية ممرجة نحو طبرق ، فهوجمت وأسرت على الفور .

وانطلقت موقعة الدبابات وتأججت نارها بعد الظهيرة وهاجمت وحدات من العدو في الشمال الشرقي حيث ألحقت خسائر في القوات المدرعـــة الالمانية وارتال الفيلق . وما اسدل الليل استاره حتى رُد الفيلق المذكور صوب الجنوب وجنوب غربي اكروما وسجلت قوات الجنرال غوت موفقية

ملحوظة واستطاعت قطع ارتال التموين والتذخير والوقود وقسماً من المشاة والاقسام المنعزلة من الفرقة المدرعة الالمانية فأحدثت بذلك وضعية شديدة الخطورة على القوات الالمانية . ومن جراء ذلك توقفت أعمـال التموين قرب بير الحرمات . ولكن الفرقة الخفيفة التسعين استطاعت في هـذا اليوم تسجيل اعمـال مظفرة رائعة في جوار العضم . ووصـل الفيلق العشرون الى هدفـه دون ان يلقي أية مقاومـة . وكانت كتلته متجمعة جنوب بير الحرمات .

وفي صبيحة اليوم التالي توفق الفيلق الالماني في تشكيل جبهة دفاعية لحماية ارتاله المبعثرة كثيراً بين بير حكيم وبير الحرمات . واستدعت الفرقة الخفيفة التسعين والفيلق العشرين الذي تمكن من احتلال سلسلة المرتفعات الواقعة شمـال بير الحرمات . واستأنف الفيلق الالماني سيره نحو الشمال يصد ويرد العدو المهاجم في الشرق والغرب .

ووصل قسم من وحداته الى طبرق على طريق فيابالبيا التيسيطرت بنيرانها على طريق طبرق – الغزالة . وفي المسـاء هاجم العدو الفيلق العشرين بمدرعاته ودفع اركان حرب الجيش المدرع مدمراً عدداً من المدرعات كما احدث اضراراً جديدة في ارتال الفيلق الالماني . ولم يكن في المستطاع اعادة النظام الا اثناء الليل بصورة اضطر معها روميل ان يتسلم بذاته في ٢٩ أيار قيادة وتوجيه الفيلق الذي أجبر من جديد على خوض معـارك دفاعية عاتيـة شديدة اضطر الى اجرائها بفعل قحط الوقود والذخيرة . وظل هذا النقص بارزاً مستحكماً بشدة بالرغم من وصول مواد التموين ورأى نفسه مجبراً على التنازل عن مقاصده القاضية بالانطلاق نحو الشمال لاحتلال مرتفعات اكروما وتربص على الدفاع مستنداً الى حقول الغـام العدو في بير الحرمات . وأسقطت طيـارة الجنرال كرومل قائد الفيلق الافريـقي وهبط منها أسيراً في ايدي العدو كما جرح قائد الفرقة المدرعة

جرحاً خطيراً اثناء العمليات الدائرة .

انطلق الجنرال ريتشي محاولا مهاجمة الجبهة الجديدة في الشمال والجنوب كي يدفع بالعدو عبر حقول الالغـام . ولكن رومل كان مستعداً لمجابهة أي احتمال يبدو من جانب العدو . وكان الشرط الاساسي الوحيد يقضي بتوطيد خط تموين جديد بالسرعة الممكنة لأن طريق بير حكيم قطعت اثناء القتال .

وبعد توطيد الارتباط مع فيلق الجنرال جيودا في الثلاثين من شهر أيار نظمت فوراً طريق تموين جديدة تتجه نحو الغرب وردت كافة هجمات العدو المنطلقة من الشرق والشمال الشرقي كما طوقت جمهرة معادية تقدمت على اخلاف الفيلق الالماني حيث هوجمت في اليوم التالي من قبل فصائل الفيلق المذكور والفرقة التسمين وفرقة تريستا دون ان يتمكن العـدو من مساعدتها فاستسلمت في ١ حزيران عند الظهر بعـد مقاومة عنيفـة وبلغت خسارتها ٣،٠٠٠ أسير و ١٠٠ سيارة مدرعة و ١٢٤ مدفعاً . وهيئت هذه العملية الناجحة احتلال نقطة استناد الجنرال غوت . والشروط اللازمة لاستئناف وملاحقة القتال .

لاحظ ريتشي تأخر مشاريع رومل فظن بأن قواته كسبت نصراً محققاً . والحقيقة فان خطته فشلت لأنهـا كانت تعتبر بأن مجموعة قوات العدو ستدمر حتماً في الايام الاولى من العملية وسارت عملية (الألفا) التي يتبعها عملية (الابا) أي عمليـة احتلال طبرق على عكس ما هو مقرر لها كما ان مشروعات رومل لم تفشل الى حد كبير . فكل العسكريين يدركون بأن أية موقعة لا بد ان ترتبط وتتعلق بعديد من الاحداث والاعراض . فالخسائر التي اصابت الفيلق الافريقي لم تكن من الخطورة الى حد ان تشل قدرته الهجومية نهائياً . وان انسحاب الفرق الالمانية وانتقالها الى حالة الدفاع واخفاق كافة الهجمات الانكليزية المنطلقة كانت

تبرهن على ان التوقف موقتاً اصبح في حكم الضرورة قبل استئناف الهجوم من جديد . وكان يتوجب في مثل هذه الحالة اعادة النظام الى ارتال التموين التي عبثت بها مدرعات الجنرال غوت وان الموقعة يمكن استئنافها فيما بعد . وكان السلاح الجوي الالماني آنئذ على أتم استعداد للتدخل من جديد بعداد وقوات هامة . وكان ينتظر الاشارة فقط لاستئناف الاعمال التالية المقررة .

وفي ١ و ٢ حزيران بدأت فرقة تريستا والفرقة الخفيفة التسعون تقدمها نحو بير الحكيم الذي يؤلف العماد الجنوبي للجبهة الانكليزية . واثناء هذه الحركة وبينما كان القتال يسير بقسوة وضراوة ضد خصم شجاع جرت سلسلة من الهجمات المستقلة . ومنذ الصباح شرع الفيلق الالماني بحركة التفاف نحو الشرق مشتتاً عدداً من ارتال العدو الزاحفة كما دمر بطارية دبابات . وكان ريتشي يتساءل في غمرة من سحب العجاج المتصاعد الساتر والضجيج المتعالي الهائل الصاخب بدون جدى ، أين هي قوات رومل بالضبط ؟

وكان بير الحكيم نقطة ما في عرض الصحراء اطلق عليها هذا الاسم بحكم وجود بئر عربية من عهد تاريخي بعيد وكانت نقطة عسيرة الاحتلال والاستيلاء . وكان يتوجب فتح ثغرات وممرات عبر حقول الالغام العديدة التي بثها العدو في هذه المنطقة . وكان العدو غير منظور يتربص في استحكاماته الدائروية المشرفة على ميادين رمي واسعة مختارة . وكانت طائرات شتوكا تهدر ليلا نهارا فوق القلعة الصحراوية فتحولها الى بركان يتصاعد من ارجائه اللهب ويتطاير من جنباته الحديد الذائب والعجاج الخانق والمدافع تصب نيرانها وحممها دون انقطاع على هذا الموضع المنيع .

واننا لنتساءل بحق لماذا احتفظت القيادة الانكليزية بمعظم جيوشها وقواتها على جبهة الغزالة اثناء هذه المعارك ؟ ولماذا اقتصرت على اجراء

بعض المحاولات بقوات خفيفة سريعة لمساعدة ومساندة هذه النقطة المهددة ؟ فهل كانت في جهل عما يدور في بحران هذه المنطقة وما كان يتهيأ من الاعمال الحربية ؟ وعلى كل فقد تمكنت القوات الالمانية تباعاً من امحاء شراذم ووحدات مدرعات ريتشي التي كانت تهاجم افرادياً ، وتطويق جمهرة منها استسلمت مع ٤٠٠٠ أسير وعدد كبير من المدرعات الخالية من الوقود . وكانت غنيمة باردة قوبلت بالترحاب والابتهاج واستطاع الفيلق الالماني ان يزيد عداد دباباته الى ١١٨ دبابة .

وفي ٧ حزيران تمكن الالمان من احداث ثغرة أولى في حقول الغام بير حكيم ولكن مقاتلات وقاصفات العدو بدأت منذ هذا الحين بمساندة قوات العدو المرابطة في هذا القطاع التي استطاعت الاستمرار في القتال بجلد وعناد . وكانت اعشاش الرشاشات تدافع عن مواضعها حتى نفذت آخر طلقة وضعت تحت تصرفها . ولم تتمكن القوات الالمانية من احتلال القلعة الارضية المحصنة الا في الحادي عشر من شهر حزيران حيث تمكن قائدها الشجاع الجريء العقيد كونيغ Cl. Kœnig من الخروج من الحصار المضروب في الليلة الفائتة والالتحاق بالخطوط الانكليزية . انطلقت الفرق الثلاثة : الفرقة المدرعة الخامسة عشر ، والفرقة الخفيفة التسعون وفرقة تريستا باتجاه الشمال الغربي نحو خط العضم — اكروما . وكان المفروض العمل بالسرعة المتناهية بعد سقوط العماد الجنوبي للدفاع الانكليزي.

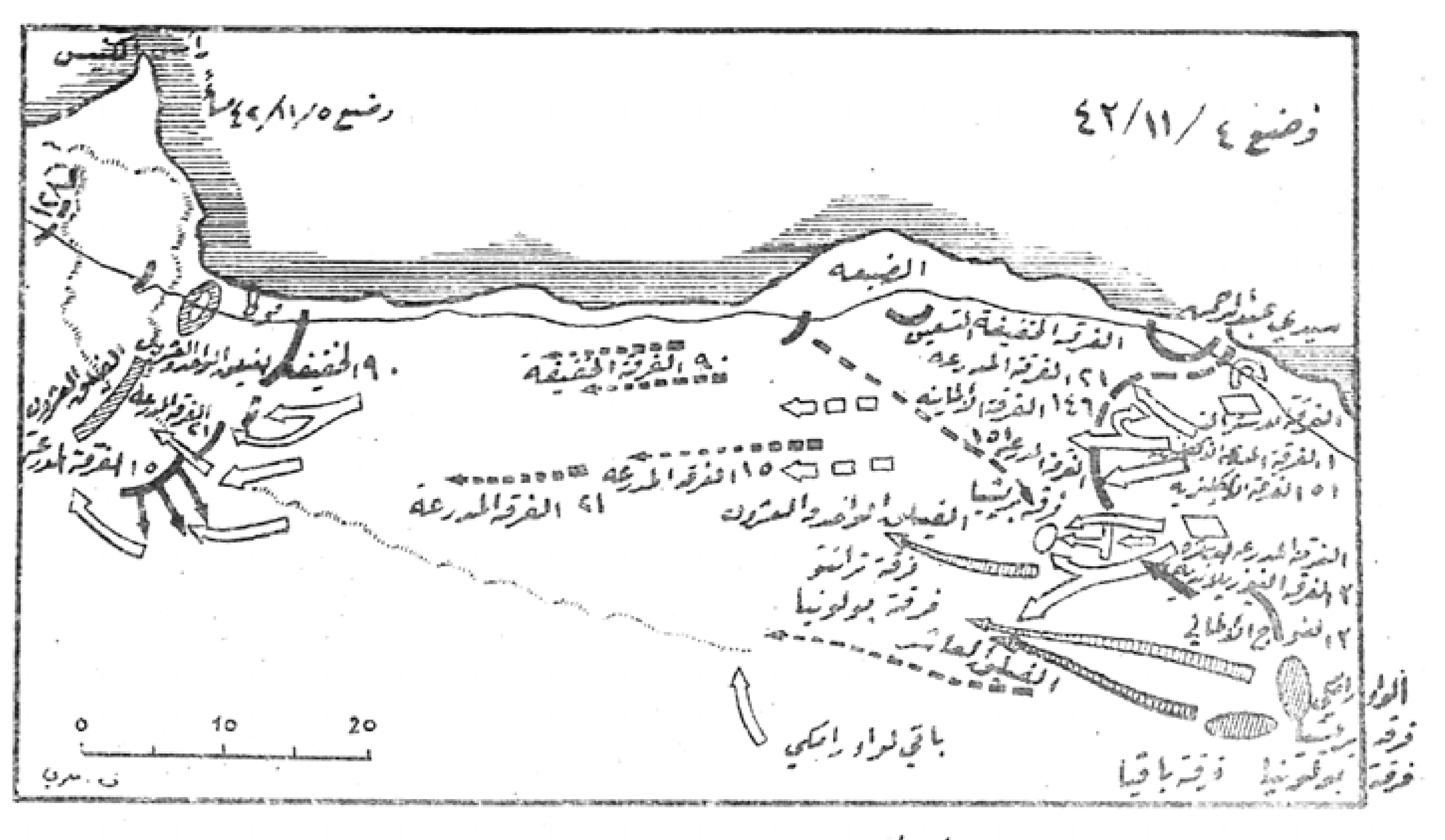
أعطى ريتشي أمراً مستعجلا بوجوب الانسحاب وكان متأخراً جداً عن امكان اجراء هجوم متلاقي جديد بينما ظلت فرقه المدرعة المرابطة على الساحل سالمة بعيدة عن سياق القتال القائم والتي عانت فيما سبق مصاعب القتال المر في معارك عديدة خاصة . ويظهر ان الجيش الثامن كان يجهل سياق الوضعيه العامة وما كان لديه آنئذ أية نظرة عامة عن الوضع وكانت مصالح مواصلاته واستعلاماته مشلولة ومخربة تماماً .

اصطدمت فرق الفيلق الالماني المتقدمة بالعدو المتراجع ووجدت الفرقة الخفيفة التسعون في موضع المضم عدواً يطلق نيرانه من كل جانب وفي كل الاتجاهات . وأغارت جمهرة الاستطلاع الثالثة والثلاثون على الفرقـة المدرعة الثانية والعشرين الانكليزية في وسط عاصفة رملية هوجاء . واثناء الليل تمكن الفيلق الالمـاني من مباغتة كتلة المدرعات الانكليزية اثنـاء تراجعها في نايتسبريدج ودمرها تدميراً شاملا .

حدثت الموقعة الحاسمة في مجرى القتال القائم بعـد سقوط قطاع بير حكيم الذى ساعد على تحقيق الاختراق والاحاطة الـلذين تعسر اجرائهما اثناء الفصل الاول من الموقعة التي انتهت بأزمة حادة اصابت الفيلق الالماني واصبح الهدف المقرر آنئذ خط اكروما الدفاعي وذلك بغية قطع قوات العدو التي ما تزال تشغل مواضع الغزالة .

وبينما كانت حامية هـذا الموضع تعمل على نسف مستودعات الذخيرة والمؤون التي جمعت بعناء طويل شوهدت بعض وحدات الفرقة الانكليزية الخمسين تخترق قطاع الفيلق الايطالي العاشر وتنطلق على طريق « فيابالبيا » في حالة مضطربة جـداً محاولة الوصول الى طبرق . وتم احتلال موضع المضم بغارة مفاجئة كما انتقل الفيلق الواحد والعشرون ايضاً الى الهجوم على القوات الالمانية المدرعة وتقدم من اكروما حتى الطريق الساحلية على البحر ، وقامت جمهرات صغيرة من قوات جنوب افريقيا ونجحت في شق طريق لها ولكن الباقي أسر على الفرر . واصبحت آنئذ كافة الاراضي الممتدة حتى البحر في قبضة الالمان . ووجد الفيلق الالماني نفسه من جديد امام الحد الكيلو متري ٣١ المشئوم امام طبرق .

لم تمنع رومل النصف مليون لغم التي بثت بانتظام حول موضع الغزالة لتحميها على الجوانب والاخلاف من تنفيذ هجومه وقد أنذر مسبقاً هجوم الانكليز ، وقيد بسرعة مضطردة لم تسمح لهم بالتوطد والتربص . وقد



التراجع من العلمين الى خط فوكا

ضحت القيادة البريطانية بآخر وحداتها المدرعة كي تتمكن من تأمين نجاة قسم كبير من وحدات الفرقة الانكليزية الخمسين . أما ألوية الدبابات فقد كانت متعبة منهوكة لدرجة انها اضطرت للتراجع حتى الحدود المصرية .

وكانت الفرق المدرعة الايطالية تتربص على الطريق التي بنيت حول طبرق والمسماة طريق المحور . وتقدم الفيلق العاشر نحو الشرق على طول درب كابوزو واحتل قرية الضودا الواقعة جنوب طبرق بينما كان الفيلق المدرع الواحد والعشرون يخوض معارك عنيفة مع الحرس الانكليزي حول سيدي رزق . وكانت الطائرات المحلقة على ارتفاعات قليلة تلحق به خسائر جسيمة ولم يتغلب على قوات الحرس التي كانت تقاتل بضراوة شديدة تثير الاعجاب العميق .

ماذا كان يعمل الجنرال ريتشي في هذه الاثناء ؟ وفي ليل ١٤/١٣ حزيران عندما برزت المدرعات الالمانية في الميدان كان مقره العام يتمركز في غمبوت . وتوجب عليه أن ينسحب عاجلا جداً وظلت فرقه بدون قيادة كما ان جيش رومل اضاع ايضاً في كثير من الاحيان النظرة العامة الموقعة ذات التقلبات الآنية المتبادلة وكانت الصحراء تمج بالأرتال السائرة وليس في مقدور أحد ان يعرف مسبقاً انتسابها وتابعيتها بالضبط . وأثنائها ظل رومل كما كان دوماً في الطليعة يدفع بقوة الفرقة الاحدى والعشرين المدرعة ، وفرقة اريتيا التي ارفقت بها . وكان هدفه منطقة غمبوت الواقعة على مقربة من طريق فيابالبيا في منتصف طريق طبرق ـ الباردية . وسبب احتياطه هذا هو اكتفائه بتعيين جمهرة استطلاع واحدة لاغلاق اهم طرق رجعة القوات الانكليزية . فوصل في منتصف صبيحة اليوم السادس عشر من حزيران ليضرب الحصار من جديد على طبرق . وكانت الاراضي مشغولة الى مسافة ٦٠ كيلومتر الى الشرق والجنوب الشرقي . وتم احتلال الطرق والخط الحديدي الذي بناه البريطانيون في الفرجة

القائمة لامكان ربط ميناء مرسي مطروح . وفي غمبوت اقتنص الالمان أربع طائرات من طرز كورتيس « Curtis » كانت على أهبة الاقلاع . وعلى بعد عشرة كيلو مترات تقريباً عثر على مستودع وقود هائل . وللمرة الاولى في هذا اليوم اختفت الطائرات البريطانية من الجو وسيطرت المقاتلات والقاصفات الالمانية على الجو سيطرة سائدة .

أزفت ساعة النصر واقتربت عقـــاربها تبشر رومل وصحبه شيوخ الصحراء الافريقية باقتراب احتلال طبرق . كانت القيادة البريطانية تتساءل ترى ماذا يعمل الجنرال رومل ؟ ايتابع طريقه نحو الشرق أو انه يقتحم طبرق ؟ ولشد ما كانت الوضعية غامضة عقب الحوادث الاخيرة الجـارية حتى انها لم تكن عارفة البتة الى اية نقاط وصلت فرق الغزالة ، وهل نجحـــت في الالتحاق بملاجيء القلعة أم لا ، ولا في اية حالة اصبحت قواتها ؟ . امر واحد فقط كان غير مجهول لديها ، وهو ان بقايا الجيش الثامن شرعت ترتد الى مصر وقد فقدت قدرتها ومعنويتها المحاربة . ولطالما تردد ريتشي في العمل على ايقاف الهجوم وحده وكان من جراء تطويق وسقوط بير حكيم الذي كان من نتائجه المحققة انهيار كامل منطقة الدفاع البريطانية المحصنة . وكان رومل يرقب هذا التردد بسرور وأمل ويحـلم بالنهاية المنتظرة . فطبرق حوصرت من جديد وانها ان تظل هـذه المرة حاجزا منيعاً قائماً على طريق قوات المحور . وبينما كانت ريتشي يواجه الالزاميات الثقيلة لاقامة جبهة جـديدة في مصر واعادة تشكيل وتنظيم جيشه من جديد تمكن الجيش المدرع الالماني من حل مسألة التموين ولو لمدة قصيرة بفضل الغنائم المكدسة السالمة التي كسبها كما وجد الفيلق الافريقي كامل المنظمة التي سبق ان بناها ما تزال قائمة بعد ، معدة لاجراء الهجوم على طبرق . لم يفكر رومل في التقدم وملاحقة العدو نحو الشرق طالما لم تنتزع قلعة طبرق من قبضته . فتحرك بسرعة الصاعقة وباغت العدو

مباغتة كاملة كما يظهر فيما بعد . وفي الخامس عشر من حزيران تقدم الفيلق الالماني وفرقة اريتيا وأعطى المجال اللازم لاطلاق الهجوم .

وتم تطهير المنطقة الواقعة بين طبرق وغامبوت في اليوم الثامن عشر.

وكان العدو اثنائها يعيش على التوقع والانتظار . ولم يحدث اي مانع على الاطلاق فيما يتعلق بتوطيد الفرقة الالمانية في أمكنتها استعداداً للهجوم على طبرق .

ومن الغريب ايضاً ان تعلن القاهرة في ٢ حزيران ما هو نصه : « لم نعهد البتة هجوماً اختنق قبل ان يولد مثل هجوم رومل على طبرق ولمّا يبدأ بعد » . وفي الثامن عشر من حزيران أعلنت لندن ايضاً بأن الجيش الثامن يشكل حاجزاً قائماً لا يتصدع ولا يخترق أمام القلعة المحصنة . وفي اليوم التالي علقت وكالة روتير على الوضع ذاته قائلة : « ان مسألة طبرق غير قابلة الحل على رومل » . وفي ٢٢ حزيران اذاع راديو نيويورك زاعماً ان رومل سيضطر الى الوقوف مع بقايا جيشه في بعض النقاط المجاورة لطبرق وأضافت قائلة : (إنه من المضحك مجابهة امكانية اكتساح هذه القلعة المتيدة الجبارة) .

وقد سبق لبعض عناصر الفيلق الالماني التي كانت في طريقها نحو البارديه ان توفقت في الوصول الى مقربة من أسلاك غرازياني الشائكة على الحدود وكانت كافة الامارات الظاهرة تدل على قرب حدوث الصدام المتوقع على جبهة مصر . بيد ان الوحدات الآلية الالمانية ارتدت الى الغرب بغتة من نفسها قبل الوصول الى غامبوت دون ان تكمل طريقها نحو الشرق . وأجرى فيلق نافاريني الواحد والعشرين الذي اجتاز طريق المحور على جبهة واسعة امام طبرق مظاهرة جريئة للوصول الى الخطوط المتقدمة من قلعة طبرق . وفي العشرين صباحاً فتحت كافة مدفعية الفيلق الالماني نيرانها على مواضع دفاعات طبرق وعلى القلعة منذرة ببدء الهجوم .

ظهرت أسراب القاصفات الاولى للسلاح الجوي الالماني في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين، وكان يختلط هدير طائرات شتوكا بدوي انفجارات القنابر والقنابل التي كانت تقذفها المدافع الالمانية المرافقة والمدفعية الثقيلة . وخاضت كافة الاسراب الالمانية العاملة في افريقيا الشمالية هذه الموقعة وشرعت تهاجم القطاع الجنوبي الشرقي حيث كان يتوجب احداث فرجة الاختراق ودمرت المواضع الحصينة المتيدة وخاصة شبكات الاسلاك الشائكة وأحدثت تأثيراً هائلا على معنوية ومقاومة اللواء الهندي الحادي عشر الذي كان يدافع عن هذا القطاع دفاعاً مستميتاً .

ووراء هذه التغطية التي اقامتها القصوف العنيفة شقت القوات الالمانية ممرات نفوذ وتسلل في حقول الالغام الواسعة ودخلت الفرقة المدرعة الخامسة عشر الاولى متوغلة من المنطقة المحصنة . واستعمل في هذا الهجوم الجسور المنصوبة النقالة التي جلبت خصيصاً لهذا الغرض حيث القيت على الخنادق ضد المدرعات لتسهيل الاجتياز . وسارعت فرق الهندسة لتدعيم فرق المشاة التي أخذت تتسرب من نقاط الاختراق ثم انتشرت على الجانب الآخر من حقول الالغام . ولم تلبث المواضع طويلا حتى اخليت وسقطت في حوزة الفيلق الالماني الافريقي . وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين كان رأس الجسر يمتد على عمق كيلومترين تقريباً .

وكان ميدان الموقعة مغطى بالسيارات المخربة والمعطلة والمدرعات المحترقة والمدافع المدمرة او المهجورة . كانت ساعة انتصار جنوني لشيوخ افريقيا المحاربين ، هؤلاء الذين استوقفوا عدة شهور أمام هذه القلعة المحصنة لا يستطيعون النفوذ اليها واكتساحها ، وقد دفعوا من أجلها ضريبة باهظة من الدماء الغالية الى خصم عنيد ابدى مقاومة عنيفة يائسة نادرة المثال . ولم ينج موضع قدم في هذه الارض لم يحمل في طياته شظايا الحديد والفولاذ القاتلة . وتحت لفحات رياح السموم هوجمت هذه المواضع من جهة رأس

المدور المشؤوم حيث كانوا يتقدمون فيها شبراً شبراً وينتزعونها قطعة قطعة من جنود الجنرال مورهيد . لقد َغلبوا و ُغلبوا في آن واحد . وكم مرة في الليالي الصافية التي ترصعت سماؤها بالنجوم العديدة ردوا خروج المحاصرين وهجماتهم العديدة . وكانت مئات الدوريات تستكشف وتستطلع الاراضي المعزولة المقابلة . ولما أوشكت هذه الجهود الجبارة ان تثمر وتنال اجرها ، وحان تحقيق الامل الساطع بازالة هذه العقبة المنكودة موطن الذئاب العتيدة ضاع كل شيء أمام هجوم العدو الجديد المنطلق على الجبهة الشرقية فاضطروا الى الانكفاء واخلاء هذه المواضع التي احتـــلوها بالجهد والدم ونظموها بالعناء والعرق المسكوب . وسقطت مقبرة الحد الكيلومتري ٣١ في ايدي الانكليز وذهبت كل الجهود المبذولة ادراج الرياح .

ولما وصلوا الى ينابيع مياه اجدابيه الحلوة كانت تتطلـع اليهم طبرق من بعيد كالسراب الخادع . وكانت الاشهر العديدة التي قضوها في الحفر والخنادق لم تعد في نظرهم سوى ذكريات ذابلة تبعث في نفوسهم الخوف والوجل . ولكنهم احتفظوا في قرارة نفوسهم بسر غير مباح تركز في اعماق افئدتهم يحركهم ويثير اشجانهم ولم يعد لهم بسببه راحة ولا هناء ، دافعهم الوحيد تصفية هذا الحساب القديم مرة واحدة وهو أملهم المحبب الذي كان يدغدغ احلامهم منذ عهد طويل . كانوا بالفعل امام طبرق وفي وسط دفاعات العدو ومواضعه وطالما اجتاز رومل بذاته خنادق المدرعات مع الطلائع الاولى وهو في عجلاته المدرعة . وكان كمكل جنوده تحدوه وتسوقه فكرة واحدة . التقدم ... التقدم ... الانطلاق .. الانطلاق . كان يتوجب عليه ان يكتسح الميناء والمدينة بوثبة واحدة ثم ينسف أركان هذه القلعة المشؤومة دفعة واحدة . وحوالي الظهر تمكن رومل من تدمير خمسين مدرعة ، ووصل الى المفرق الذي يبعد أربعة كيلومترات عن طبرق . وكان حطام المدرعات الالمانية التي دمرت اثناء هجوم عيد الفصح

عام ١٩٤١ ما يزال قائماً شاهداً فوق ميدان الموقعة . وكان الفيلق الافريقي ينصّب كالشلال الجارف على الممرات التي احدثت عبر حقول الالغام . وقد تسمر الفيلق الآلي العشرون بعد ان اجتازت مدرعات فرقة أريتيا وتريستا الخنادق الاولى وقد توقفت في وثبتها وشلت حركتها . فأعيدت على الفور بعض وحدات هذا الفيلق الى الخلف وعبئت وراء الفرقة المدرعة الخامسة عشر حيث أطلقت في اتجاه الغرب على طريق العظم .

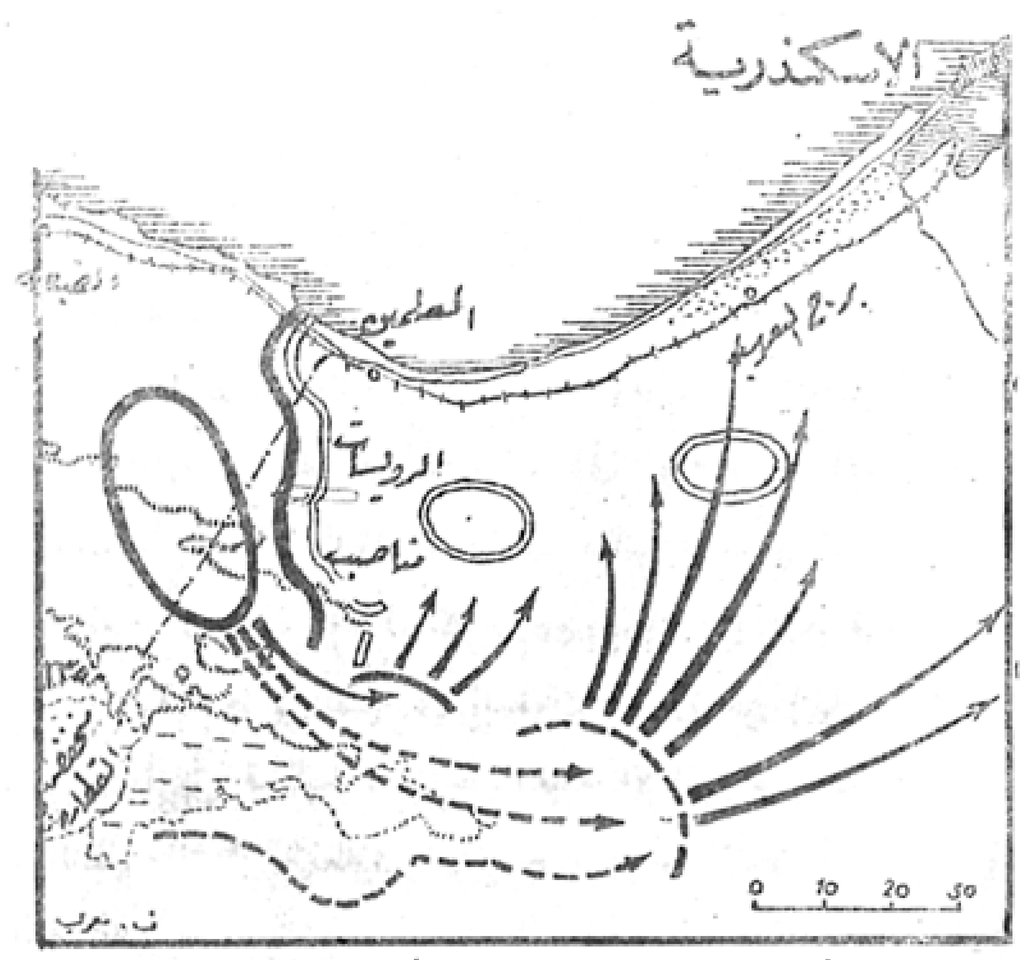
ولم تستأنف الفرقتان المذكورتان هجومهما الا بعد الظهيرة حيث لم تتوفق في الوصول الى اهدافها في هـــذا اليوم . وعند الظهر فتحت المدفعية عيار ٨٨ مم التي كانت ترافق الوحدات المدرعة نيرانها على الميناء . ووصل رومل الى السفوح المشرفة الموصلة الى المدينة وتابع بذاته تطـور وضعية القتال . وكان في الميناء قبضة من السفن التي كانت تتهيأ وتتحرك للاقلاع والهرب . وللمرة الاولى استطاع ان يشاهد عياناً المدينة التي ايقظت في نفسه اصداء الدعاية الرنانة ورنين أباطيلها التي كانت تدور انحاء العالم الخارجي قاطبة . لم يبق منها سوى اكوام الاحجار وآثار الخرائب والجدران المحطمة والمنازل المتهدمة . وكانت القنابل الالمانية تتسـاقط وتتفجر في ارجائها بدون انقطاع . وكانت مرأى ومشاهد التدمير تغمر المدينة وتبسط عليها استارها الكئيبة ، وتتصاعد سحب النيران من أطرافها ومن المستودعات والمخازن الملتهبة . وكان المرء يشاهد في كل ناحية هياكل دبابات وسيارات تلتهب وتحترق وقد احمرت جوانبها من شدة اللهب .

وعندما اعتمد رومل التقدم الى الامام تصدت له نار حامية تنطلق من احدى أعشاش المقاومة ، فأنذر الموضع بوجوب الاستسلام ولكن حاميته ردت على الانذار بنار أشد وأقوى وعلى الاثر اندفع العريف هوبرت Hubert التابع لمقر القائد الاعلى للجيش متقدما مع ثمانيـة جنود من بطاريات الدفاع الجوي واغار على العش المقاوم فأخرس المقاومـــة ودمر

الموضع بفعل القنابل اليدوية . وبعد قليل اعلمت قيادة الفيلق الالماني بأن حصن بلاسترينو المقر العام لحامية الدفاع استسلم بدون قيد او شرط وتبعه سقوط حصن سالارو على الفور . وفي الساعة ٢١ والدقيقه ٥٥ تم الاستيلاء على الميناء والمدينة معاً وكانت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين اي الفرقة الخامسة الخفيفة سابقاً هي اولى الفرق التي وصلت الى المدينة وشرعت أثناء الليل في تطهير ميدان الموقعة . وفي الغد استأنفت هجومها نحو الغرب وسقط ثلثي القلعة في حوزة القوات الالمانية وتم احتلال طبرق في يوم واحد وفي أقل من اربع وعشرين ساعة .

ويعزى هذا الظفر الرائع الى فكرة رومل الهجومية المطلقة وروح الهجوم المتمكنة في قواته ووحداته ومهارة قيادته الحربية التي لاتجارى . بدأت الموقعة الكبرى في ٢٦ ايار بقوة المانية مؤلفة من ٣٢٣ دبابة و ٩ دبابات قيادة و ٥٢ سيارة استطلاع تابعة للفيلق الالماني و ٢٠٣ مدرعات و ٧٦ سيارة تابعة للفيلق الآلي الايطالي . وكانت الخسائر في الايام الاولى ثقيلة جداً . وبالرغم من تعمير الدبابات والمدرعات التي اصيبت اثناء قتال الميدان يضاف اليها مدرعات ودبابات العدو المقتنصة التي دمجت واستعملت من قبل الوحدات المدرعة فقد اصيبت هذه الوحدات بأضرار وخسائر محسوسة . ولما انطلقت من مواضع الدفاع تنفيذاً للهجوم التالي بعد ان تجمعت بطاريات الفيلق من عيار ٨٨ م لمساندة المدرعات الالمانية اظهرت قوات ريتشي عدم استعدادها للتلاقي معها في حلبة الميدان ، ولم تستطع الفرقة المدرعة مجابهة هذه المدافع والتصدي لها . وكانت اغلب مدافع دبابات غرانت ذات المرمى البعيد معطلة مخربة بفعل نيران هذه المدافع كما كانت دبابات هنيتنك الباقية طريدة سهلة ولقمة سائغة للمدافع ضد الطائرات . وبالفعل فقد ظل العدو حتى آخر لحظة في جهل عام عن مقاصد ونوايا رومل .

ولم يتوفق الجيش الثامن في تفادي التدمير الكامل والوقوع في الاسر اللذين تعرضت لها وحداته الا لكونها نجت بنفسها طليقة من كل أثقالها ومن تجهيزات ومعدات ومواد مختلفة . اما في طبرق فلم ينج أحد منهم ووقع في قبضة الاسر ٢٨٫٠٠٠ مقاتل و ٥٫٠٠٠ رجل من مرتبات المصالح الخلفية . فالحرس البريطاني الذي كان يعتبر أفضل القوات الانكليزية



خطة اختراق رومل في الهجوم على الاسكندرية

اضاع تقريباً كامل مدفعيته في نايتسبريدج ومزقت قوات جنوب افريقيا في الغزالة وقوات الهنود في المضم تمزيقاً كاملا . وغنمت القوات المدرعة الالمانية غنائم عظيمة وكانت على جانب من الاهمية بالنسبة لقوات المحور بالرغم من أن العدو كان يسعى لاتلاف كافة المستودعات والمخازن التي كان يضطر الى اتركها . وقد حدث نفس الامر في المعسكر الالماني اثناء

الشتاء الماضي . ومما ذكر في هذا القبيل ان احد المدراء الالمان لم يرض ان يسلم للقوات المتراجعة مواد تموين بداعي انه سجل ضبطاً باتلاف واحراق المواد الموجودة . ولكن الانكليز أضاعوا الفرصة الملائمة واهملوا فوق ذلك ضبوط الاتلاف . وكان كل ماخزنته الامبراطورية وجمعته في طبرق اثناء الشهور الطويلة وقع بكامله سالماً في ايدي القوات الالمانيـة ومنها السيارات والوقود والمدافع والدبابات وأخيراً الاغذية التي حصل عليها الجيش المدرع والتي ساعدته كثيراً على التقدم نحو الحدود المصرية دون انتظار او توقف . واكتفى رومل عن طلب العون بتقديم المواد الكثيرة الموقوفة قيد الشحن عن طريق نابولي والطريق البرية لايصالها الى القوات الالمانية المحاربة . وقد حلت مسألة التموين التي طالما لم تجد حلا الى الآن في برلين وروما بفضل الغنائم الانكليزية الوفيرة . واقتصر اليوم التـالي على أعمال التطهير في المنطقة المحصنة . وفي نهاية صبيحة اليوم كان طريق فيابالبيا مفتوحاً لعمليات النقل . وكانت مئات الاسرى تنصب على المدينة في كل لحظة واستسلم الجنرال كلوبر G. Clopper قائد فرقـــة القوات الافريقية الثانية وحاكم القلعة في الساعات الاولى من النهار حيث واجـه روميل على طريق فيابالبيا . فأوعز القائد الالماني بوجوب جمع الوحدات واعادة النظام والتهيؤ للانطلاق من جـديد بعد تأمين الذخـيرة والوقود والاعاشة اللازمة للجيوش . ثم عاد الى الميناء مع الجنرال كلوبر الذي كلف بتهيئة وتنظيم توزيع الماء والاعاشة للاسرى الانكليز . وأثناء معركة الغزالة بلغ عدد اسرى البريطانيين ٤٥٫٠٠٠ رجلاً بينهم خمسة جنرالات ورُبح مايقارب من الف دبابة وسيارة مصفحـة ودمر او اقتنص ماينيف على ٤٠٠ مدفع وكسب الالمان في موقعـة طبرق مايقارب من ٣٠ دبابة انكليزية كانت كلها صالحة الاستعمال . وكانت هذه الغنيمة في نظرهم ذات قيمـة كبيرة . ولم يحدث مايعلق عليـه من الحوادث سوى حادثة غير منتظرة

حدثت عند رأس المدور حيث حاولت في الصباح الباكر مائتان سيارة شحن تقل قوات افريقية الجنوبية اجراء اختراق الخطوط الالمانية للفرار ولكن قسم من هذه السيارات نسفت بفعل الالغام الانكليزية المبثوثة في هذا القطاع والقسم الآخر وقع في قبضة فرقة ترانتو وقسم صغير استطاع الافلات والهرب باتجاه العدو .

انتهت موقعة مارماريكا وكان المفروض الا تترك اية فرصة للعدو تساعده على اقامة جبهة جديدة . فأصدر رومل امراً يومياً أعلن فيه على جنوده قائلا :

« يتوجب علينا اليوم تدمير قوات العدو تدميراً نهائياً كاملا واني لمطالبكم بجهود كثيرة في الايام المقبلة للوصول الى الهدف المقصود » .

وفي الثاني والعشرين حزيران صباحاً كان رومل في البارديه حيث أصدر اوامره الجديدة استعداداً للهجوم . وفي الافق الشرقي كانت سحب الدخان المتعالية من حرائق المستودعات الانكليزية تتصاعد في الجو .

وقد ظهر استناداً الى المعلومات المكتشفة من الوثائق التي وجدت مع الضباط الاسرى وهي تؤكد بأنه لم يبق في جبهة السلوم سوى الطلائع الخلفية لقوات الجنرال ريتشي . فاجتاز الفيلق الافريقي والفيلق الآلي الحدود وهما على اهبة الاستعداد لاستئناف العمليات الجديدة .

وصلت القوات الزاحفة الى السلوم الاعلى والسلوم الادنى ومضيق حلفايا وسيدي عمر . واشغلت كافة المقاطع المتقدمة التي كان يحتلها فوج المقدم باخ حتى منتصف كانون الثاني . وكانت سيدي براني التي دمرت بكاملها تشتمل على مستودعات المحروقات الانكليزية التي ظلت سالمة في حوزة القوات الالمانية ثم تابع الفيلق الالماني تقدمه بسرعة الى الامام وظل الفيلق الآلي مع الاسف متأخراً الى الوراء . وكان لهذا التأخير طابعاً طبيعياً ولكنه ذو معنى عميق جداً حيث طلب احد الضباط الايطاليين بصورة سرية من رومل الذي رفع مارشالا مؤخراً يرجوه التدخل مع

القيادة الايطالية العامة لتزويده بالنجدات الضرورية التي يحتاج اليها فيلقه وقد رفض الطلب . ولما سأل رومل هذا الضابط اذا كانت وحدته مستعدة أم لا للقيام بالمهمات الهجومية المقررة مع الفيلق ، فاكتفى بالاجابة مشيراً الى وضعية قواته وبأن فرقة اريتيا بكاملها تملك ١٠ مدرعات و١٥ مدفعاً ٦٠٠ جوال فقط . وان فرقة تريستا لا تملك سوى ٤ مدرعات و ٢٤ مدفعاً و ١٥٠٠ بندقية يضاف الى ذلك النقص الهائل كون وجود الفيلق في صعوبة كلية بسبب نقص التموين والوقود واكتفى رومل بالاقتناع التام بأن الوحدات الالمانية ستحمل في هـذه المرة ايضاً كما في السابق ثقل القتال برمته . فالنسق الذي على اساسه كانت تعيش هذه الجيوش يشكل موضوعاً على جانب كبير من الغرابة . فمنذ شهر ونيف لم تعرف هـذه القوات راحة ولا سكونا . ومنذ بدء النسق الثاني الموقعة كانت على تماس دائم مع العدو ليـــلا نهاراً متقدمة مقاتلة عامـــة مستنفرة معدة للحماية او منطلقة تارة نحو الشرق وطوراً نحو الغرب أو تائهة في عرض الصحراء . وكانت اكثر المعارك يتأجج أوارها في بحران العواصف الرملية . وعندما تذر الشمس قرنها كانت تغمر الارض وتسحقها بأشعتها المحرقة اللاهبة . وكان الجنود يعيشون ضمن سحب من العجـاج الدقيق الفتـاك الذي يعمي الابصار والبصائر . وكانت عينات الماء تكاد تنضب وفي بعض الاحيان تنقص وتشح وتـكاد تفقد تماما في الحالات التي يتعذر فيها التحاق ارتال التموين بالوحدات المحاربة او في حالة بعثرتها من قبل وحدات طيران العدو .

وكان التقدم نحو مصر بمثابه موآساة طيبة ونزهة مفرحة . وكنت ترى القوات البريطانية المشتتة المبعثرة كثيراً ماتندفع نحو مدرعاتها الانكليزية بالامس والتي أصبحت المانية اليوم لتحتمي بهـا . انهـا لم تعد مدرعات بريطانية لانها استبدلت سدنتها بسدنات ألمانية من قوات الفيلق الالماني الافريقي . بيد ان الطيران الانكليزي بدأ يتدخل بقوة متزايدة في قطـاعات سيدي

براني . وقد عادت طائراته الى مطاراتها ومهابطها المنظمة القريبة من الجبهة . وكانت المقاتلات والقاصفات الانكليزية تستطيع في بون ثوان معدودات من الوصول فوق الجيوش الالمانية المتقدمة . وبدأ الطيران الالماني يظهر ضعيفاً من جراء القتال الاخير لانه اصبح بعيداً على الاخلاف وكان عليه ان ينقل الى الامام معداته وأوائله الفنية التي يتطلب نقلها وقتاً ليس بالقصير . وصل الجيش الالماني الى الكيلومتر ٤٥ الواقع غربي مرسى مطروح على الطريق الساحلي واثناءها تلقت رئاسة الاركان برقية متأخرة من موسوليني تشير الى ضرورة الوصول الى خط السللوم ـ حلفايا. وبعد ثلاثة ايام ولكن هذه المرة أرسل الدوتشي مسبقاً التوجيهات الجديدة التالية :

١ ـ الهدف قنال السويس وثم بور سعيد واحتلالها بأسرع مايمكن.

٢ ـ احتلال القاهرة بقوة .

٣ الاحتياط والاحتفاظ ضد أي تهديد مفاجئ يصدر عن الاسكندرية والعمل على تأمين التغطية في هذه الجبهة .

٤ ـ حماية الاخلاف ضد اية محاولة انزال بحري والتحفظ لها بتشكيل كتلة مناورة متحركه .

٥ ـ وجوب تمثيل القوات الالمانية والايطالية لدى وصولها الى قنال السويس .

لم تصل قوات المحور بعد الى الاهداف المطلوبة ولم يحن الوقت الذي يحدد فيه موسوليني تفاصيل هـذه الترتيبات المسبقة والترتيبات الاضافية التي اعدت لدخول القاهرة حيث كان يريد ان يظهر على رأس جيوشه ممتطياً صهوة حصانه الابلق ومتمنطقاً صمصامته « سيف الاسلام » .

وصلت القوات الالمانية في السابع والعشرين من حزيران نقطة مرسى مطروح وعرجت الفرقة التسعون الخفيفة نحو الساحل لقطع الطريق

الساحلية . واستدعت الفرقة المدرعة الانكليزية السابعة لنجدة الحامية البريطانية فيها وظهرت أرتالها عند سفح الجبل . وعند المساء دمرت ١٨ مدرعه انكليزية واجبرت الفرقة المذكورة على التراجع . وكانت القوات النيوزيلاندية ترابط في مرسي مطروح والمؤلفة من المحاربين القدماء الذين شهدوا وقائع طبرق وكانت قوات مختارة قوية التصميم . وقد حاولت اجراء اختراق في الليل احدث اختلاطاً واضطراباً فادحاً وكانت القوات الالمانية تترامى وتطلق نيرانها فيما بينها . وكانت الطائرات الانكليزية تقصف بدون تمييز وحداتها بالذات . لم يعد احد يعرف ماذا يجري في هذا القطاع .

وعند الفجر تصاعدت النيران من مرسي مطروح وتحقق ان مصيرها اقترب أو كاد . وكان عدد الاسري يتزايد بدون انقطاع . وتمكنت سيارات عديدة من النفوذ بين القوات الالمانية المتقدمة والقوات الايطالية المتأخرة حتى وصول جمهرة الاستطلاع الالمانية التي اوصدت طريق المرور . وفي ٢٩ حزيران اجتازت قوات المحور الخنادق ضد الدبابات وخطوط الدفاعات الانكليزية واحتلت المدينة في الساعة العاشرة تماماً . فوجدت طائرات سالمة ومستودعات وخزانات وقود عديدة وحظيرة ورشات هندسية هامة وممدات وفيرة وخاصة الماء . واسر ما يزيد عن الفي نيوزيلاندي وهندي . وأمست مرسي مطروح مجموعة من حطام تنبعث منها الحرائق وتتفجر فيها الذخائر المنسوفة . استؤنف التقدم من جديد في الساعة الحادية عشر وكان رومل يحاول الوصول الى العلمين قبل الانكليز او على الأقل الا يدع للجنرال ريتشي اي وقت يمكنه من التجمع والانتظام فاجتاز منطقة الضبعة أثناء الليل . وكانت الانفجارات تتصاعد من هذه المحلة فتسمع أصداؤها الى مسافات بعيدة . وكانت فرقة ليتوريا تتبع الفرقة التسعين وقد أعلن عنها بغتة في اليوم الثاني بأنها تفرقت وتبعثرت من قبل العدو . وانه لم يبق لديها ولا دبابة واحدة لانها نسفتها جميعها . وكانت الفرقة المدرعة

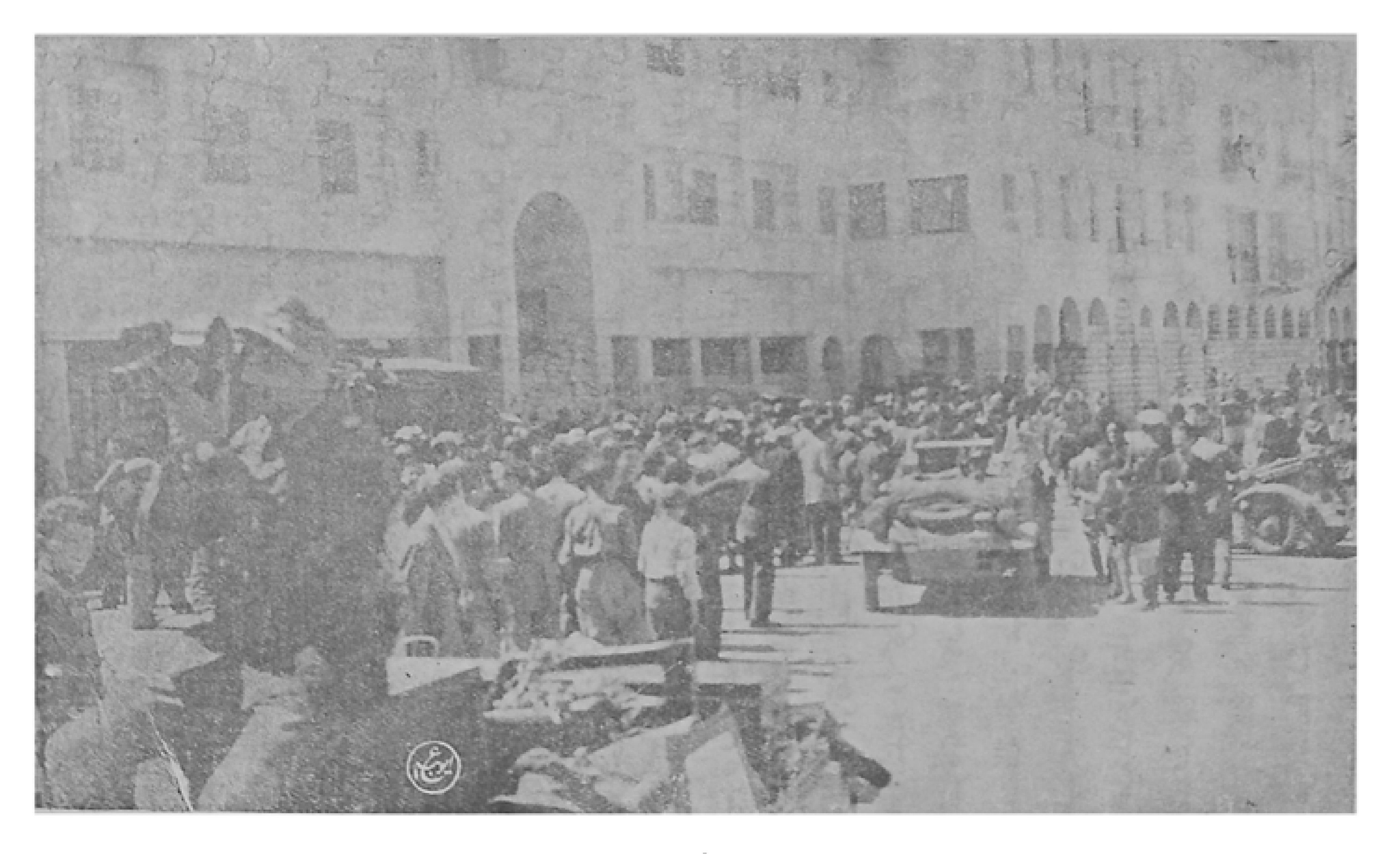
الخامسة عشر تقاتل وتكسب أراض ومغانم جديدة من مدافع وسيارات وخلافها . وقد تميز هذا اليوم بهجومين جويين متعاقبين شنتها القاصفات الالمانية . وامتلاْ الجو بعد الظهيرة بالطائرات الالمانية القاصفة والمقاتلة معاً وتوقف معه بالكلية نشاط العدو واسراب طائراته الجوية وسدت رياح السموم منافذ الرؤية وأظلمت الآفاق .

وفي اليوم الاول من تموز تهيأت وتحضرت الجيوش لمهاجمة العلمين وقد اجتازت منذ احتلال طبرق في الواحد والعشرين حزيران الى اليوم مسافة ٦٠٠ كيلو متر . لقد كانت حركة فريدة من نوعها بل اسطورية تقريباً وان ما حدث وجرى في بون هذه الأسابيع وحتى في هذه الاشهر منذ ابتداء الحملة الاخيرة كان يتعاكس ويتضارب تماماً مع كافة التقاليد والادراكات التي تتميز بها اسس الحرب . وكان اسم المارشال رومل يدور على جميع الالسنة ويجول في جميع الاذهان ويملاْ الصدور والافئدة في معسكر الاصدقاء والاعداء على السواء . لقد رفعه التقدير والاعتبار الى مصاف القادة العظام في هذه الحرب الكونية الثانية واصبح رمزاً لا يفترق عن مجال حرب الصحراء وعندما كان يذكر اسمه كان الفكر يكتنف تواً الفيلق الالماني الافريقي . وعندما يتردد اسمه كان الناس يتذكرون على الفور ليبيا ومعاركها ومواقعها التاريخية . وأصبح هذا الذكر مأهولا لا في المانيا وايطاليا فحسب بل في بلاد العالم قاطبة . لقد ربح رومل في معسكر الجيش الثامن شهرة واسعة تتصل بخرافات الوثنية (الميتولوجيا) . وكتب في هذا الصدد احد المقررين الاميركيين ما نصه : «ابدعت حرب افريقيا جنوداً لا مثيل لهم في التاريخ وقادة من ذوي القيمة الحربية السامية . واذا عرفت هذه الفاجعة الكبرى بطلا عبقرياً فذاً فهو في نظري رومل وحده بلا ريب . لقد وضعه الجيش الثامن في مصاف الآلهة . وكان معجباً به عندما يُغلب على أمره وكان يعجب وينزهل عندما يُقهر

مثل هذا القائد الماهر . وطالما حاولت الدعاية البريطانية في كثير من الاحيان ان تنتقص من قيمة رومل . ولكن الجيش الثامن لم يخضع لهذه الدعاية ولم يؤخذ بها . لم يكن احد مستعداً ليحمل في نفسه كرهاً أو ليضمر حقدا لهذا القائد لان حرب الصحراء كانت حرباً نظيفة طاهرة شريفة مخلصة لا تكتنفها سياسة ولا غستابو » .

وبالعكس فان هذه الشعبية التي كان يشعر بها العدو ازاء المارشال رومل لم تلاق الاستحسان الكامل وخاصة في الاوساط والدوائر الرسمية العليا البرلينية وفي كثير من المناسبات والاوقات اوعز بمنع ابداء التأييد والتظاهر القائم حول شخص رومل . وبالفعل فالانتصارات التي كان يحققها رومل لم تكن من سياق الخوارق او المعجزات وبعيدة عن أن تكون من هذا الطراز . بدأ رومل حملته في افريقيا قبل عام من هذا التاريخ ولم يكن لديه سوى فرقتين ولم تتعد قواته الاربع فرق . وكان العمود الفقري للقوات الالمانية الايطالية . وكان بمثابة الرأس وأهم ايضاً. وكانت حميته الزاخره تؤثر في نفوس جنوده الشباب تأثيراً عميقاً وتنفذ عوامل همته العليا الى كافة أفئدة الفيلق الالماني . وكانت قدرته المبدعة وإرادته المتيدة وتأملاته الصحيحة الواسعة تعطي لرجاله طاقة قوية يحلق بها فوق الغايات والرغائب . والعجيب في الرجل انه كان غريبا عن هذه الديار والربوع جاهلا مناحي ونواحي هذه الاراضي لا يملك أية خبرة تجربوية عنها ولا أية فكرة مسبقة معروفة عن طبيعة الصحراء وطراز العمليات الحربية الواجب اتباعها فيها . ولكنه لم يلبث طويلا حتى تفهم الاحوال والاوضاع والاسس الواجب اتباعها وتطبيقها في هذا المجال . فوفق فيها بتجاوب عام وصار بين يوم وآخر استاذاً معلماً وكميا مسيداً في العمليات الحربية في هذا الصقع المعزول .

قاد رومل قوات مدرعة اثناء الحملة الاخيرة على فرنسا حيث تعالى



القوات الالمانية أمام سراي بنغازي

اسمه الى الذروة وتألق كالنجم اللامع والكوكب البارق مستلفتاً مستدرجاً نحوه كافة الانظار الرقيبة . وكانت سرعته في القتال ومرونته في الحركة وجرأته في الاختراق وضرباته المحكمة تهيئ لقواته ووحداته شهرة زائمة . وكان شجاعاً مقداماً الى حد التطرف وبعبارة اخرى كان رجل حرب الصاعقة الاوحد ورفيق الحظ المواتي ونديم الآلهة المقرب ، آلهة الحرب والمواقع والمعارك والآلهة السمراء الخاطئة التي لم تر فيه سوى آلة صماء لا يعمل إلا بهديها وتوجيهها والتي قادت الامة الالمانية الى ابشع الهزائم وأشنع الجرائم سخرية وهزواً . ولم تقصر آلهة الصحراء ايضاً عن منحه التفاتتها وعنايتها . ان السرعة والجرأة وحدهما لا تكفيان في حرب الصحراء . فرومل لم يكن يعمل لوحده في أرجائها . فالعدو ايضاً كان لديه قادة خبيرين ماهرين في امور وشؤون الحرب وتصريفها يقودون جنوداً شجعان بواسل مجهزين بأفضل التجهيزات والمعدات والوسائل الوفيرة . وكانوا يعرفون الصحراء وأجوائها ومسالكها وجوانبها وكل قواعدها معرفة اكيدة . وكانوا يستطيعون عدّها بسهولة على الاصابع . وكانت مقدرة رومل وحظه يتوقفان ايضاً على القدرة التي كان يتمتع بها في حسن التصرف والتدبير في كل لحظة والتوقع والتنبؤ الحسي بعقلية ساطعة نوايا العدو وتصرفاته . وكان جريئاً ولكن في حدود سير عملياته القائمة على اساس استحالة القيام بمهماته مقتصراً على العمليات الدفاعية . وما كان ليغيب نظره مطلقاً عن الحقائق . وكان يتحاشى كل ما هو غير مدروس أو مستوعب الادراك او جامح الى المغامرة . لم يكن مطلقاً لعوبا ولا ساعي الصدف بل كان حساباً دقيقاً يحمل رأساً ثقيلا متزناً عاقلا حكيما متيناً قوياً . وكان كما اسلفنا سابقاً مديراً للكلية العسكرية . وتمرن على الحرب وهو ضابط صغير اثناء الحرب العالمية الاولى وقد استفاد منها وتفتحت آفاقه كثيراً . وكان يستنتج دروسه من الاخطاء الواقعة في

معسكره وفي معسكر العدو في كل موقعة او معركة يخوض غمارها .
لم ينس مطلقاً تلك الدروس العملية القيمة وقد تعمق في دراستها والتعليق عليها . واستنتج منها الآسس الواجب اتباعها واعتمادها ولم ينقطع البتة عن تمحيصها واكمالها . ومن الخطأ ان ينظر الى روميل كقائد في العمليات الهجومية والحرب السائرة فحسب بل لقد برهن بصورة قاطعة عن تفوقه ايضا في قيادة حروب المواضع التي قام بها مرة بمدمرة أثناء حصار طبرق واحتلالها .

لم يكن قائد مدرعات ولا عاثور ولا معطب ولا مشعوذ بل كان ضابط مشاة ذو روح واقعية مثبتة تمرنت في مدرسة الخبرة والحرب حيث قاد فيها سريته بحنكة ومرونة . وكان اثنائها يزور المواضع ويمتحنها بدقة وامعان . وكان عنصر يقوم بواجب مهنته ومتطلباتها بثقة واخلاص خير قيام . كان يريد ان يعرف ماذا يجرى امامه ويرى ويستطلع ويرقب ويدرس كل شبر من الارض ويتعمق في معرفة تفاصيل المرائ المقابلة ويتعرف على كافة الامكانيات القائمة وكان يقول : « **ان المواضع الجيدة توفر الدماء وتقدم للمحارب والجندي شعور الامن والسلامة ، وهي صعبة الاحتلال بل مستحيلة السقوط اذا احسن تحكيمها واستخدامها . ويتوجب لاحتلال المواضع الدفاعية الجيدة التحكيم والموزعة عمقاً على الجبهة اجراء تحضيرات مدفعية هائلة** » . هذا ما كتبه رومل في عام ١٩١٧ .
وقد وجد نفسه امام حصار طبرق واستحكاماتها ازاء طبيعة جديدة بكليتها والتي لم تكن لتتجاوب تماماً مع ادراكاته السابقة المتعلقة بدفاعات الاعماق **ولم يتأخر عندئذ عن تبني نظام جديد للدفاع والمدافعة . وابدع منظمة جديدة للدفاع ونظاماً مستحدثا للهجوم على الدفاعات المعادية . واستبدل استدراكاته القديمة بتعاليم جديدة اعتمدها وقررها وفق طريقته الخاصة ، وكانت هذه الطريقة تتلخص باقامة شبكة من نقاط الاستناد المنفردة تتجالب وتتجاوب فيما بينها بالرؤية والنار وتشغلها عداد محدودة العدد**

وقوية التسليح واوجب ان تكون نقاط الاستناد هذه محصنة قوية موزعة على الارض بدون انتظام ولكن طبق خطة مدروسة تماماً ، وكان رومل يسهر بنفسه على اختيارها وشكل تحصينها ودعمها بالاسلحة الثقيلة ويعتني بتعيين توطيد مراكزها بنفسه ويشرف على اختيار ساحات مراميها بدقة وتحاشى الاماكن التي من طبيعتها استدراج نظر واحتمالات تصويب وتوجيه نيران العدو المستمرة عليها . كان يعمل على انشاء نقاط استناد ومواضع دفاعية كاذبة لخدعة العدو وايهامه . وفي الاماكن التي كان يشك بها المحاربون من عدم امكانية رفع رؤوسهم اثناء القتال يوصيهم باقامة اشباح تمويهية متقنة ليسوق نظر العدو اليها وتشويشه . وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً باهراً وطالما ابدع في الجبهة كثيراً من هذه التمويهات بصورة فائقة بهرت انظار العدو وحملته خسائر جسيمة في اسراف الذخائر . وأوعز ايضاً باجراء تنقلات مستمرة المدرعات والسيارات الثقيلة على الاخلاف ومسيرات الوحدات والقوات لاثارة سحب الغبار والعجاج في الارجاء وكان يوعز باجرائها لتضليل العدو وخاصة عندما تكون الرياح متحركة باتجاه جبهة العدو دون ان تكون هذه التدابير سبباً لانهاك قواته بدون جدوى . وكان يرمى من وراء هذه المحاولات كلها وضع العدو في حالة يقظة دائمة لاثارة وإنهاك أعصاب قواته شأن الحرب الباردة .

وهكذا كان رومل سيداً في هذه الامور يملك موارد لاينضب معينها هي نتائج الخبرة الواسعة التي اكتسبها اثناء احترافه العسكري الطويل . وكان واسع التأملات غزير الابتكارات مستعداً دوما الى اللجوء الى الحيل الحربية البارعة والخدعة . وهو الذي فكر في انشاء طريق المحور التي تبلغ طولها ٨٥ كيلومتر حول طبرق . وكان يتقن دوماً اللهجة المتوجبة لتوجيه الملامة اوالثناء و النقد او التشجيع بحق . وما كانت طبيعته جذابة

مقبولة مؤنسة كالتي يتصف بها بعض القادة المشهورين . كان جوابه مقتصراً مختصراً جافاً ، مشفوعاً بالصراحة والبساطة شأن أغلب سكان مقاطعة فورتنبوغ ، وكان حديثه مع رؤسائه ومرؤسيه معاً مشبعاً بالعزم والقوة وروح الحزم . وكان من أهم صفاته البارزة الظاهرة حسه السريع في التوجيه والتسيير . وكانت له حاسة طبيعية لاتضعف مطلقاً في معرفة الاشياء واستدراكها وتبينها قبل وقوعها والاحتياط لهـا وتحاشيها كما يرى وكما تفرض الظروف القائمة . وكثيراً ما كان يذهب مع رجاله في الليالي الحالكة يتنقل بين مخافر القتال . وكان يعرف مواقعها ومراكزها بالضبط وباطمئنان عجيب . وكان يجد هدفه بدون خطأ في اصقاع واراض ليس فيها أي نقطة او اشارة بارزة للاستدلال بينما كان رفاقه يتقدمون بتردد مفكرين في تحاشي حقول الالغام والاسلاك الشائكة والمواضع المتقاطعة بينما كان رومل يتقدم في ارجائها دوما بجرأة وثقة في ظلمات الليالي الدامسة كما في ايام هبوب رياح السموم . وكم مرة وفي احـوال مظلمة حيث كان يصعب على أخبث ثعالب الصحراء البشرية العثور على أهدافها وحجورها مرتابة تضل الطرق والسبل وتوصي بوجوب ارسال طلائع استطلاع تحاشيا للاخطار . وكان رومل ممتداً بنفسه فتراه تارة يوعز بالسير مستقيما ، وطورا متعرجا الى ان يظهر أمام عجلته الجندي الدليل المكلف بالاشارة الى الطريق بـين حقول الالغـام او جندي ارتباط آمر القطاع او الرقيب المعين لمصلحة استعلامات الفوج .

وطالما تميز رومل بغريزة فطرية خفية أو قل بالاحرى حاسة سادسة ذات بصيرة حادة الذكاء غريبة الحال تستدرك وتلمح الاخطار والمفاجآت قبل حدوثها وتستكشفها قبل وقوعها فيحتاط لها مسبقا . هـذه الحاسه السحريه التي كانت تجعل من رومل الرجل الخفي الساحر في نظر العدو وما كان قط رجلا خفياً ولا ساحراً . وكثيراً مالوحظ من رومل مثل

هذه الظواهر الغريبة التي تثير العجب والاستغراب . وحدث ذلك مرة اثر عملية الاختراق التي قام بها في فرنسا وكان على رأس فرقته المدرعة حيث كان يمرح في سيره بدون انقطاع مع قواته وكان على موعد أبلي مقرر في نقطة ما من جبهة يتوجب عليه أن يكون فيها في الوقت المضروب وبغتة اوعز بالوقوف فوراً واستدعى فصائل الهندسة لاستطلاع واستكشاف الطريق . وعلى بعد مئتي متر من النقطة التي وصلت اليها الطلائع الامامية عثر على حقول الغام مبثوثة على الطريق والجوانب فرفعت الالغام في الحال ونظفت من الطريق ثم استأنفت الفرقة سيرها في اتجاهها المطلوب .

فهذه المعرفة والاستدلال العجيبين تكررا غير مرة في ميادين القتال الافريقية . وحدث ان كان رومل يوما متنقلا في سيارة شحن مكشوفة معدة لنقل الذاتية ودون أي سابق انذار اوعز الى السائق بالوقوف على الفور . ورفع رأسه كأنه يستمع ويتنصت وفي هذه اللحظة ذاتها بدأت القنابل الانكليزية تتساقط على مقربة من مقدم السيارة. وفي وسط هذا القصف صرخ رومل في وجه السائق (تقدم الى الامام بسرعة) وما كادت السيارة تتقدم قليلا حتى انقطعت النيران ونجت السيارة وأفرادها من الهلاك . وطالما هوجمت سيارة رومل المدرعة ماموت Mamuth التي اقتنصت فيما سبق من العدو في المخيلي والتي كان يفضلها على غيرها من السيارات وخاصة في السير والقتال اثناء المعارك ولم يصب مطلقا بالرغم من انه كان يخرج رأسه من السيارة دوما للاستطلاع والمراقبة . وطالما كان يمر بها أمام انظار العدو وانوفهم أو يشق طريقه عبر تشكيلاته وكثيراً ما كان يتركها في مـــكانها عند الضرورة ليستقل سيارة المانية سريعة أخرى كانت ترافقه في غالب الاحيان . وكان الهدوء لا يفارقه مطلقاً . وكان الناظر اليه في مختلف الحالات الخطيرة ليظن ان

الرجل تعاهد وتعاقد مع الموت الا يمسه بأذى وألا يقترب منه . ومن خاصته الغريبة انه كان يعرف ماتحت اوراق اللعب بصورة لا يمكن تصورها وشرحها . ولا ريب فانه كان دوما بمثابة عامل آمن واطمئنان لمن يعيش معه وحوله أو يعمل معه قريباً أو بعيداً . وكان أركانه وضباطه جميعاً يشعرون بالطمأنينه التامة والسلامة الكافلة التي تحيطهم تحت قيادته واشرافه وكان البعض يظن بأن رومل لايؤثر فيه الرصاص والقذائف . الى هذه الدرجة ذهب بهم الاعتقاد والايمان بهذا القائد . وأي جيش يشعر بمثل هذا الشعور العميق بقائده الفذ ولا يعتمد السير معه الى الظفر والانتصار .

وقد جرح رومل فيما بعد في ١٧ تموز ١٩٤٤ في النورماندي حيث هوجمت سيارته من قبل بعض الطائرات فجرح السائق جرحاً مميتاً . وفقدت السيارة توازنها وكان المارشال يحاول القاء نفسه منها بعد ان استوثق من خروج مأمون ولكنه قذف منها بشدة واندفاع شديدين مما سبب له الجروح الخطيرة هذه هي الحادثة المفردة التي اصيب بها اثناء الحرب العالمية الثانية .

كان رومل يطلب اقصى مافي استطاعة ضباطه وجنوده . وكان بالفعل من هذه الناحية غير مشكور ولكنه كان دوماً مستعداً لاعطاء المثل بنفسه عن احتمال هذه الطاقة القصوى التي يطلبها اليهم . وفي الاسابيع الاخيرة من القتال ، تعرض الى متاعب ومشاق ليس في امكان أي جندي من جنوده احتمالها والمثابرة عليها . فرومل شخصياً لم تكن له متطلبات ولا حاجات البته . وكان زهده واكتفائه وتقتيره على نفسه كثيراً مايزعج رفاقه واركانه وكان لا يدخن ولا يتعاطى الخمر . ولم يفكر يوما في تحسين معيشة بالرغم من الاعاشة المتنوعة الغزيرة التي كان يقتنصها من العدو في بعض الاحيان.

وكان له هواية كبيرة في الصيد والقنص ويعد في طليعة الصيادين البارعين بلا منازع. وكان ولوعاً بصيد الغزلان . ومصوراً ماهراً. وكان لايفتأ من أخذ صور شمسية عن العدو أثناء اشد المعارك احتداماً ونصراً. وكان يحسب الوقت اللازم لاخراج هذه الصور التي كان يُسر بها كثيراً. وكان فيما سبق يحب البستنة والعمل فيها . فيحرث ويزرع ويعشب كالفلاحين المتمرنين على الزراعة . وكثيراً ما كان يحفر بنفسه ايواري ويدفن عميقاً خيمته في الرمال ويشغل نفسه باجراء حفريات في الخرابات الرومانية القديمة الواقعة في الاماكن التي يخيم فيها ليكتشف بعض الآثار وكان لديه الكثير منها . وقد وقف قسماً من حياته اليومية على تماطي الرياضة المتنوعه . فكان يعني جداً برياضته البدنية الخاصة العنيفة بترويض جسمه وتعويده على كافة الاحتمالات والامتحانات القاسية. ويبدو شديد القساوة على نفسه . وكانت الحرب في نظره فاجعة وبلاء وليست حرفة أو صنعة ، ولكنها فن وعلم يتوجب معرفتها معرفة موثوقة . وكانت ساعاته الطويلة الصامتة الهادئة تبعث في نفوس رفاقه وجنوده شتى الشكوك والتأويلات في كنهه وذاتيته . وكان يحب الجبال حيث يسرح في ارجائها تأملاته العميقة الواسعة . وكان موضع تعجب جنوده اذ يشاهدونه مباغتة في الساعات الممكنة وغير الممكنة في النهار كما في الليل وفي ساعات الهجير كما في ساعات الغسق .

وفي أيام حزيران الاخيرة ، كان رومل دوما على رأس قواته ووحداته وبين ضباطه وجنوده دوما الى الامام بدون توقف ولا تأخر. وكانت قواته منهوكة القوى متعبة الاجسام ولكنها كانت كالخيل العربية المسومة ما يكاد يُركلها فارسها بمهارة حتى تنطلق كالسهام الطائرة. فلا المعارك المستمرة ولا الحر المخيف ولا السير المرهق الذي لا ينتهي ، كل هذه العوامل المبيده القاتلة لم تستوقف روميل لحظة عن

التطلع والنظر إلى الظفر المؤمل الذي كان يدعوه مشيراً الى ان هنا مقر القرار وهنا مجال الغلبة والظفر هنا ميدان العلمين .



الماريشال رومل مع احد ضباط أركانه يطالعون الوضعية على الخارطة

الفَصْلُ السَّادِسُ

العلمين

الظفر والانهيار — امائر الفاجعة

EL ALAMEIN
Sieg und Niederlage Vorboten der Katastrophe

ان الطريق الوحيدة التي تقود الى قلب وضع العدو وتمني الى دلتا النيل وقنال السويس عن طريق الاسكندرية تحاذي ساحل البحر المتوسط وسهل ليبيا الصحراوي المرتفع تخططه الاودية العديدة التي تنخفض عميقاً في الترسبات الحجرية وفي رمال الصحراء ؛ وتتواصل الانقطاعات الجبلية الغربية وتتداخل فيما بينها ثم تضيق وتنكمش في السهل لتشكل شبه قمع على طول الساحل . وتتركز محلة العلمين في أضيق نقطة من هذه الاماكن .

ومن الجبهة الجنوبية على محاذاة الساحل يمتد منخفض القطارة على مسافة ١٠٠ كيلومتر تقريباً مشكلاً حاجزاً امام مملكة اليأس والخوف . وهي منطقة واسعة ذات مناظر غريبة الشكل تملأها الرمال المتحركة وتقع في مستوى تحت البحر . خشيها الناس منذ القدم وحفرتها العوارض الطبيعية عبر العصور وحولتها الى محيط من الرمال المائتة التي لاتحدها الحدود .

ويمكن للمسافر على الطريق المزفتة اجتياز المسافة بين العلمين والاسكندرية في بون ساعتين بسير حثيث . وعلى اليسار شمالاً يمتد البحر الى الافق الذي يستحيل تمييزه وتدقيقه بسبب الاشعاعات المتراقصة فوق صفحة

الماء . ويحيط بالساحل خلجان صغيرة تعلوها تلال بيضاء وتحيط به بحيرات مالحة ومستنقعات موهومة يشكلها السراب .

وعلى الجانب الايمن نحو الجنوب تمتد الصحراء بوديانها ومقاطعها وتصل سفوح الجبال وسهولها المرتفعة التي يستر حوافيها لمعان الاجواء وتصطبغ باللون الاحمر البرتقالي الزاهي . وهذا الممر الضيق في الصحراء الشرقية هو المضيق الوحيد الذي يظهر انه تمرد على الطبيعة وخرج على نظام الجبال مشكلاً حاجزاً طبيعياً . وكان محصناً تحصيناً قوياً منذ عهد بعيد واننا لانخطيء اذا قلنا بأن حاجز الاسلاك الشائكة الذي أقامه الجنرال غرازياني على حدود ليبيا ليوقف السنوسيين عنده كما تمنع هجمات الوحوش البرية من اختراق سياج زرائب قطعان الغنم . وانه ليبدو حقيراً بدائياً بجانب هذا السياج الحديدي الشائك كأن الذي بناه فيما مضى استدرك الحاجه الماسه الى مثل هذا الحصن المنيع . وفي هذا الربع الواسع كانت تمتد الحفريات والمنشئات المسلحة بالاسمنت تتخللها الملاجيء المنيعة ضد القنابل والقنابر وأعشاش الرشاشات المموهة الخفية ومواضع المدفعية المختارة المركزة بعنايه فائقة ونقاط الاستناد التي تميز بالعين المجردة . وهذه القلعة المحصنة التي تتشكل من مرتفعات العلمين كانت محاطة باطار من الاسلاك الشائكة الكثيفة المتداخلة تحيطها حقول الالغام الواسعة الامتداد .

ان الموقعة الكبرى التي عاناهـا الجنرال ريتشي انتزعت منه كل امكانيات التدبر المسبق واقتصر على قبول الوضعية الراهنه القائمة كيفما تهيئت وتقدمت حتى ولو انها غير مرغوبة ومفجعة . وما كان ليفكر في أي تدبير آخر سوى المحافظة على سلامة ماتبقي من الجيش الثامن . وفشلت المحاولة الاخيرة التي قام بها لايقاف خصمه عند مرسى مطروح . وبالفعل لم يبق لديه من دفاع يعتمد عليه سوى خط المقاومه الاخير في العلمين حيث تربصت في هذا الموضع القوات الاوستراليه المجربة التي سبق

أن دافعت عن طبرق دفاعاً مجـــيداً . وكانت مرتاحة مستكملة العداد جيدة التجهيز والتسليح مرنة على الدفاع الثابت وقد دعمت بقوات هندية سحبت من العراق حديثاً لتعزيز القوات المرابطة . وفي هذه الحالة كان يمكن اعتبار الوضعية غير ميؤسة وأن من حق الجنرال الانكليزي أن يأمل بامكانية احتواء وايقاف رومل وقتاً طويلا عند هذا الخط كي يتمكن من تنظيم وحداته المفككة وإعادتها الى الحـالة الطبيعية . واعتماداً على ذلك فقد عمد على إرسال كافة القوات المنسحبة من الغرب الى الخطوط الخلفية القائمة وراء القلعة المحصنة . وكان الاوستراليون في الشمال يتربصون على طول الساحل . ووطد في الوسط بقايا وحدات جنوب افريقيا التي ضاعفت وحدات الهنود وأخيراً النيـوزيلانديين . ولا كمال الثواغر ودرء الوضعيات الخطرة فقد احتاط الجنرال ريتشي بجمعه احياء الفرقة المدرعة التي كانت مدرعاتها تصل مباشرة من المصانع الانكليزية مع سدنتها الجديدة .

بيد أن المستقبل كان يُواجه بثقة واعتماد تامين . ولم يبق في الجيش الثامن المنهوك المحطم المغلوب على أمره إلا صورته الخيـــالية . فالآلام والمصاعب والتضحيات التي ظلت بدون نتيجة كانت كلها عوامل تفقد الهمة وتبيد العزيمة . وانه لم يتمكن من استعادة قدرته ومعنويته السابقة بعد ان غلب وقهر في رمشة عين عقب الانتصارات العديدة التي قاتل من أجلها قتالا عنيفاً جباراً في حين أنه كان يتمتع بتفوق عددي ساحق . وفي اللحظة التي كان يظن فيها عشية القتال الاخير اقتطاف ثمرات جهاده والحصول على المكافأة المنتظرة جزاء إقدامه وبسالته وشجاعته التي ظهر بها في سياق هذه الموقعة الكـــبرى ، وجد نفسه وقد أضاع الرجال والمعدات والوسائل التي كان يعتمد عليها . ورأى هذه المجموعة الجبارة من القوى العتيدة المصممة تنهار بكاملها وتقف أمام الكارثة الفاجعة وجهاً لوجه في حسرة مؤلمة . فهل بقي لديه بعـــد ذلك اية ثقة بالنفس

واعتماد على مستقبل أفضــــل .

وقد اقتنص أثناء الهجوم أمراً يوميا أصدره الجنرال اوكنليك وهو يعطي فكرة واضحة عما نحن في صدده . وكان هـذا الامر يشكل وثيقة هامة احتوت صراحة مشرفة لا نخال ان كاتبها قصد اهانة أو تعريضاً بمعنوية الرجال الاشداء المحاربين ولكنه أراد فيهـا تصوير وجه الحقيقة الناصع وقد أصاب واقع الأمر اكثر من غيره وعبر عنه بكثير من الصدق الذي غاب عن الانظار وها هو نص الأمر المذكور :

« ان كل ما نخشاه ان يعتبر جنودنا بأن صديقنا رومل هو رجل ساحر ، رجل خفي لانهم يتكلمون ويتحدثون عن شخصه كثيراً . انه ليس رجلا فوق البشر مطلقاً بالرغم مما يتمتع به من همة كبرى وقدرة بالغة . انه لمن المؤسف حقاً ان يرى فيه رجالنا قوة خارقة فوق الطبيعة . انني اطلب اليكم جميعا ان تعتمدوا كافة الوسائل الممكنة لازالة هذا التأثير . ان رومل ليس شيئاً آخراً غير كـــونه قائداً المانياً عاديا . ويتوجب قبل كل شيء منع ذكر اسم رومـل دوماً عندما يراد التحدث عن العدو في ليبيا إذ يجب ان يقال الالمان او قوات المحور او بالاختصار العدو فقط دون ان يذكر اسمه في مقدمة القول . والتفضل مع الرجاء بتنفيذ هـذا الامر بصورة قطعيـة واعلام كافة قادة الوحدات ان الامر هو في منتهى الاهمية والخطورة من الناحية النفسية . الامضاء ش . ج اوكنليك القائد العام لقوات الشرق الاوسط . واضاف الى هذا الامر الملاحظة التالية : (إنني لست غيوراً من رومل) » .

ولكن مزايا الجيش الثامن ظهرت ايضا في أدق الساعات الحرجة. فقد استعاد معنويته السابقة واسترد قيمته السالفة وظل بعيداً عن التزعزع. والحق يقال انه استحال وجهاً جديداً قويا ظهرت فيما بعد قوته وقدرته بمظهر عظيم الشأن

أما سلاح الطيران البريطاني فقد ظل سالما وازدادت قوته بفعل حوزته على مراكز تموين وتجهيز عديدة لا ينضب معينها تتركز في المرافيء المصرية بينما ظلت قواعد السلاح الجوي الالماني بعيدة جداً . وكان يقتضيها اسابيع عديدة للاقتراب من ساحات القتال . وكانت الطائرات تشكل في هذا الوقت سلاح الدفاع الحاسم ، وان ما يبدو هنا على قياس متواضع سيظهر فيما بعد في ساحات نورماندي فرنسا على سياق أوسع وأعم . وكانت القاصفات والمقاتلات البريطانية تزعج ليلا نهاراً قوات المحور التي اصبحت امامها بدون أي دفاع مؤثر .

ومن ناحية نسبة القوى البرية فالقوات المحاربة المقابلة كانت في الاول من شهر تموز متعادلة تقريبا . ويجب ألا نخفي الحقيقة الثابتة بأن الجيش المدرع الالماني كان ايضا في حدود الامكانيات . وبالطبع فانه لم يدحر بالرغم من المتاعب الثقيلة التي احتملها وعاناها . وكان تعباً من كثرة وشدة العمليات اكثر من التصور ولكنه كان مصمما على استغلال النصر الذي يتوجه باحتلال مدينة الاسكندرية . ولكن صفوفه اصبحت فضفاضة وعجلاته متضعضعه ومدرعاته شبه محطمة تمثل عمارة كانت عنوان فخر وصورة مجد سابقين . أما النجدات التي تألفت من الدبابات المقتنصة لم تبدل شيئا من هذه الوضعية . وفي ١ تموز ١٩٤٢ لم يبق من المدرعات الالمانية سوى اثني عشرة مدرعة معدة للقتال . وعانى الجنود الالمان الجوع والعطش والحرمان على اختلافه كما عاناه ايضاً جنود التومي الانكليزية. لقد أكدت القيادة العامة ان الجنود تمرنوا على الحر واثتلفوه وتعودوا احتمال عواصف الرمال التي تبيد الأعصاب ، وحمأة الصيف التي لا توفر العدو ولا الصديق ولا تميز معسكراً عن آخر ولا المدرعات الالمانية عن عدواتها الانكليزية . وكانوا يشحنون الجيوش الاوروبية ويلقونها في ارجاء افريقيا في أقسى أيام الصيف والحر . يضاف الى هذه الأحوال

القاسية المعارك الشديدة والامراض التي كانت تكتسح الصفوف والافلاس الماحق في التموين والوقود .

وكان على الجيش الثـامن أن يجلب معداته على طرق بعيدة طويلة تمتد آلاف الاميال وهي أطول واخطر بكثير من طرق الجيش المدرع الالماني . وكانت حاجات الجيش البريطاني تؤمن ليس بصورة اسرع فحسب بل بصورة أكمل وأوسع . وليس الامر ان رومل بعد عن قواعـده البحرية والبرية وان عمليات النقل في الصحراء كانت تستوجب حل مسألة بل مسائل غير قابلة الحل فحسب ، بل لأن التموين الوارد من القارة ظل غير كاف على الاطلاق ، ولان مسألة الشحن لم تحل بنفس المقدار الذي لم تحل على أساسه مسألة المرافقة والحماية . لقد ظل كل شيء كما كان في السابق . وكان لكل من الخصمين مشاغله ولو اختلفت في طبيعتها وشكلهـا ، والمستقبل القريب وحـده سيبرهن أي منها كان يحمل العبء الاثقل .

وفي أول تموز بينما كانت أشعة الشمس الاولى تعلن ابتداء النهار ناشراً حره الخانق ، وبينما كانت أسراب القاصفات الانكليزية تملأ الاجواء بهديرها المزعج تقدم الفيلق الالماني والفرقة التسعون الخفيفة لاطلاق هجومها على مواضع العلمين ، وبدآ يتقدمان بصورة مرضية وفق الخطط الموضوعة فاكتسحا الفيلق الواحد والعشرين المدرع نقطة استناد بير الشاين الكبرى في الساعة السابعة عشر مسـاء ، وأسرا عدداً كبيرا من جنود الهنود القادمين حديثا من العراق والتابعين للجيش الثامن . وكان مركز ثقل القتال ينحاز شيئا فشيئا صوب الجناح الايمن حيث انطلقت الفرقة التسعون الخفيفة واصطدمت بمقاومة وحشية . وما آن وقت الظهر حتى دُمرت كافة مدفعيتها بفعل قنابر الطائرات . فاستمدت على الفور مدفعية الفيلق للاسناد ، وتقدمت الى الامام ولكنها وقعت هي ايضا تحت نار حامية تلقتها

من مختلف الجهات . وكانت المدفعيات الثقيلة تطلق نيرانها من الجنوب والجنوب الشرقي والشرق والشمال . وامتلأ الجو بالضجيج الصاخب المتوالي والعجاج الخانق . واستهدفت هذه المدفعية ايضا من قبل اجنحة قاصفات العدو ولكن لحسن الحظ ردت من قبل المقاتلات الالمانية التي هرعت الى نجدتها وحمايتها وصدت كافة المحاولات الالمانية الرامية الى خرق جبهة العدو الجديدة بفعل نيران المدفعية المتواصلة .

استؤنف الهجوم مجدداً اثناء الليل المقمر وكان العدو يدافع بشدة وضراوة . وظل يعطر الفرق الالمانيا وخاصة الفرق الايطالية المرابطة بين الخلجان الساحلية بقنابله الثقيلة المستمرة وتوالت الغارات من جديد لأن آمر الطيران الالماني في افريقيا نقل في الاول من شهر تموز استعلامات هامة تشير الى ان الاسطول البريطاني اقلع من مياه الاسكندرية واصبحت الميناء والارصفة خالية من القوات . وكان مدلول هذا التصرف يعني أن العدو لم يكن يؤمن بمقدرته على الدفاع الموفق وانه يجابه احتمال الاندحار المحتم . لقد اعرض عن المقاومة اذ أن اوكنليك وريتشي وصلا الى آخر رمق من المقاومة . وبالفعل كان النصر قاب قوسين أو ادنى ، نصر كامل يحمل في ثناياه كثيرا من الخير لان ضياع مصر يجبر كافة المواضع البريطانية في البحر المتوسط على الاستسلام ، وتضمر من جرائه مكانة مالطة السوقية وتضعف الى درجة تصبح معها عديمة الاهمية ، وتمسي صخرة جبل طارق الصخرة الكبيرة المنعزلة في حكم الجمود والضياع . ولطالما اكدت القيادة الالمانية العليا عن خطل بأن الجيش الدرع يقاتل في ميدان عمليات ثانوية . وهذه كانت حجتها الواهية دوما وخاصة عندما يراد تقليل أهمية الانكسارات والاندحارات ، او عندما ترفض تقديم الوسائل المطلوبة لانهاء الحملة الافريقية في مصلحة المحور . بيد ان الحوادث القادمة ستبرهن عن حقيقة لا مراء فيها وهي ان مصير أفريقيا هو مصير



المارشال كيسرلنغ والمارشال رومل والمارشال الايطالي باستيكو يتبادلون الاراء والمقررات

الحرب كلها وان إفلاتها من يد المحور معناه اندحاره العاجل أو الآجل وانتهاء الحرب بصورة حاسمة لصالح الحلفاء .

استؤنفت الموقعة في الثالث من تموز وبالرغم من صعوبة الرؤية استمرت القاصفات البريطانية في غاراتها وهجماتها كما ردت الغارة الانكليزية المنطلقة على بير الشاين على أعقابها ودمرت اثناؤها ثلاثين مدرعـة . وفي المساء وصلت الفرقة التسعون الخفيفة الباسلة الى ضواحي منطقة الاستحـكامات المحصنة ولكنها لم تستطيع ان تتقدم بعيداً لانها كانت في أقصى حـدود المقاومة والقوة ولم يبق لديها سوى ٥٨ ضابطاً و ٢٤٧ نقيباً و ١٠٢٣ جندياً . وفي هذه الاثناء وعلى يمين الطريق رد الفيلق الالماني هجوم جمهرة صدام مؤلفة من مائة دبابة . وانطلقت الغارة الالمانية القوية التي حملت بصورة خاصة على قمة الرويسات حيث يتمركز ايضاً دفاع العدو وما لبث ان توقف على الأثر هجوم الملمين . وبالرغم من هذه الموفقية الدفاعية الانكليزية لم تكن الموقعة مرضية النتائج بسبب حـدوث أزمة غير منتظرة أثناء الليل فبدلت الموقف . انصب على جبهة الفيلق العشرين النيوزيلانديون انصباب الزوبعة على الفرقة الايطالية واقتنصوا ٢٨ مدفعاً من أصل ٣٠ مدفع . ومئات من الاسرى ومئة سيارة شحن والقى ما تبقى من الايطـاليين سلاحهم ونجوا بأنفسهم ناكـي الرؤوس فارين في اتجاه الغرب . وقد ظهر لأول وهلة ان العملية كانت ترمي الى اجراء مناورة لطويق لضرب الفيلق الافريقي في جنبـــاته . فانطلقت المدرعات الالمانية على الفور في إثرهم تتعقبهم تباعاً وقد أسرت القسم الاكبر منهم . وفي هذه الاثناء أشير الى أن جمهرة هامة من المدرعات الانكليزية مؤلفة من دبابات جديدة وصلت حديثا من انكلترا كانت تتقدم لمساندة النيوزيلانديين في هجومهم لتوسيع واستغلال الاختراق الحادث في إحدى الاودية وهي تتربص مستعدة للخروج والانطلاق لتعمل على أخلاف الخطوط الالمانية .

فارتدت المدرعات الالمانية على الفور . وفي لحظات معدودة دمرت كافة المدرعات ومزقت شملها تمزيقاً بفعل نيران مدافع عيار ٨٨ مم ومدافع الدبابات التي كانت تمطرها بقذائف كالبرد المتساقط على اعلى المنحدر المحاذي للوادي . وقبل ان يتحقق العدو من ماهية الحادث بلغ عدد المدرعات المدمرة مائة ونيف .

أُبعد كل خطر حاسم في الحال بيد انه وجب ايقاف الهجوم الذي استمر نجاحه على قمة الرويسات كما استوجب رفع بعض القوات المهاجمة لارسالها الى الشمال لتنوب عن فرقة اريتا ولتغطية جانب هذه الجهة . فالعداد كانت غير كافية لاستمرار الغارة القائمة . وكانت الجيوش في حاجة للانتظام ، والذخيرة لم تكن ترد الى الجبهة منذ عدة ايام الا بكميات غير كافية . وكانت وحدات مدفعية من الجيش افرغت كامل ذخيرتها المباشرة . وظن الانكليز بأن هذه الحركة عبارة عن انسحاب مطلق فاطلقوا مايقرب من ٤٠ دبابة ثقيلة على الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين عندما شرعت بالارتداد . وكانت مدافع هذه الفرقة من عيار ٨٨ مم مفرغة من الذخيرة ومدافع عيار ٨٨ مم المرافقة صرفت ايضاً ذخيرتها ماعدا فوج مدفعية من الجيش مازال يملك قليلا منها فاستدعي للعمل على الفور . كما وقعت كتيبة من المشاة الالمانية تحت عادية نيران العدو . واخذت الوضعية عندئذ دورا خطيرا . ولكن الانكليز لم يستدركو واقع الحال بصورة واضحة فلم يعملوا على استغلال هذه النتيجة الموفقة وقد صدت دبابات العدو وردت على اعقابها بعد أن دمر قسم منها . وتبين بعد انهاء الغارة ان الخسارة التي لحقت بعداد الكتيبة الالمانية بلغ ٥٠ ٪ . ولكن آلهة الصحراء منحت عونها الغير مؤمل اثناء الليلة القادمة . فقد اكتشف في جوار بير الشاين ١٥٠٠ طلقة لمدافع عيار ٨٧ الانكليزية و٥٠٠ طلقة من عيار مدافع ١٥ الطويلة . وكانت ذخيرة المدافع تمح

في كل مكان على طول الطريق الساحلية وبعد منتصف الليل وصلت ارتال طبرق الى الميدان وقد تم كل شيء طبق الرغبة ولكن لا يعلم أحد الى متى سيظل التوفيق مستمرا على هذا النسق .

اوعز باجراء الاختراق وكان يتوجب استعجال التنفيذ لتأمين نجاح الاختراق . بيد ان رومل لم يداخله الشك لحظة واحدة بان اختراق موضع العدو لايني المسألة القائمة . فنجاح الحملة أصبح مسألة تموين فقط . وقد اثبتت حوادث ٣ / ٤ تموز بصورة واضحة هذا الواقع . اليس من عوامل الخطر تحقيق النجاح فقط بمجرد فكرة الوصول الى الاسكندرية واحتلالها بآخر سيارة وآخر دبابة ومدرعة من قوات المحور ؟ وفي حالة عدم التمكن من التقدم بفعل ارتباك عمليات التموين فهل الانتظار الطويل أمام العدو وفي الخنادق والحفر الصحراوية يمكّن في القوات المحاربة غير شعور الكسل والقعود وانحطاط القوى البدنيه وضعف الارادة النـاتج عن الجمود والتربص الطويل الذي تحدث عنه واشار اليه كلاوزوتيز Glauseuitz . ان تفوق جيش المدرعات الالماني الذي أوصله الى ضفاف النيل لم يكن بالتأكيد تفوقاً مادياً مطلقا . وهذا الهجوم الالماني العتيد الساحق الذي تولد من مهمة دفاعية بحتة ما كان ليكتب له النجاح والفوز لو ظل على طبيعته المقررة سالفا دون اللجوء الى العمليات الهجومية التي من شأنها التفوق وحسن التدبير وامـكان نجاح المناورات المنطلقة والتوجيه المقصود المصمم . والمعروف انه لايمكن اقامة خط دفاعي نسقي في الصحراء وخاصة لمدة طويلة . فالتوازن في القوي المقابلة لايمكن تثبيته بالنسبة الى العدو الا بتوجيه وتسديد الضربات الهجومية البارعة المحـكمة كما حدث في الحركات السابقة . واستناداً الى هذه الفكرة اطلق رومل هجماتة المعاكسة العجيبة التي سمحت له باسترجاع برقـة البيضاء للمرة الثانية .

وكان يتوجب عليه أن يستأنف عملياته التالية قبل أن يتمكن

الجيش الثامن من اعادة تنظيم قواته . وكان رومل ينتظر بقلق واضطراب متطلعاً إلى جهة البحر حيث ينتظر وصول قوات ونجدات ومؤون هامة جديدة كي يستطيع بواسطتها تتويج الانتصارات التي حققها حتى اليوم بنصر نهائي حاسم في هذه الموقعة الكبرى للحرب السائرة في الصحراء .

ولكن مع الاسف لم يصل شيء مما هو قيد الانتظار . ولنعد الآن الى الماضي ولنتسأل لماذا احتل الالمان جزيرة كريت والجزر العديدة الاخري التي كلفت غاليا جداً في التضحيات والدماء ؟ ان فرقة مظليين واحدة من التي استعملت في احتلال كريت ومناطق روسيا تنصب على الاسكندرية والسبل الموصلة الى الجبهة وعلى خطوط دفاع العدو الخلفية كانت كفيلة باحداث الذعر والاضراب وبث الفوضى والارتباك لا في الجبهة فحسب بل في كافة القطر المصري ، ولأدت الى انهيار دفاع العلمين واجبرته على فتح الابواب على مصاريعها قسراً . والآن لنتسأل اهل احتلت جزيرة كريت والجزر الاخرى من أجل هذه الغاية فقط أم لتوطيد القوات فيها فقط للراحة والاستجمام والترفيه مع مهمة ارسال صفائح زيت الزيتون والعنب المجفف (الزبيب) الى عائلاتهم القاطنة في المانيا ؟ ولماذا عانت مالطة ليلا نهاراً الهجمات الجوية المتواصلة ولم تكن حاميتها لتزيد حينئذ عن قبضة من افواج المشاة البريطانية ؟ ولماذا احجمت اسراب واجنحة الطيران الالماني عن التدخل في معركة مصر لاكمال النصر ؟ ولماذا كانت تستمر المحاضرات والمحادثات حتي في ميدان المعركة في العلمين مع المرشال كيسرلنغ القائد العام لساحة العمليات الجنوبية والجنرال كافاليرو وغيرهم من الضباط الامراء الالمان والايطاليين حول هذه المواضيع الخطيرة ؟ اجل ! وكانوا يسدون النصائح ويقطعون الوعود ويرجون أطيب التمنيات الحارة والمساعدات العاجلة لرومل وللجيش المدرع ويجزمون بفوزه وانتصاره في الموقعة المنتظرة . وطالما كان يعلن الماريشال



الماريشال كيسرلنغ والماريشال باستيكو يتحدثان عن الوضع الحربي في جبهة مصر

كيسرلنغ قائلا : ان المسألة الوحيدة القائمة هي مسالة التموين فقط . وقد وضع شروطها بصورة واضحة والتي على أساسها كان يجب أن تستأنف العمليات القادمة . وقد كرر القول مراراً مؤكداً اجراء كل ما هو ممكن ، فهل أجري هذا الممكن ياترى ؟ كلا لان الامور والاشياء ظلت كما هي وحيث هي من قبل ومن بعد .

اجل لقد ارسلت بعض القوات وسدت بعض الفرج ولكن ما كان في المستطاع تعويض الخسائر بكليتها ولم تستكمل العداد في هذا الوقت . ولا ريب أن برلين كانت تفكر في بادئ الامر بامكانية الحصول على الكثير ببذل القليل . والحقيقة فان هذه الحرب ككل الحروب السابقة واللاحقة وخاصة منها الحروب الطويلة الامد تفرض التوفير كما تفرض عدم التقتير أيضاً (اساس) . وبدلا من حشد وسوق كافة القوات الممكنة للحصول على تصفية عاجلة لكافة الحسابات ظنت برلين ان في امكانها اجراء ذلك دفعة بعد دفعة وطالما كانت هذه الطريقة تلائم وضع العدو الراهن كثيراً والذي بدأ يتفهم الوضعية القائمة فهماً كاملا ويدرك أسبابها على الوجه الاكمل . وان هذا الوضع من شأنه أن يساعد اوكنليك بدون ريب . اجل اقد وقعت اخطاء عديدة من قبل العدو كما اخطأ ايضا في اساءة تقدير قوة ومقدرة رومل الحربية ولكنه تفهم مع الزمن ووعي الدروس والاختبارات السالفة . وفي هذه الساعات الخطيرة من من شهر حزيران وتموز عام ١٩٤٢ تدخلت القيادة البريطانية العليا بقوة وقرار ثابت دون ان تستوقفها الحواجز والعوامل الادارية . فافريقيا يجب ان تنال كل ماتحتاج اليه وتتطلبه وهكذا تقرر وتم الامر .

أما من ناحية رومل فلم يكن الوضع مشابهاً على الاطلاق . لقد ارسلوا اليه مايحتاجه ليقصوا عنه الفناء والموت فقط ولكن ليس بالكفاية التي تسمح له بالحياة . لم يفتكر أحد ما في مقر قيادة الفوهرر العامة في سوى

ميدان روسيا الفسيح الذي كان كعامل التجاذب المغناطيسي يستدرج القوات الالمانية تباعا . وكأن هذا الميدان كان عبارة عن هـوة متسعة الحدود مترامية الاطراف أعدت لابتلاع الرجال والمعدات دون حساب . وقد توقفت الحملة الالمـانية على روسيا بالرغم من تفوق الجيش الاحمر العددي والمادي . وظن الالمان ان في امـكانهم العمل في افريقيا على هذه النسبة وعلى نفس الشروط .

وفي هذه الوضعيه الصعبة وجد رومل حاجزاً جديداً على طريقه المليئة بالاشواك . وبصفته قائداً المـانيا كان عليه ان يتلقى أوامر وتوجيهات وتوصيات هتلر رأساً . والحقيقة انه كان موزعاً بين الالمان والايطاليين او بالاصح بين هتلر وموسوليني . وكان يتلقى في نفس الوقت أوامر من الجانبين بصفته قائداً عاماً للقوات الالمانية - الايطالية . وطالما كانت هذه الاوامر والتوجيهات تتعارض في اتجاهاتها وميولها . وكان الماريشال رومل يسعى جهده ليوفق بين الطرفين بكياسة ولباقة في علاقاته مع الاركان والقوات الايطالية . وطالما شكل هؤلاء جميعا ازائه كتلة موحدة بيد انه ما كان يستطيع الاستغناء عنهم والتحرر منهم بفعل الواقع الراهن .

وعند تأزم الاحوال وتصدع الجبهات وتبعثر القوات وطبعاً ودوماً في قطاعات الايطاليين كان على الوحدات الالمانية وحدها ان توطد الوضعية وترأب الصدع وتعيد النظام . وكان يتوجب على الالمان دوماً الاحتياط لمثل هذه المفاجأة اذ كانت الفرق الالمانية الاربعة تظل ساهرة يقظة على مجرى الامور والاحوال .

فاذا كانت القوات الايطالية في الصحراء غير قادرة على احتمال القتال وخاصة بعد مرور عام ونصف العام على حرب متوالية لم يكن ذلك متأتياً عن ارادة سيئة ، ولم يكونوا جبناء الى هذا الحد كما لم يكونوا شجعاناً الى الحد المطلوب لانهم كانوا محطمين المعنوية مثبطي العزائم عزلا من

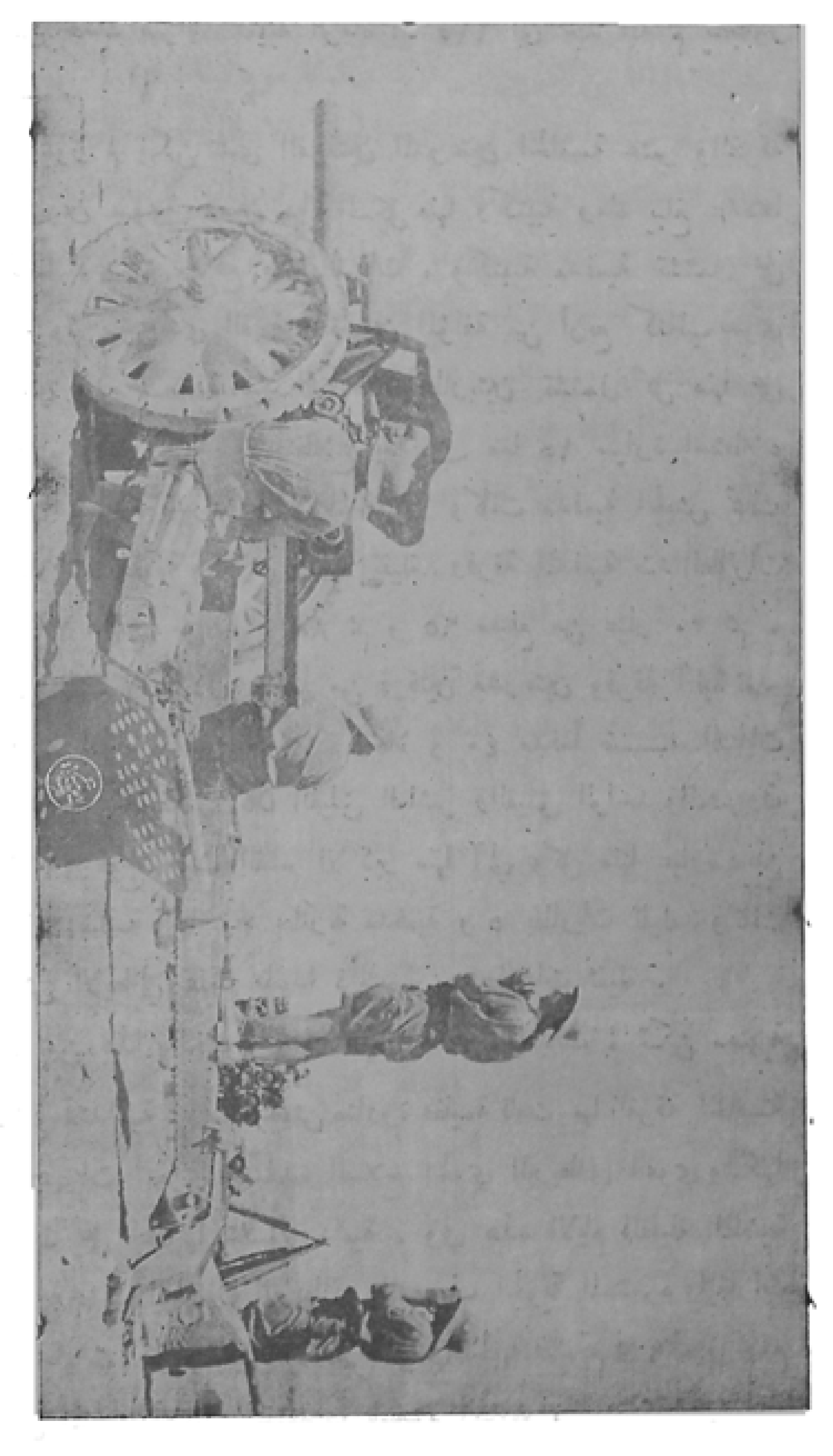
قوة العناد والتصميم . وكانوا عندما يحاطون من قبل القوات الالمانيه يتصرفون بعزم وقوة وشرف ويقاتلون ببطولة ملحوظة . وعندما كانوا يتركون لانفسهم كانوا ينهارون كما انهاروا في السابق . وكانوا ضعاف الثقة بأنفسهم وضباطهم وسلاحهم ، ويتلقون ثلاثة وقعات في النهار بينما الجيش المدرع من ارفع جنرال الى آخر جندي كانوا يتقاسمون فيما بينهم بالتساوي معلبات السمك (الساردين) بالزيت واللحم المقدد والمعلب الذي كان يحمل شارة « آم AM » والذي كان الجنود يطلقون عليه اسم الترمان Alterman أي الرجل العجوز . ففي حرب ضروس كهذه وازاء عدو عنيد مصمم على الغلبة وتحت شروط الحياة القاسية في الصحراء لم يكن من الذوق والواجب العسكري اقامة فروق بين المراتب ما خلا فارق الآمرة والواجب . وكان من المستهجن الممقوت تخصيص الضباط بعناية تميزهم عن غيرهم من المحاربين . ولا غرو فان سر عظمة القوة الالمانية يضاف اليها التدريب التام والتمرين الفائق تتقمص في هذا الاتحاد الوثيق بين الضباط والافراد ، وما كانوا كلهم في الجبهة بل على الجبهة . وما من قائد ولا ضابط سار في الصحراء واجتازها الا على راس طلائعه وقواته . وان اساس وحب المسؤولية الشخصية كان عامل التدليل والعناية من قبل الجميع . وكان حتى الافراد من رتبة عريف وكل المرؤوسين معاً يتمتعون بالتصرف الحر حيثما يتطلب الاجراء الذاتي . والفضيلة الاولى النامية في النفوس كانت المثالية . وكان رومل الرجل الاول الذي يعتمدها ولم يكن الانصياع على الاطلاق طاعة عمياء كما يظن الاخرون بل نزعة روحية خالصه وكان الانكليز يسمون الالمان (النازيين) ولكن النازية مع كل منازعها لم يكن لها أي اثر في الصحراء ، وما كان لها اية مصلحة عاملة في هذه الارجاء . فهؤلاء الجنود كانوا يؤمنون برومل وهتلر ايمان العقيدة الثابتة معتقدين ايضاً بأن قضيتهم قضية عادلة وان قتالهم يجب ان

يكون صريحاً ومخلصاً . ولم يكتسب الجيش المدرع الالماني قيمته الحربية لكونه مؤلفاً من نازيين بل لانه مكونا من ضباط وجنود يشكلون جميعهم كتلة متراصة واحدة . لم يعرف الجيش الايطالي هذه الوحدة قط . وكانت الحالة الاجتماعية والتفاوت في الوضعيات تبدوان كأنها طبيعية بالنسبة اليهم ومقبولة في عرفهم ومهضومة على اذواقهم . وكان الجندي الايطالي ينهار حيث ينهار آمره وقائده . وكان يتبعه ويقفو اثره بصورة شاملة . وما كانت تشتمل هذه الصورة البشعة على عامل مشجع . لم يقل له احد قولا مقنعاً مؤثراً لماذا يحارب ويناضل في هذه الصحراء المخيفة ؟ ولماذا يخوض غمار حرب لم يرغبها ولم يسع اليها ؟ فالخطب الرنانة والكلمات النارية التي كان يلقيها موسوليني معبراً بها عن عظمة الامبراطورية الايطالية والتي كانت حماسية مثيرة الى اقصى حد تبعث في الروح الفخر والكبرياء . وتزرع في النفوس الخالصة القوة والجبروت . كل هذه الكلمات والاقوال المشجعة لم تكن لتتعدى حدود البلاد الايطالية وكانت تفقد كل معانيها ومفاهيمها السحرية سالكة طريقاً غير طريق ساحات المواقع والمعارك . فالفيالق الايطالية التي كانت مجبرة على متابعة الموقعة الهجومية على جبهة الغزالة لم تشترك وتحتمل كل شدة ومراس الحرب ماعدا الفرق الآلية وحدها التي تحملت كثيراً من الخسائر الثقيلة بفعل القصوف الجوية في حوادث اليوم الاول من تموز . ولم يبق لدى فرقتي ارتيا وليتوريا سوى خمس دبابات لكل منهما ، ومدفعين للاولى ومدفع للثانية فقط . وكانت الدبابات الالمانية وحدها تشكل الجيش المدرع السليم الذي لم يكن مسلحاً بالمعنى التام امام جبهة العلمين . وكانت الهجمات الجوية المستمرة ونيران المدفعية البريطانية الثقيلة المدمرة توالي قذائفها المتواترة . وبلغ عدد القنابل التي اطلقت في ٦ تموز على قطاع احدى الكتائب المدرعة مايزيد عن ٣٦٠٠ قذيفة وطبعا لم يكن اثرها عديم التأثير . وبالاضافة فان عداد الوحدات تدنى الى حد

كبير وتناقص عداد سرايا كتيبة الرماة الـ ١١٥ الى حد انه لم يتجاوز سريتين فقط .

وفي ٨ تموز لم يكن لدى الفرقتين المدرعتين الخامسة عشر والفرقة الحادية والعشرين سوى خمسين دبابة لكل منها وكتيبة رماة يبلغ عددها ثلاثمائة شخصا وعشرة مدافع ضد الدبابات . وكتيبة مدفعية تشتمل على ٢٨ مدفعا . ولم يبق لدى الفرقه التسعين المؤلفة من أربع كتائب سوى ١٥٠٠ جندي و ٣٠ مدفع ضد الدبابات وبطاريتين تشتمل كل منها على اربعة مدافع . وكان فوجا الاستطلاع يعدان معا ١٥ سيارة استطلاع مدرعة و ٢٠ سيارة مدرعة لنقل المدفعيه وكانت مدفعية الجيش تملك آنئذ ٤ بطاريات خفيفة و ١١ بطارية ثقيلة . وفرقة المدفعية ضد الطائرات تتألف من ٢٦ مدفع من عيار ٨٨ مم و ٦٥ مدفع من عيار ٢٠ مم . وكان الفيلق العشرون الآلي مؤلفاً من فرقتين مدرعتين وفرقة آلية تعد ٥٤ دبابة و ٨ افواج تضم ١٦٠٠ رجلا و ٤٠ مدفعاً ضـــد الدبابات وبطاريات مدفعية خفيفة . وكان الفيلق العاشر والفيلق الواحد والعشرون يشملان على ١١ فوج حيث القسم الاكبر منها آلي وكل منها عبارة عن ٢٠٠٠ رجل يضاف اليها ٣٠ بطارية مدفعية و ٥ بطاريات ثقيله . وكانت مدفعية الجيش الايطالي تملك ماعدا ذلك اربع بطاريات ثقيلة .

وبالرغم من هذا النقص الهائل في العداد والمعدات لم تكن معنوية الجيش الالماني متداعية . وصد الجيش مناورة عظيمة قامت بها الفرقة الخامسة الهندية مع جمهرات أخرى بمساعدة السلاح الجوي البريطاني القوي ولكنها دحرت وردت على اعقابها بخسائر دامية . وفي هذه الايام القليلة الماضية وبالرغم من هجمات الطيران البريطاني والقصوف الجوية المستمره والغارات المديدة التي حاولت اجراء بعض الاختراقات في الجبهة فقد تم في ٩ تموز تجمع قوات الجيش المدرع الالماني استعداداً للهجوم الجديد .



مدفع مضاد للدبابات عيار ٨٨ م في وضع الاطلاق

أخذت الارض تهتز في الافق وتحولت الى دائرة من الفولاذ وكان هدير الطائرات يختلط بانفجار القنابل الانكليزية وعواء طائرات شتوكا الالمانية . ومنذ الفجر تصاعدت سحب العجـــاج بفعل تقدم المدرعات الالمانية (البنزر) من المواضع الانكليزية التي ظلت تتوجها نيران المدفعية .

وتوجهت الغارة الالمانية صوب القسم الجنوبي من جبهة العلمين واحتلت المواضع المقابلة المستحكمة والمحصنة جيداً تحميها حقول الالغام المبثوثة . وتقدمت القوات مندفعة الى الامام فوجدت موضع قبر العبد خالياً من القوات الانكليزية مما دل على أن العدو انسحب فاراً بصورة مفاجئة ، وكان هذا الانسحاب غريباً من نوعه لا يفهم ولا يدرك لأن المواضع المذكورة كانت حصينة وفي وضع ملائم جداً تشتمل على ملاجيء قوية من الاسمنت المسلح وخنادق ممتازة للرمي . ولم يجد الجنود الالمان فيها سوى معدات متروكة وكميات كبيرة من الذخائر وجموع الذباب المؤلفة ؟

وفي الغد تبدت مقاومة ريتشي وهاجم المفتاح الشمالي الواقع بين البحر والطريق الساحلية . وعلى أثر هذا الهجوم تبعثرت فرقة ثابراتا «Sabreta» الايطالية واستسلم قسم كبير منها دون مقاومة . ونتج عن هذا الهجوم المعادى وضعية جديدة على جانب من الخطورة بسبب انفتاح فرجة مفاجئة في هذا المكان وكان في وسع العدو أن يتوغل منها بسهولة لتفكيك ارتباطـات تموين الجيش لو انه ابدي مرونة حقا في حركاته التعبوية . ولكن روميل هرع على الفور وساق جمهرة من الفرقة الخامسة عشر المدرعة مع رتله الخاص لتلافي الوضعية الخـطيرة . ولاحظ آنئذ بأن جمهرة الزعيم مارك الالمـانية سبق ان تصدت للهجوم وسدت الفرجـة وأغلقت المنافذ بواسطة عدد من الدبابات التي وصلت حديثاً من ورشات التصليح وسلمت الى جمهرته .

وفي الحادي عشر من تموز ترددت نفس الحادثة وفقد من جرائها

فوجان ايطاليان . وفي هذه المرة تدخلت المدافع ضد الطائرات من عيار ٨٨ مم لسد الفرجة الحادثة . وعلى اثرها اطلق رومل هجوماً معاكساً على الجبهة الانكليزية رد به هجوم العدو ، والقى بقوات الفرقة الاوسترالية بعيداً ، وانتزع منه المواضع التي احتلها أخيراً . وفي الجنوب احتل موضع الرويسات وتقدمت الجبهة عشر كيلو مترات الى الامام . وكان القتال على أشده لامتلاك المواضع المتقدمة . وأضاعت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين فرصة مؤاتية في هذه الآونة وكانت تقدمت بهجوم تحت عادية عاصفة رملية هوجاء أظلمت فيها الرؤية والمرأى تساندها طائرات شتوكا . وكانت وحداتها تتقدم على جبهة واسعة ولكنها لم تستطع التوجه تماماً واضطرت ان تتراجع الى مواضع الانطلاق البدائية .

وكانت الطريقة القديمة في نسق الهجمات والهجمات المعاكسة بين الخصمين تتناوب دون أن يتوفق احدهما في تحقيق عمل حاسم . وفي ١٥ تموز انطلقت عاصفة جامحة من القوات الانكليزية وانصبت على فرقة بريشيا التي تبعثرت قواتها تماماً . وبعد يومين عاودت الكرة من جديد على فرقتي ترانتو وتريستا وهوجمتا رغبة في اختراق الجبهة وقصد احاطة كافة الخط الدفاعي الالماني الايطالي على الاخلاف .

وقد تشتت الفيلق العاشر ودمر تدميراً ماحقاً . ولو أن العدو تمكن من احتلال بير الشاين لقطعت الجبهة الى نصفين . ولكن المهاجمات الالمانية المعاكسة أعادت الوضعية السابقة الى ما كانت عليه وردت العدو على أعقابه خاسراً . وكانت القيادة البريطانية تعيد نفس الخطأ المرة بعد المرة . فبدلا من استغلال عملية الاختراق على الفور كانت قوات الصدام تنتظر الموجة التالية أو انها تقف مكتفية بالعملية الموضعية باعتبار انها وصلت الى هدفها المعين . وهذا هو سبب التوفيق الذي كانت تحرزه الهجمات الالمانية المعاكسة على الدوام . وقد توجب تخصيص كل القوات

الشاغرة لتثبيت الغارات الانكليزية . وقد دمر أثناء هذه العمليات عدد وفير من المدرعات الانكليزية واسر ما يقارب من ١٢٠٠ أسير ولكن العمليات الآنفة الذكر لم توفر على الفيلق الالماني الافريقي الخسائر . وكانت كثافة صفوفه تخف يوماً عن يوم . وفي غمرة من هذه الاحداث المتشابهة وصل الماريشال كيسرلنغ وبرفقته الجنرال كافاليرو للتحدث مع الماريشال رومل عن هذه المواضيع . وفي هذه المرة ايضاً راحا يرسلان الاقوال الرقيقة ويقدمان التمنيات الطيبة والوعود المنتظرة . وأبديا تقديرات وآمال واسعة ، ولكن الحقيقة لا كيسر لنغ ولا الجنرال الايطالي حققا شيئاً عمليا مثبتاً . وطلب رومل قراراً قطعيا في موضوع التموين ولكنهم لم يقدروا على تأمين طلبه . فالتموين كان يرتبط بعديد من المشاكل والموانع . وكان كيسرلنغ يعرف كما يعرف كافاليرو تماماً المسافة الكائنه بين اعطاء الاوامر في برلين او روما وبين التنفيذ . وكان رومل كثير التفكير والانشغال بأمر تناقص عداد الفيلق الالماني الافريقي وضعف متانة الفيالق الايطالية . ولهذه الاسباب اعطى أوامره بالتوقف عن متابعة المهاجمات والتربص على الدفاع . وفي الايام التالية كان يرى متنقلا دوماً من موضع إلى آخر ومن مرتفع الى مرتفع ليتحقق شخصياً من تفاصيل التدابير والترتيبات المتخذة . وكانت هذه المهمة متعبة وشاقة وزادها صعوبة الحر الصيفي الهائل الذي كان يحدث تأثيره الشديد منذ ساعات الفجر الاولى تحت سماء صافية عارية من الغيوم بصورة دائمة . وأثناء ذلك ردت قوات المحور هجومين واسعين عنيفين بخسارة لا تكاد تذكر . وفي الثالث والعشرين من تموز دمر الدفاع الالماني وانفجار الالغام ١٤٦ مدرعة انكليزية وأسر حوالي ١٤٠٠ أسيراً . وتأكد الجنرال ريتشي بأن القوات المدرعة لم تضعف ولم تقهر بعد . وكانت تقاوم بضراوة شديدة حتى ان الفرق الايطالية في هذه الايام الاخيرة ابدت دفاعاً مجيداً .

وتم احتلال موضع ابو سفايس الدفاعي من قبل قوات المظليين الايطاليين وكانت قوات ممتازة للغاية . وقد ردت كافة الغارات التي اطلقت على المواضع . وأوشك روممل مرة ان يذهب ضحية القنابل المتساقطة كالبرد على منخفض القطارة اثناء عملية التفتيش الذي كان يقوم بها في هذا القطاع .

واذا كانت الموفقيات الدفاعية التي حدثت في تاريخ ٢٢ / ٢٧ أثارت حماس الجيش المدرع بيد أن قادته يدركون ملياً بأن القتال الدفاعي ليس له نتيجة مظفرة الا اذا تحقق امكان جلب نجدات وقوات وممدات جديدة بصورة أسرع من اوكنليك . وكان المهم في الامر منذ الآن ليست شجاعة الجنود ولا مهارة القادة بل الحصول على القوات الجديدة العديدة واعادة النظر في إكمال وتنظيم العداد وبصورة خاصة تأمين الوقود والذخائر . وفي أول آب تعدلت لائحة القوات بصورة محسوسة بالنسبة الى أول تموز ولكنها كانت بعيدة عن الحد المطلوب . وبلغت قوات الفرقة المدرعة الخامسة ٢٢٥ ضابطا و ٦١٨٢ رجلا و ٤٧ مدفعاً ضد المدرعات و ٣٦ مدفعا عاديا و ٦٥ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع و ٥ ١٨ سيارة نقل (شحن) .

وبلغت قوات الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين ٢٠٩ ضابطا ، و ٨٧٠٦ جنديا و ٥٣ مدفعا ضد المدرعات و ٤٧ مدفعا عاديا و ٦١ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع و ١٦٠٤ سيارة نقل (شحن) . وكانت الفرقة التسعون الخفيفة تملك ١٣٣ ضابطا و ٤٦٨٩ جنديا و ١٨ مدفعا ضد المدرعات و ١٩ مدفعا عاديا و ٥ سيارات استطلاع و ١٤٤١ سيارة نقل كبيرة .

وكانت الفرقة ١٦٤ الخفيفة الافريقية المعسكرة في جزيرة كريت والتي وصل جزء من قواتها تشتمل على ١٩٥ ضابطا و ٦٧٠٨ جنديا و ٤٥ مدفعا ضد المدرعات و ١٠ مدافع عادية ، ولم يكن لديها حتى الوقت

الحاضر سيارات نقل على الاطلاق .

وكانت عناصر الجيش تشتمل على ٢٣٦ ضابطا و ٦٩١٢ جنديا و ٨٥ مدفعا ضد الطائرات و ٢٩ مدفعا ثقيلا و ٥١ مدفعا عاديا و ١١٠٨ سيارة نقل . وكان ٨٥ في المائة من السيارات يكاد يكون مشغولا . فثلث السيارات كانت بصورة دائمة قيد التعمير والتصليح . وكان مجموع ضباط الفرقة الالمانية يبلغ ١٠٧٩ ضابطا و ٣٣٢٩١ فرداً تكملها **الوحدات الايطالية التالية :**

ـ الفيلق العاشر مؤلفاً من:

- تسعة أفواج مشاة
- خمسة أفواج مدفعية
- وفوج مشاة بدون سلاح .

ـ الفيلق العشرون :

- تسعة أفواج مشاة
- فوج ضد المدرعات
- تسعة أفواج مدفعية .

وكان ينقص الفيلق نصف السيارات المعينه له ، وكان من جملة الافواج أربعة فقط آلية .

ـ الفيلق الواحد والعشرين :

- ثمانية أفواج مشاة
- اثنا عشر فوج مدفعية .

يضاف الى هذه القوات فرقة المظليين التي وصلت حديثا والمؤلفة من فوجين رماة قناصة وفوجين ضد المدرعات . وكان عدد الفوج يبلغ الف رجل تقريبا .

وبلغت الخسائر منذ موقعة الغزلة حتى نهاية شهر أيار العدد التالي :

		جرحى	قتلى	مفقودون
الالمان (	ضباط وأفراد (	٨،٥٠٥/٥٢١	٢،٢٣١/٢٧٢	٣،٩٨٥/٧٥
الايطاليون (	ضباط وأفراد (	١٠،٧٣٣/٧٢٤	١،٣٢٣/١١٥	٥،٥٣٣/٥٤

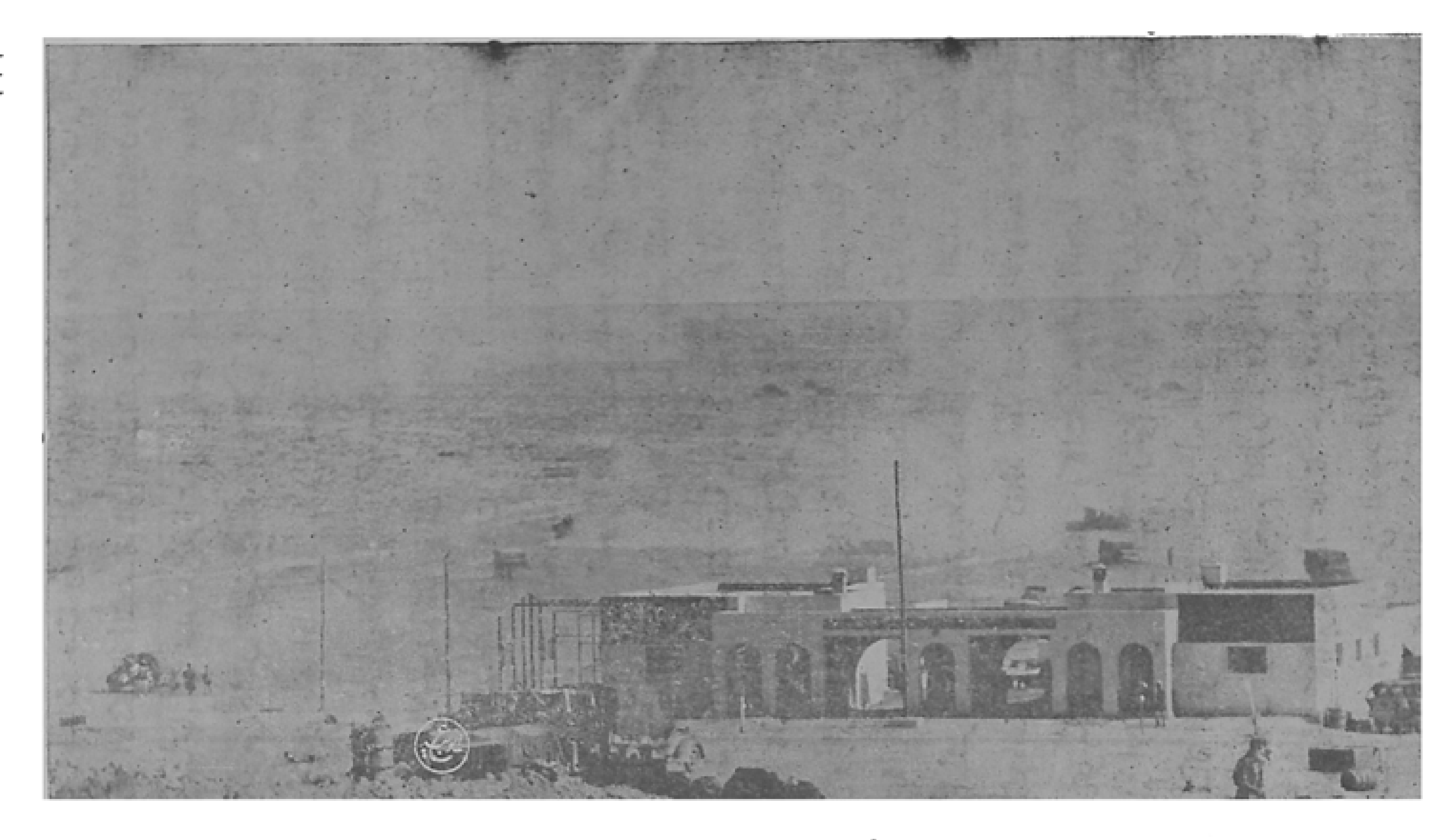
وكان ينقص الفرقة الالمانية لاستكمال عدادها حوالي ٤٨٤ ضابطاً و ٢،٥٠٠ نقيباً و ٩،٠٠٠ جنديا . وجرت محاضرات جديدة وصدرت أوامر جديدة واعطيت وعود جديدة انتهت كلها باخفاق جديد . وصرح رومل بمرارة لأول مرة ، رومل الماريشال الجديد المنتصر جوابا على الوضعية الراهنة تصريحاً لا بد أنه كان صدى ما يثور في نفسه من عميق الألم منذ زمن طويل قائلا :

« لست ادري بعد هذا المكوث الطويل امام مواضع العلمين اذا كانت خسارة الحرب في افريقيا اصبحت مؤكدة » .

وكان يعرف جيداً بفعل خبرة الماضي ومعرفته للعدو انه اذا لم يتمكن من تحقيق نواياه عاجلا وسراعا فان شرائع الصحراء ستنقلب ضده حتما . وان كافة المواقع السائرة الكبرى التي جرت حتى الآن في ليبيا اخفقت بدون ريب ؛ وان لم تنجح كلها دوما بصورة حاسمة قاطعة فلأنها لم تصل الى غايتها وهدفها ولم تتوفق في تدمير العدو واخراجه من دائرة القتال . وكانت نهاية كل موقعة تقف عند آخر حد من حدود الغلبة دون أن تصعد الى ذروة الانتصار النهائي . وكانت الاسباب معروفة في كل مرة اما أن تكون اسباب المهاجم ضعفت لدرجة لا يمكن معها الوصول الى هذه الذروة او أن المندحر بدأ يدنو من قواعده فتتحسن وضعيته وتزداد قوته أو لسبب تردد القيادة التي لا تعتمد تعبئةً مرنة لاستغلال نجاحها أو العمل في كل ثقة واطمئنان دون التورط والمخاطرة . وهذا الخطأ طالما وقع فيه غرازياني وبالتالي ويفل كما لم ينجح

فيه ريتشي بالذات حيث وقف في اجدابيا لأن قراره كان متأثراً بعوامل التشكيلات الانكليزية المتسلسلة التي كانت تشرف على كافة الشؤون والمقررات التي من شأنها ان تحد حرية التصرف لدى القيادة الملحقة ، هذا التأثير الذي كان من الثقل بحيث يحـد من حرية العمل ايضاً . وكان رومل يعلم علم اليقين بأنه اذا أراد عدم الاخفاق في مساعيه وغاياته فانه يتوجب عليه العمل دونما أي تأخير . وقد سبق أن أضاع الوقت المطلوب . وفي اثناء الاشهر الاخيرة كان يقاتل على جبهتين : الجبهة الاولى جبهة القتال والثانية جبهة التموين التي كانت اكثر تعقدا وصعوبة وأشد خطورة من الأولى . وبالرغم من التجارب والمحن العديدة التي عاناها فقـــد ظل متفائلا بسبب اعتماده على نفسه . فلو ان العدو باشر العمل مسبقا كما تصرف الجيش المدرع سابقاً اثناء الخريف ومطلع الشتاء لما امكن اجراء انكفاء طويل المدى بقوات تعبة منهوكة يعوزها الوقود .

ولذا كان من الواجب المطلق اجراء محاولة جديدة . فالمقررات المتخذة من قبل وزارة الحرب الانكليزية البعيدة اخذت تظهر ملياً في المعسكرات الانكليزية . وكانت أساطيل النجدات والمعدات تتوارد على الجيش الثامن تباعا كما شُرع في اجراء تبديلات هامة في نظام القيادة واستبدل الجنرال اوكنليك بالجنرال الكسندر كقائد عام للشرق الأوسط وعين الجـنرال مونتغمري مكان الجنرال ريتشي وكانت تحضيرات الهجوم تجري بدقة تامه في الايام الاولى من شهر آب . وتلقى رومل تأكيدات ثابتة مطمئنة من أجل مسألة الوقود والذخائر بشكل انه أصبح في امكان برلين وروما تحديد التاريخ المطلوب لاطلاق الهجوم المقرر . وفي الثامن عشر من شهر آب وعد الماريشال كافاليرو أثناء محادثة جرت مع الماريشال كيسرلنغ ورومل انه سيشحن ٦٠٠٠ طن من الوقود قبل بدء الهجوم . وأشار رومل بأن التـاريخ المقرر سيكون بعد يومين أو ثلاثة لضرورة اطلاق العمليـات



موقعة الكيلومتر ٤١ أمام محطة طبرق

الحربية في الليالي المقمرة . واذا تقرر المثابرة على التربص شهراً واحداً فانه من الواضح ان يتقوى مونتغمري وتتعزز امـكانياته بصورة راهنة ويجبر عندئذ الجيش المدرع للبقاء على الدفاع الحـــالي . هكذا بدت الامـكانيات الاخيرة وتهيئت للقيام بالعمل دون توان ولا تأخير . فنسبة القوى المتقابلة كانت تعتبر متعادلة على وجه التقريب وملائمة لامـكان اختراق مواضع العدو آنئذ ولا ينتظر للقيام بالعمليـات المقررة سوى وصول التموين اللازم فقط . وما كان يفيد الانتظار الطويل على الاطلاق وكان من المتوجب مباشرة الهجوم بالقوات الشاغرة الموجودة حالياً تحت تصرف قيادة الجيش المدرع . فاذا وصل التموين والوقود الموجودة من قبل القيادة العليا الايطالية في حينها فان الموقعة يمكنها ان تسير الى النصر النهائي المحتم .

وفي السابع والعشرين من شهر آب جرت محادثة جديدة مع القائد العام لميدان العمليات الجنوبية وقائد سلاح الطيران الالماني في افريقيا حيث اشار روميل الى ان نجاح العمليات القادمة يتوقف على عمليات التموين وانه على استعداد تام لبدء الهجوم حال وصول السفن الشاحنة ٦٠٠٠ طن من الوقود . وكان كيسرلنغ دوما مستعداً للمساعدة ولكن لم يكن في استطاعته القيام باجراء اوسع وأوفى بسبب ضعف الطيران الالماني وقد سلم الف طن فقط اضافة على موجود المستودعات . وفي الغد نسفت السفينة جستريا التي كانت تقل الوقود والمعدات أمام طبرق . وكان كيسرلنغ حاضراً في مقر قيادة روميل آنئذ وقد وعده بنقل الذخيرة بواسطة الطيران ولكن روميل لضخم فؤاده من الصبر والانتظار واضطر ان يعدل هدف العمليات الحربية المقررة واقتصر عن الهجوم على الاسكندرية مكتفيا بدحر قوات العدو المحاربة فقط .

وفي الثلاثين من شهر آب وصلت السفينة غوالدي ميناء طبرق شاحنة

٨٠٠ طن من الوقود وكان كيسرلنغ يقيم دائماً قريباً من روميل وأكد له من جديد بأنه سينقل اليه ١٥٠٠ طن بواسطة الطائرات . وكانت الوحدات تملك آنئذ ثلاثة وحدات وقود واربع وحدات أخرى كانت موجودة على الاراضي الافريقية . وفي الساعة الثانية والعشرين ، تحركت فرق الجيش المدرع الالماني التي توطدت في مواضع الخروج في الليلة الفائته للمبادهة بالهجوم . ووضعت خطة العمليات الحربية التي فرضتها طبيعة الارض ونسبه القوات المقابلة . وكان الاختراق مقرر الاجراء من الجبهة الجنوبية عبر حقول الالغام والمواضع الدفاعية . ولدى انتهاء هذا الفصل من الموقعة تخط القوات الآلية والدبابات حركتها نحو الشمال صاعدة الى الساحل لمهاجمة الجيش الثامن الانكليزي . وقررت تنظيف حقول الالغام اثناء الليلة الاولى . ووجدت الطلائع الامامية حقول الغام جديدة زرعت حديثا وكانت مجهولة من قبل . وقد صرف وقت طويل لتنظيفها وازالتها ولم تصل القوات الالمانية الى الطرف الشرقي لاطار الدفاع الا في فجر اليوم الثاني حيث طردت الفرقة المدرعة السابعة ، واصبحت على مسافة ٢٨ كيلو متر من جنوب العلمين . ووقف الفيلق العشرون الايطالي وحده بعد اجتياز حقول الالغام واصبح الجيش الثامن في وضع شديد الخطورة ومعرضاً لخطر التطويق وحشد كافة قواته الشاغرة محاولا ايقاف تقدم الفيلق الالماني الافريقي . وتضاعفت هجمات الطيران الانكليزي بصورة عنيفة وقتل الجنرال فون بسمارك Von Bismark قائد الفرقة المدرعة الواحد والعشرين بفعل قنابر الطائرات المتساقطة وجرح الجنرال نهرنغ Nehring القائد الاعلى للفيلق الالماني الافريقي وتقدم آنئذ الجنرال فون فارست G.von vaerst والزعيم لونغرهاوزن Oberst. Longer housen والجنرال فون راندو G. Von Randoux الذين تسلموا تباعا في وسط الموقعة قيادة الوحدات المشار اليها : الفيلق الالماني والفرقة المدرعة الواحدة والعشرين والفرقة

المدرعه الخامسة عشر . وبالرغم من الخسائر التي لحقت وحداتهم ظلت الفرقة تتقدم بهدوء واستمرار . واثناء الليل التالي وعلى ضوء القمر عرجت القوات الالمانية نحو الشمال على مسافة خمسة كيلو مترات من نقطة الانطلاق أي أكثر من المسافة المقررة لحركة التطويق . وكانت اسباب عديدة تفرض وجوب تقصير محور الهجوم منها اضاعة بعض الوقت من اجل اجتياز حقول الالغام وبالتالي استمرار القصوف الجوية البريطانية التي أصبحت على جانب من الخطورة . ولكن مونتغمري لم يباغت كما كان منتظراً . وصرح بعض الاسرى الانكليز بأن خطة القتال الالمانية كانت معروفة لدى الانكليز وقد افشى سرها احد الضباط الأيطاليين . وفي اليوم التالي عند الظهر ملأ الفيلق الالماني خزاناته بالوقود واندفع الى الامام تتبعه الفرقة المدرعة ليتوريا بينما ظلت فرقة تريستا واريتا إلى الى الوراء . ولم يعرج الفيلق العشرون الايطالي نحو الشمال الا في الساعة الخامسة عشر لتأمين التماس مع العدو . واثناء ذلك ووفقا لتعليمات قائدها المعطاة تربصت الفرقة الخفيفة التسعون على الدفاع في المنطقة التي احتلتها وتوفق الطيران الالماني في تفريق جمهرة مدرعات انكليزية قوامها ١٥٠ مدرعة كانت تجمعت لمهاجمة جانب الفرقة الخامسة عشر المدرعة الالمانية .

وكانت الارض التي اجتازها الفيلق الالماني مغطاة برمال ثقيلة كثيفة سببت اسرافا في الوقود . وفي المساء اخبرت بعض وحداته بأنه لم يبق لديها سوى مؤونة وذخيرة يوم واحد فقط كما اعلمت الفرقة المدرعة الخامسة عشر عدم امكانها استئناف هجومها بسبب نقص التموين . وكان الطيران البريطاني يبذل نشاطاً مستمراً، وطالما تمكنت طائرات القتال الالمانية من تشريد حماية القاصفات البريطانية كما كان يمتنع عليها ايضا امكانية الحؤول دون قيامها بمهمتها . وعلم أخيراً بأن السفن التابعة للقيادة الايطالية العليا الموعود وصولها في ٣١ آب لم تصل الى مرفأ أفريقا وانها أُغرقت بالفعل واصبح متعذراً منذ الآن وصول النجدات والتموين بصورة كافية . كما ان الطيران

الالماني ابدى عجزه عن امكان نقل الوقود المطلوبة الى مـكان ابعد من المسافة التي تفصل بين مرسى مطروح ـ طبرق .

وسجل الجيش في هذا الوقت وجود ثلاث وحدات وقود على الارض الافريقية والح المارشال كيسرلنغ الذي وصل الى الجبهة آنئذ مشيراً الى ضرورة مداومة الهجوم ، لان الفيلق الالماني اصبح قريباً جداً من اهدافه المعينة ولكن ماذا تنفع الارادة الطيبة والاوامر والخطط ؟ وماذا تفيد هذه العوامل القوية بدون وقود كافية ؟، وما فائدة الجيوش التي اصبحت على مقربة من اهدافها بينما لم يبق لديها وقود تستطيع معها الوصول الى هذه الاهداف ؟ وطال انتظار وصول مواد التموين على الاخلاف ليصار الى شحنها ونقلها الى الخطوط المتقدمة . ولم يكن بد اذاً من ايقاف الهجوم والتربص على الدفاع وتنظيم الارض المحتلة .

واثنـاء الليل ومنذ الساعـة الثالثة والعشرين بدأت القصوف الجوية المعادية تتوالى باستمرار طيلة الليل والنهار تنصب على الفيلق الالمـاني انصباب القطر . واضطر الماريشال رومل اكثر من مرة للانسحاب الى الحجور الارضية للاحتجاب عن القنابر التي كانت تمطرها القوات الجوية البريطانية ولم يبدُ أي تحسن في الوضعية في ليل الواحد والثاني من ايلول وبما ان الجيش المدرع كان اعزلا من المقاتلات الليلية وجد نفسه بدون حماية ولا دفاع ازاء القصوف المتراكمة .

وفي الثاني من شهر ايلول، علم ان السفينة ناقلة الزيت (ابروزي) أغرقت في المنطقة الواقعة بين بنغازي ودرنة . وتأزمت وضعية التموين الى درجـة قصوى وازدادت القصوف الجوية ولم يعد في امـكان الفرق احتمال هذا الطغيان الجوي الهـائل . وكانت اعداد المقاتلات الالمـانية المحدودة ضعيفة لاتستطيع مقاومة موجات الطيارات المعادية . عندئذ اوعز رومل بدون تردد ايقاف الموقعة والانسجاب الى مواضع الخروج الاولى

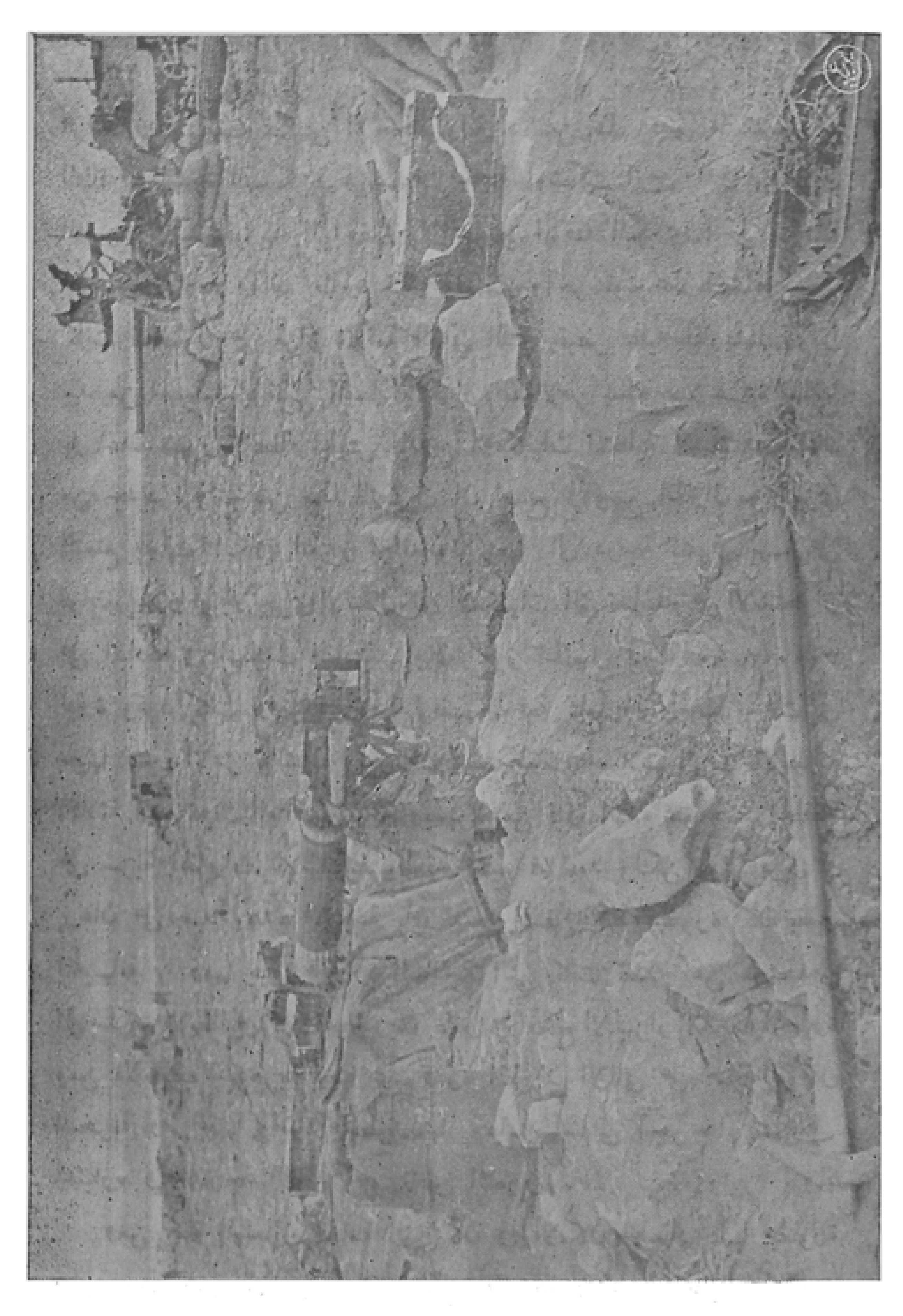
والاستفادة من حقول الالغام الانكليزية الخلفية كي يعمل على توطيد وتنظيم رأس جسر قوي محكم تحميه حقول الالغام .

كان مونتغمري متردداً جداً في الملاحقة . وردت الهجمات التي قامت بها قواته على الفيلق العاشر الايطالي وصدت حركات التطويق والاحاطة التي جرت في شتى قطاعات الجبهة . وفي مساء اليوم الثاني من ايلول ظلت وضعية الوقود حرجة للغاية وكانت القوات لا تملك سوى وحدة وقود واحدة فقط واستمرت حتى اليوم الخامس من ايلول بدون تبدل . وفي الايام الاخيرة وصلت اربع وحدات وقود تبلغ ٢٦١٠ طن يضاف اليها ٤٤٣ طن من الذخائر . ومن مجموعة ٦٠٠٠ طن من الوقود التي وعدت بها القيادة الايطالية العليا فقد منها ٢٦٠٠ طن في عرض البحر ووصل ١٠٠٠ طن فقط الى افريقيا و ١٥٠٠ طن ماتزال قيد الشحن في ايطاليا ، والباقي على ظهر السفن قيد الانتظار . وبينما كان الطيران البريطاني يوالي هجماته المنيفة تمكنت الطائرات الالمانية من تفريق الفرقة الهندية العاشرة أمام مواضع الفيلق الايطالي العاشر والفرقة الخفيفة التسعين . وهاجمت الفرقة النيوزيلاندية في دورها تساندها المدرعات والمشاة ولكنها ردت على اعقابها خاسرة وأسر آمر اللواء السادس النوزيلاندي. وفي الرابع ايلول اعيدت الوحدات الآلية الى مراكزها وفق الخطة المقررة.

وبالفعل فقد اعطى الهجوم نتائج مثبة وحقق كسباً محسوساً في الاراضي التي من شأنها ان تهيء قاعدة انطلاق ممتازة في مستقبل العمليات التالية وعامل تهديد يتناول الجناح الجنوبي الانكليزي . واثناء المعارك التي جرت خسر الجيش الثامن البريطاني حوالي ١٧٠ دبابة وسيارة استطلاع وكانت خسائر الجيش المدرع الالماني ضعيفة جداً الى درجة تثير الاستغراب تماماً اذ اخذنا بعين الاعتبار الاسراف الهائل في القنابل والقنابر والذخائر الحربية التي صرفها العدو اثناء هذه الغارات . وقدر مصروف الذخائر

الانفة الذكر بـ ١٥٦٠٠ طن منها ٩٣٠ طن وزن القنابر التي القتهـا الطائرات على الخطوط والمواضع الالمانية اثناء ١٨٠٠٠٠ خروج جوي تناول مساحة من الارض لاتتعدى ١٢ \ ١٥ كيلو متر عرضا و ١٨ / ١٠ كيلو متر عمقا . واثناء الليالي الخمسة المنصرمة من تاريخ الثلاثين آب الى الرابع ايلول عاني الفيلق الالماني الافريقي اربعة وعشرين ساعـة قصفاً جوياً متوالياً وتمكن من صد احدى وخمسين هجوماً نهارياً وبلغت نسبة القنابل التي القيت عليه ٣٦٠٠ قنبلة نهاراً و ٥٦٠٠ ليلا وبلغت خسائر الفيلق الالمـاني الافريقي عشرة ضباط ومائة جندي قتيل و ٥ ضباط و ٣٠٠ جندي جريح ودمرت ١٧٠ سيارة ودبابة واحدة تدميراً نهائياً و ٢٧٠ سيارة ودبابتان تدميراً جزئياً واصبحت غير صالحة للاستعمال موقتاً. وكان تأثير القصوف الجوية في هذه المرة معنوياً اكثر منه مادياً .والحقيقة فالوسائل الكثيرة التي استعملت دون كبير جدوى اضاعت الفرصة الوحيدة المواتية للوصول الى الغاية . فالجزء الصعب من المهمة تحقق بالفعل وهو احداث الاختراق المطلوب في جبهة العدو ووصل الفيلق الالماني الافريقي على اخلاف الجيش الثامن مستعداً لتمزيقه وتدميره . واصبحت الاسكندرية تحت رحمة استمرار الانطلاق السريع وقيد السقوط الفوري مكافأة للجهود الحربية الرائعة . وكان القتال على وشك الانتهاء لتحقيق احتلال سواحل البحر الابيض المتوسط الجنوبية في بون ايام بل وساعات فقط .

ولكن لم تحقق هذه الغاية الكبرى وظلت الجهود الجبارة دون ثمرة واصبح من الواضح ان كل هجوم جديد يتوقف بصورة قطعية على تحسين وضعية التموين والا فمن المستحيل تعديل الوضع تعديلا ايجابياً . ولكن هل يتمدل ؟ كلا ! وقد يتبدل لمصلحة اخرى أي لمصلحة العدو فقط . واعجب مافي الامر مما لايقره العقل والمنطق ولا يقبله الفكر والتصور القعود السلبي والجمود الشائن اللذين اعتمدهما المحور ازاء هـذه الوضعية



موضع دفاع انكليزي استولى عليه الالمان

الراهنة ! وكيف يمكن الاحجام والتردد عن بذل أقصى ما تسمح به الطاقة والقدرة العسكرية في ساعات حاسمة أوشكت ان تدق فيها أبواق النصر والغلبة لقواتها الزاحفة ولا تخوض الموقعة الكبرى آخر سفينة حربية وتجارية وآخر طائرة قتال وقصف وآخر قوة محاربة شاغرة حينما كانت للحصول على قرار الموقعة النهائي الذي يقبض عليه الماريشال روميل بيد من حديد . وانتهي العمل بالاقرار ان الامر يستوجب عدة اسابيع بل عدة شهور لاعطاء الجيش المدرع الامكانيات المتطالبة لاستئناف القتال من جديد . ونتج عن هذا التصرف ان اصبح في وسع الجنرال مونتغمري التمتع بالوقت الكافي لتعزيز قواته وتدعيمها الى درجة تتفوق بهما على قوات المحور او بالأحرى الانتقال الى الامكانيات التي تساعده على الاستحواذ على المبادهة في العمليات القادمة . وان العوز الحاصل لكمية ٢٠٠٠/٣٠٠٠ ليترة وقود كانت وحدها كافية لوقف الموقعة تماماً ولو أنهما سلمت في حينها لتغير الامر والشأن وتبين ان سبب نسف حاملات الزيت الايطالية الثلاثة التي تعينت اماكنها بدقة وبسهولة من قبل العدو هو عدم المحافظة على سرية المخابرات اللاسلكية . وقد اشيع فيما بعد ولكن دونما دليل أو برهان على صحة هذه الاشاعة بأن تدمير السفن المذكورة كان بفعل الخيانة . ومهما يكن فالثرثرة الساذجة التي كانت تصدر عن مستخدمي اللاسلكي الايطاليين كانت ولا ريب عامل في فضح الأسرار الحربية الخطيرة ومن الاسباب الجوهرية ايضا عدم قدرة الطيران الالماني على حماية القوافل البحرية ومرافقتها وابعاد الخطر عنها وعامل اساسي آخر هام يمكن اعتباره في الدرجة الاولى وهو نقص التموين .

ومن جملة الوسائل الهامة التي كان في الامكان الاعتماد عليها بصورة قطعية فعالة هي القوارب الصغيره التي أوجدها وبناهـا بعض المهندسين الاخصائيين في صناعة السفن السريعة التي تم تصميمها لاستعمالها في الحملة

المقررة على الجزر البريطانية والتي اطلق عليها اسم زي‌لوفه « Seelowe » أي ذئاب البحر . وكانت عبارة عن قوارب ذات جسور مغلقة ومصبعات جانبية . وعمل على تحسين صناعتها تحسيناً كبيراً حتى أصبح في وسعها القيام بأصعب المهام المتعلقة بالنقل والهجوم والدفاع معاً . وكانت تسيّر بواسطة محركات قوية جداً اعطتها سرعة كبيرة . وكانت قليلة الخطورة لقلة ارتفاعها عن سطح الماء وعمقها من قبل غواصات العدو والوحدات البحرية والهجمات الجوية . وكانت مسلحة بأسلحة قوية تساعدها على أن تكون بذاتها شديدة الخطورة على قوات العـدو الجوية والبحرية . وقد جربت هذه القوارب مرات عديدة في مختلف الأقاليم البحـرية فأعطت نتائج طيبة جداً وقد سميت بصورة عامة قوارب زيبل « Seebell » على اسم مخترعها . واعتماداً على النتائج الممتازة التي أعطتها هذه القوارب اوعزت القيادة الالمانية العليا بأمر الفوهرر الى المصانع الالمانية بوجوب بنائها على أعداد وفيرة وخصصت لها المواد الصناعية اللازمة . ولكن تنافر رجال المصالح والاعمال الذين يتمتعون بسلطات مطلقة في مجال الانتـاج عملوا على إهمال هذه الاوامر ولم تنفذ بالضبط ولم تنشأ هذه الزوارق كما كان مقرراً انشائها واستعمالها على قياس اوسع .

وكان من جراء هذا الاهمال ان جبهة افريقيا لم تستفد من هذه الوسائل الجديدة مطلقاً . ولو انها جهزت بها كما يتوجب لما عانت القوات الافريقية المصاعب والمشاق الهائلة بسبب عمليات التموين ولوفرت هـــذه القوات كثيراً من الوسائل الاخرى واعفتهـا من الواجبات العديدة التي كان في استطاعتها الاستغناء عنها للقيام بواجبات اخرى في الميادين الحربية والتي هي أهم بكثير من الواجبات التي كلفت بها في عمليات التموين والحماية . ولا نغالي اذا قلنا بأن هذه الوسائل الفعالة التي صرف النظر عنها والتي لا تعد من الاهمية بالنسبة الى الوسائل الاخرى ، لو انها استعملت

كما يتوجب تغيرت اوضاع العمليات ونهايتها بصورة حاسمة سريعة .

ولم ينفك رومل بالرغم من اعتباره بأن الوضعية كانت مستعصية على اعتماد وضعية دفاعية خاصة موقتة . ولم يعط الجبهة الدفاعية المناعة والقوة اللازمة لانه كان يفكر دوماً بالانتقال الى الحالة الهجومية في الساعة التي تهيىء له الظروف هذه الامكانية . واقتصر في تنظيم دفاعه على زرع حقول الغام عميقة مرتبطة بعضها ببعض ومعدة لحماية جبهة القوات فقط . واعتمد فكرة تحديد حاميات الخطوط الاولى الى ادنى حد ممكن كي يبعد عنها عادية الغارات الفجائية والهجمات المباغتة وليحتفظ تحت تصرفه باحتياط قوي يستطيع بواسطته اجراء الردود اللازمة عند الحاجة . وكانت القوات الايطالية والالمانية مختلطة فيما بينها وذلك لاحاطة القوات الايطالية احاطة فعلية قوية . ولوحظ اثناء المعارك الاخيرة ان القوات الصاعدة الى الجبهة لاستبدال القوات النازلة التي وصلت حديثا الى الجبهة الافريقية يعوزها التدريب والتمرين وان كثيراً من افرادها لم يتمرنوا حتى على اطلاق النار الا متأخرا قبل ان يصار الى سوقهم الى ميادين القتال . وكان من بين الضباط وامار الافواج من لم يرتد اللباس العسكري منذ عام ١٩١٨ . وكان ينقص هذه الوحدات الاسلحة القادرة على خرق المدرعات والدبابات . وكانت بعض المدافع التي لديها يعود تاريخها الى ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وغير آلية وقدرتها على الرمي لا تتجاوز ٦ كيلومترات على الاغلب .

ونبه رومل القيادات العليا إلى احتمال وقوع هجوم اكيد من قبل مونتغمري ينتظر ان يبدأ حوالي شهر تشرين اول على أبعد حد وتقدير . وكان عداد الجيش الثامن البريطاني يتألف آنئذ من خمس فرق مشاة وفرقة مدرعة مرابطة على الجبهة مباشرة وفرقتين مشاة وفرقة مدرعة تعسكر في ربوع دلتا النيل في حالة احتياط خلف الجبهة وعلى استعداد

للاشتراك في القتال عند الحاجة . يضاف الى هذا المداد فرقتان دبابات وفرقتان آليتان . اذاً فقوات مونتغمري كانت تفوق قوات رومل عداداً. وقد سبق ان طلب رومل من القيادة العامة إرسال فرقة جديدة كي يتمكن من سحب وحداته السريعة عن الجبهة لتشكيل احتياط سيار بيد أن هذا الطلب الملح لم ينل الاستجابة المطلوبة . ثم ثبتت الجبهة بعدها رويداً رويداً . واقتصر القتال فيما بعد على قصوف المدفعية والطيران ما خلا هجوم عنيف واحد اطلق على قوات المظليين الالمان والايطاليين وفرقة بريشيا الايطالية . وقد صد هذا الهجوم ورد على أعقابه بخسائر دموية فادحة ووقع في الأسر اثنائه جنرال نيوزيلاندي . كما قبض على كثير من الاسرى الهنود الفارين الى الخطوط الالمانية عدواً وهم يصيحـون غاندي غاندي !! وفهم منهم بأن الفرقه الخامسة والفرقة العاشرة الهندية على وشك الانحلال مما يدل على أن الجيش الثامن أيضاً كان منهوكا تعباً من جراء المعارك العنيفة الاخيرة . وشعر رومل الذي لم يترك الصعيد الافريقي منذ قدومه للمرة الأولى الى هذه الارض لضرورة الاتصال بمقر الفوهرر العام عله يتمكن من حل مسألة التموين المعقدة وليرتاح قليلا لأن صحته ساءت جداً وذلك نزولا على اشارة الاطباء وتوصياتهم . وأرسلت القيادة العامة الالمانيه (O. K· H) الجنرال شتومه « G. Stume » نيابة عن الماريشال رومل أثناء غيابه . وكان القائد الجديد قصير القامة مليئاً بالهمة والنشاط وقائداً حتى الآن لاحدى الفيالق الالمانية على الجبهة الروسية ؛ ولكنه رفع من قيادته الاخيرة لان أحد رتباء أركانه المكلف بنقل مستندات سرية هامة سقط في ايدي القوات السوفيتية أسيرا مع مستنداته القيمة . وكان الجنرال شتومه يتمتع بقوة شخصية وارادة منيعة ومعرفة عسكرية فائقة ولكنه كان يجهل الشرائع والشرع الخاصة بميادين العمليات الحربية الافريقية . وكان اختياره لهذه القيادة الخطيرة خطأ كبيرا .

ولم يكن في وسع الجيش المدرع اجراء أي تأثير على النقليات البحرية

إلا في حدود الافضلية والاسبقية المعينة المحدودة في اللوائح المقررة . وكان يتوجب في كل مرة تقرير الامر العاجل الموادد المطلوبة الضرورية . ولكنه في نفس الوقت ما كان يستطيع البتة التأثير مباشرة على اجراء تبديل أو تغيير في نظـام النقل . فالحمولة الشاغرة كانت توزع على أساس المناصفة بين الالمان والايطاليين . ولطالما كانت النسبة تتعدل ولكن ليس في مصلحة الفيلق الالماني . فالفرقة الايطالية بيستويا مثلا اقلت الى افريقيا مع ٣٠٠ سيارة في مطلع شهر آب بينما عين تاريخ نقلها في النصف الثاني من الشهر المذكور . وفي نفس الوقت كانت الفرقة الالمانية ١٤٦ تخوض القتـال وما تزال تنتظر شحن سياراتها الموقوفة في ايطاليا . وكان الفيلق الالماني ينتظر ايضاً الف سيارة لاستبدال سياراته ، ولكن لم يشحن منهـا ولا سيارة واحدة حتى ذلك الحين .

وكان التوزيع المتناصف في حد ذاته موضع نقاش كبير لو أخذت بعين الاعتبار نسبة الوحدات المحـاربة كقاعدة اساسية للتوزيع ، ولـكانت النسبة المقررة للوحدات الالمـانية تتراوح بين ٣/٤ . وكان من بين الـ ١٢٢٠٠٠ جندي ايطـالي الموجودين على الارض الافريقية في نهاية هـذا الصيف لعام ١٩٤٢ لم يلتحق منهم سوى ٥٤٠٠٠ جندي بالجيش المدرع بينما الـ ٧٧٠٠٠ جندي الباقين كانوا يرتبطون مباشرة بالقيادة العـامة الايطالية في ليبيا تحت إمرة المـاريشال باستيكو والمكلفين بمهمات حماية برقه البيضاء وطرابلس الغرب وغيرها . وبالتأكيد كان نصف الـ ١٥٠٠٠ رجل من سلاح الطيران والبحرية يعمل في منطقة الجيش المدرع . وفي هذه المنطقة بلغ تعداد القوات الالمانية ٩٠٠٠٠ رجل من مختلف الاسلحة مع ١٢٠٠٠ سياره . وكان عداد القوات الايطالية ٦٢٠٠٠ رجـل و ٣٥٠٠ سيارة . وفي الجبهـة وعلى منطقة الاخلاف بلغ عدد الجيش ٤٨٠٠٠ رجل في شهر تموز و ٥٤٠٠٠ رجل في ايلول مع العلم بأن

القوات المحاربة على الجبهة تحتاج الى مواد تموين اكثر بكثير من القوات المعسكرة في المناطق الهادئة من ليبيا ولكن الايطاليين لم يعطوا أي اعتبار لهذه الحسابات المفروضـــة . وفي شهر آب تبدت وضعيـة التموين على الشكل التـالي :

من تاريخ ١ – ٢٠ آب تلقى الايطاليون أكثر من ١٥،٠٠٠ طن ، وتلقى الطيران الالماني ٣،٢١٦ طن ووحدات الجيش المدرع ٥،٢٧١ طن والتي منها ٢،٨٥٤ طن وقود و ٨٤٢ طن ذخائر . وهذه النسبة تعادل ٣/٥ وليس ١/١ كما هو مقرر . وكانت مصروفات الفيلق الالماني تقدر يومياً بـ ٤٩٠ طن أي انه كان بحاجة الى ٩٨٠٠ طن في هـــذه المدة لتأمين مصالح الوحدات الالمانية الضرورية .

والحالة هذه لم يكن في الامكان تشكيل احتياط البتة . بل بالعكس كانت المستودعات تتناقص يوماً بعد يوم ، وقد تدنت الى ٤،٦٠٠ طن . وجرى ذلك في وقت كان يحتمل فيه أن يقوم العدو باطلاق هجوم في أية لحظة يراها مناسبة . وإجمالا فقد تلقت القوات الالمانية ٨،٤٧٠ طن في آب وتلقى الايطاليون ٢٥،٦٧٢ طن مع ما في هذا التصرف من اساءة في التوزيع الجارح المجحف .

وفي مدة الشهور السبع الاولى لعام ١٩٤٢ تلقى الجيش ١٠٧،٠٠٠ طن باعتبار متوسط شهري قدره ١٥،٠٠٠ طن أي نصف الاستحقاق المقرر . اذاً فالازمة كانت متوقعة بصورة واضحة وامتد اثرها الى الاعاشة معاً . ونقص تعيين الخـبز مما زاد في عـداد المرضى بفعل نقص المواد الغذائية . وقد بلغ عدد المرضى من الكتيبة التابعة للفرقة ١٦٤ لوحدها الف مريض .

وطلب الجيش من ١ ١٠ لشهر ايلول المقادير التـالية :

— ٣٠٠٠ طن ذخائر
— ٣٠٠٠ طن وقود
— ٢٠٠٠ طن اعاشة .

وطلب ايضا من ١٠ — ٢٠ اشهر ايلول المقادير التالية :

— ٤٠٠٠ طن ذخائر
— ٥٠٠٠ طن وقود
— ٢٠٠٠ طن اعاشة .

ومن ٢٠ — ٣٠ ايلول المقادير التالية :

— ٣٠٠٠ طن وقود
— ٤٠٠٠ طن ذخائر
— ٢٠٠٠ طن إعاشة .

وفي مطلع الشهر لم يكن لدى الجيش المدرع سوى أربع وحدات وقود للصرف واعني ٢،٤٠٠ طن . وفي ٢٨ آب غرقت ثلاث بواخر ولم يصل من كمية ٢،٤٠٠ طن سوى ١٠٠٠ طن فقط .

وفي الثاني من شهر ايلول توفق المحور أخيراً في إنزال ٢،٦١٠ طنات من الوقود و ٤٤٣ طن من الذخائر وهذه الكمية تستطيع تأمين الحاجة حتى الخامس الجاري فقط . وغرق من المواد المشحونة ٣٣٥٢ طن في الرابع من ايلول . وأثناء طيلة الشهر ارسل الى قاع البحر ٢٢ سفينة مع حمولتها البالغة ٢٢،٠٠٠ طن من مواد التموين والتذخير .

وفي شهر تشرين الاول لم يبق لدى المحور سوى اربع سفن كبيرة سريعة وثماني سفن بطيئة . وكانت السفن الكبيرة لا تستطيع عبور البحر إلا مرة في الشهر بينما كان على السفن الاخرى انتظار الحماية التي لقلتها كانت سببا في تأخر النقل اسبوعاً عن الموعد المقرر . وخصص اشهر كانون اول نقل ٨٤٣٥ طن وقود و ٣١٨٥ طن ذخائر و ٦٧٠٠ طن إعاشة .



المارشال رومل يتحدث الى بعض ضباط أركانه في قطاع طبرق

واعلمت القيادة الايطالية بأنها تواجه ارسال ٢٣ سفينة تقل ٩٣٠٠ طن اضافي من الوقود الى الجبهة . ولكن شعبة النقل البحري الالماني في روما اشارت الى عدم امكان انجاز المنهاج المقرر لعدم معرفة وضعية السفن وفي نفس الوقت قرر الماريشال كافاليرو ارسال ٧٥٠٠ طن وقود بواسطة عمارة سفن (خزانات صهاريج) الى افريقيا ومائتين سيارة من اصل الخمسمائة المعدة للجيش الالماني وفي هذا الزمن شلت اعمال النقل الساحلي حتى مرسي مطروح لانه لم يبق لدى الايطاليين سوى نسافة مرافقة واحدة للحماية .

وفي ٢٣ تشرين اول ، واثناء توقع هجوم مونتغمري اجاب الطيران الالماني على طلب قدم اليه عشية الليلة الفائته بأنه نقل ١٠٠ طن وقود فورا الى طبرق . وانه يعتمد متابعة الوقود باستمرار طيلة الايام القادمة وطلب الجيش المدرع ١٠٠٠ طن وقود وهي ٣٠ ٪ من المطلوب الضروري .

وقد تأثر الجنرال شتومه G. Stnme من هذه الوضعية التي لا يمكن ان تختم الا بفاجعة اليمة واشار في عشية الليلة التي سبقت الهجوم الانكليزي قائلا بأن الجيش يعيش على يومه واضاف اننا نحفر حفرة لنسد اخرى وليس في وسعنا ان نشكل التموين الاحتياطي الضروري الذي يساعدنا على التغلب على الازمة القائمة ، وبالتالي تحقيق حرية العمل وان هذا الاحتياط بالنسبة الى الجيش مسألة بقاء او فناء . وفي الحادي عشر من ايلول حاول ايضا رومل الحصول ٣٥٠٠٠ طن من التموين المقرر لشهر تشرين اول تضاف الى مخصصات ايلول البالغة ٣٠٠٠ طن التي كانت تنتظر عبساً والتي من شأنها ان تهيء امكانية تشكيل احتياط تموين كاف وتذخير ثماني وحدات نارية وثلاثين وحدة وقود . وطلب ايضاً ارسال ٢٥٠ رجلا والفي سيارة كانت قيد الشحن في ايطاليا و ٦٠٠٠ جندي للاستبدال و ١٢٠٠ سيارة اخرى لم تترك بعد مرافقها في المانيا حتى

هذا الحين . وفي هذه الاثناء أعطت قيادة القوى البرية الالمانية العليا بصورة مفاجئة أمراً يقضي باستبدال كافه الجنود الذين سبق لهم اقامة مدة عام كامل في افريقيا الامر الذي يثبت جهل القيادة الفاضح بالوضعية الراهنة والذي من الصعب تفسيرة وشرحه واعطاء فكرة ثابتة عن الاسباب التي حدت الى اصدار مثل هذا القرار في ادق الساعات واخطرها واستوجب رفع ١٧٠٠٠ جندي من عداد الجيش المدرع بالاضافة الى المداد الضروري المنقوص لاملاء الشواغر الحادثة .

وبالعكس نقلت افواج المظليين التابعة للواء رامكه Ramke الى افريقيا بدون تردد . وكانت هذه القوات قوات اخصائية تلقت تدريباً طويلاً واستعملت كقوات مشاة دون الاهتمام بقيمتها الاختصاصية . وكانت افواج التدريب تشتمل على مظليين من الدرجة الممتازة . وجنود الافواج الاخرى سبق ان اكملت تدريبها وتمرنت على الهبوط اكثر من عشرين مرة تحت اعنف الشروط والاحوال دون ان تحضر وتروض على اقليم الصحراء واحتمال الحر الشديد ونقلوا جوا الى فوكا في شهر آب اللاهب اي في الوقت الذى يشتد فية الهجير الخانق الذي لا يلائم الاجساد التي لم تتدرج على التعود على الحر وائتلاف سعيره . ولم يكن لديهم مطابخ ميدان . وكانوا يقنعون بالوقعات الباردة والاغذية المعلبة لمدة طويلة . وقد اثبتت التجارب بأن الجنود الفتيان كانوا اكثر تأثراً وتعرضا للامراض من الجنود القدماء الذين بلوا اقاليم الصحراء وآلفوا مناخ افريقيا الحارة ، كما وان الاجسام الشقراء كانت أكثر تأثراً من الاجسام السمراء والسوداء وكانت اعمار جنود المظليين تتراوح بين السابعة عشر والعشرين عاما . ومنذ شهر ايلول بلغ عدد المرضى في وحداتهم ١٠٤١ مريضاً دخل منهم ٨٣٤ المستشفيات . ولذا فقد لوحظ دوما ان ٢ ./. من المداد كان شاغراً بصوره دائمة . ولكن النسبة في هذه الوحدات كانت اعلى بكثير من

غيرها لان هؤلاء الشبان كانوا يمتنعون عن اعلان انفسهم مرضى خشية اعادتهم الى اوربا . وما كانوا يكشفون عن مرضهم الا بعد وصولهم الى اقصى حدود الاحتمال والصبر . وفي التاسع تشرين الاول بلغ عدد قتلى اللواء ٩٧ قتيلا و ٢١٤ جريحاً و ١٤ مفقوداً يضاف الى هذا العدد ٢٢٥ جندي قيد المعالجة في المستشفيات الخلفية . أما الفرقة الخفيفة ١٦٤ التي وصلت حديثاً من جزيرة كريت والتي كانت غير مهيئة لاحتمال الحر الشديد الطاغي في شهر آب ا كتسحتها الامراض اكتساحاً وتم اخلاء اكثر قادة الكتائب وضباطها بفعل الامراض والذين ظلوا مدة طويلة قيد المعالجة وكان يُرى كثير من السرايا يقودها نقباء فقط .

وازاء هذه الوضعية لم يكن الجيش المدرع ليتنبأ تماما بما يُنتظر حدوثه . ولاعطاء الطلبات الملحة اهميتها وبيان الطرق الصالحة التي بوسعها تأمين نتائج هامة اقترح روميل تعزيز وسائل النقل وتقوية الحراسة والمرافقة التي كان في حيز الامكان اجراؤها بواسطة تدخل واشتراك الاسطول الايطالي الحربي . وطلب ايضاً زيادة نظام المجاز البحري واستغلال كافة الوسائل الشاغرة كالغواصات والمدمرات والنسافات البحرية واقامة قواعد تموين مساعدة في جزيرة كريت وفي جنوب اليونان . وفي هذه الحالة ووفقاً لهذه الشروط المعروضة تستطيع القوات الالمانية عندئذ الدفاع عن هذه الساحة الحربية ضد اقوى قوات الامبراطورية البريطانية . ولكن انذاره لم يحفل به ولم يدو في الاذان الطرشاء بصورة دائمة ولم يؤخذ به كما كان يتوجب العمل وظل بدون صدى . ولطالما وعدوه بتأمين مطالبه ولكن لم تتحقق من هذه الوعود حتى ولا النذر اليسير . اقبل شهر تشرين الاول وحان الموعد وازفت الساعة وفات الوقت لتلافي الفاجعة.

لقد توجب العودة الى الحقيقة المؤلمة المؤسفة وهو ان كبار الرجال في المانيا يحتفظون بفكرة كلها خاطئة عن الشروط القائمة التي يجري

القتال بموجبها وعلى اساسها في افريقيا . والحقيقة | فالقيادة العامة الالمانية اوبرو كوممندو درفرماخت(Ober Kommando der Wermacht (O.K.W الموضوعة تحت قيادة وإشراف الفوهرر وأركان حرب القوى الثلاثة كانوا يعرفون تماما أهمية مسألة التموين المتعلقة بالجيش الالماني المدرع لانهم ما فتئوا يرددون تباعا هذه الاهمية في كل مناسبة ، ونزولا على الاساس القائل (بأن كل واحد منا يجب أن يذهب بدوره الى افريقيا) ، فالقيادة العليا الالمانية وقيادة الجيوش الالمانية (O,K.W) وقيادة الجيوش العليا (الاوبر كوماندودس هيرس) Ober Kommando des Herres لم تنقطع من ارسال ممثلين عنها لدرس الحالة عن كسب في الميادين ذاتها . ولكن جو التفاؤل الموصى به كان يرفض سماع أصوات الممثلين الشيوخ (كاساندر) الذين كانوا يصرخون من أطراف مصر البعيدة . وبالتأكيد كانوا يهملون كل ما لا يدركه الوعي ، وبشكل آخر كانت الامور تسوى وتنتهي أخيراً . وكانت الصرخات المجنونة المتصاعدة في ارجاء الاجواء القائلة : (اننا سنغلب لأننا نريد الغلبة) ترسلها حناجر بعض المحافظين الالمان السفاسطة العارين من التعقل والحكمة والذين يمثلون العقلية السخيفة التي تعتقد ان كل انحدار وانكسار الماني ضرب من ضروب المستحيل . والحق ما كان هؤلاء الرجال سوى عوامل هدامة مدمرة . وكان بعض قادة الوحدات الكبرى الذين تحرروا مجدداً من قتال الجبهة الشرقية ومعاركها ومواقعها المنيفة ما لبثوا ان اقتنعوا عاجلا وفرحوا وسروا بفكرة الحصول على قيادة هامة في ساحة عمليات حربية اخرى جديدة أي في ميادين افريقيا . وفي أغلب الوضعيات الدقيقة التي شوهدت في ميادين روسيا حيث كان من الممكن فيها تحقيق نظام التعاون المشترك ، وفي سعة المسافات التي كانت تفصل الجيوش الالمانية المحاربة في أصقاع روسيا التي كانت تجعل وسائل التموين كثيرة المصاعب كانت الجيوش تشعر بأنها محاطة ومجاورة بجيوش أخرى ، وانها ليست مهملة

منفردة معزولة . وكانت النجدات المرسلة الى الجبهة تصل بالرغم من كل الموانع والمصاعب . ولم تكن هذه الجبهة مفصولة عن الوطن الام . وما كان هناك طيران معادي يسيطر على الاجواء ليدمر القوافل البرية السائرة على الدروب او العابرة البحر والمضايق . وكانت الجيوش تستطيع مع ذلك ان تعيش على البلاد المحتلة بكل سهولة .

كل شيء يختلف تمام الاختلاف عنه في أفريقيا ولا يمكن اقامة أي شبه بين جبهة روسيا الشرقية وهذة الجبهة الافريقية . وبالرغم من التباين والاختلاف البارزين لم يكن المشرفون على سير الحرب ليدركوا أو يقتنعوا بهذه الحقائق .

لقد عين كلازويتز دفعة واحدة الاسس والقواعد القيمة لكل الوضعيات المحتملة ولكن هتلر جعل عاليها سافلها وضرب بكل الاسس والقواعد المعتمدة والانظمة المعتبرة عرض الحائط واعتنق افكاراً جديدة وقرارات عجيبة غريبة ذات تبدل دائم . وجرب ان يضع حرباً جديدة على اسس جديدة . وما كانت هذه المحاولات الا نوع من الضعف يراد بها إخفاء عدم الكفاءة التي كانت تزداد بروزاً يوما بعد يوم . وفي هذه المرة ايضا وضع مقر قيادة الفوهرر مخططات لخطط جديدة وكال وعوداً جديدة لا تقوم على أساس من الواقع والحقيقة . وحتى الآن ما كان يقدر هؤلاء الرجال او يريدون أن يتحققوا بأن الفيلق الالماني الافريقي الذي استطاع حتى الآن ان يعوض النقص الواقع في العداد والمعدات بفعل مهارة القيادة التعبوية وبطولة الجيش المدرع . وقد تطورت الوضعية من اساسها في هذه الأثناء . ولم يعد الجيش المدرع والحالة هذه يقاتل في رحاب الصحراء بل وجد نفسه محصوراً بين منخفض القطاره والبحر وفي وضعية غير ملائمة على الاطلاق . وفي مثل هذه الحالة وهذا الوضع وازاء المعارك التي كان عليه ان يخوض غمارها كان عامل التفوق في المعدات وحده الذي يستطيع

تقرير النصر . وكان الالمان يعوزهم التموين كما تنقصهم مساندة الطيران.
وكانت نسبة القوى المقابلة تتناقص يوماً بعد يوم . ومنذ حدوث الاختراق
الاول في الواحد من أيلول والذي كان من المفروض فيه ان يحقق اقصى
تأثيره على جبهة العدو ، فقد برهن ملياً ان هذا العدو اخذ يشعر بأنه أصبح
أقوى مما سبق وصمم على عدم الخضوع بسهولة . ولكن لا هتلر ولا موسوليني
لم يرغبا في سماع وقبول احتمال انسحاب تعبوي في آنه ، والذي يصبح
من المستحيل امكان اجراؤه عند احتدام الموقعة أو في إبانها لأن الفرقة
١٦٤ ولواء المظليين والاربع فرق الايطالية كانت كلها غير آلية وتنقصها
امكانية الحركة اللازمة للانفلات . ولم يبق والحالة هذه سوى حل واحد
وهو تنظيم التموين تماماً وارسال نجدات عاجلة من المعدات على جبهة العلمين.
وهل يعقل ان يكون رجال برلين وروما اكثر تفاؤلا مما كان روميل الذي
كان مثقلا بالاعمال والواجبات والاوضاع التي ينوء تحت حملها أعاظم الرجال
العباقرة ؟ وكان تعبا وبحاجة الى كثير من الراحة . لقد وُعد بكل ما كان
في حاجة اليه . ألم يتلق الفرقة ١٦٤ والمظليين هذه القوات المختارة من
قوى الماريشال غورنغ الجوية المعدة لتعزيز النصر الجوي ؟ وبعيداً عن
مواطن العمليات الحربية كان من المستحيل اتخاذ فكرة واضحة دقيقة عن
الوضع . وما كانت زيارات الماريشال كيسرلنغ السريعة للجبهة لتستطيع أن
تجلي لهذا الزائر الحقيقة الثابتة الراهنة . ولكن مع ذلك كان في الامكان جعل
هذا المستحيل ممكنا . وكانت المحاضرات والتعليمات والاوامر تتوالى دون
أن تتجاوز هذا الحد . وبالرغم من الملام الشديد والتأنيب الصارخ الذي
كان يوجهه الماريشال روميل الى المسؤولين ، كانت تمر الأيام والاسابيع
تباعا دون تبدل منتظر بينما كان الوقت يسمح بجلب المعدات والقوات
اللازمة لاملاء الصفوف الشاغرة من اليونان وكريت والجزر مع قليل
من حسن التطبيق والهمة والنشاط لاعادة قوة الجيش المدرع الى سابق

عهدهـا . وكانت الاسكندرية تدعو الجيش الالماني للاندفاع في التقدم، وكانت دلتا النيل قيد انتظار الهجوم التالي وقد اصبحت قاب قوسين أو ادنى من الوقوع في قبضة الجيش المدرع حتى قناة السويس . ولكنهم كانوا يسرفون في اضاعة الوقت وتخدير الاعصاب طويلاً الى ان يدرك سوقيو فولفشانزه Wolfsachanze ذلك يكون الحرب في افريقيا في حكم الضياع والانتهاء .

وللمرة الاخيرة ايضاً تصرف الخصم بصورة مختلفة عن الواقع . وكان انتصار رومل ما يزال ينذر لندن وواشنطن اللتان اتخذتا قرارات واسعة . وصمم البلدان على بذل أقصى الجهود لمنع الكارثة . وطالما برهنت بريطانيا عن حسن تصرفاتها واثبتت عظمتها في ادق الساعات هولاً وأشدها خطراً . فأخذ الفيض يتوارد على مصب النيل والمرافيء الساحلية حاملا النجدات والمعدات التي لا تقدر . وكانت الايام بساعاتها ونهاراتها ولياليها تشهد وترقب الانزالات المنقطعة النظير من الدبابات والمدافع والوقود والطائرات والاسلحة الجديدة والتموين والاعاشة والمواد الطبية والسيارات . وفي منتصف تشرين الاول كان الجيش الثامن البريطاني يعد اكثر من ١٥٠٫٠٠٠ جندي في الخطوط الاماميـة للجبهة فقط والفيلق المدرع العاشر المؤلف من الفرق المدرعة الاولى والعاشرة واللواء الرابع والعشرين المدرع بقيـادة الجنرال هربرت لومسدن « G.herbert Lumsdon » كامل العداد . وكانت وحدات الفيلق الثلاثين تحت قيادة الجنرال اوليفر ليز « G.oliver Leese » استعادت قوتها السابقة . وكانت تتألف من الفرقة التاسعة الاسترالية والفرقة الثانية النيوزيلاندية والفرقة الاولى لجنوب افريقيا والفرقة الهندية الرابعة واللواء التاسع المدرع والفرقة الجبلية المسماة هيلاندر « High Landers » الواحدة والخمسين التي دحرها رومل وأسرها في شهر حزيران عام ١٩٤٠ في جوار

سان فاليرى « St. Valery » في فرنسا والفيلق الثالث عشر تحت أمرة الجنرال هوارکس « G· Horacks » الذي كان يجمع الفرقة المدرعة السابعة القديمة والفرقة الرابعة والاربعين والفرقة الخمسين يضاف اليها اللواء الرابع المدرع الخفيف واللواء الاول الافرنسي . وكان الجيش الثامن البريطاني يشتمل على ١١١٤ دبابة منها ١٢٨ دبابة غرانت و ٢٦٧ دبابة شيرمن و ١٠٥ دبابات ثقيلة واكثر من ٢١٨٢ مدفع منها ٨٣٢ مدفع من عيار يزيد على ٣٠ سم و ٨٥٨ مدفع ضد الدبابات . وكانت الذخائر من الكثرة بحيث لا ينضب معينها . وكانت كافة المطارات البريطانية تعج بالطائرات الانكليزية والاميركية الواصلة حديثا من المصانع معدة وجاهزة في كل أونة للعمل والاجراء المتكامل . وكان يوجد ما يزيد عدده عن ٥٠٠ مقاتلة و ٢٠٠ قاصفة ولم تشهد جبهة في مثل هذه الحدود المحصورة كثافة جوية مماثلة طيلة هذه الحرب الامر الذي جعل القوى الجوية البريطانية تفوق القوى الجوية الالمانية اضعافاً مضاعفة والتي ظهرت اثارها سراعاً بصورة فعالة في هذا الفصل .

وكان الجنرال الكسندر « G. Alexander » القائد العام للشرق الاوسط، يتمتع بثقة لندن الشاملة وذو تأثير كبير بفضل علاقاته المتينة مع اوساط العاصمة الرسمية العليا . وهو ينتسب الى أولئك القادة النادرين الذين لا يغالون في مواهبهم الشخصية والذاتية ليستهينوا بقدرة وكفاءة الآخرين . وهو يعرف حق المعرفة شخصية مونتغمري ويلمس ارادته القوية جيداً وروحه الحازمة العنيدة . وكان حكيما ومتواضعاً . عرف كيف يترك للجيش الثامن البريطاني حرية العمل والتصرف وفق رغبته ومشتهاه . وكان دوره الاساسي في تحضير الهجوم على غاية من البساطة . وتضمن دوره في هذا المضمار الاشارة فقط الى أن العدو سيهاجم قريباً ويغلب على أمره ، كما طلب الى الجيش الثامن ابداء كافة مطالبه وحاجاته التي وعد بتنفيذها مع شديد الرغبة . وكانت لندن على استعجال في الامر كما كانت وزارة الحرب

اكثر استعجالا منها في أن تشاهد انطلاق الهجوم المعاكس المنتظر الذي كانت ترجو وقوعه منذ شهر ايلول . وأبرق مونتغمري قائلا بعدم استطاعته القيام بالهجوم في شهر ايلول خشية الاندحار ، وفي حالة الانتظار حتى شهر تشرين الاول فانه يتعهد شخصياً بالظفر . وانتهت برقيته بسؤال قطعي حاسم :

« هل يتوجب الهجوم في ايلول أو في تشرين » ؟

فوجهة نظر مونتغمري المؤيده من قبل الكسندر تغلبت في نهاية الامر. وفي بضع أسابيع تهيئ الجيش الثامن للهجوم بقوة جبارة وعدة طاغية بصورة يستحيل تحقيقها مع أقوى ارادة ممكنة واصبحت بريطانيا الاولى هذه المرة استعدادا لهذا الصراع القادم .

وفي الثالث والعشرين من تشرين الاول اصدر الجنرال مونتغمري امره اليومي التالي :

١ ــ لدى استلامي قيادة الجيش الثامن اعلنت بأن المهمة المترتبة علي تقضي بتدمير رومل وقواته وتنفيذ هذه المهمة فور الاستعداد .

٢ ــ نحن مستعدون الآن للعمل . والموقعة التي سنخوضها هي احدى المعارك الحاسمة في التاريخ وهي تشكل مفرق الحرب . ان انظار العالم اجمع ترقبنا ، وان العالم ينتظر بقلق ليرى في مصلحة من تدور دائرة القتال . ولكننا نستطيع اجابته حالا : « سيكون في مصلحتنا » .

٣ ـ اننا نملك افضل الاسلحة والمدرعات والمدافع ضد الدبابات ومدفعية عديدة وذخائر لا ينضب معينها ، ووراءنا أحسن طيران في العالم معداً ومهيئاً لانزال الضربة القاصمة على العدو . وعلى كل منا ضابطاً كان او جنديا ان يتقدم الى القتال بعزم وتصميم ماضيا حتى النهاية تحدوه ارادة العراك والقتال والغلبة . فاذا تصرفنا جميعا على هذا المنوال فاننا سنقهر العدو وسنطرده خارج صعيد افريقيا وبالتالي فاننا سنربح هذه الموقعة الجبارة التي ستكون مفرق الحرب القائمة .وعندها نعود الى وطننا



واحة من واحات بنغازي حيث يستقي السكان والجيش

لنلتقي جميعاً بأهلنا وعائلاتنا .

٤ — وليتقدم كل ضابط وكل جندي الى القتال بقلب ثابت وعزيمة ماضية وإرادة جبارة قاهرة طالما تبقي في العروق نقطة واحدة من نجيع جائل . ولا يجوز لاحد ان يستسلم او يزعن طالما لم يصاب بجراح تمنعه من مزاولة القتال . لنسأل الاله القادر إله هذه الجيوش أن يمنحنا النصر . وفي المساء ذاته وفي الساعة الثانية والعشرين انطلقت حمم النيران تلفظها آلاف المدافع . وكانت بروق الاطلاق تكاد تحول الليل الى نهار . وكان الجيش الالماني — الايطالي الذي لم تعزب عنه تحضيرات مونتغمري ثابتاً في مواضعه لم يفر بل انتظر الهجوم المتوقع وهو في أسوأ وضعية عرفها التصور .

وكانت الفرقة المدرعة الخامسة عشر تعد ٣٩٤٠ رجلا ، والفرقة الواحدة والعشرون ٣٩٧٢ فرداً ، والفرقة التسعون ٢٨٢٧ بندقية والفرقة ١٦٤ تبلغ ٦٢٤٣ جنديا . ولواء قوات الطيران بقيادة الجنرال رامكه ٣٣٧٦ مظليا . وكانت مدفعية الجيش تشتمل على ٢٣٣١ رجل والفرقة التاسعة عشر ضد الدفاع الجوي ٤٣٨٤ جندي . وكان الجيش المدرع الالماني يملك ٢٤،١٧٣ محاربا . وقبل وقت قصير بلغت دبابات الفيلق الالماني — الافريقي ٢٣٠ دبابة ودبابات الفيلق العشرين ٣٠٠ دبابة وكان يوجد في افريقيا سبع وحدات وقود و ٨ و ٣ وحدات نارية . وكان من بين الـ ١٢١٩٤ سيارة التابعة للفيلق الالماني بما فيها الدراجات النارية ٤٠،٨١ سيارة مقتنصة من العدو . وكان من بين ١٢٩ ،٣ سيارة ايطالية ١١٣ سيارة انكليزية .

وكانت الفرق موزعة على طول الجبهة وممتزجة مع الوحدات الايطالية ماعدا الفرقة التسعين الخفيفة التي كانت ترابط في منطقة الضبعة . وما كان يوجد أي احتياط سيار فهل هذه خطيئة ؟ وكانت الجبهة من ضعف

الكثافة في العداد ان اضطرت القيادة لوضع الفرق المدرعة في الخطوط الدفاعية ذاتها خشية ان ترى الضربات الاولى تنصب على الايطاليين فتزعزعهم وتمزقهم شر ممزق .

ولكن الامر الاشد خطورة هو ان الجنرال شتومه في الجنوب كان ينتظر الجهد الاساسي وترك نفسه ينخدع بتحركات تظاهرية من قبل العدو ولم يعط أمره للمدفعية بفتح النار على مواضع الانطلاق البريطاني .

اجل انه كان ازاء عاملين اثنين فقط . فاما ان يتدخل فوراً لتفريق تجمعات العدو التي تهيئ الانطلاق الهجومي فيسرف في ذخيرته المنقوصة مع احتمال نفاذها او قسم كبير منها اثناء هذه العمليات واما ان يحتفظ بهذه الذخيرة لاستعمالها بصورة مباشرة اثناء سير الموقعة بالذات او استمرارها تاركا للعدو حرية التجمع للقتال . وقد اختار الحل الاخير وهو اهون الشرين بالرغم مما في هذا التصرف الحربي من مخالفة لنظام التعبئة الحربية . ولكن عامل نقص الذخائر اجبره على اتخاذ هذا الاجراء المنقوص بما فيه من اخطاء وهو محق في اعتماد احد الحلين بحكم الوضعية الحرجة التي يتخبط بها .

هاجم الفيلق البريطاني الثلاثون قبل طلوع النهار القطاع الشمالي الواقع بين البحر والطريق وسبق ان بني على جانبي الجبهة مناطق محصنة لم يشاهد مثلها حتى الآن في افريقيا . ولاعطاء فكرة عن هذا الدفاع والتحصين يكفي تعداد المعدات التي استعملت فقط في قطاع الفرقة ١٦٤ حيث بلغت الالغام المبثوثة ١٠٫٣٠٠ لغماً ضد المدرعات اي بنسبة لغم واحد في المتر المربع و ١١٫٤٠٠ لغماً ضد الدبابات على نفس الكثافه تقريباً ووضع مايزيد عن ٦٠٠ حزمة شريط شائك للاشراط الجبهية والعرضية على جبهة كل سرية .

قرر مونتغمري تدمير المنطقة الالمانية في بدء الامر وتبنى تعبئته الخاصة

وفقا للوضعية القائمة . واعتمد بعد اجراء القصوف الكثيفة من قبل المدفعية والطيران لتدمير حقول الالغام والموانـع والمواضع ، اطلاق فرق المشاة التي تتقدم لاختراق الخطوط الدفاعية . وعند حدوث الاختراق المطلوب تعبر الدبابات والمدرعات وتتقدم على اخلاف الجيش الالماني الايطالي لزعزعة نظام التموين واعاقة المصالح الخلفية .وكان لنظـام التحصين ذو الجوانب المحمية شمالا على البحر وجنوباً عند منخفض القطارة عبر المهاجمة بصورة مباشرة . اذاً فحركة التطويق واعني نظام المناورات القديمة المألوفـة في حرب الصحراء اصبحت على هذه الجبهة غير قابلة التطبيق .

اذاً فالتعبئة الانكليزية لم تبتدع شيئاً جديداً. والجديد في تعبئة مونتغمري هو الاستعمال الكتلي للأسلحة الثقيلة التي حولت ساحة الميدان الى بركان حقيقي ينفجر بالحمم والنيران .

وفي صباح الرابع والعشرين من تشرين الاول توجه الجنرال شتومه يتفقد الخطوط الامامية ولكنه لم يرجع الى مقر قيادته وقد وجدت جثته في اليوم التالي فوق ميدان القتال وتسلم الجنرال فون توما G Von thoma الذي وصل منذ وقت قصير الى افريقيا القيادة مـكان الجنرال نهرنغ G. Nehring وهبط رومل اليابسة اثر الحوادث الجديدة بعد ان كف عن التداوي والاستجمام في الوقت الذي اصبحت المرقمة في حـكم الخاسرة. وكان كل ما امكن جمعه من قوات الاحتياط الموقمة دُمر تحت قصوف المدفعية . وكانت الجبهة تتداعى وتتمزق من كافة الاطراف .ولم يبق لرومل أي أمل سوى محـاولة استخلاص خير ما يشتمل عليه اسوأ الامور . وكان يظن استناداً الى بعض الاسباب الحقة ان الصيف سيساعد الجيش على المقـاومة وصد كل هجوم جبهي مع الاعتقاد بأن حركـة تطويق عبر منخفض القطارة أمر ايس بالامــكان . وبالفعل كان باستطاعة الجبهة ان تقف سداً حائلا في وجه الجيش الثامن البريطاني لو فكرت

براين قليلا في تقويتها وتمكينها اكثر مما كانت عليه عند بدء الهجوم البريطاني وفقاً لطلبات روملي الملحة ومقترحاته . ولكن الجيش المدرع كان في عوز شامل لكل شيء مما منعه عن تحقيق امكانية ايقاف وصد هجوم واسع المدى كالهجوم الانكليزي المنطلق . ولنتساءل قائلين : لو أن روملي وجد اثناء انطلاق الموقعة الجارية فهل كان في وسعه ان يتصرف على نسق آخر وان يعطي اوامر غير الاوامر التي اصدرها الجنرال شتومه ؟ ما من احد يستطيع اعطاء جواب قطعي سلبي او ايجابي على ذلك غير روملي نفسه الذي لم يسأل رأيه في هذا الصدد . وكل ما يُعرف عن ذلك انه وضع خطة لصد هجوم متوقع من قبل العدو ولكن تفاصيل هذه الخطة ظلت مكتومة في حكم السرية .

والخلاصة ان هذه الخطة كانت تترتب على سحب كافة القوات الآلية من الجبهة حتى ولو أدى ذلك الى احتمال إضعاف الخطوط الدفاعية الاولى التي كان يحميها مايقارب من نصف مليون لغم بانتظار نتيجة عملية الاختراق التي يقوم بها العدو . وبعد تمادي اندفاع العدو الى حد يراه روملي مناسباً لعمليته الحربية المقررة يطلق هجومه المعاكس بكامل قواته مجتمعة على العدو لتدميره . ولكن الوقت كان فات من اجل هذا التدبير ولم يعد في الامكان تلافي الوضعية اليائسة . وقام الماريشال آنئذ بجولة استطلاعية على جبهة الميدان حيث شاهد بمنظاره آلاف السيارة والدبابات المحطمة التي نسفتها الالغام في القطاع الشمالي . ولاحظ أيضاً نجاح الفيلق البريطاني العاشر المدرع في احداث الاختراق والذي كان في انتظار الاوامر الجديدة لاستغلال هذا النجاح . واستدعيت الفرقة الخفيفة التسعون التي سبق ان ارسلت الى منطقة الضبعة لاطلاق هجوم معاكس . ولكن قصوف التدمير البريطاني كانت تتوالى والارض تميد وترتج تحت انفجار القنابل . وكانت القاصفات البريطانية تفرغ في كل خمس ثوان حمولتها

من القنابر التي كانت تلقى على الفرقة التسعين الخفيفة التي اوقفت العدو يومين كاملين وكثيراً ما كانت تلتحم معه بالسلاح الابيض . وكانت وضعية الذخائر والمؤون والوقود ماتزال في اسوأ حال . ولم يبق في افريقيا سوى ثلاث وحدات وقود . وطلب الماريشال ان تخصص فورا كافةقطع الاسطول الايطالي مع الغواصات الشاغرة لعمليات تموين الجيش المدرع كتدبير قطعي من شأنه وحده ان يوطد الوضعية على الجبهة . ومع الاسف لم يواجه هذا الطلب القبول ولم يؤخذ بعين الاعتبار ولم تمط له الاهمية المتوجبة .

وفي اليوم الرابع من سير القتال استوجب سحب الجيوش من القطاع الجنوبي خوفاً من تحول كتلة قوى العدو وجهودها صوب هذه الناحية. وكانت الخطوط بوجه عام ضعيفة الكثافة لان الدفاع نُظم بصورة خاصة معتمدا على الفرق الالمانية التي وحدها يمكن الثقة بها والاعتماد عليها . وكانت الجيوش التي احدثت في جبهة الشمال اغلقت من قبل النجدات والدبابات الالمانية . وكانت في بادئ الامر محدودة جداً بيد انها اخذت تتوسع شيئاً فشيئاً . ولوحظ من الخرائط التي وجدت مع الاسرى البريطانيين ان الفيلق العشرين كان مكلفاً بعد اجراء الانطلاق ، اطلاق القوات المختارة المؤلفة من النوزيلانديين باتجاه الضبعة على طول الساحل لتحقيق التطويق الاول في هذه المنطقة .

وفي ليل ٢٨ / ٢٩ تشرين اول َصدت محاولة اجراء انزال في منطقة مرسى مطروح ترمي الى احتلال المرفأ . ومن حسن الحظ فشلت هذة المحاولة فشلا زريعاً لأن المرفأ المذكور كان الوحيد الذى يمون الجيش المدرع بحراً عن طريق طرابلس . وكانت مسألة الوقود ابعد من ان يتناولها التحسن والتطور . وفي هذه الاثناء غرقت ناقلة الزيت بروسربينا التي استعيض عنها بالناقلة لوزيانا وهذه غرقت بدورها بعد ثلاثة أيام

اخرى . واخبرت القوات الايطالية بأن فرقتين انكليزيتين اجتازتا منخفض القطاره وهي على بعد مائة كيلو متر من جنوب المرفأ . ولم تكن هذه الاخبارية سوى اشاعة مختلقة روجتها مخيلة الايطاليين .

وفي السادس والعشرين من شهر تشرين اول بلغت الخسائر المداد التالية :

	قتيل	جريح	مفقود
الالمان	١٤٨	٤٩٥	١٠٥٧
الايطاليون	١٩٥	٤٢٤	١٣٧٢

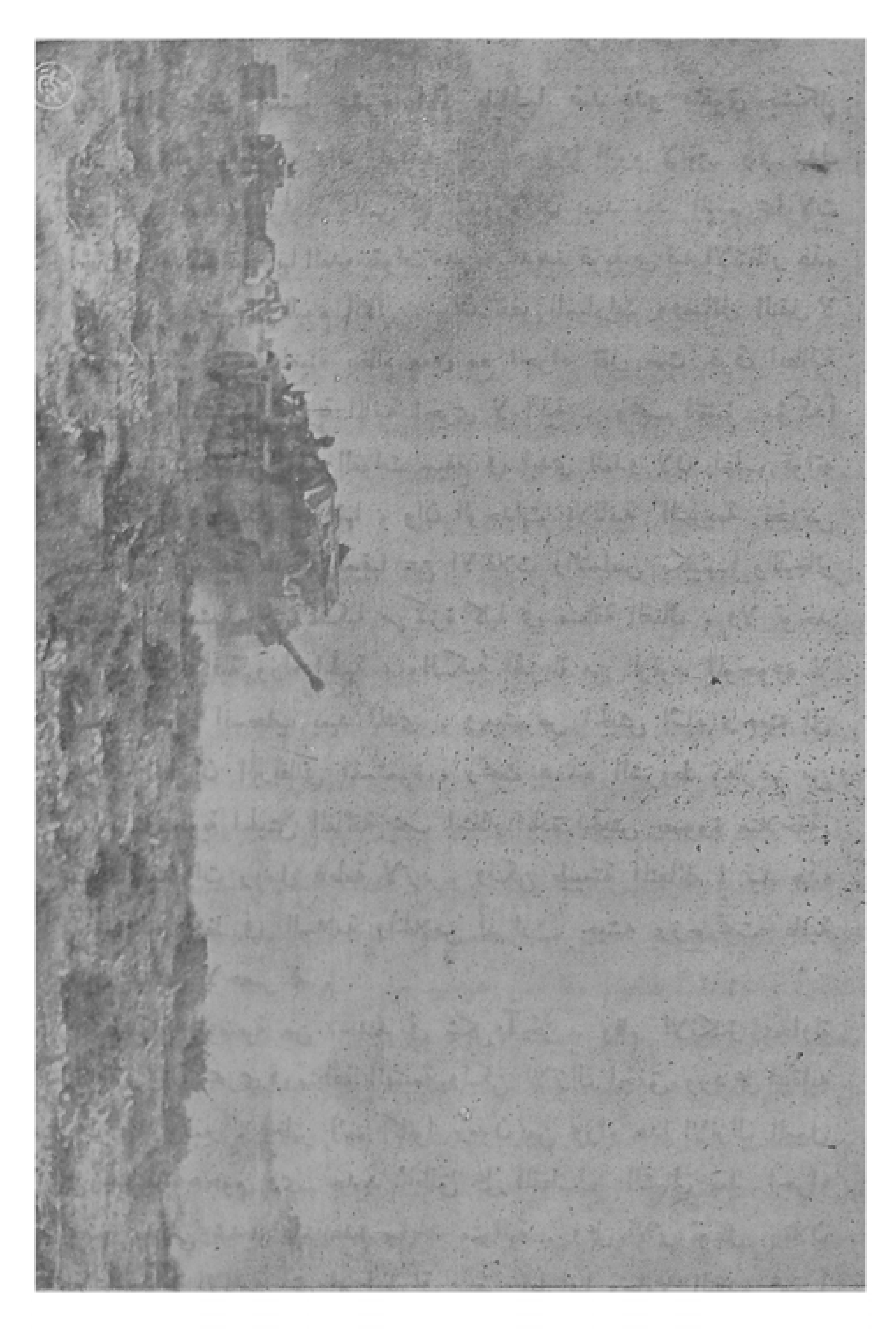
وكان الفيلق المدرع الالماني الخامس عشر يملك ٣٩ دبابة من اصل ١٠٠ دبابة سابقاً . والفيلق المدرع الواحد والعشرين ٩٨ دبابة من اصل ١٠٦ دبابات ، بينما الفرقة المدرعة الايطالية لم تصاب بخسائر كبيرة .وكان لدى فرقة تريستا ٣٤ دبابة فقدت كلها، وفرقة آريتا دبابتين من اصل ١٢٧ دبابة ماعدا فرقة ليوريتا التي فقدت ٥٦ دبابة عطلت عن القتال وظل لديها ٦٠ دبابة فقط . وفقد العدو ٢١٥ مدرعة و ٣٨ سيارة استطلاع دمرت تدميراً كاملا . ولكن عداد الفيلق الافريقي تناقص في اليوم التالي . ولم تبق لديه سوى ١١٤ دبابة ، والفيلق الآلي الايطالي ٢٠٦ دبابات . وفي الثامن والعشرين من تشرين الاول لم تسجل الفرقة المدرعة الحادية والعشرين سوى ٤٥ دبابة والفرقة الخامسة عشر ٢١٨ دبابة فقط ولم يتحقق عدد الدبابات بالضبط الا في اليوم الاخير من الشهر . وكان في وسع الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين وضع ٤١ دبابة في وجه العدو والفرقة الخامسة عشر ٥٠ دبابة بينما لم تعد . دبابات فرقة تريستا سوى ٢٧ دبابة وفرقة اريتا ١٢٤ وفرقة ليتوريا الايطالية ٣٨ دبابة .وفي بون هذا الوقت اي من تاريخ ٢٣ الى ٣١ تشرين اول بلغت الخسائر التي اصابت الجيش البريطاني الثامن ٣٤٧ دبابة مدمرة او مقتنصه و ٢١

سيارة استطلاع و ٥٦ جرارة و ٦ مدافع و ٤٥ مدفع ضد الدبابات وما يقرب من ١٣٧ سيارة نقل . وفي هذه الاثناء تبدت وضعية الجيش المدرع مشلولة تنذر وتهدد بالخطر . وفي الخامس والعشرين من شهر تشرين اول لم يبق لدى الجيش سوى وحده ونصف الوحده من الوقود. وكانت الذخائر تقدر ١ / ٥٠٠ بالنسبة الى ذخائر العدو. وارسل نداء بالنجدة الى الطيران الالماني لنقل الوقود فاجاب بعدم امكانية اجراء النقل المطلوب في الوقت الحاضر . وفي السابع والعشرين ازدادت الوقود قدراً يسيراً فبلغت ١٠٦٠ وحدة .

وفي الثاني تشرين الثاني لم تصل سوى باخرتين تبلغ مجموع شحناتهما ٨٩٣ طن من الوقود بينما اعلنت روما انباء ارسال ثمانية بواخر مجموع حمولتها ٤٢٤٤ طن . ومنذ ٢٣ و ٢٧ تشرين اول لم يصل الى الجبهة سوى ٤٠ طن من الذخائر . وغرقت سفينتان منها كانت تحمل ٣٧٠ طن . وفي وسط هذه الازمة الخانقة توفق النيوزلانديون في اخر يوم من شهر تشرين اول في التسلل على طول الخط الحديدي الساحلي وعلى اخلاف كتيبة الرماة المدرعة الالمانية التي عزلت ودفعت نحو ساحل البحر واستوجب دعوة الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين التي تمكنت من توطيد الوضعية المهددة . وحوصرت جمهرة انكليزية دمرت منها ١٨ دبابة وحررت الكتيبة المذكورة من التطويق . وقد تمكن فوجان منها من المحافظة على مواضعهما دون خسائر تذكر . بيد ان الفوج الثالث الذي قاتل افراده حتى اخر طلقة أبيد عن آخره . واشار الانكليز بان كافة الاسرى بدون تميز كانوا بين عداد الجرحى .

وفي الثامن تشرين الثاني قرر الماريشال رومل إرسال البرقية الصريحة التالية الى مقر الفوهرر العام قائلا :

« ان الجيش يتربص على الدفاع وهو في اقصى حدود المقاومة



رتل دبابات المانية اثناء القتال

بعد قتال عنيف استمر عشره ايام بلياليها ضد عدو متفوق بشكل هائل في البر والجو ، وأن الموقفية التي احرزها اليوم لاتغير ولا تبدل شيئاً في الوضعية الراهنة وليس في مقدوره ان يصد بعد اليوم محاولات اختراق جديدة يقوم بها العدو بقوات مدرعة عديدة قوية هي قيد الانتظار هذه الليلة او في صبيحة اليوم الثاني . وان نقص السيارات ووسائل النقل لا تسمح بتنظيم رجعة امينة بنظام معين مع اجراء نقل ست فرق ايطالية وفرقتين المانيتين ، والوية المانية اخرى لا آلية . ويجب التنبؤ مؤكداً بأن قسما كبيرا من هذه القوات سيقع في ايدي العدو لان اغلب قواته هي آلية ولا يمكن مجاراتها ، وان الوحدات الالمانية السريعة تخوض هي بالذات موقعة طاحنة تعيقها عن الانفلات والتملص بكليتهـا والذخائر الجاهزة للاستعمال التي تملكها مركزة كلها في منطقة القتال . ولا توجد منها مقادير كافية وراء الجبهة ، والكمية الهزيلة من الوقود الموجودة لا تسمح باجراء انسحاب بعيد المدى . وسيتعرض الجيش اثناء رجعته الى غارات الطيران البريطاني المستمرة ، وتحت هـذه الشروط وبالرغم من البطولة ومعنوية الجيش الفائقة يجب انتظار ابادة الجيش بصورة متلاحقة. وكانت تقديرات رومل قاطعة لاترد . ولكن طبيعته المتفائلة لم تبد هذه المرة كبير حظ في السلامة والخلاص اذ ان جيشه يرزح تحت عادية تفوق عددي لاحصر له .

وبدت الوضعية من جديد في شكل آخر . وقام الانكليز بمحاولة اجراء انزال بحري في منطقة الضبعة ولكن الانزال اخفق ورد على اعقابه دون عناء كبير . وظهر انهم كانوا يرمون من وراء هذا الانزال العمل على مساندة هجوم بري جديد أطلق على القطـاع الشمالي بعد اجراء تحضير مدفعي شديد دام عدة ساعات متوالية . وعلى الاثر توغل رتلان عبر الخطوط الالمانية التي تم اختراق بعض اطرافها وحاولا التقدم عمقـاً

بغية الاستيلاء على بعض الاراضي الملاصقة . وتباعاً في الثاني من تشرين الثاني ظهرت مدرعات خفيفة في منطقة الاخلاف واخذت تجد في اقتناص سيارات النقل وسيارات التموين والتذخير . ولكن الدبابات الالمانية اندفعت ورائها في دورها واستمرت الوضعية في هذه الاثناء مبهمة غامضة . ولكن العدو ابيد في النهاية ابادة كاملة . وبالرغم من هذه الموفقية الرائعة فالخطر والتهديد ما زالا متواليين في كل لحظة وآونة . وكانت الوحدات الالمانية والوحدات البريطانية طالما تصطدم وتتداخل فيما بينها في معارك حامية وقتال وحشي حيث كان من الصعب إعطاء فكرة واضحة عن سياق الموقعة الجارية .

وأمكن ايقاف وصد رتل العدو الايمن في الصباح . ثم ما لبث ان ظهر في ميدان القتال حوالي (٤٠٠) مدرعة تتقدم ببطء نحو الغرب بينما اشير أثناء ذلك الى وجود ٤٠٠ مدرعة اخرى في منطقة حقول الالغام . وتحقق عندئذ ان الفيلق العاشر البريطاني برمته يخوض الهجوم المنطلق وقد تدخل آنئذ الطيران البريطاني بقصوفه الشديدة التي منعت الفرق المدرعة الالمانية من اجراء هجومها المعاكس المنتظر . وتعطل عدد كبير من مدافعها وخاصة المدافع ضد الطيران . ولم يبق سوى أربعة وعشرين مدفعا في حالة العمل . وتوجب انئذ إخلاء وتفريغ القطاع الجنوبي حيث استدعت فرقة اريتا ومدفعيـة الجيش . وسحب من الموقعـة لواء مظليين رامكي انتظاراً واستعداداً لهجوم معاكس عرضي من جـديد . وتراجع الجيش خطوة خطوة تحت ضغط شديد لا يرد ولا يقاوم . وسقط القسم الشمالي من موضع العلمين في ايدي العدو وصار من الضروري سحب الجبهة الجنوبية التي اصبحت بدورها معرضة لخطر التهديد بالالتفاف والاخذ من الوراء من قبل قوات مونتغمري الزاحفة . ومنذ الايام الاخيرة من شهر تشرين الاول اوعز الماريشال روميل بوجوب التربص على موضع الايقاف الجديد في فوكا وتحضيره للدفاع . وبسبب الاختراق المتسع الحاصل على جبهة واسعة فقد

توجب وحان الوقت لاستئناف الحرب المتحركة . فهل في الامكان اجراء هذه الحركة مع النقص المعهود في الوقود ؟

وفي المساء ذاته اخبر قائد مدفعية الجيش المدرع نفاذ الوقود الموجودة لديه ، وتعذر إمكان نقل الذخائر الى جبهة الضبعة . وكانت الخسائر في المدافع والسيارات والرجال تزداد يوما بعد يوم . وبالرغم من الجهود النشيطة المتوالية لم يبق لدى الفرق سوى نصف بل ثلث قوتها النارية المعتادة . وكان الجيش المدرع يشتمل على ٣٠ دبابة فقط . وسقطت في نفس الليلة ما يزيد عن الف قنبلة على مساحة لا تزيد عن ثلاث كيلومترات في قطاع الفرقة التسعين الخفيفة . وبدأت دبابات لاستطلاع الانكليزية تزعج تموين الفيلق الايطالي العشرين . وشوهدت بغتة مدرعات وسيارات الفرقتين الايطاليتين تريستا وليوريتا محملة بالجنود التي كانت تخرج من قبضة قيادتها وتتفرق في الارجاء الاربعة .

وبدأ التراجع رويداً رويدا . وأرسلت مصالح التموين والنقل الى ما وراء فوكا ومنطقة مرسي مطروح . ولم تكن هذه الوظيفة من السهولة المتوقعة لان الطرقات والدروب والسبل كانت تقصف تباعا ليلا نهاراً ، وكانت تقع تحت مراقبة الطائرات المقاتلة باستمرار . وكان يتوجب قطر ما لا يقل عن ثلث السيارات مع العلم انه لم يصل محرك ولا قطع تبديل او غيار منذ ثلاثة اشهر . وتوجهت الوحدات السريعة صوب الجيوش الآلية التي تقرر نقلها . وكان الفيلق العاشر الوحدة الاولى التي بدأت بالانفلات عن العدو ما عدا لواء المظليين بقيادة رامكة الذي استمر في الدفاع وايقاف العدو في القطاع الجنوبي وراء حقول الالغام . وكانت الحركة سائرة سيرها المعتاد المرضي عندما وصل أمر الفوهرر الذي كان أسوأ أمر صدر ابان الحرب العالمية الثانية وهذا نصه بالحرف الواحد :

« ان الشعب الالماني برمته يشاهد معي بطولتكم في هذه الموقعة الدفاعية التي تخوضون غمارها في مصر . وهو يثق بصفاتكم الحربيـة كرئيس وبالجيوش الالمانية الايطالية الباسلة التي تقودونها . وفي الوضعية التي تجدون انفسكم فيها يجب الا تعتريكم فكرة اخرى غير فكرة المقاومة العتيدة وعدم التراجع خطوة واحدة والقاء كافة المحاربين والاسلحة التي تستحوزون عليها في حلبة الميدان . لقد ارسلت اليكم نجدات وفيرة من الطائرات بواسطة القائد العام للساحة الحربية الجنوبية . فالدوتشي والقيادة الايطالية العليا سيبذلان اقصى الجهود لتقديم كافة الوسائل التي تساعدكم علـى متابعة القتال ...

ان العدو ايضا في منتهى حدود قوته بالرغم من تفوقه ، وليست هي المرة الاولى في التاريخ حيث الارادة الاقوى تنتصر على الافواج الاكثر عدداً . وليس امامكم سوى طريق واحـدة تشيرون بها الى جنودكم وهي طريق الظفر او الموت » ..

وعلى الفور اعطى رومل أوامره في هذا المعنى :

« بموجب الامر السامي يجب المدافعة عن المواضع الحالية حتى النهاية ومنع اجراء أي انسحاب بدون موافقتي القطعية . ان التدابير التي اتخذت من اجل الانكفاء تصبح ملغاة بموجب البرقية المؤرخة بتاريخ ٣/١١ الساعة الثالثة عشر والدقيقة الاربعين » .

ومن الصدف أن احد ضباط الماريشال كان في طريقه الى مقر الفوهرر العام وقد لاحظ بعد وصوله من الاسئلة الملقاة عليه والتعليمات المعطاة له قبل إعطاء هذا الامر الاخير كانت كلها تبرهن على ان مقر القيادة العام ليس لديه أية فكرة صحيحة ثابتة عن خطورة الوضعية الراهنة . وحتى هذه الساعة كان يعتبر رجال (الفولفشانزه) بأن كل شيء لم يكن سيئاً الى هذه الدرجة . فهل كانوا يزوقون التقارير الواردة الى قيادة مقر

الفوهرر العام ؟ وهل كانوا يسطقون الامور والنقاط البارزة منها والتي عنى رومل باظهارها واضحة صريحة ؟ وإلا كيف يستطيع هتلر اذاً ان يقول بأن العدو كان في اقصى حدود قوله ؟ فلو انهم أرادوا نجاة الجيش المدرع ومواصلة الحملة ، لتوجب عليهم العمل العاجل في مدة الاربعه وعشرين ساعة القادمة وفي ١٣ تشرين ثاني ازداد نشاط الطيران البريطاني نشاطاً محسوسا مما كان يدل على اقتراب ساعة العمل القادم وفي اقل من اربعة ساعات اعتلت اجواء الضبعة ثمانية عشر قاصفة بريطانية كانت تغير كل واحدة منها سبعة عشر مرة لتلقي قنابلها على هذه المنطقة . وكان اكثر من ١٠٠ طيارة مقاتلة قاصفة تظل باستمرار فوق وحدات الفيلق المدرع وثلاثمائة اخرى تهدر حتى غياب الشمس بين الجبهة وفوكا . وعند ابتداء الليل كانت تلقي قنابلها المنورة على الطريق الساحلية وعلى مئات السيارات الايطالية المحصورة وراء فوكا . وفي هذا اليوم شوهدت خمس طائرات المانية فقط تحلق فوق ميدان الموقعة .

وفي الرابع من تشرين الثاني ، امكن توطيد جبهة جديدة في الشمال . وارسلت الفرقة ١٦٤ كقوات للنجدة نحو الشرق . وامام الفيلق الالماني الذي ما كان يملك سوى ٢٢ دبابة توطدت الفرقة التسعون الخفيفة على نصف دائرة واسعة تنتظر الهجوم المهيىء ، تحميه ١٥٠ مدرعة من طراز شيرمن الجديدة التي تشتمل على مدفع طويل من عيار ٧٥ مم قائم على برج مسلح ومدفع من عيار ٥٠ مم في وضع مركز تحت المدفع الاول . وخاضت الموقعة دبابات اخرى قوية قادرة مجهزة بمدافع من عيار ١٠٥ مم وتملك درعا اماميا سماكته ٢٠ مم وعلى الجوانب ١٠٠ مم والذي ليس في استطاعة المدافع الالمانية عيار ٨٨ مم خرقه مطلقا . وما كان النهار ليحمل في طياته عوادى المباغتة ولم تتقدم المدفعية كما هو منتظر للهجوم الكبير . وهذه بادرة من بوادر الاخطاء ايضاً . وهاجمت المدرعات الانكليزية

فرقة اريتا الايطالية ودمرت مدرعاتها القديمة ، واخترقت جبهـة الفيلق الالماني الافريقي .

وقبل حدوث هذه الازمة الجديدة ارسل روميل الى المقر العام تقريراً جديداً تناول فيه عرض المعلومات التالية قائلاً :

« البارحة قامت ٥٠٠ مدرعة باحداث اختراق تشكل اثنائه جيب عرضه عشرة كيلومترات وعمقه خمسة عشر كيلو متر في القطاع الشمالي وتوفقت في تدمير المواضع الدفاعية .

وفي هذه الحالة لم تبق ثمة جبهة متينة مترابطة . واعتقد بأن التعبئة التي يقوم بها الانكليز تترتب على تدمير الوحدات المحورية واحدة بعـــد واحدة بفعل تركيز نيران قوية تم اطلاق غارات جوية عنيفة اخذت تعطي ثمارها اليانعة بصورة قطعية كما اخذت تلحق بقوات المحور خسائر باهظة. انني لم أعد أرى اية إمكانية في إلحاق الخسائر بالعدو او منع انهيار هـذا الميدان في حرب سائرة متحـركة حيث كل شبر من الارض هو موضع نزاع عنيف .

ان موافقة المقر العام على سحب الجيوش الى مواضع فوكا الذي يبعد ٧٠ كيلومتر خطاً كون هذه المسافة لا تغير ولا تبدل شيئا في الوضعية الراهنة . ولا تستطيع المدرعات الالمانية ان تجتاز منهـا سوى ثلاثين كيلو متر فقط بسبب نقص الوقود ونفاذه . وأشار كيسرانغ الذي وجد في السـاعة التاسعة صباحاً في مقر قيادة الجبهة بأن برقية الفوهرر لم تشتمل على صفة اجبارية . ولو كنت في مكانك قال لرومل فأنني اتصرف حسبما تفرضه علي الوضعية الحربية واستطرد يقول : وان هتلر لا ينظر الا الى الشرق فقط اي الى الروسيا ، ولكأنه لاحظ بأن المقاومة المنيفة الثابتة لتنجح في اكثر الاحيان وتحقق التوفيق . فهز روميل رأسه مجيبا انه لا يوجد اي تشابه بين روسيا وافريقيا وأن أمر هتلر في منتهى الصراحة ولا يقبل

أي تأويل وتعديل . ولكن كيسرلنغ عاد الى الاشارة الى رأيه بأن الوضع الراهن وحالة القوات الايطالية المستضعفة ، وتوالي وصول النجدات الانكليزية الجديدة باستمرار الى ساحة القتال لا تسمح بالتقيد بهذا القرار وكرر القول بأنني لو كنت مكانك لتصرفت وفق ما تفرضه الوضعية الراهنة .

ــ انه لمن الافضل اعادة تنظيم القوات الايطالية وراء الجبهة حتى ولو بتشكيلات افواج عمال من بقائهم على الجبهة وفي الخطوط الامامية حيث لا يشكلون سوى كرة جامدة اجاب روميل بمرارة .

ــ انك وحدك قال كيسرلنغ الذي يستطيع ان يعطي حكما على الوضعية وعليك وحدك يتوقف اجراء ما يتوجب عمله . ان تدمير وهلاك الجيش لا يتفق واغراض الفوهرر .

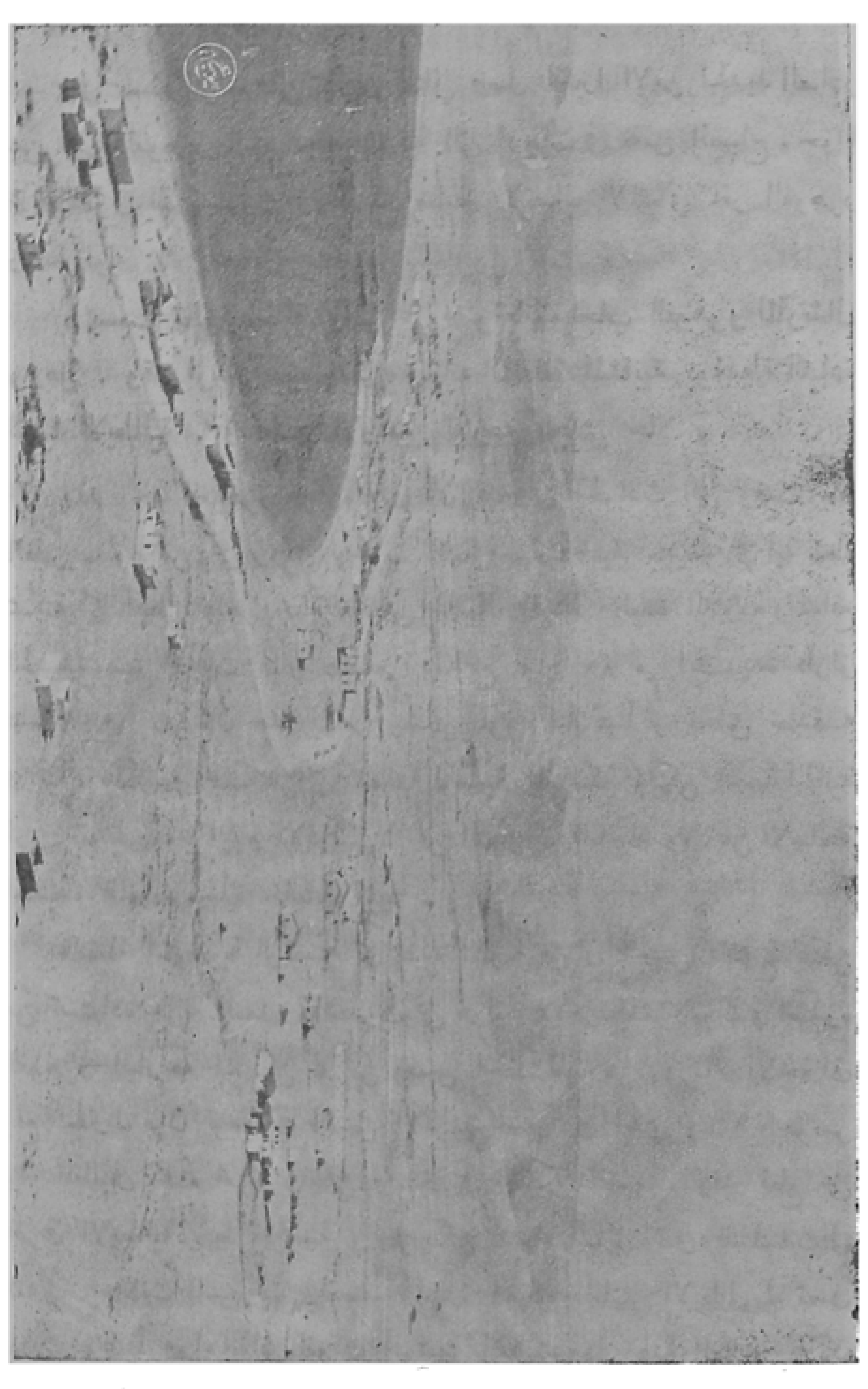
ــ واذا حدث اختراق جديد آخر فمعناه ان الجيش اقترب من النهاية .

ــ ولكن ماذا استطيع ان أعمل مع العلم ان الفقرة الاخيرة من أمر هتلر صريحة لا تدع مجالا لاي اجتهاد لتسيير آخر والقائلة :

« لا يمكنك ان ترى لجنودك طريقاً اخرى غير طريق الظفر او الموت».

فالعدو قال روميل يمكنه ان يتقدم حتى طرابلس دون ان يواجه أية مقاومة جديدة لان الايطاليين حسب معرفتي بهم سيتراكضون وحدهم بلا وازع حالما تترك لهم حرية الانسحاب ومن ورائهم جحافل الالمان الذين ليس لديهم سوى البنادق طراز ٩٨ . أجل اننا لم نترك للعدو سوى الارض التي يشغلها الآن وقد استغل كافة تفوقه الساحق ودمر الوحدات المعادية الواحدة تلو الاخرى . وما اشبه هذه الموقعة بموقعة فردون « Verdun » التي جرت أمام حصون هذه المدينة ابان الحرب الكبرى الماضية . وقد تردى الجيش المدرع تحت ضربات المطارق وأفاض قائلاً :

« ان الينبوع الذي يستقى منه العدو مع الاسف اغزر بكثير من ينبوعنا الذي يكاد يشرف على النزوح » .



خليج السلوم وقرية السلوم الاعلى والسلوم الادنى

وفي مساء الرابع من تشرين الثاني وصل اخيرا الامر الجديد الصادر عن مقر الفوهرر العام اجابة للبرقية التي ارسلت في نفس الصباح . جوابا على التقرير الذي ارسله رومل مع ضابط الاتصال الالماني لمقر الفوهرر وهذا قوله :

« بسبب تطور الحالة اوافق على مقترحاتك اجاب الفوهرر المارشال رومل . وقد ارسل موسوليني تعلياته المتعلقة المشابهة بواسطة القيادة العليا الايطالية . واعطيت الاوامر اللازمة للجيش حالا » .

وقد اتخذ الفوهرر قراره قبل ان يُنبه الى الحوادث التى وقعت بعد الظهر . وعرض على رومل وجوب اقامة جبهة دفاعية جديدة في أية نقطة ممكنة كما أعطى أوامر جديدة تقضي بارسال العداد والعدة اللازمة والمدافع الجديدة ضد الدبابات عيار ٧٥ مم ومدافع عيار ٨٨ مم الجديدة طراز عام ١٩٤١ . وكان هذا الامر ليشكل عوناً قيماً ثميناً لو تحقق تطبيقه وتنفيذه بالسرعة الممكنة التى تتطلبها الوضعية المتهالكة ولكن الجبهة الحالية ان تنتظر بعد اليوم الاقوال لا عن النجدات العاجلة ولا عن الاسلحة الجديدة فالمسألة مسألة ساعات فقط .

فالنقطة الجوهرية الرئيسية في هذه الاونة هي ان الجيش المدرع تمكن من استعادة حرية العمل والتصرف على هواه . فالامر المشؤوم الذي اصدره الفوهرر البارحة لم يكن له من حسن الحظ مايتلوه . واثناء الاختراق وقع الجنرال فون توما قائد الفيلق الافريقي اسيراً في أيدي العدو وحوصر لواء المظليين تحت امرة رامكي واعتبر في حكم المفقود . وقد قطع على الفرق الايطالية خط الرجعة . ولم يكن لديها وسائل نقل فاستسلمت الى العدو . وكانت السيارات المخصصة لنقل الفيلق العاشر الايطالى لم تصل بعد . وسعياً وراء انقاذ القوات السليمة اهمل رومل هذا الفيلق وكان القرار المتخذ على جانب كبير من الخطورة والدقة ، وان النهاية المحتمة

لاشد خطورة من القرار . وهذه الحالة المتأزمة كلها جرت بفعل الاخطاء التي لاتغتفر والصادره عن القيادة والمقرات العليا لجهلها وتهاونها . بيد ان رومل كان يحفل بالامر جهده ليمنع وقوع كارثة عامة وفاجعة شاملة. ان المسؤولية الكبرى لتقع على هذه القيادات وحدهـا التي لم تأخذ ولم تحفل بانذارات المارشال المتوالية ولا بالاهتمام بمطالبه وحاجاته من الممدات ووسائل النقل . فلو ان منظمة المصالح الخلفية انهارت برمتها دفعة واحدة لما استطاع احد ان يوجه كلمة لوم او تأنيب لهذا القائد الفذ .

وبعد الاختراق الذي حدث في اليوم التالي لم يتمكن الا قسم من الجيش من الانسحاب الى موضع فوكا كما لم يتمكن من التربص على هذا الخط الجديد لان قوات مونتغمري كانت تجد في الملاحقة تباعـاً حيث اخترقت الخطوط الجديدة في عدة نقاط . وكان الفيلق العاشر مؤلفاً من فرقتي بافيا وبريشيا واللواء المظلي الباسل وفرقة فولغورو التي هُوجمت من قبل قوات مدرعة عديدة بينما كانت تتراجع وتتكفاء الى مواضعهـا الجديدة . وقد تمكنت من شق ثغرات عديدة لتمهيد طريق الافلات اثناء المعارك الحامية ولكنها بسبب نفاذ وقودها لم تتمكن من الاستمرار في التراجع ووقعت كلها اسيرة في قبضة العدو على خط فوكا وليس لديها ماء ولا وقود .

وفقد الفيلق الحادي والعشرين مع فرقة ترانتو نصف عداده منذ بدء الهجوم وأُحيط اكثر من مرة واصيب بخسائر فادحة . واثناء محاولاته الانسحاب الى خط فوكا الدفاعي هوجم الفيلق وابيد بكامله تقريباً ماعدا فوج مشاة ونصف الفوج وفوجين مدفعية تمكنت من الافلات والنجاة . ولم يبق من الفيلق العشرين الآلي سوى فوج منقوص بدون دبابات . واصيبت فرقتا ليتوريا وتريستا اللتان كانتا متربصتان في القطاع الشمالي بخسائر كبيرة . وقتل قائدها الجنرال فيراري اورسى G. Frerrai orsi

والجنرال بريدوري G. Prieduri آمر فرقة بريشيا ايضا امام جبهة العلمين.
كانت عملية اخلاء موضع فوكا الفصل الثاني من الموقعة . وخسر رومل موقعة فوكا المتوجب خسارتها ولكنه لم يخسر عملية التراجع والانكفاء.
ولم يأل مونتغمري جهداً بعد ظفره الحاسم في جبهة العلمين من ان يستغل كل مالديه من القوى وان يحتاط لكل المناورات والتدابير الممكنة وان يضعها موضع العمل العاجل خشية ان ينقلب وضع العدو من الحالة الدفاعية الى الحالة الهجومية مباغتة . وكان على ثقة بأن امامه جيشٌ مدربٌ عنيد محارب وعلى رأسه قائد من ابرع القادة الذين اخرجتهم هـذه الحرب الضروس . وبالرغم من محاولات القائد الانكليزي لم يتوفق الجيش الثامن في القبض على رومل او في تدمير الجيش المدرع . اجل إنه لم يبق منه سوى قبضة من البشر كانت تتلقى الضربات المسددة العنيفة من قبل المدرعات البريطانية والطيران الانكليزي والتي لم يتمكن العدو من تمزيقها او القبض عليها . وكانت الفرق الالمانية اشبه بلعبة البوشا التي تعود لتنتصب على قدميها مها يكن الوضع الذي تلق فيه ، وكانت مقاومتها تلازمها كارواح جنودها تناضل وتقاتل دون انقطاع كالخيل المسومة النافرة ممدة في كل لحظة لوضع العدو في حرج يتعارض ورغباته .

وكانت هياكل عظام جنود الالمان تفترش الصحراء في كل مـكان . وكم من القادة والجنود كانوا يرقدون مع وحداتهم قرب تلة من الرمال او كومة من الاحجار البيضاء حيث ريح السموم تهدر وتصفر نادبة فوق رفاتهم الراقدة رقدتها الاخيرة وتسفوا عليهم الرياح رمالهـا فتغطي تلك الرفاة التي ضمها لباس القتال كفناً الى العالم الابدي . وكانت المعجزات تنطلق من اسرارها ومعمياتها بين الحين والآخر ، وتنتفض الحياة المنبعثة من بين نعوش الصحراء المحطمة فتظهر من جديد العجلات الحربية والسيارات الانكليزية والمدافع الالمانية والمدرعات الاميركية تجمعها وتسوقها من جديد

هذه القوات الالمانية المبعثرة التي لفحتها الشمس المحرقة وجففت اجسادها الرياح المحمومة وهصرت عزيمتها المشاق والمتاعب ، قبضة من ضباط ورجال لم يقتلهم اليأس ولم يفقدوا الرجاء ولا هدت اركانهم الفاجعة المبيدة ولا حطمت اعصابهم النيران الفولاذية يلتفون حول مريشالهم المحارب ، قبضة من البشر الحي يقفون مصممين كما وقفوا من ذي قبل فيرتدون ارتداد الصاعقة وينقلبون على العدو من مكامنهم ويرتمون على ارتاله ووحداته يعبثون فيها ويلحقون بها الاضرار والخسائر . ثم يختفون ويذوبون في عرض الصحراء بعد ان يصرف العدو جهده ومجهوده في الانتشار والتمرض والاحتياط من جديد للقضاء على هذه الفئة النافرة الثائرة .

وبعد ثمانية ايام من اخلاء العلمين جمع الجنرال لونغر هاوزن G. Longer hausen في السللوم كل الرجال الذين وصلت اليهم يديه واقام بهم جبهة جديدة . واجتمعت بقايا الفيلق الالماني والفرقة التسعين الخفيفة وفلول الايطاليين المتراجعين رويداً رويداً . وكان الفيلق الالماني يناور دوماً على الجناح الايمن لصد مناورات وحركات العدو المطوقه وليمنعه من التقدم والانطلاق .

وفي احد هذه الايام الاليمة ظهر بغتة رتل انكليزي ولكنه لم يتبين تماماً حتى عرف بأنه كتيبة المظليين تحت امرة الجنرال رامكي التي اخترقت صفوف العدو وشقت لنفسها طريقاً بالقوة بضربة جريئة مجنونة باغتت فيها الارتال الانكليزية وقواتها المتقدمة وهاجمتها وانتزعت منها معداتها وسياراتها ودباباتها ومدافعها واستمرت في طريقها حيث التحقت بالقوات الالمانية المنسحبة ترد عنها عادية العدو وغاراته المنطلقة المتلاحقة . انه عمل عجيب في تاريخ الحروب . وفي ايام قليلة تجمع حول الجنرال رامكي آلاف من الابطال البواسل الذين كانوا في بعض الاحيان يتساقون بمفردهم ليلتحقوا بوحداتهم المتراجعة . ثم تولدت فيما بعد وضعية دقيقة في ساحة الميدان

القديم لموقعة عام ١٩٤١ عندما تقدم الجيش الثامن على سيدي عمر ، وحاول تطويق السلوم الادنى . وتمكنت القوات الالمانية هذه المرة ان تنجو من التطويق واستأنفت طريقها نحو موضع الغزالة وان المرء ليتسائل بدون شك كيف تمت هذه الرجعة العجيبة دون وقود ولا ذخائر وكيف سيرت بنسق ونظام وتعاون لانظير لها في تاريخ الحروب ؟ لقد رتب الامر بموجب حساب دقيق المراحل مع اعتبار كافة الاعراض المحتملة. وتوجب اجراء ذلك لعدم تطور مسألة التموين او تحسنها عن السابق . وظل الجيش المدرع في هذه الاوقات الدقيقة يعيش على يومه كما كان في السابق . وغرقت في هذه الاونة الباخرة الايطالية ساجيستا واحترقت ناقلتان زيت اخريتان كانتا على وشك الدخول الى ميناء طبرق وبنغازي وكان من العجز وضع اية خطة جديده . فقرارات القيادة الالمانية لم تكن محكومة بوضع العدو فحسب بل بوضع امتلاء او فروغ خزانات العجلات الحاربة والسيارات الناقلة . وبالرغم من كافة الوعود التي كالها مقر الفوهرر العام ظلت هذه الوضعية ذاتها يحيق بها الشلل التام ولم يعتريها قط تحوير او تطور .

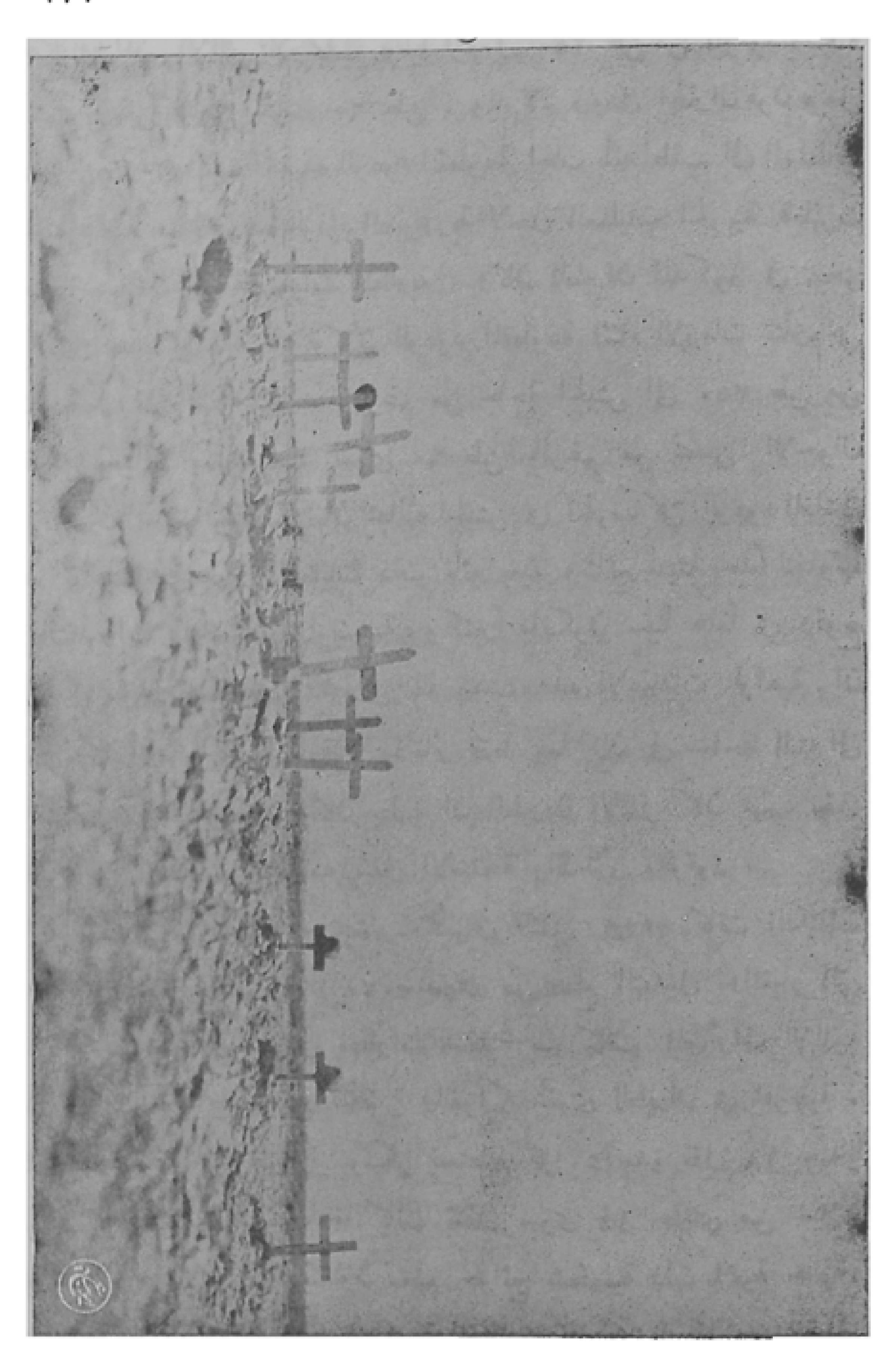
وقد اظهرت روما رغبتها الملحة ازاء رومل اذ اوجبت عليه مهمة سوق القوات الايطالية غير الالية التي ماتزال على قيد الحياة واوكلت اليه ان يعمل على نقلها اثناء عملية التراجع . وهذا يعني ان روما كانت تجهل حتى هذه الساعة خطورة الموقف والوضع جهلا تاماً . واستدعي المارشال كافاليرو ليحضر بنفسه مشاهدة الوضعية ولكنه لم يزعج ذاته بالقيام بهذه المهمة التي يعرفها اكثر من روما التي كانت وما تزال تعتقد بان قوات المحور الايطالية — والالمانية ماتزال قادرة على اشغال طبرق والدفاع عنها طويلا . ولكن رومل رد هذه الفكرة رداً قاطعاً ولم يجب حتى على هذا الاقتراح الوهمي . فالبقاء في طبرق كان يعني قبول الحصار براً وبحراً وفناء الجيش

المدرع وتدميره في ايام معدودة . وكانت الحقيقة الثابتة التي لامراء فيها هو عدم الاعتماد على التموين في طبرق المحاصرة . وتحقق روميل عدم امكانه المحافظة حتى على برقة البيضاء برمتها . وسبق ان اعطي الاوامر اللازمة لاجراء هذا الاخلاء بانتظام وسرعة في الحين الملائم . وكان في قيد الاحتمال اجراء توقف عند موضع مرسى البريقا شريطة اكمال الامداد وجلب النجدات من طرابلس الغرب قبل ان يستحوذ الطيران البريطاني على السيطرة والسيادة على اجواء منطقة السرت . فاذا استحال تحقيق هذه الشروط فليس من مسوغ مطلقاً ايقاف الجيش المدرع في اي خط من خطوط دفاع هذه المنطقة الجرداء لخوض مواقع جديدة مع العدو دون فائدة تذكر ثم الاسراع اخيراً في الانسحاب الجبري المندفع نحو طرابلس .

وكان روميل يرى من الافضل اقامة جبهة دفاع موقته في برقة الغربية حيث يقوم بعملية جلاء بحري شامل تشترك فيه كافة الوسائل البحرية من غواصات وسفن بحرية وحربية وطائرات وزوارق سريعة لنقل القوات المحورية وتأمين سلامه وصولها الى الاراضي الاوربية استعداداً لعمليات المستقبل . ولم تعد القضية في حدود اجراء انصاف تدابير بل في اتخاذ قرارات مثبته صريحة فعالة وجدية لتحقيق سلامة الجيش فقط . وقد اعلم الفو هرر المارشال روميل اثر مقابلته لضابط الاتصال الذي اوفده روميل اليه بانه ليس من الممكن اعتماد عملية إجلاء بحرية للقوات المحورية بسبب طغيان السيطرة الجوية والبحرية البريطانية على البحر المتوسط والتي من شأنها ان تمنع نجاح عمليات الجلاء المقصود . والحل الوحيد هو وضع كل ما في الامكان تحت تصرف الجيش المدرع لتعزيزه وتقويته وتأمين عمليات التموين بصورة فعالة عن طريق طرابلس . وقد ابان المارشال روميل احتياجاته ومطاليبه من جميع النواحي ووُعد بالعناية الكلية ووضع كافة

الامكانيات موضع التنفيذ . وبالفعل فقد جرى ضغط على الجانب الايطالي في موضوع النقل والتموين .

وفي هذه الحالة كان يستوجب الاحتفاظ بموضع مرسي البريغا اطول مدة ممكنة ليصار الى تعزيز القوات المحورية استمدادا لهجوم قادم جديد. وبالرغم من صعوبة هذه المهمة التي هي مثار النقد من نواح عديدة فقد فرضت الظروف محاولة اقامة رأس جسر هام في افريقيا والاحتفاظ به مدة من الزمن ريثما تتطور الظروف المنتظرة . وقد اكد الفوهرر للمارشال ايضا بأنه يتمتع بثقته التامة كما ابدى اعجابه الفائق بما قامت به القوات الالمانية الباسلة من دفاع مجيد وبطولة فائقة في جبهة العلمين مما لم يسبق لاية قوات ألمانية اخرى معاناة قتال مماثل في أيه جبهة من جبهات الحرب القائمة ، ولم تشاهد مثل هذا التمركز العتيد في تفاعيل قوى العدو وطغيان نيرانه وقصوفه الجوية الشديدة . وقد ذكر راديو القاهرة في تاريخ ٨ تشرين الثاني بأنه التي ما يزيد عن مليون قنبلة وقنبرة في الايام العشر الاول التي رافقت سير الموقعة الكبرى . وهذا المقدار العظيم هائل اذا قدرت حدود ومساحة الجبهة الضيقة التي تعرضت لمثل هذه الكثافة من النيران الحامية . ولكن كان يظهر ان كل هذه الاقوال لم تخرج عن حدود الوعود الفارغة والتي من المحقق عدم امكان تنفيذها في مستقبل قريب . وهبط المارشال ارض المطار في البرجه يوم عيد ميلاده حيث احتفل الطيارون الالمان بعودته وبمناسبة يوم ميلاده واقاموا حفلة انيقة ومأدبة عشاء ولكن وقع هذه الدعوة لم يلطف من الآلام والمرارات التي كان يعانيها هذا الرجل الصابر المقهور على امره . وكان يقر ويعترف بانه لايواجه قتال العدو الذي يريد قهره ودحره بل القتال الحقيقي الذي كان يخوضه بالذات ضد المصالح الاوربية والقيادات العليا للحصول على المواد الضرورية من أجل جنوده ولتأمين الحياة والمقاومة . وقد وعد



مدافن الصحراء

سلاح الطيران الالماني ان يجلب يوميا لرومل ٢٥٠ طن من الوقود ولكنه لم يتمكن من شحن سوى ٦٠ طن . ولما لام رومل الجنرال فون بوهل G. Von Bohl لعدم تنفيذه الوعود المقطوعة اجاب بأنه طلب الى السلطات صاحبة الصلاحية تزويده بالوقود الضرورية لاجل العمليات الحربية فاظهرت عجزها عن تسليمه الكميات المطلوبة . وكان الطيران المذكور في عجز عن نقل هذه الكميات . وكأن الوعود المقطوعة اثناء الازمات تتأزم هي ايضاً بفعل تأزم الاحوال . وبالرغم من حاجة الجيش الى ٢٥٠ طن من الوقود يومياً لم يكن يصله سوى ٦٠ طن بالرغم من تحسن الاحوال الجوية . ان اسواء ما يمكن ان يجابهه الجيش في الحرب هي الوعود الفاشلة لأن تفاعيلها على سير العمليات ذات تأثير بعيد ونتائج سيئة جداً لتفاوتها مع التقديرات والحسابات الموضوعة ، وكثيراً ماتكون سبباً هاماً في وقوع كارثة او حدوث فاجعة لم يحترس لها بسبب هذه الاعتمادات الواهية . ان رومل كان في حاجة الى وقود وذخائر فقط وما كان في حاجة البته الى اقوال ووعود لم توف . وكان يظهر ان الطيران الالماني كان يهتم بنقل الخضراوات اكثر من اهتمامه بنقل الاسلحة والذخائر والوقود .

واثناء الايام الدقيقة من شهر تشرين الثاني ١٩٤١ كانت الكتائب المدرعة في عوز ماس الى ٢٨٠ صندوق من قطع التبديل والغيار التي كانت تنتظر منذ اسابيع في مطاوات صقلية بينما كانت الطائرات الالمانية تنقل في كل يوم طنين من الخضر والفواكه لقوى الطيران في افريقيا . وكانت الطائرات من طراز يونكر تستطيع كل واحدة نقل ١٨ جندياً بـكامل اسلحتهم ولكنها ما كانت تنقل سوى ١٤ جندي من سلاح الطيران لان هؤلاء كانوا ينقلون معهم حوائج شخصية ذات اهمية خاصة. وفي هذه الحالة المتردية كان كل شيء يبدو مؤسفا ومحزنا وكأنه سباقالى الحالة التي كانت تسوء يوماً بعد يوم . واعلنت مدفعية الجيش انه لم يعد

لديها اية ذخائر للصرف . واشار احد ضباط الاركان متألماً بأنه تم نسف رحبات برجه دون الاهتمام بمعرفة ماذا كان الفيلق الالماني بحاجة للاستعانة بقسم كبير من محتوياتها . ودمر ايضا ٤٠٠٠ لغم كانت ذات اهمية كبيرة لاستعمالها في الجبهة والتي نسفت دون ضرورة قاهرة . وعبساً طال انتظار الغواصات والمدرعات القادمة الى ميناء بنغازي . ووجهت الاولى الى تونس وعادت الاخرى التي كانت تحمل الوقود في طريقها بداعي سوء حالة الطقس . وحولت السفينة هانس ارب التي كانت تشحن قسماً من الوقود من بنغازي الى رأس علي النقطة المجهولة على ساحل برقة الغربية وقد تركتها السلطات الايطالية لنفسها بعد ان اخات الميناء . وقد تلقت هذه الباخرة برقية لاسلكية بالوصول الى هذا المرفأ . وفي الساعة التي اوشكت فيها ان تدخل المرفأ وصل أمراً برقياً من روما يوعز الى الباخره بالابحار الى رأس علي حيث ضربت بطوربيد واُغرقت مع حمولتها البالغة ٧٠٠ طن من الوقود ؟ وفي هذه الاثناء اشارت الفرقة المدرعة الخامسة عشر انه لم يعد لديها وقوداً البته وانها مجبرة على التثبت في مكانها دون حراك . وهنا بدأت السماء تجود بقطرها المتدفق وتفتحت مزاريبها كافواه القرب تمطر كالسيل ارجاء الصحراء التي تحولت الى بحر من الوحول . ولم يعد في وسع السيارات والعجلات الصغيرة او الكبيرة التحرك وغرزت عجلاتها في الوحول الطامية . وتوقف من جراء ذلك كل نشاط حتى على ارض المطارات . ولم تظهر اية طائرة من المعسكرين ولم يستطع الطيران اعتلاء الاجواء البته . وتسمرت طلائع الجيش الثامن الامامية في اماكنها في منطقة العظم وأجبر مونتغمري وقواته على التوقف والتثبت . وكان من حسن الحظ ان الطقس عطل الحركات والعمليات واقصى خطراً آخر عن الوقوع . وكانت بعض الوحدات البريطانية السريعة التي تركت واحة

جغبوب تجتاز الصحراء في الجنوب لتعرج على طريق اجدابيا وتقطع مواصلات الجيش المدرع وتطوقه في برقة الغربية . وكانت تشمل على قوات من المغاوير تقلها سيارات جيب وسيارات استطلاع مرنة سريعة الحركة . ظهرت هذه القوات في جنوب برقة البيضاء ، وأعلم عن وجودها في جوار المخيلي بينا ارتال الفرقة الخفيفة التسعين المتأخرة ما تزال في جوار طبرق وقوات مونتغمري في اطراف غامبوت . ولكن الطيران الالماني تناول هذه القوات المتقدمة بغارات متوالية وابادها عن آخرها . وتوقف قسم من هذه السيارات في جوار مزوس بسبب الوحل الكثير وقد هاجتها الطائرات الالمانية ودمرتها في اماكنها . وكان احد المطارات الالمانية مازال قابل للاستعمال من بين كافة المطارات الموجودة . واكتشفت عرضا مجموعة من السيارات البريطانية يبلغ عددها الـ ٥٠٠ سيارة تتجمع في ارجاء الصحراء الغربية فهاجمها ودمر قسماً كبيراً منها . وكانت مناطق مزوس حتى اقلات واجدابيا كلها محاطة بالمياه وكأنها جزر في بحر لجي ما خلا المرتفعات والجبال المجاورة وحدها كانت تبرز ظاهرة في هذا البحر الواسع . .

وفي خلسة من الوقت لفحت ريح سموم قوية وعملت على تجفيف الصحاري وزادت الامر سوء ، فاوعز الجيش المدرع انئذ باخلاء بنغازي والتقدم بكل سرعة على الطريق الساحلية للوصول قبل الانكليز الى اجدابيا وتوقفت كثيراً من الوحدات اثناء السير بعد ان نضب وقودها كما توقفت طائرات النقل الالمانية في الوصول الى اليابسة تحمل معها ١٦٠ طناً من الوقود بدلا من ٤٠٠ طن الموعودة . واعلن بأن الغواصات والمدمرات تنقل ٥٠٠ طن وقود وهي في طريقها الى ميناء بنغازي فهل تصل في الوقت المناسب ياترى ؟

ولم تصل هذه المرة ايضا لانها رجعت خشية العاصفة التي ثارت على

السواحل الافريقية بينما كان مونتغمري يؤمن تموينه عبر البحر تحت اقسى الشروط . وقد شوهدت خمسة عشر باخرة بريطانية في عرض البحر على محازاة ميناء درنه . كما شوهدت ايضا زوارق زيبل السريعة تمخر عباب البحر الطاغي تشحن مدرعات ودبابات المانية ومعدات حربية تقرر نقلها من ميناء بنغازي لتنجو من ايدي العدو ، والعمل على ايصالها الى منطقة السرت .

وصلت القوات المتراجعة خط مرسى البريقا في ٢٠ تشرين الثاني . وتجمعت الوحدات المرة الاولى في منطقة اجدابيا . وتثبتت الجبهة من جراء الوحول المتراكمة . واحترقت ثماني طائرات اثر هبوطها على ارض المطار بفعل قصوف العدو وكانت تحمل الوقود للجيش . وغرقت الباخرة جيورانا حاملة الزيت وكانت تشحن مقدار ٣٩٠٠ طن وقود ونسفت بطوربيد جوي من قبل طائرة بريطانية امام ميناء مصراطة . وكانت السماء ماتزال تمطر الارض بسيولها الهاطلة كأنها تحاول اطفاء سعارها المحرق الذي عانته ابان الايام الطويلة الدامية في معارك الصيف اللاهبة .

الفَصلُ السّابعُ

بين مرسى البريقا وتونس

تشرين الثاني الحالك

WISCHEN TUNIS UND MARSA EL BREGA

Dusterer November

في الثاني من شهر تشرين الثاني بينما كان الجيش المدرع يقاتل في جوار سيدي عمر ومضيق حلفايا اتخذت تدابير جديدة كانت تقررت ترتيباتها في معسكر الحلفاء اثناء محنة الصيف الماضي وقد حان وقتها وآن أوانها الآن لتوضع موضع التطبيق والتنفيذ .

أنزل الحلفاء في شمال افريقيا فرقا بريطانية وأميركية في مقاطعات الجزائر ومراكش واعطيت لها مهمة واسعة المدى . وكانت هذه المهمة تنص على التقدم عبر الاراضي التونسية لقطع الطريق الاساسية الممدة لتموين جيوش المحور في طرابلس الغرب واستعجال تدمير جيش رومل المدرع وتأمين التلاقي مع الجيش الثامن البريطاني المتقدم من الشرق . وحال انتهاء احتلال افريقيا الشمالية تبدأ عمليات احتلال جنوب القارة الاوربية على الفور . وقد تقرر اجراء الانزال في مطلع عام ١٩٤٣ :

وبصورة عاجلة انزلت عن طريق الجو قوات محورية لم تستطع في بادىء الامر جلب اسلحتها الثقيلة معها . وبالرغم من الفوضى القائمة تمكنت من احتلال ميناء تونس بغارة جوية مفاجئة وتمكنت من تنظيف المنطقـــة الواقعة حول ميناء بيزرت . واقيم رأس جسر كان يزداد قوة ومناعة يوما بعد يوم . ومن حسن حظ الحلفاء ان القـوت الافرنسية في تونس لم تبد أية مقاومة ضد قوات الحلفاء التي انزلت على الشاطىء الافريقي والتي تمت حركاتها وعملياتها بمنتهى الحيطة والحذر . وكان من السهل عليهم احتلال تونس وايجاد وضعية تختلف بالنسبة لقوات المحور . وقد ازيلت طرابلس من قبل طائرات تنطلق من المطارات التونسية وتقدمت قوات الحلفاء على الساحل دون ان تلاقي اية مقاومة . وظهر ان الحرب في افريقيا لا بد أن تنتهي قبل نهاية العام .

وساعد تردد العدو وبطء حركاته قوات المحور على تنظيم جبهة دفاعية في تونس بكل هدوء وسكون . ويظهر ان العدو نال بسبب هذا العمل نتيجة هامة جداً . ويحتمل انه قصدهذا الابطاء عن اعتماد ورغبة . وقد ارسلت الى رومل كافة المعدات والقوات التي سبق ان طلبها بالحاح والتي رفضت المرة بعد المرة وجمعت بسرعة هائلة لا يكاد يصدقها العقل . وظهرت بصورة واضحة كافة الاخطاء التي وقعت من جانب الالمان والايطاليين في الساعة الاخيرة . فلو ان المحور ارسل في الصيف الى جبهة العلمين القوات والمدافع والدبابات والمدرعات والوقود وقطع التبديل ومواد التموين التي اجبر على ارسالهـا الى تونس في الشتاء لسقطت مصر بدون ريب في ايدي قوات الجيش المدرع منذ زمن طويل ولأمكن تحاشي فاجعة تشرين الاليمة .

ولكن الوقت كان متأخرا والنجدة عديمة الفائدة . وليتساءل المرء الآن لماذا ضرب بكل التعهدات والوعود السابقة عرض الحائط وتطايرت مع ذرات الهواء أمر واحد كان بيناً وظاهرا وهو أن الروسيا لم تبتلع

كل الموارد الحربية وكان في الامكان اعداد وايجاد ما تتطلبه الجبهة الافريقية لو احسن الحساب . وكان المارشال باستينكو يقول بمرارة اليمة عندما شاهد حملة ليبيا تنقلب الى أسوأ منتظر وأشنع مآب لو ان كل وعود روما التي كيلت له جمعت ورتبت اجزاؤها بعضها فوق بعض لتجاوزت في ارتفاعها أعلى قمة في افريقيا ولاستطاع رومل رفع هذا المهاد عالياً وعالياً جداً .

بدأت المعركة في ٢٣ تشرين الاول واستمرت الجبهة تصد العدو حتى الرابع من تشرين الثاني اليوم الذي شحت فيه الوقود والذخائر وتأخرت النجدة التي تقرر ان يكون قوامها ٣٠٠٠٠ الف جندي لاملاء الشواغر . ثم تلى ذلك اليوم الاخـــير الانسحاب على خط فوكا الذي اخترق في اليوم التـالي .

وكان في الامكان ايقاف قوات مونتغمري اياما أمام حقول الالغام في مرسي مطروح ولكن قواته البحرية كانت تزعج باستمرار الارتال المتراجعة . وفي الحادي والعشرين من تشرين الثاني تمكن الجيش الثامن من قسر مضيق حلفايا حيث تم امحاء فوجين ايطاليين وفوج مدفعية المانية . وحدثت أزمة قصيرة في العظم وفي طبرق . وقد اعيدت الجيوش لايقـاف تقدم العدو ثم انطلقت الارتال الواحد تلو الآخر الى منطقة برقه البيضاء . وفي هذا الوقت احتل الفيلق الالماني والفرقة الالمانية التسعون الخفيفة خطوط دفاع الغزالة . وكان التراجع فيما بعد يسير خطوة خطوة حتى الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني بصورة ان الطلائع الخلفيـة تمكنت من دخول منطقة البريقا المحصنة .

وأثناء هذه الاسابيع الدقيقة كانت وحدات الهندسة تحت امرة الجنرال بولوفيوس « G. Bulovius » تقوم بعمليات خارقة وعملت اعمالا مجيدة من اجل استيعاب وايقاف العدو . وكانت تلغم كل الطرقات والمسالك



صورة المارشال رومل بلباسه المارشالية

متراً بعد متر وشبراً بعد شبر . وكانت الالغام الكاذبة تتناوب مع الالغام الصحيحة التي لا تستطيع كشفها اجهزة كاشفات الالغام الخاصة . وكانت تنسف الطرق الهامة فتجعلها منحدرات خطرة . وكانت المصائد توضع في هياكل السيارات المتروكة على حافة الآبار واطراف الحفر والطرقات وابواب المنازل وتحت جزوع النخيل التي كان يركن اليها محاربو العدو اثناء الراحة . وكانت تتطاير انفجاراتها في كل مكان وتأخذ معها من محيت اسمائهم من عالم الاحياء . لقد سطرت هذه الوحدات الهندسية بأعمالها وحركاتها الجريئة التعميرية والتخريبية في هذه الحرب اعجب القصص وأروعها . كل هذا الابداع العظيم مدين لعقل روميل في ايجاده وتنفيذه. وكان المارشال باستيكو قد احتاط مقدما لتأمين خط دفاعي جديد على جبهة مرسى البريقا الذي بلغ طوله ١٧٠ كيلو متر بينما لم يكن خط دفاع العلمين سوى ٧٠ كيلو متر . ووطد في هذا الخط فرقة سبيزيا « Spezia » و بيستويا « Pistoia » وبينهما فرقة الشباب الفاشي التي استُدعيت من قطاع سيوه . وكانت كشافة الاشغال ضعيفة جداً . ولم يكن في واحة مراده التي تهيئ حماية الجانب الايمن سوى فوج وطني وبطارية واحدة . وكان خط المقاومة يتألف من نقاط استناد متفرقة ينفتح بينهما فرجات يتراوح عرضها بين ٤ الى ٦ كيلومترات . وكانت حقول الالغام قليلة العمق والكثافة . وتشتمل على حوالي ٣٠٠٠ لغم وأعني ١/٧ من مجموع الالغام التي زرعت امام جبهة العلمين . وفي هذه المواضع توطد الجيش المدرع وتربص على الدفاع وقد اشتملت وحداته على القوات التالية:

— الفيلق الالماني = عداد فرقة مشاة

— الفرقة الخفيفة التسعون = عداد فوج مشاة ونصف الفوج

— الفرقة ١٤٦ = ٣٠٠٠ آلاف جندي بدون اسلحة ثقيلة وبعضهم بدون بنادق

– لواء المظليين = عداد فوج فقط .
– الفرقة التاسعة عشر = عداد كتيبة .
– مدفعية الجيش = ثماني بطاريات من اصل سبعة عشر بطارية .
– الفيلق العشرون = مؤلفاً من كتيبة مشاة ذات عداد منقوصة
ودون دبابات ومدفعية ؛ بينما كان لديه سابقاً ٢٢٠ مدفع و ٥٥٠ مدرعة .
ويلاحظ ان وضعية الاسلحة الثقيلة كانت مرتبكة وخطرة . وكل ماتبقى لدى الفيلق الالماني ٣٥ دبابة من اصل ٣٧١ دبابة و ١٦ سيارة استطلاع من اصل ٦٠ سيارة و ١٢ مدفعاً ضد المدرعات من اصل ٢٤٦ و ١٢ مدفعاً ثقيلاً من اصل ٦٠ مدفع ومدفعين من عيار ١٠٠ مم من اصل ٨ مدافع ولم يبق لدى الفرقة الخفيفة التسعين سوى مدفعين ضد المدرعات بدلا من ٢٠٠ مدفع والفرقة ضد الطيران ٤٠ مدفعاً عيار ٨٨ مم من اصل ٧٢ مدفع و ٢٠ مدفعاً عيار ٢٢ من اساس ٢٢٥ مدفع .

وكان المظليون يملكون ٢١ مدفعاً من اصل ١٠٢ مدفع ضد المدرعات ، ومدفعين من اصل ٢٤ وتبقى لدى مدفعية الجيش ٢٤ مدفعاً من اصل ٥٦ ما عدا فرق المشاة الايطالية تحت قيادة الجزال باستيكو التي كانت تملك بعد عدداً اوفر من المدافع الخارقة للدروع ، ولكن جنود السدنة كانوا قليلي الخبرة والتدريب في هذه المعدات .

وكانت المهات تزداد صعوبة من جراء نقص التموين بالذخائر . وكانت الجنود يحملون نصف وحدة نارية وبالكاد كان يوجد وحدة كاملة في طرابلس وكميات الذخائر الضرورية تنقص عن هذا الرقم . وكان مصروف الوقود اليومي في هذه الايام يبلغ ٤٠٠ طن والتموين يغطي اربعة أيام كاملة ويعني ١٦٠٠ طن . ونقص تموين الاعاشة الى أدنى مستوى في بعض الوحدات الى حد انها لم تتلق خبزها اليومي طيلة اسبوع كامل .

هذه وضعية الجانب الالماني ولننتقل الآن الى المعسكر البريطاني .
كانت الفرقـة المدرعة البريطانيـة ترابط في منطقـة مزوس — انتيلات والفرقة اليوزيلاندية الجديدة تتوطد على جانبي طريق اجدابيـه . ونظم مونتغمري وسائل تموين جيشه بعناية تامة ولامد طويل . وكان على استعداد تام للقيام بهجوم في منتصف كانون الاول بمجموعة قواته او على الاقل بقوة تتألف مباشرة من فرقتين مدرعتين واربع فرق آلية . وهذه القوة تشتمل في مجموعتها على ٤٠٠ دبابة و ٤٠٠ مدفع و ٥٠٠ مدفع ضد الدبابات. وكان في وسعه والحالة هذه ان يقوم بهجومه المنتظر قبل ان يصل الى الجيش المدرع الالماني اية نجدة تذكر . وكان يرغب في تطويق الجيش المدرع في منطقة مراده ، ويحاول ان يقطع عليه طريق التراجع والتقدم بصورة مستقيمة باتجاه طرابلس . واذا أراد العمل باطمئنان وأمان فما عليه الا ان ينتظر لوقت قصير وصول مجموعة قواته المؤلفة من الفيلق العاشر والفيلق الثالث عشر والفيلق الثلاثون كي يصبح في حالة يستطيع معها اطلاق هجومه الكاسح على مواضع مرسى البريغا بقوة قوامها ثلاث فرق مدرعة وثماني فرق مشاة . فاذا امكن في هذا الوقت تنسيق العمليات الحربية المنتظرة مع القوات الانكليزية — الاميركية الزاحفـة الى تونس اصبح من السهل التنبأ بمجري الحقائق القادمة . وكانت قوات انزال الحلفاء في شمال افريقيا تشتمل في بادئ الامر على فرقتين مدرعتين وأربع فرق مشاة أميركية والفرقة الـ ٦٥ البريطانية .

ولا يخفى بأن الجيش الثامن البريطاني ذاته اصيب بخسائر جسيمة من جراء الالغام التي بثتها القوات الالمانية المتراجعة ولكن الفراغ الحادث في العداد والمعدات سد على الفور واكملت الشواغر دون ابطاء . ويجب ان لايغيب عن الفكر نسبة القوى المقابلة في المعسكرين المتحاربين . واذا عنّ لنا اجراء محاكمة قياسية عن ماهية القرارات المتخذة من قبل القيادة

الالمانية بعـد فهم حالة ووضع الجيش المدرع لتبين عدم امكانيتـه المطلقة تنفيذ الاوامر المعطاة .

لقد كان واضحاً جلياً ، بأن العدو سيهاجم سعياً لتحقيق قرار معين . وهو بلا شك سيحصل عليه بصورة قاطعة حاسمة . وبالطبع ففكرة روميل كانت تنحصر في عدم قبول القتال على اساس الوضع الراهن بل بسحب القوات الى مواضع جديدة في البويرات ، وان يقوم فقط بعمليـة تأخير تقدم العدو واجراء حركات وعمليات بواسطة قواته المتحركة ثم الانسحاب على الطريق الساحلية . وهذا يعني إخلاء مطارات منطقة السرت التي يستعملها العدو لقصف ميناء طرابلس وتهديد طريق مواصلات المحور وحزف اهمية منطقة طرابلس من ميدان العمليات الحربية ؛ وبالتالي منح الفرصة التامة لجزيرة مالطة لاستعادة شأنهـا وقوتها لتلعب دورها الفعال في العمليـات القادمة . والمهم في الوضع هو عدم انتظار هجوم العدو على موضع البريغا كي يتمكن الجيش المـدرع من الانكفاء . اما قبول الموقعة الحاسمة فمعناه تدمير القوات الاخيرة الباقيـة والتعجيل في قطع طريق طرابلس نهائياً وبالتالي أيضاً تسهيل سقوط رأس جسر تونس . والحل الوحيد هو اجراء انكفاء متوالي من شأنه ان يؤخر تقـدم العدو السريع والسماح للقوات الراجلة والمشاة بالانسحاب في الوقت الملائم كسباً للوقت وهذا كثير جداً بالنسبة للوضع وأقصى ما يستطيع الجيش المدرع اجرائه اخيراً .

وافق الجنرال الباسل نافاريني قائد الفيلق الواحد والعشرين على الخطة . وليس في وسعه ان يتصرف تصرفاً آخر مع العلم ان فرقته التي شكلت حتى الآن الاحتياط العام للجيش لم تكن لديها الخبرة الكافيه في القتال وانها في نظره غير قادرة على مجابهة ومقاومة هجوم عنيف قوي كالهجوم البريطاني المنتظر .

ومن الواضح ان خطة روميل لم تحفل بمسألة تعزيز الطيران . وقـد

سبق ان اعلن عن مساعدة الطيران الممكنة التي وعد بها من قبل الفوهرر في شهر تشرين الثاني ولكن الواقع فوق الارادة . فالطائرات غير موجودة والوقود مفقودة ولم يكن هـذا الامر بالسر المكتوم وخاصة بالنسبة الى الجيش المدرع .

وضعت هذه القوات تحت قيادة المارشال باستيكو القائد العام للقطر الليبي . ولم تجر اية مناقشات حول الموضوع بين القيادتين الالمانية والايطالية لان أمراً صدر عن مقر قيادة الفوهرر وموسوليني ومآله « الدفاع عن مرسي البريغا » ولم تتم الموافقة على خطة البوريرات التي أمست عديمة الفرض والفائدة . وفي هذه الاثناء عقد اجتماع خاص في قرية « اكرو دوفيليني » في صحراء السرت حضره المارشال كيسرانغ القائد العام للجبهة الجنوبية والمارشال كافاليرو وعدد من القادة والضباط الالمان والايطاليين من ذوي المراتب العليا للبحث والتداول في الوضعية واقرار ما يتوجب عمله ازاء الحالة الراهنة فبرهن رومل من جديد عن انعدام الامكانيات المطلقة من اجل توطيد مقاومة قوية على الموضع المذكور والتهيء لاستئناف العمليات الهجومية في المستقبل . فلم يتجرأ احد على اتخاذ اي قرار ايجابي في هذا الصدد لافي هذه الجلسة ولا في الجلسات العديدة التالية .

وفي هذه المرة كما في المرات السالفة جرى الحديث حول الامدادات والنجدات الجديدة من مدافـع ودبابات ومدرعات ومدافـع ضد الدبابات ووقود وطائرات وخلافها . ولم يجهل كافاليرو بأن الثمانين طناً المستوردة كل يوم على مسافة ٨٠٠ كيلو متر الفاصلة بين طرابلس والجبهة لاتكفي لتموين القوات بالاعاشة والتموين فقط . وكان يريد ان يعرف أي رقم يجب اعتماده من اجل اعادة اكمال المواد الاحتياطية . وكان هذا الرقم معروفاً جداً وهو ٤٠٠ طن في اليوم . ولكن لا كيسرلنغ ولا كافاليرو لم يتمكنـا من اقرار الوصول الى جوهر المسألة . فالاول لم يكف عن العودة

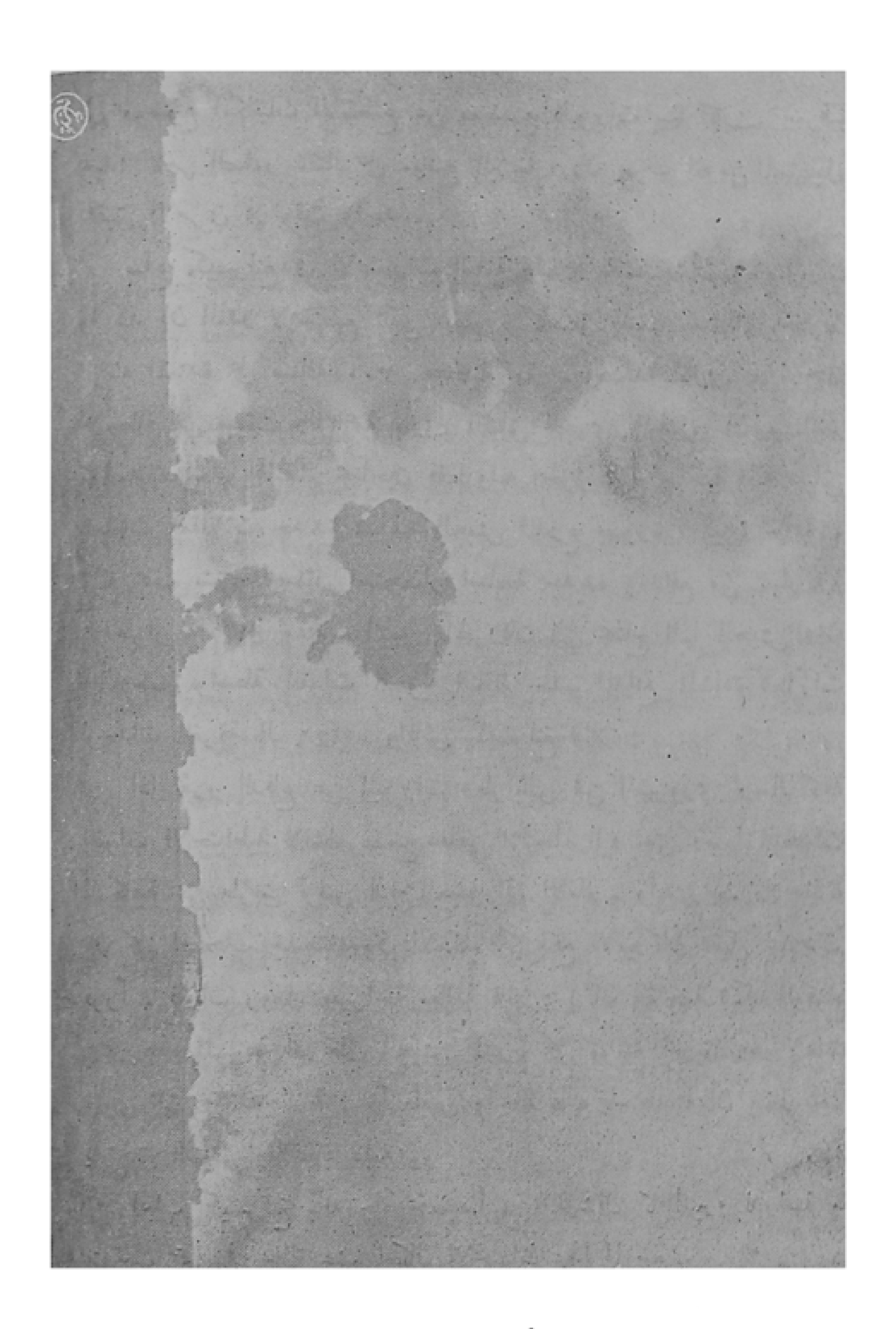
الى موضوع امكانيات الانقطاع عن موضـع البويرات بينما كان يعرف جيداً الامر الصادر للقتال على موضع البريقا وكان يعرف انه من المستحيل تحقيق الامرين في وقت واحد .

ضاع كيسرلنغ في الاعتبارات العامة وابدى دفاعه بشأن موضع البريقا واكد بان العدو لايستطيع التهيؤ بصورة كامـلة بسبب استطالة خطوط تموينه الممتدة على مسافة ٣٠٠ كيلو متر . وهكذا كان من جملة الاخطاء التي سبقت والزاعمة بأن الفيلق الجوي العاشر كان يهـاجم مواصلات العدو بانتظام بجناحين فقط وانه احرز نتائج ساحقة وانه سيلاقي قاصفات ومقاتلات جديدة لمساندة الجيش المدرع بصورة اكيدة حاسمة ، وانه يجب بشتى الوسائل استحضار اسلحة جديده ومدافع من عيار ٨٨ مم طراز عام ٤١ ودبابات النمر والحروقات التي يحتاج اليها الجيش وان في وسعه بواسطة القوات الجوية الناقلة جلب المدافع المضادة للطائرات لوحدات الفرقة الـ ١٤٦ . وافاض كيسرلنغ قائلا :

اذا تقرر الدفاع عن البويرات وطرابلس فمن الضروري ارسال كافة القوات الاحتياطية لانشاء موضع دفاعي للالتجاء اليه حتى وصول النجدات الـكافية عن طريق تونس لدفع الجبهه الى الامام . وابدي ايضاً ملاحظاته بان كل انسحاب جديد يسوق الانكليز كما يدفع الاميركان للقيام بهجماتهم فوراً . فاجاب رومل بصراحة مطلقة قائلا : (ان الفاجعة ممكنة الوقوع بمثل هذه السرعة اذا ظل الجيش المدرع على موضع البريقا وهو لايملك سوى ثلث وحدة نارية . اذاً فايس والحالة هذه باستطاعته ان يعمل شيئاً يستحق الذكر والاعتماد عليه .

اجاب كيسرلنغ بأنه جاء خصيصاً مع المارشال كافالـيرو لدراسة ما يتوجب عمله في حالة عدم امكان الاحتفاظ بهذا الموضع .

هز رومل كتفيه قائلا : اننا متأخرون ومتأخرون جداً لايجاد واعتماد



معركة دبابات السلوم

أي حل آخر . لقد اتخذ القرار واعطيت الاوامر الدفاع في اماكننــا . وأبدى كيسرلنغ بأن الفوهرر كلفه منذ عدة ايام بمسؤولية التموين وانه سيعمل كل ما في استطاعته ليمكن الجيش من المقاومة مع العـلم بأن التموين لا يمكن أن يصل دفعة واحدة ، وانه سيتقاطر تباعاً مع الاسلحة الجديدة التي سيكون لها تأثيرا فعالا جداً .

كل هذه الاقوال كانت بعيدة عن حقائق الجبهة ، وما هي إلا أقوال وكلمات ليس لها قيمة يعتمد عليها . وأبدى رومل ملاحظته المدعومة بالخبرة التي عاناها في جبهة العلمين قائلاً : (ان الطيران البريطاني ليبدد مقاومة الجيش الدفاعية في اقصر وقت ممكن وحتى قبل أن يبدأ الهجوم بوقت طويل . هذا قول مشهود اجاب كيسرلنغ : واني لافكر بامكانيات حـد نشاط الطيران البريطاني باستمرار مهاجمة مطاراته من قبل وحدات الطيران الالماني المعززة . وأضاف بأن هذا الطيران توفق في منطقة بوجي من تدمير ٨٠ في المائة من طائرات العدو التي كانت جاثمة فوق ارض المطار المذكـــــور .

ولكن رومل ما كان ليؤمن بقوة الطيران الالمـاني ولمّــا يتلقّ بعد النجدات الموعودة وكونه في حالة قوية من شأنها أن تطور او تعدل بصورة حاسمة وضعية الجيوش البرية واستطرد يقول : (ان العدو يستعمل كتلا جوية من القوة والعدد بحيث ان يكون جهد طائراتنــا بالنسبة اليها إلا هباء أو كوخذات الدبابيس بالنسبة الى عملياته الجوية الساحقة . ويكفي ان يستعمل طائراته المساندة المشاة لتدمير كل عمليات تموينا .

وسأل كافاليرو عندئذ اذا كان في الامكان حقاً تقوية وتعزيز سلاح الطيران . كلا ! أجاب كيسرلنغ ليس ذلك ممكناً في الوقت الحاضر ولكن الفيلق الجوي العاشر سيعمل كل ما في وسعه ومقدوره من العمل لمساعدة القوات البرية .

وأخيراً انتهى روميل بالقاء السؤال الجديد التالي : « ماذا يحدث اذا تمكن العدو من تثبيت الجيش المدرع على الجبهة في الايام القريبة القادمة وعمل على إحاطته بقوات هائلة ؟ . خيم السكوت آنئذ على القادة ، السكوت الأثيم على سؤال لا جواب له في عرف الفن العسكري سوى قبول الواقع وهو الاستسلام والهلاك . وقد شعر القادة المتحدثون بأن روميل يقصد من قوله الاساس التالي :

« كل جيش محارب ثبت او طوق معاً فاما ان يستسلم او ينتحر » .

استأنف كافاليرو حديثه بعد سكوت لا يجيب على سؤال روميل بل ليتحدث من جديد عن قدرة التفريغ الممكنة في ميناء طرابلس ، هذا الحديث الذي ليس له أية علاقة بما سبقه . وطلب المجتمعون ايجاد حل قطعي لهذه الحالة القائمة . فأجاب روميل على الفور : « اني سأتربص على الدفاع في الموضع المختار حسب الاوامر الصادرة ولكن في حالة تمكن العدو من اختراق الجبهة الدفاعية فانني اناور حالا لاخراج قواتي من حلقة الوقوع في الأسر .

وفي الايام التالية بدأت الاخبار السيئة تتوارد تباعاً . وعُلم بأن جنود الفرقة الـ ١٦٤ الذي يبلغ عددهم ٣٠٠٠٠ جندي ليس لديهم خياما يحتمون بها من عادية الامطار الهاطلة . فأرسلوا الى طرابلس ليستريحوا وليتجهزوا بالسلاح والمعدات اللازمة . ولم تتلق وحدات المظليين خبزهم منذ خمسة أيام . وهوجمت السفينة الجيرينو « Algerino » التي كانت تحمل الذخائر والوقود ونسفت واغرقت قريباً من ساحـــل البويرات .

وغداة هذه الايام اعلن بأن الاعاشة ستتأخر اسبوعاً كاملا ، ويعني ان الارزاق لن تصل قبل كانون الاول . وفي نفس اليوم وردت اوامر من القيادة العليا للميدان الجنوبي تنص على ارســال قوات الى قابس في تونس التي تم احتلالها من قبل قوات الديغوليين في منتصف شهر تشرين

الثاني وتوجب استعادتها من قبل الافواج الايطالية . وقد نفذ الامر فوراً بتسيير جمهرة الاستطلاع الثالثة ولم تصل بعد اية اخبار تدل على ان الوضعية اعتراها اي تطور او تبدل .

سلم رومل القيادة العامة للجيش المدرع الى الجنرال فيهن « G' Fehn » القائد الجديد للفيلق الالماني وأقلع بالطائرة الى مقر قيادة الفوهرر العام ليعرض عليه رأيه في الحالة الراهنة . وكان يرمي من وراء هذه الزيارة اطلاع القيادة على وجوب نقل القوات الالمانية ذات القيمة الحربية الممتازة في حالة عدم نجاح العمليات الحربية في تونس ، وانتزاع آلاف الجنود الممرنة المدربة من ايدي العدو .

أظلمت الدنيا في وجه الفيلق الالماني ولكن شعاع من الامل انبعث من أعماق هذه الظلمات لينير الافق ولو لأمد قصير . وفي غمرة هذا الظلام الدامس ، وصلت السفينة هانس هارب « Hans Harb » التي ضُربت من قبل العدو منذ مدة الى الشاطىء قرب منطقة الجبهة وكانت مشحونة بالمواد الغذائية والوقود وتم تفريغها على الفور . وكان الفيلق في أمس الحاجة الى هذه النعمة غير المنتظرة .

ترك رومل مقر قيادته في الثامن والعشرين من الشهر الثاني في الساعة الثانية صباحاً فوصل في الساعة السابعة عشر الى مقر قيادة الفوهرر . فهل قدم هذه المرة ليضرب على أجنحة طاحونة الهواء او جاء ليتلقى الاوامر المطبوعة المشبوعة بالتفاؤل الواسع الذي يسيطر على أجواء برلين وأرجاء المقر العام الذي يحركه فقط التصميم العنيد الاعمى للغلبة ؟

وكان كما عهده لم يتغير فيه شيء البتة منذ اليوم الذي اعطيت له فيه الوعود الاحتفالية السخية من قبل الفوهرر في الرابع من تشرين الثاني القاضي بارسال كل مطالب الجيش المدرع بسرعة وسخاء من مواد وممدات

ضرورية وكل الاسلحة الشاغرة . ان المعركة الخلفية الدائرة كانت أكثر ارهاقاً للاعصاب من تهديد فيالق مونتغمري الثلاث . وكان المارشال مع ذلك مصمما للمرة الاخيرة على اجراء كل محاولة لانقاذ جنوده باعتبـاره المسؤول عنهم والمكلف بأمرهم .

عرض روميل وجهة نظره التي لم تتغير ولم تتبدل . اننا نتخيل التأثيرات التي ستحدثها حججه وبراهينه . انها ليست التأثيرات التي يحـدثها بروز الاسد بين قطعان الغزلان البريئة ولكنها من الطراز الهائل التي تشبه وقع الاحجار المتساقطة على السقوف المسلحة . ان ستار الثقة العمياء بالنصر كان من الغلظة بحيث لا يستطيـع تبديده وتمزيقه في هـذا الجو المليء بالاوهام الخفية . انه لمن الصعب ان يدخل مجاله الرهيب شعور الحقائق المقدسة . اجل ان ميدان شمال افريقيا قد يشكل ساحة عمليات حربيـة ثانوية ولكن كان في الامكان مع ذلك قهر بريطانيا في هذا الميدان والتضيق عليها بقوة في الميادين الاخرى .

عرض المارشال اعتقاده الجازم بأنه من المستحيل المحافظة على افريقيا طالما لم تتعدل اوضاع التموين في اساسها ، والتي لم تتعدل حتى في الظروف التي كانت اكثر ما تكون ملائمة ولم يكن من الممكن الحصول على تموين كاف . واذا تعذر اقرار تغيير هذه الوضعية الحرجة بصورة حاسمة عاجلة فليس أفضل من العمل على نقل القوات الالمانية الى اوربا بدون ابطاء . وفي الحالة الراهنة يستحيل الدفاع عن افريقيا . وبالاضافه الى ما تقـدم فالفرق الايطالية لم تحسن التمرس على القتال طيلة هذه المدة وليس لهـا أية قيمة حربية يعتمد عليها . وانتهى بعرض التقرير التالي على مطـالعة الفوهرر والى القارىء بيان التفاصيل :

القوات الالمانية

المعدات : ١٠٠٠٠ جندي بدون سلاح

المدفعية تملك : ١٠٣ وحدة نارية فقط

ــ الفيلق الالماني ويشتمل على ٥٤ دبابة و ١٨ سيارة استطلاع و ٦٦ مدفع ضد الدبابات ومدافع مختلفة .

وتشمل الوحدات التالية على المعدات التالية :

ــ الفرقة الخفيفة التسعون : ٦ سيارات إستطلاع و ٤٣ مدفعاً ضد الدبابات ومدافع مختلفة .

ــ فرقة الدفاع الجوي التاسعة عشر : ٤٨ مدفع من عيار ٨٨ مم و ١٢٠ مم .

ــ مدفعية الجيش : مدفعين من عيار ٧٢ مم و ٤ مدافع عيار ٨٧،٦ و ٧ مدافع عيار ٥٠ مم و ٣ مدافع ثقيلة و ٨ مدافع هاون عيار ١٧٠ مم و ٢١٠ مم .

ــ المظليين : ٢٢ مدفع ضد المدرعات .

ــ كتيبة المدرعات الرماة التابعة للفرقة ١٦٤ : ١٥ مدفع .

العـــداد :

العداد المرابطة على الصعيد الافريقي :

- ٦٩،٣٦٥ جندي منهم :
- ٥٠٠ جندي بحار
- ٢٢،٠٩٩ جندي من سلاح الطيران
- ٤٦،٧٦٥ جندي قوام الجيش المدرع
- ٥،٥٢٧ عداد الفرقة الخفيفة التسعين
- ٤،٧٠٢ الفرقة ١٦٤
- ٦،٥٩٠ العداد التابعة لمصالح التموين والمصالح الخلفية

القوات الايطالية :

المعدات :

— الفيلق الواحد والعشرين ويشتمل على :

٣ سيارات استطلاع و ١٦٤ مدفع ضد المدرعات و ٢١٨ مدفع من عيار ٦٥ مم الى عيار ١٥٠ مم .

— الفيلق العشرون :

١٩ سيـارة استطلاع و ٤١ دبابة و ١٥ مدفع ضد الدبابات و ٧ مـدافع .

ومنذ الثالث والعشرين من شهر تشرين الاول حتى ٣٠ تشرين الثاني بلغت الخسائر العدد التالي :

	القتلى	الجرحى	المفقودون
القوات الالمانية	١،١٢٢	٣،٨٨٦	٨،٠٥٠
القوات الإيطالية	٩٧١	٩٣٣	١٥،٩٣٨

لائحة تعداد قوات العدو المقابلة :

— ٤٠٠ دبابة ومدرعة

— ٣٠٠ سيارة استطلاع

— ٣٦٠ مدفع خفيف

— ٤٨ مدفع ثقيل

— ٥٠٠ مدفع ضد الدبابات

وضعية الجيش :

وفي السابع عشر من تشرين الثاني نضبت كافة الوقود . ووصلت سيارات الجيش المدرع خطوط البريغا فارغة الخزانات ومن جراء نفاذ الوقود شلت حركتها تماما .



مراقبة موقعة طبرق وظهور مدرعة معادية تحترق

وبفعل سعة المجال كان من المستحيل جلب الوقود عن طريق الجو. وفي هذه الاثناء وصلت ١٠ اطنان وقود الى موضع بويرات الحسون على بعد ٤٠٠ كيلو متر الى الغرب و ٥٠٠ كيلو متر عن طرابلس وتم نقلها طيلة عدة ايام . وفي التاسع والعشرين تشرين الثاني لم تملأ خزانات المدرعات الآلية . وكان التموين لايؤمن بصورة اعتيادية والاعاشة والماء كانا غير كافيين مطلقا والمدرعات لاتملك من الوقود مايسيرها اكثر من ثلاثين كيلو متر .

وقبل خمسة ايام وصلت برقية من المارشال كايتل Keitel تشير الى ان الفوهرر يوافق بدون تحفظ على القرار المتخذ من قبل موسوليني بشأن تأمين الدفاع بأي ثمن كان عن خط العقيلة — مراده ولكن كيف وبأي الوسائل ؟ وتقرر ان يرسل لهذا الغرض عدد كاف من الدبابات ومدافع الدفاع الجوي بقدر ماتسمح به وسائط النقل البحرية والجوية وان تعزز وحدات الطيران في حدود الامكانيات .

فماهي هذه الامكانيات الواردة في البرقية ياترى ؟

اما فيما يتعلق بعمليات التفريغ ليلا فقد اوقفت الاعمال في ميناء طرابلس وانقطع العمال عن العمل ليلا بسبب الانذارات الجوية المستمرة وكانت سفن التجريم الآليه المعدة لانزال البضائع والسيارات لنقلها الى الداخل معدومة .

وفي مطلع كانون الاول لم يبق سوى ٢٥ دبابة لدى الفرقة المدرعة الخامسة عشر و ٢١ دبابة لدى الفرقة الاحدى والعشرين و ٤٢ مدرعة في حوزة الفرقة الايطالية اريتيا . وقد وصلت برقية الماريشال كايتل قبل هذا التاريخ بثمانية ايام وبالطبع فهذه المدة ليست بالطويلة في مجرى وقائع الحرب ولكن كان كل يوم يمضي ويضيع يقرب المدى والاجل الاخيرين من الفاجعة .

وقد اتى رومل بصورة مفصلة على حالة موضع البريغا . وابان بان القسم الجنوبي منه بين مراده وماتن جيفر يمتد على مسافة ٩٠ كيلو متر والقسم الشمالي منه من جيفر الى البريغا يبلغ حوالي ٧٠ كيلو متر . وكانت الدفاعات والاستحكامات القائمة ضعيفة جداً تعوزها الاعماق الكافية لتمكين الدفاع بصورة عتيدة . ولما كان في المحتمل ان مونتغمري سيهاجم اولا على جانب طريق فيابالبيا لم يشغل الا القطاع الشمالي من الطريق . وكان كل فوج يشغل على الاقل جبهة طولها ثلاثة كيلو مترات . وبسبب هذه الكثافة الرقيقه واحتمال امكانية رؤية العدو يطوق الموضع للتقدم في اتجاه النوفلية . وكان من المتوجب الاحتفاظ بالقوات الآلية بمجموعة وراء الخطوط الخلفية . ومنذ السادس عشر تشرين الثاني وقبل الوصول الى البريغا طلب رومل بالحاح ارسال ٥٠ مدفع ضد المدرعات من عيار ٧٥ مم و٥٠ مدرعة من طراز مارك / ٤ و ٧٨ مدفعاً من عيارات مختلفة تتراوح بين ١٠٠ — ١٧٠ مم مع الذخيرة والسدنة والجرارات اللازمة ولكن حتى الآن لم يصل أي أشعار بان الطلب وضع قيد التنفيذ .

واشار رومل الى عدم امكان الاحتفاظ بهذه الوضعية وان مسألة الدفاع عن مواضع البريغا الدفاعية من قبل فرق الشمال الآلية غير مأمونة العاقبة لأن اي امتحان شديد يسبب انهيار معنوية الفرقة المذكورة والذي من شأنه ان يضع عملياً الجيش في وضع مشلول . وفي حالة حدوث احاطة او تطويق يجد الجيش نفسه امام حالتين لا ثالث لهما وهما اما ان يترك فرق المشاة الآلية الى مصيرهـا الخاص او ان يدفع نفسه الى التضحية الكاملة . ولذا استوجب سوق هـذه المشاة بعيداً الى بوربات التي في حدذاتها تؤلف ثقلا عديم الفائدة ، والاقتصار اخيراً على اشغال موضع البريغا اطول مدة ممكنة بقدر ماتسمح له به الوسائل والوحدات الشاغره

رفض هتلر كل فكرة ترمي الى اجلاء القوات الالمانية الى اوربا

واعلن وجوب المحافظة على مدينة طرابلس بأي ثمن كان قائلا وسيكون الامر كذلك وافاض انه من الضروري المحافظة على رأس جسر كبير في افريقيا لاسباب سياسية بحته . ولم يكن يدور في خلد هتلر اي احتمال قهري يفرض اخلاء طرابلس الغرب . فالجيش سيتلقى كل ما يحتاج اليه من السلاح والمعدات . ولاثبات هذا التأكيد اعطى أمراً فورياً بوجوب نقل السلاح والذخائر اللازمة الى افريقيا بشتى الوسائل ، وارسال النجدات اللازمة لا الى تونس كما كان مقرراً بل الى الجيش المدرع مع الدفعة الاولى من المدافع عيار ٨٨ مم الجديدة طراز عام ١٩٤١ . وكانت تصريحات هتلر هذه واضحة صريحة . واعتبر المارشال رومل ان رغباته تكاد تتحقق وبالاحرى تحققت بكاملها . ولم يكن احد اكثر استعداداً من هذا الرجل لتنفيذ ارادته . وكان يمثل بالفعل اعلى سلطة في الجيش . ووجد رومل نفسه في وضعية جد مزعجة . وكان يعتمد تقديم اقتراح سبق ان فكر فيه طويلا وهو ينص على جمع جيشه مع القوات المرابطة في تونس لتوطيد الوضعية الراهنة مشتركا في الغرب ثم الارتداد الى الشرق لمنازلة الجيش البريطاني . وكان يعتبر بأن الجبهتين القائمتين في افريقيا لا تشكل سوى جبهة واحدة ينقصها قيادة مشتركة موحدة . ولكن هذا الاقتراح بطل مفعوله بحكم القرار القطعي القاضي بالدفاع عن منطقة طرابلس الغرب . ولم يعد رومل يرى لزوماً لعرضه على المقامات العليا .

ولطالما برهنت الحادثات الجارية في المقر العام بأن المسؤولين كانوا يعتمدون افكاراً خاطئة عن الوضعية القائمة في الجبهة وكان من حسن الحظ ان استدعي رومل بصورة رسمية لمقابلة موسوليني بحضور المارشال غورنغ Marschal Gôering لتحديد بعض التفاصيل ومعالجة القضايا الهامة . وقد اتخذ في هذا الاجتماع قرار على جانب من الاهمية يتناول اهمال خطة عمليات البريغا بصورة نهائية . وابدى موسوليني رغبته الاكيدة

بعدم ضرورة خوض قتال حاسم في الوضع المذكور . ووافق على وجوب الانسحاب الى خط البورات ، هذا الانسحاب الذي من شأنه ان يقيم بين الجيش والعدو كافة منطقة السرت ، ويعني المنطقة الشاسعة الجرداء الخالية من الماء في الصحراء . ولكن فكرة روميل كانت تدور حول دمج الجبهتين الافريقيتين . وكان كلما فكر في النتائج التي تحققت في مقابلة هتلر ازداد في نفسه دافع الحل الجديد لاستئناف العمل بطريقة جديدة تختلف عن الطريقة السابقة فالانسحاب الى خط البورات اذا لم يكن له مداراً فان خسران طرابلس ليجعلها على مجال قريب من الطيران البريطاني المرابط في ليبيا ويصبحا مرفأي بيزرت وتونس عندئذ ميناء تموين الجيش المدرع .

اذاً فلماذا لا تؤخذ منذ الآن التدابير القطعية الفعالة من أجل ذلك ؟ وبالتالي فأن منطقة قابس التي انتزعت من الديغوليين والواقعة على خليج السدره الصغير تغطي جانب شط الجريد وتسيطر على المدخل الموصل الى الجبل التونسي حيث يشكل نقطة عتيدة لتوطيد خط الايقاف . وبالفعل فموضع البورات لا يمكن أن يطول دفاعه ولا أي موضع آخر اذا لم يتوفق الجيش في استعادة حرية العمل والحصول على أسلحة وذخائر ووقود كافية . وكانت لهذه الوضعية ميزات عديدة منها اكتساب الوقت ووضع العدو في مناطق جرداء خالية وتقصير خطوط الدفاع والمواصلات والتموين في آن واحد ، والسماح للطيران الالماني بالتدخل بصورة فعالة واضطرار الجيش البريطاني الثامن للبقاء في جوار الطريق الساحلية بسبب وجود البحيرات العديدة والمستنقعات القائمة في هذه المنطقة ، وبالتالي فان موضع البورات لا يشكل مع ذلك هدفاً متفقاً عليه ، ولذا وجب اختيار دفاع بعيد يشتمل على خط مقاومة اقوى واصلح وهذا الخط لا يمكن وجوده الا في منطقة قابس المتراصة .

وكان اعتماد هـذا المشروع إلزامياً مفروضاً بحكم الوضع الجغرافي والطبوغرافي معاً من حيث ان منطقة طرابلس لا يمكن الدفاع عنها دفاعاً مرتباً . بيد ان هتلر كان يرى غير ما يراه الآخرون . وقد برهنت محادثات روما الاخيرة عدم احتمال مواجهة العمليات الحربيـة السائرة او المناورات الهجومية في الوقت الحاضر . وكان يتوجب ايضاً الاستغناء عن استعمال مرفأ طرابلس . وكان يُحيط بمدينة طرابلس قرابة مليون شجرة نخيل تعيل السكان وحدها وتقتات بتمورها . فكيف للجيش اللجب البقاء في هذه الاراضي وخاصة في حالة اخلائها بعد تخريب ميناءها وتدميرها . مما يضطر العدو لنقل تموينه براً من مرفأ بنغازي التي تبعد ١٠٢٠٠ كيلو متر عن طرابلس ، بينما يؤمن تموين الجيش المدرع بسهولة وسرعة بعـد تركيزه في منطقة تونس ، ويصبح في مقدور الطيران الالماني ان يعمل على مختلف الجبهات ، وبالتالي تتمكن السفن الصغيرة والزوارق السريعـة في المياه الساحلية الجنوبية الضحيلة نقل المؤون والذخائر والمعدات والوصول بها الى سوسه وسفاقس وقابس دون ان تخشى عادية غواصات العـدو . وتتحرر وسائل النقل البرية من هـذه الخدمات للقيام بخدمات حربيـة اخرى . وعندما تتسع العمليات الحربية نحو الغرب والتي هي الغاية الاولى، فالجيوش المحاربة تستطيع ان تعيش على فيض البلاد الوافر . كل هـذه الاسباب كانت تبرر عوامل الجلاء عن طرابلس . حتى ان الايطاليين انفسهم كانوا يحبذون هذه الفكرة ويتحمسون لها .

وليس لهذه الخطة سوى محذورٌ واحد يتلخص في عدم امكانية السلاح الجوي الالمـاني الاشراف والسيطرة على طرابلس . ولذا لوحظ معارضة كيسرلنغ للخطـة بينما وافق موسوليني وكافاليرو على المشروع بالرغم من ضياع منطقة طرابلس . بيد ان روميل لم يتلق أمراً إلا بسحب الفرق الايطالية الآلية على خط البويرات والانكفاء فيما بعـد بقواته الالية دون

ان ينساق الى قبول القتال .

وجرت في واحد كانون الاول محادثة في المقر العام الايطالي ترأسها المارشال غورنغ وضمت كيسرلنغ وروميل وكافاليرو وممثلين عن البحيرتين الالمانية والايطاليـة والمحافظ كاوفمان « Der Gouleiter Kaufman » مفوض النقل العام . واشار غورنغ الى ان تونس تشكل الان النقطـة المركزية للجهود في افريقيا ، ولن يتأخر موعد تعيين امكانية المحافظـة على رأس الجسر ، وحتى هذا الوقت كان يتوجب على الجيش المدرع ان يشغل موضع البويرات لمنع طيران العـدو من حرية التصرف في ارجاء المثلث الجامع بين الجزائر ومالطـة وطرابلس من حيث يستطيع تدمير مرفأ تونس وبيزرت . وكان لا بد من احداث تطور اساسي في الشروط التي بموجبها يجري تموين الجيش المدرع . وكان يتوجب ضمانـة الدخول الى مرفأ طرابلس وسوق اكبر عدد ممكن من السفن . فاقترح غورنغ قطع البحر المتوسط الى قسمين وبث شبكات مضاعفـة من الالغـام بين تونس وصقلية لحماية النقل البحري على الاقل من غواصات العدو واستخدام القافلات الليليـة على سياق واسع . واتى على ذكر ارتاجات الالغـام الانكليزية الممتدة من مصب نهر التايمس الى ايقوسيا حيث كان يجري التفريغ بكل اطمئنان وامان .

وأثار الاميرال الايطالي ريكاردي « Admiral Ricardi » اعتراضات حول موضوع بث الالغام البحرية ولكن هذه الاعتراضات ردت من قبل المارشال غورنغ قائلا : (ان ما امكن عمله في ميـاه بحر الشمال الذي تجتازه التيارات المائية العنيفة والمعرض لمختلف العواصف لأسهل اجراءً في مياه البحر الابيض المتوسط . وكانت البحرية الايطالية تعتنق افكاراً حربيةً ، عتيقة وكانت كل استدرا كاتها قديمة العهد . وكان يتوجب وضع قواعد جديدة لعمليات الشحن والتفريغ من السفن وتنظيمها تنظيما حديثاً

متقناً . وكان على مفوض النقل (كاوفمان) ان يستحضر ابرع الاخصائيين في هذه العمليات من ميناء هامبورغ كما توجب على الحزب الفاشي والجيش الايطالي القيام بجهد مماثل . وكان يقتضي اجراء العمليات المذكورة بدون انقطاع مع استبدال الورشات العاملة كل ثماني ساعات على التوالي . وحماية للعمليات واقتضى توطيد مائة بطارية مدفعية معدة لحماية المرافىء من الغارات الجوية .

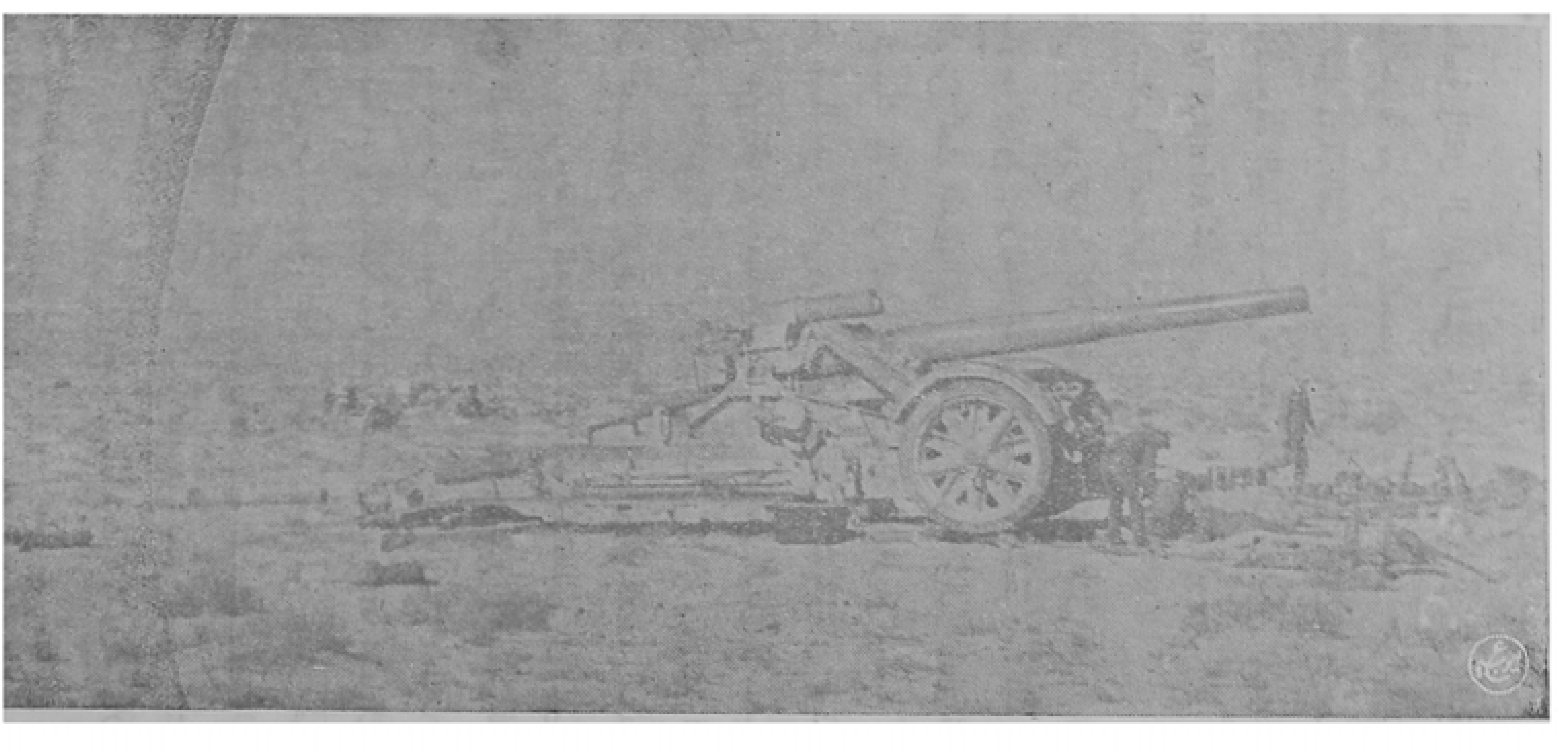
وضع غورنغ اصبعه بالضبط على الجرح وعلى النقطة الحساسة لهذا النظام . وكان من جراء التأخير في التفريغ واهمال التدابير المقررة ان فقدت كثيراً من الشحنات او اغرقت بالفعل من جراء الغارات الجوية .

وكان عمال المرافىء العرب ينتابهم الزعر والخوف لدى اول انذار بالغارات الجوية فيتركون السفن وينفرون الى اليابسة ثم لا يعودون الا بعد مضي عدة ساعات فينقطع العمل ويتوقف التفريغ وما كانت تجري اي محاولة لاستبدال هؤلاء العمال .

ويعد ان نقد المارشال غورنغ اهمال البحرية الايطالية والحزب الفاشي تناول مسألة مقدار الشحن والنقل . واشار الى ان من مجموعة المدافع العشرين الجديدة عيار ٨٨ مم التي وعد بها الجيش المدرع لم يصل منها سوى مدفعين فقط الى تونس . وكان المفروض ان يتلقى رومل الثمانية عشر الباقية وان اربعة منها فقط شحنت الى تونس وما يزال الباقي قيد الشحن .

ولما سئل كيسرلنغ عن المدافع اجاب انه سيوصلها الى الجيش المدرع بواسطة الطريق البرية ولكن غورنغ تصدى للفكرة واشار بان سلامة الطريق غير مأمونة بصورة تامة ،واوعز بوجوب ايصالها الى طرابلس بواسطة زوارق زيبل السريعة .

وافاض كافاليرو مؤكداً انه في الفرصة القادمة سيخصص اربعة



مدفع مضاد للدبابات عيار ٨٨ مم في جبهة طبرق

سفن لمصلحة النقل الى طرابلس . واعلم كاوفمان مفوض النقل أنئذ بأن المفاوضات جارية مع فرنسا للحصول على بواخر تقدر حمولتها بـ ٧٦٠٠٠٠٠ طن وقد سلم منها بالفعل ١٠٠٠٠٠ طن حتى الآن واخبرت البحرية الالمانية بأن هذه البواخر جاهزة معدة للابحار . ولكن الاميرال فايكهولد Admital Veichholb اشار بتعذر استعمال هذه البواخر الا بعد اجراء معاملات استلامها وتصديقها .

ويظهر ان غورنغ ما كان ينتظر ان يستمع مثل هـذا القول ولذا انفجر صارخاً بالقول : « هذا منتهى السخافة والسخرية ! اننا نرى باعيننا التهاب الارض تحت اقدامنا في كل صوب ، وما تزال الادارات والمكاتب البحرية تتمسك بالاوراق المطبوعة والترتيبات الادارية الواهية . لقد اهملت هذه البحرية التدابير الضرورية عندما توجب التدخل في تونس ، وهاهي الآن تمتنع عن تقديم المساعده الممكنة لمفوض النقل لاسباب ودواعي واهية وصلاحيات عقيمة » . ثم تناول الماريشال كافاليرو بالنقد واللوم قائلا :

« كان يجب تجهيز الفرق الايطالية بالاسلحة الجديدة الحديثة . فاذا كانت ايطاليا عاجزة عن تقديمها فما عليها الا ان تطلبها الى المانيا للحصول عليها . وفي المستطاع استخلاص الآف الاطنان من الفولاذ الذي تحتويه السفن الحربية المدمرة في ميناء طولون . اجل الآف الاطنان من الفولاذ الجيد لصنع المدافع والمعدات . واخيراً يجب حشد كافة اسطول الغواصات ووضعه تحت تصرف خدمة النقل . اننا اكتفينا من هذه الخرافة القائلة بان مياه البحر المتوسط البراقة الصافية تحظر استعمال هذه الوسائل في عمليات النقل ولكنني ازيدكم تأكيداً بانه يوجد في البحر المتوسط مالا يقل عن مائة غواصة بريطانية تجوب اطرافه بصورة دائمة وان مايقوم به البريطانيون لفي استطاعة الايطاليين القيام به ايضا مع الاعتبار بان تموين الجيش المدرع لايمكن ان يجري بغير طريقة الغواصات لانهـا افضل

الوسائل واكثرها نفعاً وسلامة .

تناول هذا الاجتماع الصاخب تدابير عديدة كلها ممكنة التنفيذ ولكنه جاء متأخراً جداً اي بعد ثماني عشر شهراً من موعده المتوجب وبالتالي كان نظرياً اكثر منه عملياً لان طيران غورنغ كان في الواقع نظرياً محضاً . وعند ظهيرة اليوم وقبل التوجه الى الجبهة وصل الى علم رومل بان السفينة الايطالية غوالدي المشحونة بالوقود والمعدات للجيش المدرع عرجت على تونس بأمر المرشال كيسرلنغ فاحتج رومل على هذا التصرف ولكن فهم بنتيجة المناقشات ان السفينة نسفت وهي مازال في ميناء بالرمو. ووصلت اثنائها برقية تشير الى ان وقود الجيش المدرع نضبت منذ اربعة ايام وان الجيش الايطالي صرف وقوده منذ الثالث كانون الاول مساء . ولدى عودته لاحظ رومل عدم امكان سحب العناصر الآليه موقتاً على مواضع خط البوايرت وارسل الجنرال باستيكو ٥٠٠ سيارة شحن لنقل هذه الوقود ولكنها وجدت نفسها متوقفة عن السير بسبب فقدان الوقود وكان في الامكان اجراء الحركات والتنقلات المذكورة في مدة ثلاثة ايام ولكن ليست حركات واسعة من هذا الطراز . وعلى الاثر ابرق باستيكو الى روما قائلا : تستحيل الحركه طالما لم نتلق وقوداً . وكان ينقص الجيش ١٠٢٠٠ طن وقود لاجتياز مسافة ٣٠٠ كيلو متر وهي المسافة التي تفصل بين المواضع الدفاعية القديمة والمواضع الجديدة الواجب اشغالها . وأخيراً وجد حلا لهذه الازمة وذلك بابقاء معسكرات المعدات في اماكنها وتعزز اجراء نقل فرق المشاة ابتداء من كانون الثاني وانضم باستيكو عندئذ الى رومل يؤيد مقترحاته المتعلقة بجبهة قابس لأنه كان يعتقد بان التهديد الاساسي سيصدر عن جبهة تونس حيث لوحظ ان ارتالا معادية كانت تتقدم باتجاه سفاقس وقابس . وكان الفراغ الحاصل بين فرق تونس وفرق ليبيا يمكن ان يكون سبباً في عوامل خطيرة في المستقبل . واذا

لم يعمل باستيكو على احتلال واشغال منطقة قابس الموضوعة تحت سلطته الاقليمية وكاد الارتباط مع تونس يصبح مهدداً بالانقطاع . ولذا اتفق مع رومل على فكرته القائلة بأن ميداني العمليات القائمين في افريقيا لا يشكلان سوى ميدان واحد كما يقتضي ربط الجيش بقيادة موحدة . بدأ الانسحاب الى موضع البويرات كما كان متفقاً عليه في ايل ٥ – ٦ كانون الاول . وفي الليلة الفائتة اعلن بأنه لم يصل من السفن الخمسة العابرة البحر سوى سفينة واحدة الى ميناء طرابلس وكانت تقل سلاحاً وسيارات ولكن بدون وقـود .

وبالرغم من وجود العدو على مقربة من القوات الايطالية كانت السيارات الايطالية تنطلق في طريقها مشمشمة الانوار تثير ضجة مزعجة . وبالرغم من وجود ضوء القمر وبالرغم من الأوامر القطعية المعطاة من قبل الجنرال نافاريني ، والتي تنص على وجوب التملص دون إحداث اي ضجيج او حركة ، وإطفاء الانوار بالكلية وإطلاق الرصاص على كل سيارة لا تطفيء مصابيحها ولكنها لم تتقيد بهذه الأوامر . وكان الجنود يسيرون في كل مكان بدون تحفظ وانصياع للأوامر الصادرة . ولكن من حسن الحظ ان الجيش البريطاني الثامن لم ير ولم يسمع شيئاً من هذة الضجة الصاخبة . واخليت واحة مراده دون أن يُفطن العدو لهذا الانسحاب . وقد أظهرت حاميتها الايطالية بلاهة غريبة محضة حيث فتح الجنود الايطاليون كل ارتاجات النار على رتل الماني كان يجتاز الصحراء في جوار الواحـة . وكانوا يحيونهم في نفس الوقت من بعيد غـــير عارفين اذا كانوا من الاصدقاء أو الأعـداء .

وقد سر الضباط والجنود الايطاليون كثيراً كما حدث آمر القوة المتراجعة عندما علم هؤلاء ان الرتل لم يكن رتلا انكليزيا . ثم ظهرت آثار الحيـاة والحركة في قوات مونتغمري في الثـاني عشر من كانون الأول. وفتحت

المدفعية نيرانها أثنــاء الليل . وعند الفجر انطلقت الهجمات الـتي ردت مدحورة من قبل مناورات العناصر الآلية . وأشارت تشكيلات الاستطلاع الالمانية التي كانت تستطلع في جبهة الجنوب بأن العـدو يعمل على اجراء حركة احاطة كبرى ويحضر هجوما واسع المدى . لقد هجم الشتاء وبردت الليالي وتدنت درجة الحرارة في الميازين الحرورية ، وبدأت الامطار تهطل وتحولت الصحراء الى بحر من الوحول الطامية . وفي ليل ١٣/١٢ شرعت الجيوش المتحركة بالتراجع وفقاً للحركة المقررة . وقد ظل العـدو يقذف المواضع التي اخليت ولم تتحرك قواته الا بعد الظهيرة التالية .

وتملص الجيش المدرع في الحين الملائم دون ان يصاب بأية خسائر في الرجال . وفي ١٥ كانون الاول، وصل الفيلق الالماني الافريقي الى منطقة موغتا المتراصة حيث تلقى هجوما جبهويا قامت به فرقتان انكليزيتان تلاحقهما ستون دبابة من طراز شيرمن . وكانت الفرقة السابعة المدرعـة والفرقة الثانية النيوزيلاندية يندفعان نحو الجنوب في عرض الصحراء للوصول الى النوفلية . وقد وجد الفيلق نفسه محاطاً دون ان تكون لديه الوقود الكافية للعمل هجوميا في هذه الناحية . وظن الجنرال فهن « G. Fehn » ان المسألة مسألة احتلال موضع فقط كما كان يجري في أصقاع روسيا ولكنه وفق في التملص من الاحاطة في آخر لحظة . وفي المساء لوحظ ان الفرقتين أمستا بدون وقود وقد امتنع عليهما الاستمرار في الحركة . وقد تمكنت الفرقة الواحدة والعشرون من التموين بالوقود . بيد ان الفرقة الخـامسة عشر لم تتناول وقودها الا في اليوم التالي صباحاً . وتمكنت الفرقتان من شق طريقهما عبر القوات المعادية التي أحاطت ببعض عناصرها وتمكنت من دفع طلائع الانكليز الامامية المدرعة ودمرت عدداً من دباباتها ونجت من الخطر المحدق وهي مستمرة في اتجاهها .

ثم عرجت قوات العدو من جديد على شكل كماشة في الصحراء حيث

تقدمت منها في اتجاه الساحل . وكان الجيش المدرع يلقي تارة نظرة على العدو وطوراً اخرى على خزانات الوقود المتناقصة وفرقة مستمرة في انسحابها دون أن تتوانى عن كيل وتسديد الضربات الشديدة بين الحين والآخر على الفرقة المدرعة الانكليزية السابعة التي تلاحق القوات الالمانية والتي كانت تحرك وتدعم نفوس رجالها روح التصميم العنيف الذي تثيره المصاعب المختلفة التي كانوا يواجهونها في كل لحظة وآونة . وكانوا يواجهون ما لا عهد لهم به سابقاً من تزايد نشاط العدو . وطالما كانت تتهيأ الفرص العديدة امامهم لمهاجمة وتمزيق طلائع العدو الانكليزية على الطريقة السالفة ولكن من أين يتوفر لهم هذا الحظ الآن وليس لديهم الامكانيات الكافية حتى ولا الوقود لاجراء ذلك . وكانت الامور تسير بغير الشكل المنتظر . وكانوا معرضين في كل آن للتوقف والتعطل بسبب نفاذ الوقود .

وطالما كان الرؤساء والمرؤوسون والقوى يرجعون الى الحيلة والتدبير العارض . ولم يعد في وسعهم الاعتماد على الدفاع المنظم وسوقه وفق خطة معينة . وأذاعت محطة القاهرة قائلة : « لقد أوشك مونتغمرى ان يضع السدادة على فوهة الزجاجة التي دخل فيها رومل وقواته » . وكان رومل يكتفي بالابتسام فقط إزاء هذه الاقوال المرسلة على عواهنها ولوجد العدو هذه الزجاجة فارغة ولو تبدت اية امكانية لاملاء خزانات الوقود من جديد لان الاهتمام كان كله يدور حول الخزانات فقط . ومنذ العشرين من تشرين الثاني لم ترس في ميناء طرابلس سوى باخرة واحدة تقل الوقود، وغرق في هذه الاثناء ثماني سفن اخرى . وكان كل ما يصل من سوسه وتونس عبر الطريق البرية من الوقود لا تشكل سوى نقطة ماء هابطة على حجرة ملتهبة حمراء . وكان يقتضي لايصال ١٠١٠٠ طن من الوقود صرف ما يزيد عن ٣٠٠ طن . ولم يصل عبر البحر حتى الآن اية دبابة او مدفع ضد المدرعات حتى ولا نجدات جديدة .

وفي السادس عشر من كانون الاول وجد الجيش المدرع نفسه بدون وقود على الاطلاق امام النوفليه وما كان يحتمل وصول شيء منها إلا في الغد . وكان من الصعب ان تستمر الوضعية على هذا النسق طويلا . وأراد روميل ان يقترح على مقر قيادة الفوهرر العام اقرار خطة قابس لأن قرار التوقف على خط البويرات اصبح متأخراً جدا وقد سبقته الحوادث بعيداً . ولو فرضنا وجوب تنفيذ الاوامر المتلقاة فقد كان من الضروري الحصول على دبابات وممدات وأسلحة وعداد للاستبدال والتي طالما اعطيت من اجلها وعود عديدة جديدة . وماذا جرى بهذه الوعود البراقة الجميلة ؟ فالوضعية لم تتبدل ولم تتغير ولن تتغير ولن تتحقق الشروط الضرورية لتأمين الدفاع عن منطقة طرابلس . وكان الطيران البريطاني مسيطراً تمام السيطرة على الاجواء . ولم يظهر حتى الآن اية اشارة تبرهن على أن الطيران الالماني تلقى نجدات وتجهيزات جديدة . وأرسل الجنرال نافاريني نداء يائساً يدعو فيه الاسطول الحربي الايطالي للظهور في الميدان . وكان في وسع هذا الاسطول ان يؤمن سلامة عمليات التموين كما كان في مقدوره ان يقلب الوضعية بكليتها رأسا على عقب بصورة حاسمة .

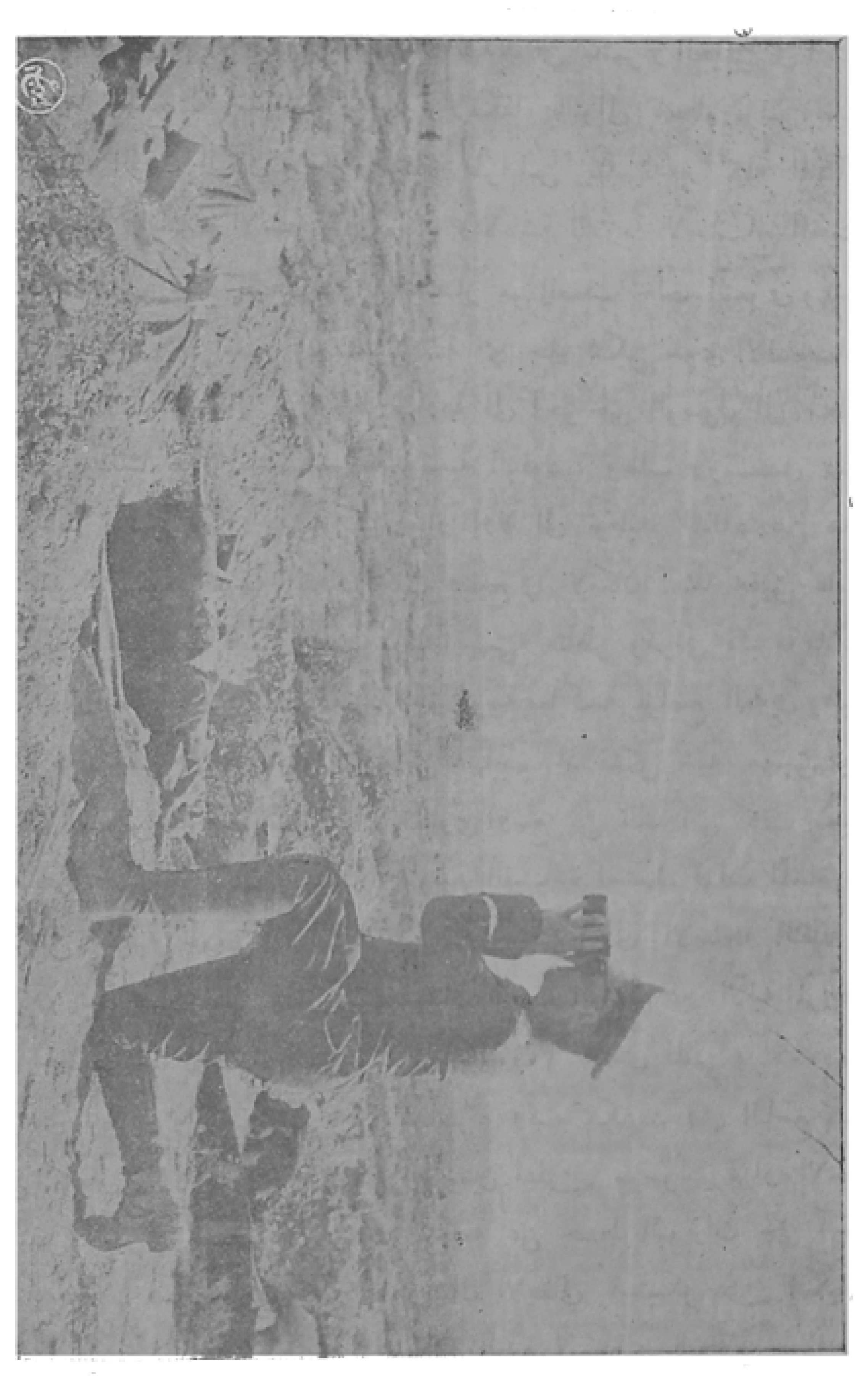
ولكن الجنرال بالذات لم يكن يصدق بامكان تحقيق هذه الرغبة التي طالما عُرضت على بساط البحث والنقاش . وما كان يدري غير الله وحده ماذا كان ينتظر من هذا الاسطول ولماذا يوفرون استخدامه واستعماله حتى في أشد الظروف حرجاً وخطراً ؟

والآن لنلقي نظرة عابرة حائرة لنرى ماذا سيلد المستقبل القريب ؟ وصل مونتغمري في عشرين كانون أول الى خط البويرات . وكان في استطاعته ان يجتاز الفيلق الافريقي لو فرض عليه التثبت من جديد . وكانت فرق الفيلق لا تملك سوى ٣٨ دبابة بالاضافة الى ١٢ دبابة اخرى في البويرات و ١٠ دبابات في طرابلس . بيد أن هذه الـ ٢٢ دبابة كان يعوزها الوقود للحركة .

ولم يبق من الذخيرة سوى نصف وحـدة نارية . وأمسى آلاف الجنود عزلا إلا من البنـادق والرشاشات وتجردوا من كافة الاسلحة الثقيلة . فكيف لهم ان يخوضوا موقعة دفاعية تحت هذه الشروط . وكانت طريق طرابلس مفتوحة عمليا امام الجيش الثامن . وما كان عليه الا ان يتقدم تباعا وسراعاً بتصميم جـريء مندفع . ومن حسن الحظ ان مونتغمري كان يرجح دوماً العمل المؤكد المضمون والوصول الى الغاية بحذر واحتياط مهما طال الوقت وتأخرت النتيجة . ولم تبق اية امكانية سوى النجاة الى موضع قابس . ولم تبين الاعتراضات التي ابداها كل من الماريشال غورنغ والماريشال كيسرلنغ حول اخلاء منطقة طرابلس الا لخوفها من مسـاعي ومحاولات الانكليز تدمير رأس جسر تونس مع العلم انه لم يبق ثمة قيمة لهذه الاعتراضات بعد الآن ولن يكون لها أية قيمة منتظرة في المستقبل لانها كلها كانت منبعثة عن الافتراضات القائمة على الاقوال التي كان ينتظر ان ترافقها القرارات التي ستصبح حقائق راهنة . وان بين الافتراض وبين الحقيقة مجال متسع الظافر من استطاع التوفيق بينهما .

قرر رومل بالاتفاق التام مع باستيكو التدخـل والتوسط بشدة مع برلين وروما مباشرة . ففي حالة تقرير البقاء على الدفاع الثابت الامر الذي يؤسف له حقاً لأن الهجوم الجبهي الذي ستقوم به حتما الفرق البريطانية الاربع لكفيل بخرق الجبهة بالسرعة المتوقعة . وما كان يبدو أي أمل في احراز أية موفقية هجومية من جـراء ضعف القوات المحورية وخاصة بسبب عامل نقص الاسلحة في المدافع ضد الدبابات والمدفعية والذخائر التي لم يعد في الامكان نقلها من طرابلس الى خط البويرات بسبب قحط الوقود وبالتالي لعدم متانة الموضع الدفاعي بالذات . ومن المحقق ان القوات الالمانية ستكون معرضة للتطويق والافناء في بحر ايام قلائل . ولن يتأخر بعدئذ سقوط منطقة طرابلس في ايدي العدو وتصبح طريق تونس مفتوحة دون

عائق . والطريقة الوحيدة لابعاد هذا التهديد هي استمرار الجيش في القتال بقدر ما تسمح له امدادات الوقود والانكفاء بالتوالي باتجاه تونس بغية اكتساب الوقت الكافي لاخلاء منطقة طرابلس بعد تدمير كافة المنشآت الهامة فيها واستلام الاسلحة والذخائر والاعاشة اللازمة لاحتياج الجيش فقط . لقد برهنت التجارب على انه صار من الصعب جلب التموين وعداد الاستبدال الى طرابلس إذ لم يبق ثمة اي حل ممكن سوى الانسحاب ارتالا والانكفاء قتالا من خط مقاومة الى آخر حتى الوصول الى منطقة تونس وذلك بقدر ما تسمح به وضعية الوقود . وطلب رومل دمج وحدات تونس مع وحداته كي يصار اولا الى توطيد الدفاع عن هذه المنطقة ثم تقويه بمجموعة الدفاع حيث يصبح في الامكان آنئذ تحقيق عامل المبادئة . فخطوط قابس المحصنة جيداً تهييء مناظر ومرائي مشرفة ملائمة جدا للدفاع . وهي تؤلف تقريباً ردة غريبة معاكسة لمواضع العلمين وقابلة التعرض لخطر الالتفاف لانها تعترض المهاجم اذ تشكل شبه مضيق بينما تقدم للجيوش المدافعة امكانيات لا تجارى اوسع من تلك التي كانت تعطيها الصحراء في كل مكان . وكان في وسع القيادة استعمال قوات المشاة في المناطق الجبلية لخوض القتال بالرغم من حاجتها الى الاسلحة الثقيلة . وكان يستوجب اعطاء قرار سريع بشأن سحب القوات غير الآلية المرابطة في خطوط البوزرات الدفاعية والبالغة ١٠٠٠٠٠ جندي الماني و ٣٠٠٠٠٠ جندي ايطالي وامكان نقلهم باكرا وبأسرع وقت ممكن . وفي التاسع عشر من كانون الاول اي بعد مرور يومين اعلن موسوليني قراره الاخير بالنص الحرفي التالي : « يجب المدافعة عن خط البوزرات حتى آخر جندي » . فسأل رومل فورا الماريشال الايطالي باستيكو عن الكيفية التي يسير على اساسها القتال اذا كان العدو لا ينبري للهجوم جبهيا بل يضاعف الجبهة من ناحية الصحراء ويتقدم مباشرة باتجاه طرابلس .



المارشال رومل يراقب معركة طبرق بمنظارة

وكان مايرمي اليه جواب القائد العام الايطالي هو سحب القوات الراجلة (المشاة) خشية تعرضها من جديد الى الهلاك والتضحية . وكان يأمل من تدبيره هذا تخليص الفرق الايطالية من الوقوع في الاسر او الدمار المحقق مع الاحتفاظ بامكانية البقاء في حالة الدفاع في المواضع المذكورة حتى آخر جندي الماني . وبالفعل لم تكن هذه الرغبة لتشكل جواباً مقنعاً بالنسبة الى الجيش المدرع . واعيد السؤال من جديد ولم يكن الجواب الجديد سوى تهرب فقط من الاجابة المطلوبة . كلنا سمعاً وطاعة اجابة لاوامر الدوتشي افاض القائد الايطالي العام . اننا ننفذ الاوامر المعطاة وندافع عن الموضع حتى النهاية ولكنه احجم عن قول ما يتوجب عمله في حالة حدوث التطويق المتوقع . واعيد السؤال كرة أخرى على باستيكو الذي اجاب اخيراً قائلا : « اذا قام العدو بحركة تطويق فان لدينا دوماً الوقت الـكافي للقيام بالهجوم الجبهي بواسطة العناصر السيارة . ولو فرضنا جدلا بقاء بعض هذه العناصر السيارة المنوه عنها فانها ستسحق عاجلا من قبل عدو متفوق جداً . والظاهر ان القيادة الايطالية كانت ترغب في فرض مهمة معينة على الجيش الالماني ـ الايطالي والتي لايمكن تنفيذها الا بطريقة واحدة وتعني اجبارها على تحمل مسؤولية هذا الحل وبدلا من اعطـاء اوامر صريحـة كانت تملي على الجيش شبه معجزات لتحقيق اوامر التنفيذ والاجراء .

وفي العشية التي سبقت ليلة عيد الميلاد ترك الانكليز منطقة النوفلية وتقدم بقوة تتألف من ٤٠٠٠ سيارة تقريباً . وعندها اخلت الفرقة المدرعة الخامسة عشر الالمانية رويداً رويداً منطقة السرت وانسحبت الى المواضع الجديدة كما حذت الفرقة الخامسة عشر الخفيفة حذوها بعد تماس قصير مع العدو . وأعلمت اسراب الاستطلاعات الجوية التي توقفت عن العمل مدة من الزمن من جراء نفاذ الوقود ان اربع فرق انكليزية

كانت تتقدم على طول الطريق الساحلي . وعرف بالتالي ان جمهرتين من الجيش الاول في تونس كانتا تتقدمان نحو قفصه وقابس ولكنهما لم تكونا من القوة الـكافية ومن حسن الحظ انها ردت من قبل قبضة من القوات الايطالية المرابطة . ومع ذلك فقد تبدت الوضعية افضل مما كانت عليه قبلا بسبب وصول الوقود الى الجيش المدرع . وفي التاسع والعشرين كانون اول توقفت كافة الحركات العاملة امام الجبهة واوقفت كافة تدابير الامن المتخذة وشرع العدو يقترب رويداً رويداً من خطوط البويرات الدفاعية الخالية وفي الايام الاخيرة من هذا العام والتي فاضت بالحوادث الاليمة حمل الجنرال غاندن G. gandin الايطـالي تعليمات جديدة من لدن القيادة الايطالية العليا والتي كان يتوجب ارسالها في الحين الذي كان يطلبها رومل . وليس من عجب ان يشعر المرء في هذه الاوانات بثقل الجو المشحون بالتيارات السالبة من جراء جهل خطورة الساعة مع توالي المصاعب المخيفة . ولم يبد حتى الان ايـة جهود مشجعة لا للجيش ولا للقيـادة . استأنف المريشال باستيكو المناقشات المعتادة واخـذ يتحدث ويشرح ضرورة المحافظة على خطوط البويرات حتى النهاية وذلك سعيا وراء تحسين الحالة في منطقة تونس واضاف قائلا : انه من الممكن عندئذ استئناف الهجوم اعتباراً من خط البويرات . وباعتبار الوضعية العامة الراهنة وعدم امكان تأمين التموين الـكامل فالقيادة العليا الايطـالية كانت مجبرة على اتخاذ هذا القرار دون ان تعين بالضبط مدة المقاومة المتوجبة . واذا اخذنا بعين الاعتبار الوضعية الراهنة في تونس ووضعية الجيش المدرع مما كان يتوجب ان تطول المقاومة بعد عدة اسابيع على الاقل . واحتجت روما بعنف على هذه التصريحات التي اطلقت علناً على مسمع من الجنرال غاندن وقد جهل القائمون على الامر بأن مسألة الدفاع والمقاومة المطلوبة لها علاقة وثيقة بارادة وتصميم العدو وقوته الساحقة التي هي وحدها بالذات تفرض

مدة المقاومة على خطوط البويرات من جراء ضعف الجيش ، يضاف اليه عوامل اخرى منها مسألة التموين وحالته المتردية التي تجعل في حكم المستحيل استمرار المقاومة طويلا . وكان في نظر غاندن ان امر المقاومة حتى النهاية لم يكن ليرتبط بصورة قطعية مع موضع البويرات قط وان مدة المقاومة التي قدرها باستيكو بشهرين تتجاوز الحد المقدر وان قدرة المقاومة للدفاع العام عن ليبيا بأكملها لن يتعدى هذه المدة .

وبالفعل فالامر الذى نقله غاندن كان من طبيعة مختلفة . فهو يسمح للجيش بالانسحاب مع المقاومة الممكنة لانه كان يخشى انهيار الجيس برمته . وترتبت مسؤوليات التنفيذ على رومل بينما كان باستيكو هو آمر الايعاز ببدء حركة التراجع . وعينت خمسمائة سيارة لنقل الايطاليين . وكانت تعليمات موسوليني الصادرة تقرر اساس التوقف والتربص ووجوب اجرائه على خط الخمس ترهونه ولم تكن توجد اية معدات لبناء هذا الخط وانشائه . واشير ايضاً الى اهمية الاستفادة من الوقت الكافي لرفع او تدمير المعسكرات والرحبات والورشات الموجودة في طرابلس والتي يتطلب اجراؤها مالا يقل عن شهرين . ولم يبق البته ثمة موضوع المحافظة على هذا المرفأ كما افاد رومل ،مؤكداً بأن مدة المقاومة على خط البويرات او على اي خط آخر مرتبط مبدئياً بارادة وقوة العدو العاملة وافاض قائلا . « يتوجب لتحقيق المقاومة الطويلة مع تحاشي تدمير قوات الجيش انتظار معجزة كبرى » . ان معارك مونتغمرى الاخيرة كشفت النقاب عن مقاصد القائد الانكليزي ومحاولاته الرامية الى تطويق الجيش الالماني المدرع في مجال ابعد من مرامي مدافعه مع العمل على تثبيته بهجمات جبهية . فالجيش المرتبط بخط البويرات لم يكن لديه القوات الكافية ليتصدى بها لتهديدات التطويق المماثلة . فالحالة هنا تشبه الحالة في البريغا وهي تواجه نفس المسألة المعروضة بشأن الوقت الذي يتوجب فيه سحب

القوات الآلية عن الخطوط . وسجلت طلائع الاستطلاع البريطانية ظهورها في منطقة أبو النجوم . ويستدل من هـذه الحركات بأن مناورة التطويق المذكورة كانت تأخـذ مجراها المقرر . فاذا طال انتظار الحوادث فان الفرق الراجلة لن تستطيع الانسحاب في الوقت المناسب ولا تستطيع اجراء ذلك إلا على الطريق الساحلية . وكان المفروض اجراء حركة الانسحاب في آنها دون أي تأخير على الاطلاق ودون ان يترك في حلبة الميدان سوى القوات الآلية والفرق المدرعة التي ضعف شأنها الى حد كبير وهي وحدها مكلفة بسوق القتال الى النهاية . وظل الامر على وتيرة واحدة . ولنتساءل الان فيما اذا كانت القوات الايطالية التي بلغ عدادها ٣٠،٠٠٠ جندي والمرابطة في خطوط البريغا وهي لم تسلح بالسلاح الضروري اللازم ولا تتمتع بقيمة حربية معتمدة أهل ستكون عدداً مغفـلا ووزناً عديماً بالنسبة الى الجيش المدرع ؟

ومنذ مرسا البريغا بدأ الجنود الايطاليون ينتقلون وفي جيوبهم قطعة من قماش ابيض استعداداً للتلويح بها عند الخطر وهي الاشارة التي ترمز الى الاستسلام . وقد شح غذاء الجنود ونقص . وكاد التموين ينقطع بينما كانت وظلت نوادي الضباط الايطاليـين ومطاعمهم عامرةً طافحـة ولم يعانوا أي حرمان . وكانت الفروق شيئاً مألوفاً لديهم وتفرض شروطها على الجيش الايطالي فرضاً لان كل ما كان يشاهد في هذا الجيش ان هو إلا شذوذ وتفاوت . ولم تكن الخطب الرنانة التي كانت تلقى من شرفة قصر البندقية لتبدل شيئاً من واقع الحال الايطـالي حتى ولا الوعود الهتلريه لتغير أي شيء من الوضعية القائمة . كلهم يعرفُ بوضوح نافاريني كان او روميل او باستيكو بان هذه الفرق كانت سيئة التدريب عديمة الاهلية للقتال وغير قادرة على احتمال أية صدمة جـدية او أي امتحان عنيف . وما اهون واسرع انهيارها امام العدو . وبالرغم من هذه الخصائص الظاهرة

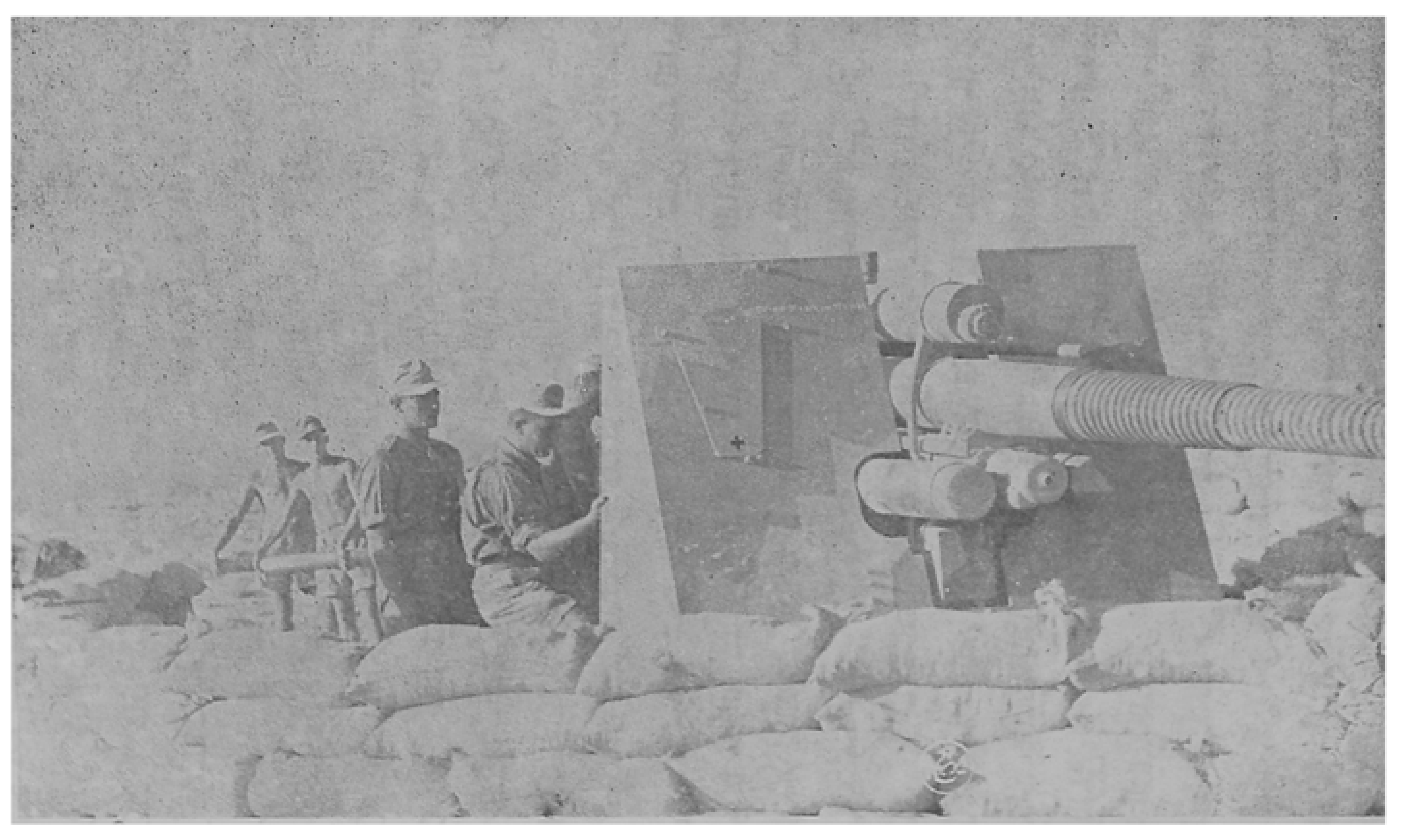
كانت تحشد لخوض المعارك . وفي حالة التراجع كان يتوجب الا تترك هذه القوات لوحدها والا ضاعت برمتها . وكان في كل مرة توجب فيها القتال او الانكفاء استوجب فيها سحب هذه القوات من الميدان قبل غيرها وارسالها مسبقاً الى الاخلاف . اما الوقود اللازمة لعجلات القتال فطالما تعذر وجودها والحصول عليها ولولا ذلك لما احجمت القوات الالمانية عن ان تهاجم في كل مناسبة وحدات العدو المتقدمة لتأخير انطلاقها وسيرها وتقدمها . وبسبب عدم وجود وقود شاغرة فقد امتنع القيام باية مناورة هجومية . وكان الجيش المدرع مضطراً للتراجع من موضع الى آخر والاهتمام قبل كل شيء بسحب ونقل هذه الفرق الايطالية الى الخلف ؛ هذه الفرق التي وقعت مسؤولية ادارتها وحمايتها على عاتق المارشال روميل وحده . وما اثقل هذه المسؤولية على عاتق هذا الرجل المثقل بالواجبات وكانت الوضعية في شهر كانون اول موضحة بالارقام التالية :

الكمية اليومية بالطن	المطلوب طن	الشاغر طن
الوقود	٤٠٠	١٥٢
الذخيرة	٥٠	١٦
الاعاشة	٥٠	١٢٫٥
متنوعات	٥٠	١١

واغرق في بحر هذا الشهر ٥٨٨٣ طن من الوقود و ٢٦٢ طن من الذخائر و ٤٤٧ طن مواد غذائية واعاشة ، و ٢٣١ طن مواد مختلفة والبالغة ٦٩١٣ طن وكان ينقص دوماً ٨٠ ./ من المدافع ضد المدرعات والدبابات و ٧٠ ./ من المدافع الاخرى و ٤٠ ./ من السيارات و ٧٥ ./ من من الجرارات القاطرة وفقد اثناء الشهر في المعارك الجارية ١٧ مدفع ضد الدبابات و ١٤ دبابة و ١٨ مدفع . ويستدل من هذه اللائحة بأن الخسائر تجاوزت ٥٠ ./ . واذا تقلصت الفاجعة وتأخرت عن الوقوع فالسبب

الوحيد يرجع الى ان ان الجيش البريطاني الثامن كان كثير التردد تعوزه المرونة التعبوية . وتصدى رومل بقوة ضد التدابير المتخذة بشأن تقرير وتعيين ساعة بدء الانسحاب . واكد على انه على أتم تفاهم واتفاق مع القائد العام الايطالي للدفاع عن خط البورات اطول مدة ممكنة معتقداً ان في امكانه حمل هذه المسؤليـة . بيد ان امر تراجع القوات الآلية لايمكن ان يبدأ إلا بايعاز هذه القيادة مباشرة . وهذا أمر لايمكن قبوله وليس لاحد أي حق في اعطاء هذا القرار في اللحظـة المفروضة سوى قائد هذه الجبهة بالذات اذا كانت هنالك اوامر مسبقة تقرر وجوب هذا التراجع . وطلب باستيكو تقريراً عن الطريقة التي يواجه فيها رومل نقل العناصر الآلية . وكان رومل يعتبر بأن امر الدوكشي القاضي بتأمين نجاة الوحدات الالية دون تعرضها للخطر والهلاك قد أصبح قيد الاجراء . فسأل باستيكو عن الوقت الذي يعتبر فيه أمر الدوتشي في حكم التنفيذ . فأجاب الاخير بأنه اقر وهو قيد التنفيذ . فأجاب رومل اذاً لقـد حان عندي الوقت للعمل والتنفيذ وليس من حاجة الى تدوين تقرير او انتظار جواب الموافقة على الانسحاب والا فانني اترك الحرية لكل جنـدي على الخطوط ان ينتظر دنو ساعة الانتحار وهو في مكانه أو نبدأ باجراء النقل على الفور . تهرب باستيكو من اعطاء أي جواب او قرار واشار بأنه مجبر على تنفيذ الاوامر التي تلقاها من روما . بيد انه شخصياً كان على اتفاق تام مع المارشال رومل على فكرته وكل ما كان يؤمل هو اغتنام الوقت لاخلاء منطقة طرابلس ولكن روما ....

حسناً قال رومل اذاً يجب على الفور سؤال القيادة العليا الايطاليـة وجوب تعيين بدء ساعة النقل ولكن غاندن أبدي ملاحظة بلهجة مباغتة قائلا . انه بالفعل حمل تعليمات تقول بأن على المارشال باستيكو تحديد هذه الساعة . ورجع باستيكو كما هي العادة في أمره الى روما التي في



مدفع ضد الطائرات عيار ٨٨ مم يستعمل ضد الدبابات بصورة فعالة

نظره كما ادعى صاحبة الحق الاول في تعيين تاريخ وبداية الأخلاء ، وحيث ان رومل كان يفرض بداء العمل دون تأخير البته ، ولذا لم يكن في الامـكان الاتفاق بينهما على هذا الامر واكنهما اتفقا بالفعل على موضوع تسيير العمليات الحربية القادمة مما اوجد نقطة تحسن في الموضوع والتفاهم. والامر الجلي في المسألة هو ان القادة الايطاليين كان يخشون تحمل المسؤلية ويرهبون اتخاذ قرار حاسم في الامور المترتبة . وأخيراً خضع باستيكو واعطى امره بنقل الوحدات الايطالية في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني طالباً تثبيت الجيش الثامن مدة ثلاثة اسابيع على الاقل على خط الخمس – مصراطه ونفس المدة ايضا امام طرابلس ـ غريان . والحق انه لمن الصعب جداً سحب ٣٠٠٠٠ جندي ايطالي و ١٠٠٠٠ جندي الماني دون ان يشعر العدو بامر هذا الانسحاب بينما لم يكن تحت التصرف سوى ٥٠٠ سيارة شحن المانية . وانه لمن الجهل ايضاً تعيين مدة المقاومة وحدودها اذ انه منذ زمن طويل لم تعد ترتبط مدة المقاومة وتتوقف على القوات الايطالية – الالمانية بل اصبحت ذات علاقة وثيقة بارادة العدو المهاجم . وقد توفق المحور حتى الان من توطيد خطة قابس التي بدأ تنفيذها وفق ماهو مقرر . وبحـكم قبول اخلاء منطقة طرابلس فقد توجب توحيد الجبهتين الالمانيتين كما كان يقترح رومل منذ زمن طويل .

بدأت عمليات النقل والاخلاء في الثاني والثالث من كانون الثاني حيث نقل الفيلق الواحد والعشرين الى الخمس ولم يبق في المواضـع الدفاعية سوى الفيلق العشرين الآلي والفيلق الالماني . وبدأ الطيران الالماني يظهر نشاطاً محسوساً مدة من الزمن . وحقق بعض السيطرة على الجيش الثامن الذي لم يتمـكن حتى الآن من توطيد وتجهيز مطاراته الجديدة . وفي السابع من كانون الثاني دخلت باخرة ايطالية ميناء طرابلس وانزلت اربعة عشر دبابة المانية واربعة عشر دبابة ايطالية واربعمائة طن من المعدات . ومع

ذلك قرر رومل ارسال احد ضباطه الى مقر الفوهرر ليذكره من جديد بمسألة التموين وارسال عدد وفير من الاسلحة الثقيلة في الوقت الملائم الى جبهة قابس حيث يجدها الجيش المدرع جاهزة عند وصوله .

وكانت الرغبة تزداد يوماً بعد يوم بوجوب الاحتفاظ بالدفاع عن الجبهة التي بدأت خطورتها اذدياداً بالاضافة الى ان الطيران البريطاني بدأ يظهر اكثر نشاطاً عن ذي قبل مما كان يدل على قرب استئناف العمليات الحربية من جديد . وكان الماريشال كافاليرو يطالب بارسال الفرقة ١٤٦ الى سفاقس للدفاع عن هذه المنطقة . اذاً فالجيش مكلف بالدفاع عن مواضع البوريرات « حتى النهاية » لتأخير تقدم العدو مدة شهرين على الاقل ثم سحب فرق المشاة الايطالية تباعاً وحشد احدى هذه الفرق التي لم تتلق حتى الآن سلاحاً ولا ذخائر ولا نجدات مفروضة لاستكمال عدادها المنقوص .

وعلى اثر ارسال ضابط الارتباط الى مقر الفوهرر العام قرر هتلر نقل الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين الى منطقة سفاقس بدون اسلحتها التي يجب ان تترك للفرقة الخامسة عشر ، وابلغ الماريشال عدم اهتمامه للامر وانه سيرسل الى افريقيا احدث واقوى الاسلحة التي تملكها المانيا ايصار الى تجهيز الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة . واكد ان المانيا تستحوز الآن على احدث واهم الاسلحة الحاسمة في القتال . وقد تلقي الماريشال كيسرلنغ اوامر قطيعة من اجل تنظيم النقل البحري لانه اصبح لدى المحور سفن كافية لهذه العمليات . وكل ماتقتضي الحاجة اليه هي تأمين سفن الحماية الحربية فقط . وما كان احد ليجهل الصعوبات الجمة التي كانت تلاقيها القيادة بسبب تنظيماتها وتشكيلاتها الحالية ولكنها كانت مجبرة على قبول ذلك بسبب الاعتبارات السياسية القائمة . وطلب الى الماريشال العمل على تأمين تجاوبها وتنسيقها قدر الامكان . ان سقوط منطقة طرابلس لايخلو

من احداث ذي تأثيرات عميقة على الشعب الايطالي ولذا كان من الطبيعي ان يترك للسلطات الفاشية حرية التعبير عن مشاعرها وعواطفها كما يحلو لها بالنسبة لمسألة افريقيا وضياعها ، بينما القرارات الالمانية كانت تتمشى ومنطق الحال والضرورات التعبوية والسوقية .

وفي الرابع عشر من كانون الثاني تقدمت قوة انكليزية مؤلفة من اكثر من مائة سيارة استطلاع باتجاه القسم الجنوبي لموضع البوررات بينما بدأت قوات اخرى تتهيأ لمواجهة الساحل . وفي الخامس عشر وجدت الفرقة المدرعة الخامسة عشر نفسها تخوض في قتال شديد وقد تمكنت من تدمير ٣٢ دبابة انكليزية بينما لم تفقد سوى دبابتين فقط . ثم اغتنمت فرصة الليل للانسحاب . وما عتمت ان انطلقت في اليوم التالي الهجمات العنيفة التي كانت تزداد شدة وحدة ساعة بعد ساعة على مواضع البوررات . وكان الدفاع يستعمل المدافع الجديدة عيار ٨٨ مم ضد الطائرات طراز ٤١ ذات المرمى والمحراق المستقيم .

بدأ الفيلق العشرون والفيلق الالماني تحت قيادة الزعيم ليبنشتاين « Oberst Libenstein » الذي استبدل الجنرال فون الجريح اثناء غارة جوية بالتراجع رويداً رويدا . ودمرت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرون ٢٠ دبابة انكليزية وقد اجبرت على التثبت في موضعها . وكانت وحدات الاستطلاع التابعه للفرقة في عوز للوقود ولا يمكن أن تتلقي شيئاً قبل الليلة القادمة . تراجعت الفرقة المذكورة حتى ترهونة وهي تخوض اعنف القتال وفي الساعة السادسة عشر حاول موسوليني اخفاء الصعوبات الناجمة فأوعز بالرجوع الى الهجوم . وظهر ان المقاومة طيلة يومين على خط الخمس – ترهونه بقيت في مخيلة الثقة والاطمئنان . وجهل بأن نسبة القوى كانت بالفعل غير ملائمة مطلقا . وكان قحط الوقود يشكل عجزاً فاضحاً لامكان الخروج من حلقة الدفاع الى الهجوم . واضطرت فرقة سانتوره

بسبب قحط الوقود الى نسف ١٨ دبابة من دباباتها وقسم كبير من سياراتها. وترك القسم الآخر في أيدي العدو . واستؤنف قتـال المدرعات بوحشية ضاريه وسعة كبيرة . وظهر ان الانكليز كانوا مصممون على الوصول الى اهدافهم بقوة وصلابة يدفعون دباباتهم الشيرمان الى مسافات قريبة من الخطوط الالمانية وكان بعضها يصل الى مسافة ٣٠٠ متراً من المواضع الدفاعية. وقد دمرت المدافع الالمانية عيار ٨٨ مم ٢٨ دبابة شيرمان « Sherman » وكانت مرتفعات ترهونه تشتمل على مواضع دفاعية هامة من شأنها أن تساعد على استمرار المقاومة الدفاعية حتى وانهاء عمليات إخلاء كافة الجيوش الى الوراء . ومن قممها كان الرأي يشاهد اقتراب وحدات العدو على جبهة واسعة يواكبها فرقة مدرعة تسير على الطريق العام ترهونه ـ غريان . وحشدت كافة المدفعية والفرقة ١٦٤ ولواء المظليين . وكان الانكليز يسعون للتقدم نحو الشمال الغربي عبر الجبـال وقد اخليت ترهونه ودفاع المضيق المحصن ووزعت الفرقه المدرعة الخامسة عشر ووحدات الاستطلاع وفرقة الشباب الفاشي على سفوح الاودية بصورة كانت ترقب كافة السبل والدروب الموصلة الى طرابلس .

بدأ الهجوم على المضيق في ٢٠ كانون الثاني وكانت تخيم فوق طرابلس والعزيزية سحب الدخان الكثيف المتصاعد من جراء التدميرات التي كانت تجرى في تلك الارجاء . وبينما كانت الموقعة تستهلك أقصى الجهود وصلت تعليمات من المارشال كافاليرو يقول فيها ان موسوليني لا يوافق على التدابير المتخذة للدفاع عن منطقة طرابلس وأعاد القول مذكراً ضرورة الدفـاع عن خط الخمس ـ ترهونه مدة ثلاثة اسابيع على الاقل وافاض قائلا بأن الجيش المدرع انسحب مبكرا وسراعا من مواضعه الدفاعية .

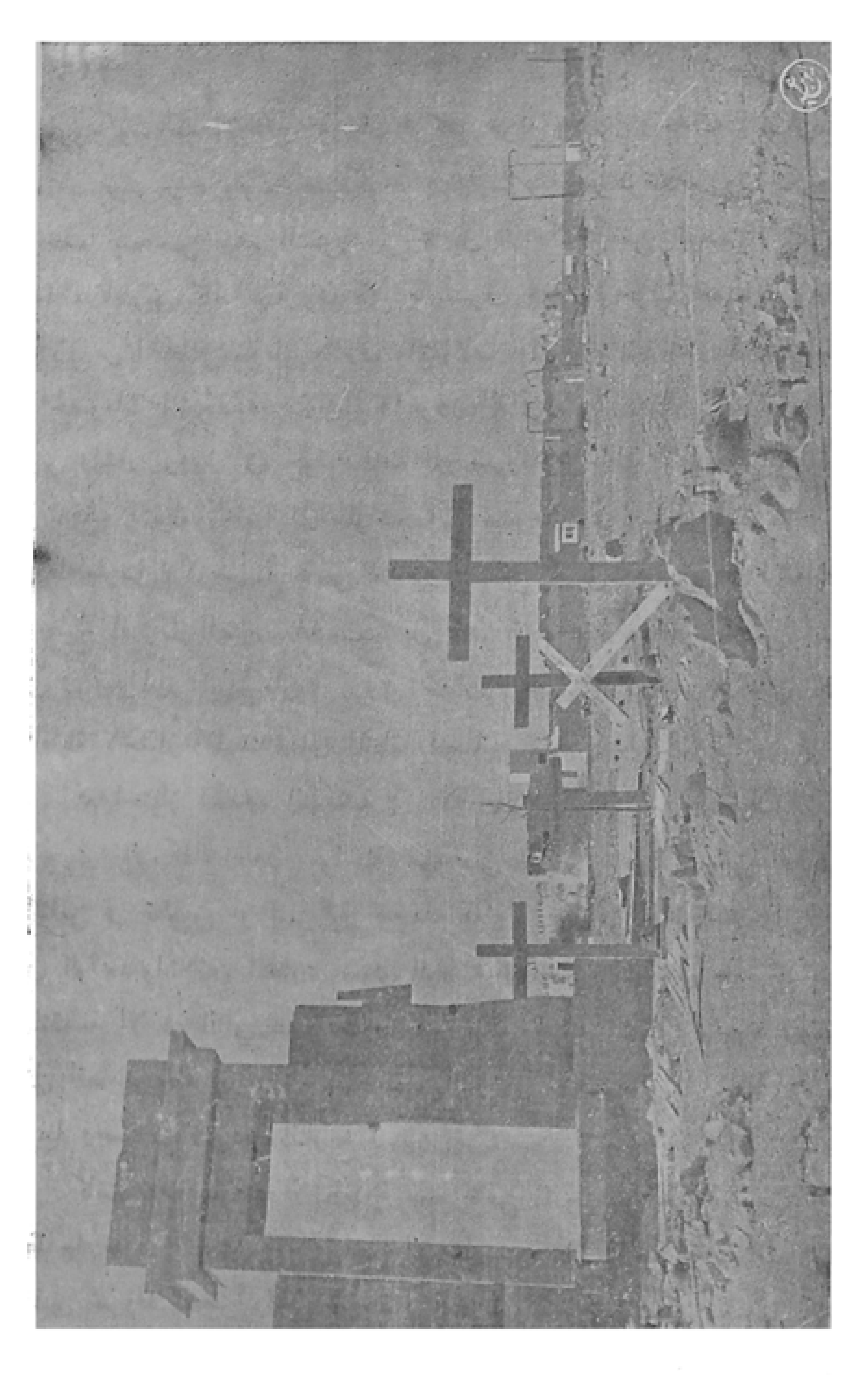
فاذا كان من الصعب على روما ان تهيىء لنفسها صورة واضحة عن الوضعية الراهنة فما كان عليها الا أن تستوضح وتستعلم تماما قبل أن توجه

الملام الى الجيوش التي كانت تقاتل بشجاعة وعزيمة قل أن عرفها أحد عبر التاريخ في العالم وخاصة الى قائدهـا الذكي الملم وضباطهـا البواسل . والحقيقة ان الجيش كان بحاجة الى عشرة اضعاف العداد المرابط ليتمكن من اشغال خط الخمس – ترهونه لانه بالاضافة الى المهمة الدفاعية الموكولة اليه كان يتوجب تأمين انسحاب ونجاة المشاة التي كانت في طريقهـا الى قابس وصد مناورات العدو التطويقية وتأخير تكاملها من اجل كسب الوقت اللازم لتحقيق الخلاص . وكان كل ما لدى رومل الذي وضعه في طريق العدو ٦٣ دبابة ألمانية و ١٦ دبابة ايطالية حتى استطاع بهذه القوى الضئيلة أن يؤمن دفاع المرتفعات ويمنع تقدم العدو ويحمي قواته من حركة التطو.ق التي كان العدو مصمم على اجرائها من الجبهة الجنوبية . هـذه هي القوة التي اوقفت الجيش الثامن البريطاني برمته ولكن لمدة قصيرة طبعاً ، هذه القوة التـافهة الهزيلة التي كانت روما تلومها وتلوم قائدهـا الفذ لانه لم يستطع ان يستوقف القوات البريطانية الكاسحة المديدة بعد ثلاثة أسابيع . وما أطول هذه الاسابيع بالنسبة الى وضع الجيش المذكور . وفي هذه الأثناء اقتنصت مستندات استدل منهـا على أن مونتغمري كان يريد الوصول الى الساحل عند الجاعونه الواقعة غربي طرابلس لمحاصرة كافة القوات الباقية في أرجاء ليبيا وطرابلس دفعة واحدة فلو ان رومل استمر على الدفاع عن خط الخمس – ترهونه وفقاً لأوامر موسوليني الصادرة لتمكن العدو من اجتياز مواضعه وتطويقهـا في أقل من أربع وعشرين ساعة وانتهى مصير الجيش المدرع الى الخاتمة الشنيعة . وكانت مساعي رومل الجباره تتنـاول لم الشعث المبعثر وعلق على هـذا الوضع بقوله : « انـني اقاتل أحدث المعجلات الحربية بعجلات ما قبل الطوفان » قال ذلك لكافاليرو وباستيكو اللذين جاءا ليراه مع كيسرلنغ في مقر بيانكي « Binchi » حيث احتدم نقاش شديد طالب رومـل اثنائه وجوب اصدار امر ثابت

يفهمه ما يتوجب عليه عمله ازاء هذه الوضعية ، وانه هل يتوجب خوض معركة حاسمة على خط ترهونه او سوق الجيش الى مواضع قابس ؟ ان احد الحلين يزيح الآخر حتما . فاختاروا ما يطيب لكم من هذين الحلين الوحيدين . ولتصوير خطورة الوضعية الراهنة وردت اخبار جديدة تشير الى أن من بين الاربعة عشر زورق زيبل العاملة على تموين السواحل فقد منها عشرة دمرت واغرقت في غربي طرابلس من قبل زوارق الطوربيد البريطانية السريعة . وظلت مسألة الوقود تلاقي الازمات المتوالية كما كانت عليه في السابق لا تحول ولا تبدل . وفي مساء ٢٢/٢١ تقدمت أرتال قوية من جنوب المضيق تقلها ٦٠٠ سيارة شحن متجهة نحـو العزيزية . واجتازت وادي مدين الذي لا يختلف عن غيره من وديان الصحراء الذي سبق ان استطلعه الضباط الايطاليون وأفادوا انه غـير قابل الاجتيـاز فكيف استطاعت اذاً القوات البريطانية الآلية والمدرعة اجتياز هذا الوادي . ان الجواب عند ضباط الاستطلاع الايطاليين وحدهم . ونجحت الفرقة المدرعة الخامسة عشر ووحدات الاستطلاع الالمانية مدة في استيعاب العدو الذي ما فتىء يتلقى النجدات العاجلة الواحدة تلو الاخرى وتمكن اخيراً من الاستيلاء على المخرج الغربي المضيق بفعل هجوم قوي جداً . وتسنى له ان يتقدم على اخلاف الجيش المدرع الذي اضطر بحكم هـذه الحركة الخطيره على اخلاء المواضع المحتلة . وتم الانكفاء بصورة مأمونه ومرضية .

وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني اكدت الاستطلاعات من جديد بأن الجيش البريطاني الثامن يتقدم باتجاه غرب المرتفعات على أرتال مختلفة لتتبعها قوات اخرى ايضاً متجهة نحو الجـاعونة . وافتكر الجيش المدرع ازاء هذه الحركة الجديدة في إخلاء طرابلس فوراً خشية الفاجعة . وامتلأ فؤاد رومل بالحرقة والأسى عندما امضى أمر الانسحاب . لقد شعر بالألم المرير الذي سينتاب الايطاليين من جراء هذا الاخلاء بيد أن هذا الألم

ليكون اعظم وأمر وأشد ايلاما لو ان الاخلاء تأخر حتى الخامس والعشرين من كانون الثاني ولكان الثمن حينئذ أعلى وأبهظ لانه سيكون تضحية الجيش بأسره . وفي مساء هذا اليوم التاريخي الحزين وصلت برقية من مقر قيادة الفوهرر العام تتساءل فيما اذا كانت صحة المارشال تساعده على الاستمرار في القيادة بعد وصول الفرق الى منطقة قابس . وقد عرض هذا السؤال لأن الفوهرر كان يعتمد ان يسلم القيادة العامة لمجموعة العمليات في جبهة تونس الحربية الى روميل . وعاد الجواب يشعر الى أن صحة المارشال متأخرة وان تمكنه من الاستمرار في العمل زمناً طويلا على رأس الجيش . والحقيقة فقد تأخرت صحة روميل وتزعزعت كثيراً بفعل المشاق التي احتملها والاتعاب التي عاناها اثناء معارك العلمين الاولى . وقد استعاد المارشال صحته قليلا في نهاية تشرين الاول ولكنه لم يستجمم تماماً ، وكان ما يزال في حاجة ماسة الى راحة طويلة وعناية تامة . وكان يرغب في الانسحاب منذ حين ولكن الاوامر الصادرة في هذا الشأن كانت عارية من الصراحة التامة . كان كل شيء في هذا الميدان يسيء اليه ويزعجه وخاصة الوعود الواهية المتوالية التي تعطى اليوم لتنقض في الغد والتي تثبط العزائم وتغرس في النفس اليأس والقنوط . وبالاضافة الى هذا الانزعاج النفسي كانت تلقى عليه كافة تبعات المسؤوليات بينما كان غيره يصدر الاوامر دون معرفة وإدراك تام بالوضعية . وكانت كافة الاعمال الجيدة التي تقوم بها جنوده تذهب ادراج الرياح بدون جدوى ولا فائدة بينما ارتوت ارض الصحراء من دمائهم وامتلأت ارجاءها باجداثهم . وقد ترك لوحده يجابه خصوما شجعانا عنيدين يرأسهم قادة اكفاء يملكون الموارد والمعدات التي لا ينضب معينها . لقد فقد المارشال تقريباً كافة رفاقه القدماء الذين كان يعتمد عليهم في الشدائد . وقتل قائد سيارته اكثر من مرة وهو على مقود السيارة ، وقتل أو جرح أو اسر أكثر



بوابة معسكر السلوم المتصدعة

معاونيه وضباطه الرافقين ورجال أركان حربه وقادة وحداته البارعين أمثال بريتوبتز ، ونوعان سيلكو ، وبسمارك ، وسومرمان . ولم يكن وحده ليتحسس بهذه الشعور المريرة بل ان كثيراً من القادة الايطاليين امثال نافاربني كانوا يعترفون بكل ما أسرف وبدد وخرب بفعل الاهمال والاوامر الخاطئة المغلوطة والتردد والتقولات والسفسطات الفارغة والتناحر والخصومات الشخصية والادعاء والغرور الذاتي .

واشار رومل في جوابه ايضا الى ضرورة ارسال الاسلحه الجديدة والمدفعية الثقيلة وخاصة الى المواضع التي ستدخل في صفحة التاريخ باسم خط ماريثا لأن مواضع قابس الدفاعية لاتشكل المضيق المحصور بين الشطوط وخليج السرت الصغير فحسب بل كان يقوم خط دفاعي محصن بُني في شرق المحلة المسماة ماريثا . وفي جنوب البحيرة الافريقية الكبرى غير القابلة الاجتياز والمستندة الى المنطقة الجبلية .

تم اجتياز الحدود التونسية في الايام الاخيرة من شهر كانون الثاني وجرى الانكفاء دون مواجهة اي عائق يذكر . ولم يتوقف الجيش الثامن في تطاوين او اسرابة وحدة هامة . ولم يبق بعد اخلاء الزوار في الواحد والثلاثين الجاري سوى الطلائع الخلفية . ولم تُخلَ هذه المواضع المتقدمة الا في الثاني عشر شباط يوم نهاية السنة الثانية لوجود رومل على الصعيد الافريقي . في هذا اليوم التاريخي الاليم سجلت نهاية حملة ليبيا واصبحت في ذمة التاريخ .

كانت هذه الموقعة الانكفائية معجزة من المعجزات الحربية حيث انجز اثنائها سوق الجيش الالماني - الايطالي عبر مئات الكيلو مترات تحت اقسى شروط العجز والحرمان ونفاذ الوقود والذخائر المتوالي وبسببها كان يمتنع على هذا الجيش خوض القتال الهجومي احياناً وفي ظروف ملائمة . اجل انه تراجع قهري امام عدو قوي مصمم ولكن لو أخذت بعين

الاعتبار نسبة القوى المقابلة والصعوبات الجمة التي كان يواجهها الجيش المدرع ودرجة الاعمال التي تعرض لها والهجر الذي لاقاه لتشكل هذه الاعمال اكبر مجد حربي شوهد في هذه الحروب الاخيرة .

وعندما وصل المارشال الى خط ماريتا احيط علماً بعدم وصول أية موانع دفاعية حتى ولا اسلاك شائكة . وكانت تجرى بعض الاعمال لحفر الخنادق ضد الدبابات وكانت ما تزال بعد قيد الانشاء . ولم يبق للملاجئ التي شيدت سابقاً من قبل الافرنسيين اية قيمة حربية يعتمد عليها أو انها دمرت منذ حين . وفي نفس اليوم اوعزت القيادة الايطالية العامة بأن المارشال روميل مرخص لترك قيادته في الوقت الذي يعينه للجنرال الايطالي ميسه لاستلام القيادة . وطلب روميل خطياً دعوة القائد المذكور الذي كان حتى الآن على رأس فيلق ايطالي على الجبهة الشرقية الروسية كي يطلعه على مجرى الحالة الراهنة بصورة واضحه . وكان يعتبر نفسه غير قادر بعد الآن على قيادة الجيش تحت الشروط الحالية . وعند قراءة هذه الجملة الاخيرة من الكتاب ، توقف المارشال لحظة ثم تناول القلم وشطب الكلمات الاخيرة وبخطه الحاد استبدلها على الحاشية بالعبارات التالية :

« لم يعد لها (اي للحروب) اي طعم او مذاق » ...

الفصل الثامن

حصار تونس

الاندفاع في اتجاه تبيسا

In der Festung Tunis
Forstoss Nach Tebessa

ادرك المريشال رومل مليا بأنه لم يعد في الامكان البقاء طويلا في البلاد الطرابلسية ولذا اخذ في وضع مشروع قابس مسبقا وهو ما يزال متربصا في موضع مرسى البريغا . وفي هذه المنطقة التي تقرر ان يقام فيها رأس الجسر الغربي كان يتوجب جمع كافة القوات المحاربة ثم العمل على توسيع المنطقة نحو الجنوب اولا وبالتالي نحو الغرب للاحتفاظ بمرفأي تونس وبيزرتا المهيئان لامكانيات تموين وتجهيز الجيش . وكانت الخطة تترتب على نقل فرق المشاة فوراً الى جبهة قابس ليتمكن من منازلة الجيش الثامن البريطاني اثناء انكفائه الى المنطقة المذكورة بواسطة قواته المتحركة بعد ان يتخلص من اعباء واثقال قوات المشاة .

وحال اتمام هذه التعبئة الجديدة وتوطيد الخطوط الدفاعية المقررة على هذه الجبهة تعمل القوات الجوية الالمانية القوية في تونس على السيطرة على قطاعات طرابلس ومنع مونتغمري من الاستفادة من ميناء طرابلس

لتأمين عمليات تموين القوات البريطانية مما يجبر والحالة هذه الجيش الثامن على سوق تموينه على الطريق الساحلية من بنغازي عبر منطقة السرت الجرداء الصحراوية .

وكان رومل يعتمد بعد اعادة النظر في تنظيم وتدعيم قواته ان ينقض على اخلاف الجيوش الانكليزية البريطانية المقاتلة في تونس لدفع فرق الجيش الثامن البريطاني المتقدمة في ليبيا الى مناطق برقة الغربية وبرقة الشرقية والاستيلاء على رحبات التموين الانكليزية المتمركزة في طرابلس والقاء مونتغمري بقواته في ارجاء الصحراء . فهذه الخطة البارعة الذي كانت اعظم ابداع في نظام الخطط الحربية وخاصة اذا سيرت تحت اشراف قائد عبقري فذ مثل رومل . وقد رفضت الخطة من قبل برلين وروما رفضا مطلقا . ولدى وصول رومل الى خط ماريتا تلقى اخبار تؤكد بان الشاحنات البحرية الانكليزية دخلت ميناء طرابلس في اول نيسان وانزلت شحناتها على اليابسة دون اي حادث او مقاومة وهكذا فقد عمل مونتغموي على التخلص من التزامات النقل على الطريق الساحلية الممتدة على طول ١٦٠٠ كيلو متر الفاصلة بين طبرق وطرابلس و ١٢٠٠ كيلو متر القائمة بينها وبين ميناء بنغازي . وتنظمت عمليات التموين البريطانية تنظيما كاملا .

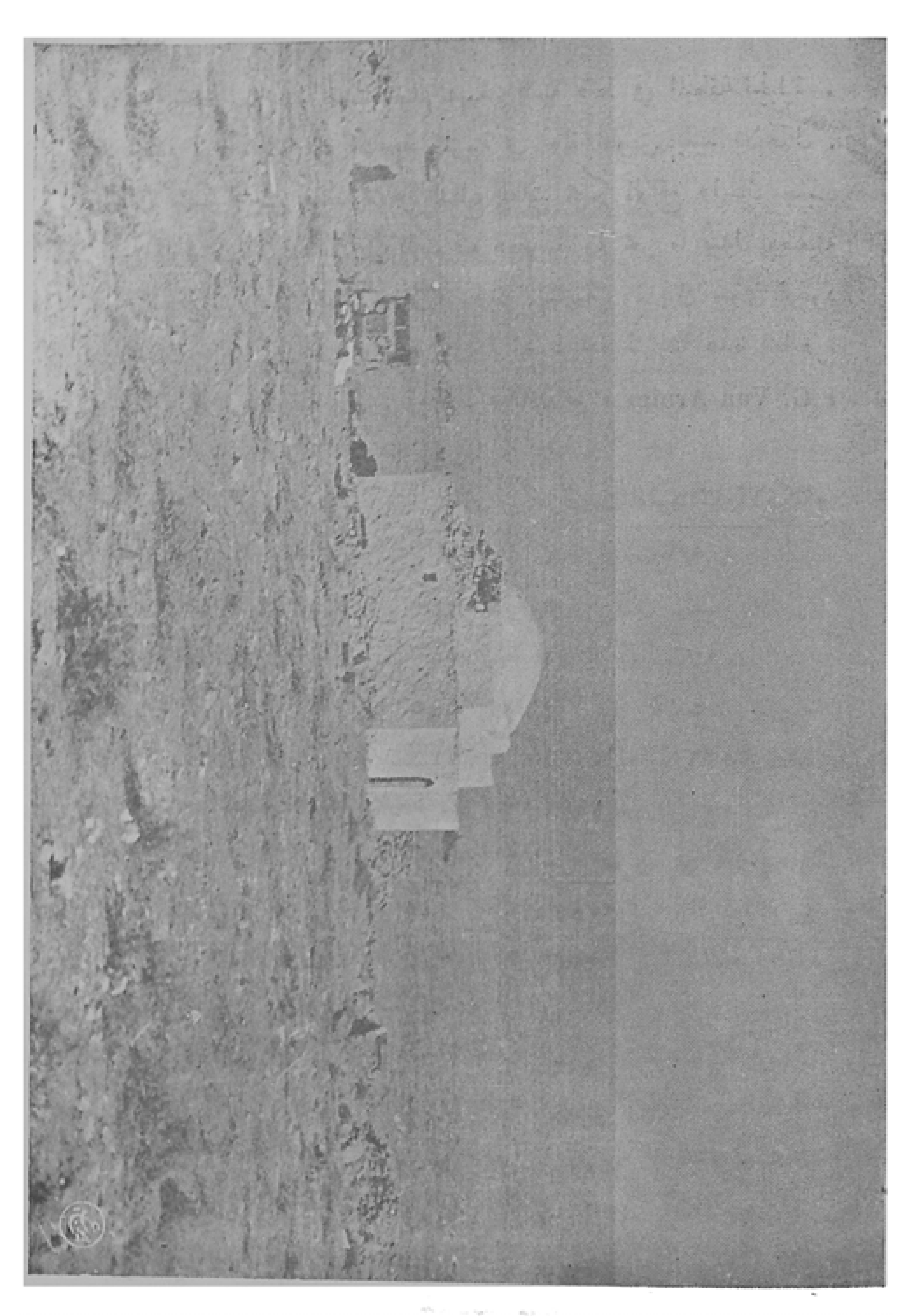
وبالتالي لم تكن الحالة على مايرام في مواضع خط ماريتا . بيد ان الجيش المدرع توطد في هذا الخط القديم الذي بناه الافرنسيون عام ١٩٤٠ وقد دمر قسم كبير منه بعد الهدنة من قبل الالمان . وما كان من المناعة وحسن الاختيار بحيث يتجاوب مع شروط الدفاع الجديدة . وكان معرضاً للاحاطة والتطويق من جهة الجنوب مخططاً بين ساحل البحر وجبل الكسور وبحكم بنائه وتخطيطة كان يتطلب قوات عديدة هامة لحمايته والدفاع عنه وخاصة من الجانب الشمالي الغربي على امتداد طرفه الايمن لخط الجبل .

كما كان يتوجب ايضاً مراقبة منطقة قفصة الواقعة شمال شط الجريد من قبل قوات احتياطية سيارة لأن هذه الشعاب كانت مشغولة من قبل العدو وفي وسعها القيام بتحركات على اخلاف الجيش الالماني .

وظل الخط الدفاعي الافرنسي القديم الذي بني في وقت قصير وبأيد محدودة المدد في الحالة التي وجد عليها من قبل . ولم تتناوله التحسينات المضطردة وظل في حالة غير مرضية . وعلى بعد عدة كيلو مترات من الخط كانت تقوم المرتفعات التي تعيق اعمال المدفعية والتي من شأنها ان تنجح بسبب كثرة الميزات العائدة لمصلحة العدو المهاجم الذي يتمكن من الاستيلاء عليها . وتوجب على الجيش والحالة هذه ان يشغلها بقوة للدفاع عنها . ولا شك ان الانكليز كانوا يعرفون هـذا الخط ويعرفون عنه المعلومات الوفيرة ومدى وقابلية المناورة الممكن توجيهها ضد هذه المواضع وكيفية اجراء التفافها . وكان في الامكان مهاجمتها من الشمال لاخذ هذه المواقـع الجنوبية من الخلف . وبعد احتلال المرتفعات السالفة الذكر وجوب الاستناد اليها لاجراء خرق في جبهة الخط المذكور .

وكانت المعدات الدفاعية الهامة تقدر بـ ٦٥ مدفع الماني و ٣٤٠ مدفع ايطالى تابعة للفيلق العشرين الذي يشغل الجبهة المذكورة مع الفرقة التسعين وعناصر اخرى موزعة بين الخطوط قوامها ١٨ بطارية ايطالية ثقيلة وخفيفة ضد الطيران و ١٢ بطاريه عيار ٨٨ مم وبطاريتين ٨٨ مم طراز ٤١ ، و ١٠ بطاريات خفيفة من الفرقة التاسعة عشر ضد الطـيران . وكانت الفرقة الخامسة عشر المدرعة في حالة احتياط وغير مستكملة العداد يضاف اليها الفرقة الافريقية التسعون التي لا يتجاوز عدادها ٣٥٠ رجل لكل كتيبة وكان ينقصها المدافع ضد المدرعات .

وكانت الفرقة ١٦٤ مكلفة بمنع المضايق والممرات الواصلة من الشرق الى الغرب ومنها مضيق كراشه ومضيق الحلوف . ولم يكن لديها سوى



مقام سيدي زرق في منطقة برقة

بطارية خفيفة واحدة معدة للقيام بمهمة دفاعية فقط في المنطقة الجبلية . ولم تكن مهددة إلا من الناحية الغربية في حالة تطويق بعيد الاحتمال . وكانت مهمة الجيش مقتصرة على الدفاع المطلق بحكم الواقع والحال وبسبب نقص الوسائل التي تمنعه على التصرف هجومياً ولم يجر ما يبدل وضعيته منذ كانون الثاني كي يستعيد قدرته وقوته السابقة . ولم ينل سوى الوعود والاقاويل . وان نظرة واحدة على لوائح عداده لتؤيد هذه الظاهرة بصرف النظر عن وضع جيش الجنرال فون ارنيم « G. Von Arnim » وهي :

	الواصل	المفرق	المفقود اثناء الانكفاء
الدبابات	١٩	٦	٦
سيارات الاستطلاع	٢٤	٧	–
المدافع ضد الدبابات	٣٩	٢١	١٧
المدافع العادية	٨	٤	٥
السيارات	٧١	١٦	١٣٦

تعداد القوات الالمانية بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٤٢

	الموجود	النقص
الدبابات	١٢٩	٢٥٧
سيارات الاستطلاع	٧	١٧٧
المدافع ضد الدبابات	١٨٢	١٦٥
المدافع العادية	٨٦	١٠٦
السيارات	٧٠٧٣	٥٧٩٤
الجرارات	٣٠٢	٩٣٨
الدراجات النارية	٤٨٠	١٨٣٩
الرشاشات	١٤١١	٢٣٨٦

	الموجود	النقص
قاذفات القنابل	١١١	٩٤
الضباط) بما فيه تعداد خدمات المصالح	١٨٤١	٧٨٨
الافراد)	٦٠٦٨٥	٣١٠٣٦

وبلغت خسائر وحدات الجيش الالماني في عام ١٩٤٢ المداد التالي :

قتيل	جريح	مفقود	مريض
٣٥٢٠	١٣٠٩٣	٨٦٢٨	٦٣٧٨٧

وقد شفي قسم كبير من المرضى في مستشفيات ليبيا واعيدوا الى الجبهة ولكن هذه المداد لايمكن اعتبارها عـداد استبدال لانها لم تعوض حتى الخسائر التي وقعت في شهر كانون الثاني . وكانت هذه الخسائر من الخطورة الى حد كبير ولكن الجيش كان يعتقد انه سيجد في قابس العـــداد والمدرعات والاسلحة الكافية التي طالما وعد بها سابقاً . قام الجيش الثامن الانكليزي بهجوم جبهي من جهة الشرق كما اطلق منـاورة احاطة عـبر منطقة قفصة على مواضع دفاع خط ماريتا الذي اصبح غير قابل المدافعة . ولم يبق اي أمل حتى في احراز نصر دفاعي متواضع . وفرضت الظروف القاهرة بالرغم من عدم كفاية الوسائل الموجودة اطلاق هجوم معاكس على منطقة قفصة لتحرير الاخلاف من العدو قبل تجدد هجوم آخر لابعاد الخطر الداهم الذي سببه وجود العدو في هذه المنطقة .

دخل الجنود بلاد تونس دون ان يهتموا بمسائل القيادة وتخطوا الحدود اثناء ريح قاصم وبرد شديد جداً وكأنهم استيقظوا من حلم ثقيل حيث ظهرت امام انظارهم لاول مرة افريقيا جديدة لاعهد لهم بها ، ولم يشاهدوا منظرها من قبل ولم يتخيلوا مطلقاً ما يرونه اليوم . وعلى سعة المرايء كانت تنبسط امامهم المناظر الخلابة الرائعة والجبال المتوجة بالثلوج وهي تبرق تحت أشعـة الشمس . وكانوا في طريقهم عبر بساتين

الزيتون الخضراء يشاهدون القرى العربية الصغيرة ببيوتها ذات الابراج الدائرية والطوابق المتعددة المحازية للطريق الضيقة وتزين تونس الاحراج اليانعة والحدائق الغناء والحقول الخضراء يرويها الماء الزلال الجاري . وكانت مناظر شيقه تفرح القلوب وتؤنس النفوس وخاصة النفوس التي بحّت حياة الصحراء واجوائها القاسية بعد حرب دامت سنتين . وكانت عيونهم لا تكاد تصدق صحة هذه المرائي والمناظر . وما كان منظر البلاد التونسية التي حبتها الطبيعة الكريمة بكل روائع ونفائس الربيع الاخاذ يبعد عن جنود الصحراء القدماء شعور الحنين الجديد الذي تولد في أعماق نفوسهم الى تلك الصحراء التي فارقوها منذ عهد قريب . ومع انهم كانوا يتذوقون جمال وروعة هذه الارض المباركة الخصبة المطرزة بحقول نبات الخشخاش الموشي بالالوان الحمراء القرمزية الزاهية ونبات الجبل المسمى « لارنيكا » الذي يستعمل في الطب والالوان . انهم مازالوا يحتفظون بذكريات ارجاء الصحراء الليبية الفسيحة وسعة السهول التي لا تحدها الحدود وهبوب رياح السموم وسكون الليالي الهادئة المقمرة والمنورة بملايين النجوم اللامعة . ويتذكرون بحنين كل مايدركون عن هذه الارض التي تسيطر عليها الآلهة العجيبة والشياطين المخيفة . اجل على صعيدها الف هؤلاء المحاربون القدماء حب الهدوء الصامت والوحدة الحالمة بأيام الخليقة الاولى . وهذا الماضي القريب كان يميزهم عن رفاقهم جنود الفرقة الخامسة المدرعة الذين كانوا بوسعهم ان يبسطوا لهم ايديهم بالتحية والمصافحه الاخوية . هؤلاء الذين ما كانوا ليفهمون ويدركون التأثير الروحي العميق الذي تركته حياة الصحراء في نفوس هؤلاء الرفاق ولا يعرفون الشروط التي دارت بموجبها وقائع الصحراء في هذا العصر . وهنا في تونس السعيدة تبدل الحال وتغير المجال . لقد اودعت شرائع الصحراء في الصحراء وتوجب اتباع اسس وشرائع وانظمة جديدة

في هذه الارض الجـديدة بالنسبة الى شيوخ الصحراء . واختلف نظـام الحرب ونظام اطلاق سفن الحرب البريه عبر الصحراء والجالات الرحبة للتلاقي والاختراق والاختـلاط وتوجب العودة الى الفن الحربي المعتاد . وتوجب على جنود المشاة اخفاء أجسادهم في حنايا سلسلة جبل الاطلس وحفرها واوكارها وقد اصبحوا اليوم الممثلين الاساسيين لادوار القتـال والمعـارك .

وكان العرب يختلفون في الحضر عن البدو الرحل في البيداء . وكانوا يعيشون عيشة الكفاء والراحة وبينهم الاغنياء المؤثرين اصحاب الاراضي والمزارع الفنيـة والمتعلمين والمتحضرين والادباء وكانوا مواطنين متمدنين مهذبين لم يخفو ميلهم وودهم للجنود الالمان . وبفضل هذه الموالاة السريعة تمكن الالمان منذ اليوم الاول من توطيـد سبل الامور والشؤون على احسن ما يرجى ويؤمل . ومن الحوادث المعروفة ان الكولونيل دافيـد ستيرلينغ David Sterling رئيس مصلحة الطيران الخاصة الذي سبق ان قاد وحدات مغاوير الصحراء اثناء قيامه بمهات عديدة خاصة . وكان هؤلاء الجنود المختارون رجال الشجاعة والاقدام والمخاطرات الجريئة يعملون منذ شهر كانون كالاطفال الشاردين على اخلاف الجيش المدرع حيث كانوا يهاجمون المطارات والارتال السائرة ويقطعون الطرقات والمواصلات ويزرعون الالغـام في طريق الجيش المعادي حيث قتل فوق واحد منهـا الجنرال فون راندو « G. Von Randou » قائد الفرقة الواحدة والعشرين المدرعة . وقد قبض على رئيسها الزعيم ستيرلنيك في يوم من الايام جنود الدفاع الجوي ولكنه تمكن من الهرب في الليلة التالية وانضم الى بعض الاعراب للالتحاق فيما بعد بالخطوط البريطانية . وقدم للعرب مبلغاً كبيراً من المال لقاء ايوائهم له ولكنهم سلموه اخيراً الى الالمان دون ان يقبلوا اية مكافئة على خدمتهم الطيبة .

وانتهت اعمال التخريب التي كانت تقوم بها فصائل سترلنغ نهائياً بعد القبض على زعيمهم المدبر الموجه في منطقة قابس كما توفقت جمهرة قتال الماريشال الذاتية قبل وقت قصير ايضا من قنص سيارات لاسلكية وسيارات ناقلة وعدد كبير من جنود وحدات سترلنغ متخفين في ذي عربي ومن بينهم حفيد تشرشل الذي كان يلبس بزة المانية . وكانت الاوامر العليا المعطاة للجيش المدرع تفرض اعدام رجال العدو الذين ينتسبون الى جماعات المغاوير رمياً بالرصاص فوراً . وقد وصل الامر الى رومل وهو في جبهة العلمين ولكنه لم يطبق ولم ينفذ في افريقيا مطلقاً . وكان الماريشال رومل ينظر الى المغوار كجندي من جنود العدو في البر كان او البحر او الجو لايجوز الاعتداء عليه مطلقاً وفقاً للعرف العسكري المتبع في عدم قتل العدو الاسير . وقد اُخرق الامر الصادر من هتلر على الجبهة ذاتها دون أن يعبأ بتنفيذه احد .

وكان الفيلق الافريقي ايضاً يشتمل على تشكيلات متشابهة مهمتها العمل على ماوراء خطوط العدو وقد حرر كثيراً من هؤلاء المغاوير الالمان اكثر من مرة اثناء المعارك الجارية . ومثل هذه التشكيلات كانت معروفة منذ عهد بعيد حتى في ايام الحرب العالمية الاولى حيث استعملها الزعيم لورنس الشهير . وكانت هذه الوحدات مؤلفة من شباب شجعان مختارين مدربين بعناية . وكانوا يظلون بعض الاحيان اسابيع بل شهور عدة منقطعين عن وحداتهم يختفون بالسرعة التي يظهرون فيها كما تختفي الثعالب في البيداء . وقد تركوا لانفسهم وشأنهم ، وقاموا باعمال مجيدة في الصحراء تحت امرة المقدم بونفوليد Bonvolid ثم تحت قيادة الزعيم بوندرغايت Bondergite . وكانت محاولاتهم اجراء ماعرف عنها من الاقدام. ثم استلم قيادتها الزعيم سترلنغ الذي كان يعمل على ضرب الجيش المدرع ضربات قاصمة في شهر ايلول عام ١٩٤٢ . وارسلت عدة جمهرات من مصر

في شهر ايلول حيث ضاعفت جبهة العلمين بسير طويل عبر الصحراء الجنوبية . وقد قرر سترلنغ سوق نصف سيارته الجيب البالغة ٥٠٠ سيارة والمجهزة برشاشين طراز فيكرز ذات القصبات المضاعفة والمشحونة بالالغام والمفرقعات . واعتمد ستيرلنغ الوصول الى بنغازي واحتلال الميناء واغراق السفن الراسية فيها واحراق مستودعات الذخائر والمؤون واثارة الفوضى والاضطراب في صفوف وحدات الجيش المدرع بصورة لا عهد للمغاوير بمثلها . وعهد الى النصف الباقي من سيارات الجيب تحت امرة الزعيم هز الدين Hezaldin مهمة مباغتة طبرق والبرجة وبنينا والمطارات التابعة لها . وبالفعل فان هذه القبضة من الرجال كان في وسعها ان تفاجيء منطقة برقة الغربية مفاجئة هائلة وتستولي عليها وتخرب وتقطع كافة مواصلات الجيش المدرع . ولكنها اخفقت محاولة سترلنغ الجبارة لانه نسي الدروس التي اجادها سلفه لورنس كما جهل بأن الجيوش غير النظامية لاتستطيع مهاجمة المواقع المحصنة ولا الحصول على قرارات حاسمة لانها غير مؤهلة لهذا العمل ، وان قيمتها الحربية تتوقف على اعمالها في الاعماق وليس على قوتها في الصدام . وقد دمر قسم كبير منها اثناء تقدمها والقسم الاخر انهكه السير الطويل عبر الصحراء واصبح في حالة لايستطيع معها القيام بعمل يذكر وقتل اثنائها الزعيم هز الدين ومن المؤكد ان محاولة الانزال التي قام بها الانكليز على طبرق في منتصف شهر ايلول كانت على ارتباط بعملية الزعيم هز الدين وقد اخفقت اخفاقا زريعاً والواقع لو ان هز الدين هاجم في الوقت المناسب بقوة ٢٠٠ سيارة جيب مسلحة لاستطاع احداث ازمة محلية خطرة ولأثقل الجيش المدرع بخسارة باهظة في المعدات والتموين . ومهما كانت النتيجة فان جنود الزعيم سترلنغ الشجعان كانوا يتمتعون باعتبار كبير من قبل افراد الفيلق الالماني الافريقي وكانوا موضع اعجابهم التام حتى ان الزعيم ذاته كان يعتبر في نظرهم

كائناً روأياً من رجال الاقاصيص القديمة ولكن نشاطه توقف منذ الآن مع جمهرة الصحراء التي تفرق افرادها في كل صوب وحدب .

وحدث في هذا الوقت تبدل في القيادات الايطالية العامة حيث استبدل الكونت الجنرال كافاليروا بالجنرال امبروزيو Ambrozio واعيد الجنرال باستيكو الى ايطاليا بينما ارسل الجنرال ميسه الى تونس لتسلم القيادة .

وفي اليوم الذي استسلم فيه الماريشال فون باولوس G. Von Paulaus في ستالينغراد كانت الفرقة المدرعة الالمانية الواحدة والعشرين بعد ان اعيد تسليحها وتجهيزها تسير من جديد لمقابلة العدو . واستولت على مضيق فيض واسرت مانيوف على الف اسير ودمرت تسعة عشر دبابة . وقد اخذت التدابير واجريت التحضيرات اللازمة من أجل عملية حربية عنيفة ضد قفصه . ووافقت القيادة الايطالية العليا على الخطة الموضوعة شريطة ان تظل الطلائع الخلفية للجيش بعيدة عن العمليات وجرت مناقشات ومحادثات حول الموضوع وتقرر نهائياً استعمال كافة الوحدات السريعة للجيش واشراكها في العمليات تحت قيادة رومل العامة .

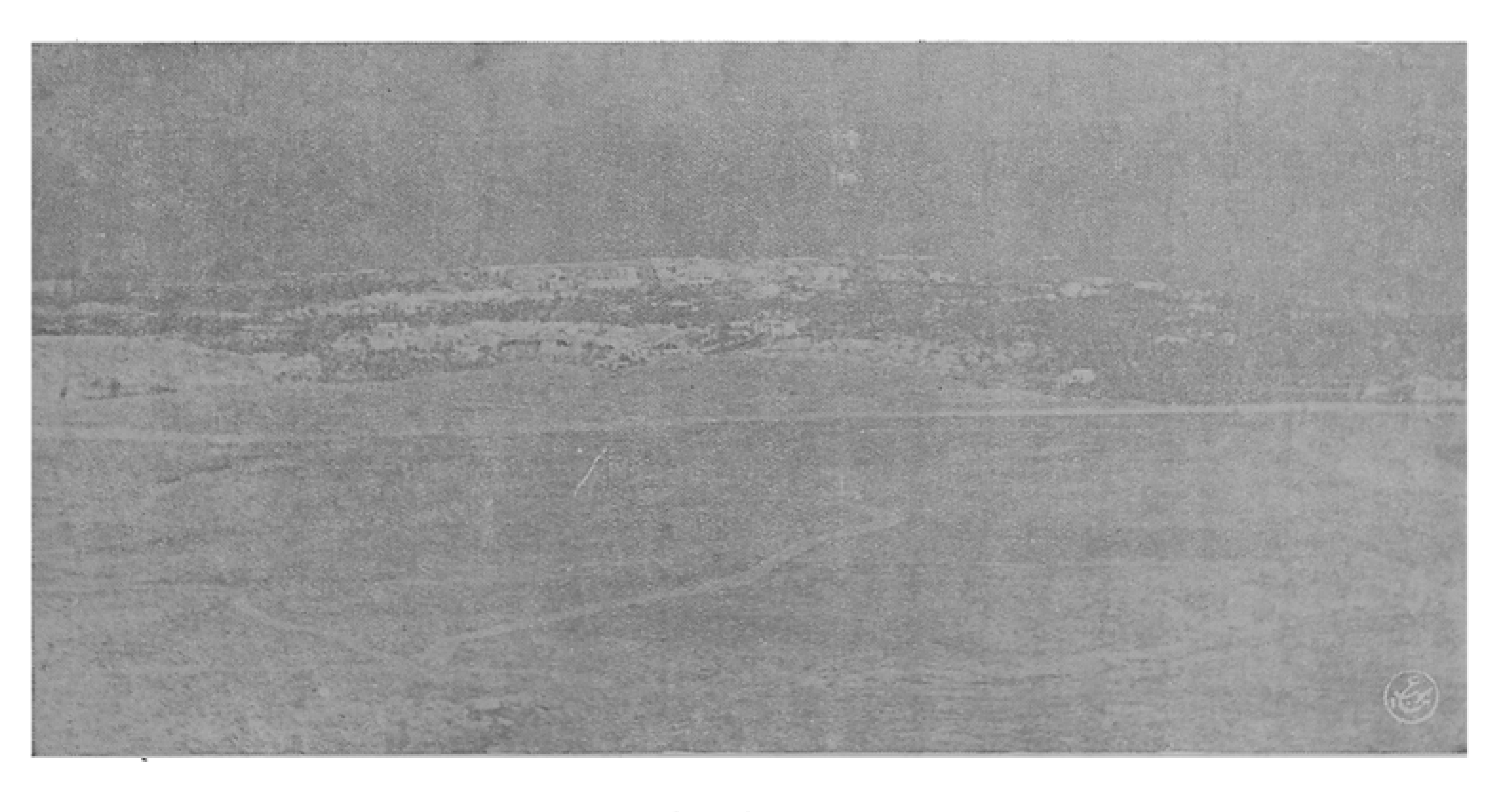
واثناء الاجتماع الذي اشترك فيه الماريشال كيسرلنغ والجنرال الفريق فون ارنيم قائد الجيش الخامس المدرع ، اعلن القائد العام للجبهة الجنوبية المحورية بأن الهدف المعين من قبل القيادة الالمانية العليا هو تدمير الجيش الاول الاميركي تدميراً كاملا . وبما ان مجموعة الجيش الاميركي كانت انسحبت الى سبيتلا وفريانا كان يتوجب من الجيش الالماني والحالة هذه الاستيلاء على سيدي بوزيد ومحاولة تطويق اكبر عدد ممكن من القوات الاميركية واجبارها على اخلاء منطقة قفصة الزور . وكان على الجيش الخامس الالماني المسير الى سيدي بوزيد بينما الجيش الالماني — الايطالي الاول يحرر جوانبه الغربية والشمالية الغربية كي يتمكن بكل سرعة من سوق عناصره السريعة على خط مارينا . وطلب الى اللواء الجوي المحافظة

على حماية المناطق المحتلة . ولوحظ ان مسألة استكمال اسلحة الجيش المدرع لايمكن ان تكون موضع بحث في الوقت الحاضر . وكانت الفرقة المدرعة الاحدى والعشرين التي اعيد تشكيلها من جديد ما يزال ينقصها كثيراً من سيارات النقل .

وقد احدث وصول الجنرال الايطالي الى تونس جوا آخرا في صفوف الايطاليين . وقد اعلن اهتمامه باكمال تعداد الوحدات المحاربة بواسطة المصالح الخلفية . وكانت تبلغ القوات المحاربة ٣٠٠٠٠ مقاتل بينما القوات الاخرى الخلفية بلغت ٥٥٠٠٠٠ جندي وطبعاً كان يترتب اعادة النظر في هذه النسبة غير المتعادلة بينما كانت النسبة ٥/١ في الجبهة الروسية وليس ٢/١ كما هو الحال في القوات الايطالية .

بدأت عملية سيدي بوزيد في الرابع عشر من شهر نيسان عند مطلع الفجر . وقد نجحت نجاحاً باهراً واجبرت الانكليز على اخلاء قفصة بصورة اختيارية . وهذه المنطقة جبلية وعرة محاطة من الشمال الغربي بقمم مغطاة بالثلوج وهي تؤلف حتى شط الجريد في الجنوب منطقة كثيرة التقاطيع تخططها الوديان العميقة التي تشكل مانعاً طبيعياً فعالا ضد اي هجوم منطلق .

وكانت الفرقة الخامسة عشر المدرعة التي تملك ٥٢ دبابة فقط تخوض معركة حامية في مدنين الواقعة جنوبي شرقي خط مارينا ضد قوات معادية متفوقة جدا والتي اضطرت اخيرا الى اجراء حركة تملص وانفلات . كما ارسلت فورا فصائل من المظليين مع قوات من المدفعية لمساندتها . وكانت جمهرة المارشال رومل تتقدم بعيدا عن قفصه وقد وصلت في سيرها الى الزور الذي اخلي ايضاً من قبل العدو . واحتل الفيلق الالماني مدينة فرينا التي ساعدت على احتلال المضيق ايضاً والتقدم نحو تبيسا . ولوحظ



مصور مدينة درنة

بان العدو بوغت تماماً لأن القوات الالمانية اقتنصت غنائم كثيرة ومنها طائرات سالمة فوق ارض المطار . وتوقفت الفرقة المدرعة الخامسة عشر من التوطد قرب ميدنين في مواضع حصينة حيث تمكنت من صد كافة الهجمات الجديدة . قرر رومل عندئذ ان يضرب على الفور ضربة ثانية ويتقدم سائراً الى تبيسا .

وقال الماريشال رومل يجب معرفة المخاطرات والقيام بها دوما . وقد ظل حتى الآن يحسن التمدير والتحديد كي يظل مسيطراً على الوضعية حتى اثناء اخطر تدابيره وترتيباته . ولكن الوضعية الراهنة تغيرت كثيراً عن الوضعيات السابقة واقتضى الاعتماد على المخاطرات اكثر من السابق .واجراؤها كثيراً في مثل هذه الاحوال والتي قد يمكنها ان تحول مجري الحوادث لمصلحة المخاطر الذي يستطيع حسابها بالارقام وموازنتها بالعقل والاستدراك الصحيح . وكان يأمل من تقدمه على تبيسا اطلاق جمهرة استطلاع قوية في اتجاه الشمال مع احتمال زعزعة نظام قتال العدو على كافة الجبهة التونسية وبالتالي تهيئة انهياره العام . وفي حالة تهديد يتناول طريق سوق العربة مثلا لا يبقى للعدو سوى طريق بون ليؤمن انسحابه المفروض . وهذا التهديد وحده كاف لاجبار العدو على اخلاء جيب تونس والإنسحاب .

وكان رومل يعتمد القيام بهجومه المقرر بقوات الفيلق الالماني والفرقة الواحدة والعشرين المدرعة والفرقة المدرعة العاشرة التابعة للجيش الخامس المدرع . وكان مصمما على مجابهة الخصم ومستعدا لمقابلته بأمل كبير وكادت الشمس ان تشرق من جديد على الظفر الضائع والنصر المفقود وان ترسل اشعتها الاخيرة من جديد على شعاب الامل لتفتح له سبيل الافق الجديد . ان الجرأة والمهارة التي اتصف بها الماريشال رومل والخبرة الحربية الطويلة المجربة التي اقتبسها طيلة سنتين في الحرب السائرة الصاعقة كانت كافية لتعطى الفيلق الالماني الافريقي اوسع الغايات والنتائج

ولكن قيادة الجيش الخامس لم توافق على هذه الخطة ولم تثق بها وقررت ان تعيد الفرقة التي تخصها الى مواضع الخروج الدفاعية وكان يتوجب آنئذ عرض القضية ونقطة الاختلاف على قيادة الجبهة الجنوبية للحصول على قرار موسوليني ، ووصل القرار المنتظر في الليلة التالية وكان يشتمل على نفس الاغنية المعهودة « الرفض » .

ان الذين لم يخشوا حتى الآن ان يفرضوا على الجيش المدرع مهمات لم يكن معداً للقيام بها بفعل نقص التموين ، والذين كانوا يقررون له حدوداً معينة فيما سبق من جراء جهلهم الاحوال الراهنة ووضع العدو وأهميته ، يلاحظ انهم أساءوا آنئذ تقدير قوات الجيش الحقيقية وتهيبوا في السماح له بأية مخاطرة جديدة أو أية محاولة يهدف اليها المارشال رومل ويضعها نصب عينيه لتحقيق ظفر جديد يبعثه الى الحياة بعد انقطاع الأمل في في الحياة . وكانوا يعجزون حتى عن التفكير بامكانية تطويق العدو وأخذه من الخلف وقطع خطوط مواصلاته الجوية وزرع الفوضى والاضطراب في صفوفه وفي نظام انتشاره امام جبهة تونس وضرب الوحدات الانكليزية والاميركيه التي تفوق الجيش المدرع اضعافاً مضاعفة وتدمير المشاريع الكبرى التي وضعها الجنرال ايزنهاور « Eisenhauer »والجنرال اندرسن « Auderson » وتحويل ظفر الحلفاء الذي بدأ يبتسم لهم ابتسامته المطمئنة ؟ .

أجل كل هذه العوامل كانت في نظر القيادة الالمانية بعيدة التصور والاحتمال وابعد من أن تتناولها قدرة الجيش المدرع . هذه القيادة الجامدة المرتبطة بالاعتبارات والتقديرات البعيدة عن العبقرية وحسن التدبير الحربي اللهم إلا في الايمان بالمعنوية التي أسيء فهمها في العصر الحاضر ، معنوية الغرور القائمة في دوائر الحرب العليا . فما بال هذه المعنوية التي قيل عنها انها لا تغلب ولا تقهر تضمحل وتفنى في النفوس التي ابدعتها وعبدتها

تحت تأثير الخنوع والخضوع .

ألم يكن روميل فيما سبق ضعيفا في عداده وعدته عندما دحر العدو اكثر من مرة ومزقه شر ممزق ؟ ألم يقاتل هذا العدو مرة بعداد ٧/١ ومعدات ١٠/١ فكيف انتصر وكيف قهر ؟ ألم يردّ العدو الى اقصى الحدود وكان قاب قوسين أو أدنى من القضاء عليه لو مُكنت له الوسائل المطلوبة او أقلها ؟ . انها الاغنية المعتادة التي ستوافق المصير حتى النهاية .

ولذا فقد عدلت مقترحات روميل . وهل تكون برلين وروما في سياق عمليات الصحراء الحربية أعلم من هذا القائد الكبير الحنك الذي كان يقود هذه الجبهة بالذات منذ سنتين ؟ وهل هما أعرف منه في حالها وامكانياتها . ولكن شتان بين روميل في الصحراء والفوهرر في برلين وموسوليني في روما . لقد اقرت القيادة الالمانية العليا احتلال تبيسا شريطة ان يجرى الهجوم باتجاه كيف ووضعت تحت تصرف روميل لهذا القصد الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين والفرقة المدرعة العاشرة . وظهر جهل القيادة العامة بواقع الحل والوضع من جديد في هذا التوجيه المفروض . ولكن ما شأن القيادة العامة العليا في تحديد الاهداف التعبوية للقتال لقائد جبهة عام يعرف كل ما يكتنف هذا الميدان من ظواهر وخفايا وامكانيات واستدراكات لا تحيط بها القيادة العامة ولا مقرات الفوهرر والدوتشي .

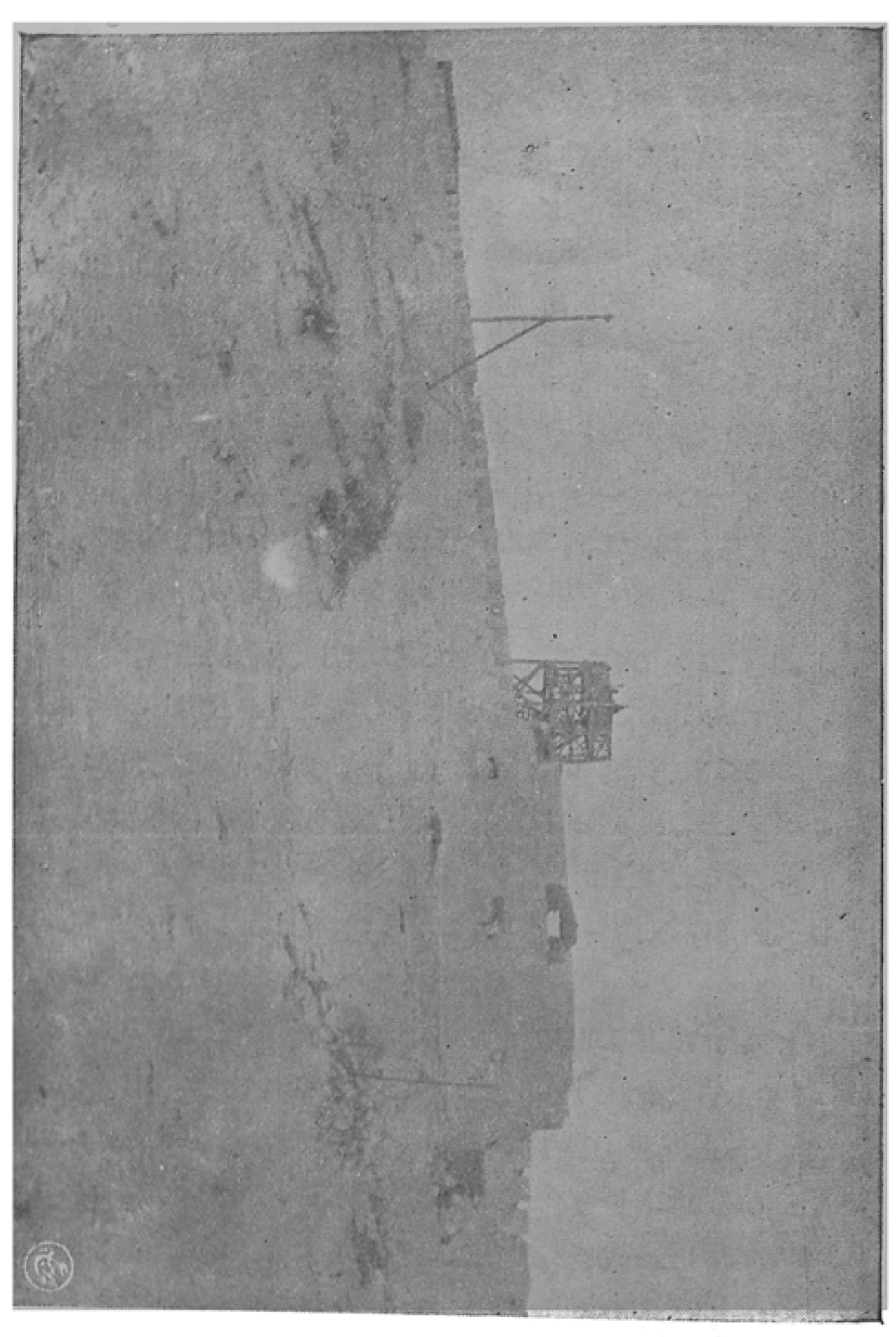
كان روميل شديد الأسف لمثل هذه التصرفات . وكان يعرف ان مثل هذه القرارات المفروضة هي التي ستحرج الوضع وتؤزم الوضعية معاً . ومما قاله في هذا الصدد « انني اعتبر الكيف هدفاً قريباً جداً من الجبهة ومهاجمته معناه الاصطدام باحتياط اندرسن بكامله وهو ما حدث بالفعل . ان هذا الهجوم لن يحقق الغلبة المؤملة ولن يحدث في صفوف العدو الاضطراب الحقيقي المنتظر الذي هو الهدف المنظور » وقد صح ما توقع المارشال وتنبأه . وسارت الامور كما اقترحت القيادة العامة . وكان من جراء ظهور

الدبابات الالمانية في مواضع (كيف) و (تهلا) حدوث أزمة خطيرة جداً والحقيقـة فان الهجوم على تبيسا كان يستدرج نتـائج واسعة المدى ولكان رومل وصل الى ما كان يؤمله ويتوخاه .

نفدت اللحظة الجديدة وبوغت العدو في كسرين واصيب بخسائر ثقيلة . وتقدم الجيش المدرع الى سبيتلا ، واحتل اربعة مطـارات وغنم معدات هامة ومؤن ووقود اكثر اهمية ايضاً وتوجب من اجل التقدم الاستيلاء على ممر كسرين . ولكن الفرقة المدرعة العاشرة تأخرت في التقدم وهي في سيرها الى مدينة القيروان بفعل المعارك العنيفة التي خاضتهـا لاحتلال هذا الممر . وعندما وصلت الفرقة المدرعة بدأت بمحاولة احتلال المضيق . وانطلقت معركة دبابات حامية عندما كانت تختفي اشعة الشفق الاخيرة . وكان يتوجب اجراء الاختراق بسرعة لان النجدات كانت تتوالى على العدو ساعة بعد ساعة . وفي هذه المعركة الدائرة دمرت ٢٢ دبابة انكليزية و ٣٠ سيارة نقالة مدرعة وسقط عدد كبير من الاسرى في يد القوات الالمانية . وتم احتلال المضيق وتقدمت المشاة بقوة لاشغال المواضع الجديدة . وتميزت في هذه المواقع كتيبة رماة ايطالية تصرفت بشجاعة نادرة المثال .

وبينما كانت الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين تتقدم نحو الشمال على طريق سبيتلا وزبيبا قرر رومل الاندفاع تواً باتجاه طحله ـ جرده . واطلق الفرقة المدرعة العاشرة التي وصلت الى طحله واتت على عدد من المدرعات والمدافع ضد المدرعات الانكليزية . وكانت المدرعات الالمانية تلاحق سيرها حاملة المشاة فوق ظهورها وبدت مقاومة العدو تضعف وتتزعزع رويداً رويداً .

وفي هذه الاثناء خاض الفيلق الافريقي قتال مدفعي عنيف ضد تقدم جمهرات الصدام المعادية اضطرت معه الفرقة المدرعة العاشرة الى التملص والانحراف نحو الجنوب وقد خسرت عشرة دبابات . ولـكن من حسن الحظ توقفت طلائعها الامامية من اجتياز الممر في جنوب طحله كما وقعت



قلعة المقيلة القديمة مع برج المراقبة

في شرك بريطاني نصبته الافواج الانكليزية المتقدمة التي تركت المدرعات الالمانية تمر بهدوء بغية مهاجمتها من الخلف . ولكن الفرقـة تمكنت من توطيد الوضعية واسرت قرابة ٧٠٠ جندي انكليزي . وهنا ايضاً تنادى احتياط العدو سريعاً للنجدة .

ظهر كيسرلنغ في ٢٢ نيسان حوالي الظهر فوق ميدان القتـال . وكانت الوضعية تتأزم اثنائها على خط ماريثا عندما اطلق الانكليز هجمات قوية متباعدة على الفرقة المدرعة الخامسة عشر . وقد اوقف القتال بناء على ايماز رومل وانسحبت القوات رئيـداً الى مواضع الخروج بعـد ان لغمت كافة المنطقة ودمرت كافة المنشآت الهامة ونسفت الجسور وجعلت الممر غير قابل الاجتياز .

واغتنم كسرلنغ هذه المناسبة ليسأل رومل الذي كان يرغب في اجراء هجوم نحو الجنوب اذ كانت صحته تساعده على استلام مهام قيادة زمرة الجيوش التي تتشكل آنئذ في تونس ولو موقتاً . وما كان في الامكان اجراء غير ذلك لان صحة رومل سائت جـداً ومع ذلك فلم يمنح سوى ثلاثة اشهر للاستراحة فقط وكان يتوجب ان يقضي نقاهـة مدة شهرين . وصدر الامر القاضي بتشكيل زمرة الجيوش في ٢٣ نيسان والتي عين لها المارشال رومل قائداً عاماً .

وطالما كانت عوامل الاختلاف مع القيادة الايطالية العامة قائمة كما في السابق والتي طالمـا اظهرت استيائها بسبب اخلاء المواضع الامامية من الحدود الليبية بدون موجب كما تدعي قائلة بانه لم يكن اي جندي ايطالي يقر اجراء هذه التدابير في هذه المنطقـة حتى ولا في خطوط ماريثـا الدفاعية كما تدخلت مرة مع الجيش الخامس الذي كان يحضر هجوماً على منطقة مجاز الباب . وكانت زمرة جيوش الجنرال فون ارنيم التي تشكلت حديثاً تستعد للقيام بهجوم على منطقة مجاز الباب وقبل موعـد الهجوم

بيومين تلقى الجنرال المذكور امراً بوجوب الهجوم ليس على مجاز الباب ولكن على منطقة بيجا الواقعة بعيداً الى الغرب دون ان يشعر المارشال رومل القائد العام لزمرة الجيوش المحورية بالامر الا في الخامس والعشرين الجاري مع العلم انه كان القائد العام لهذه الجبهة . وكانت القوات الموجودة آنئذ غير كافية للقيام بمثل هذه العملية الواسعة المدى كما ان القوات السريعة لم تتمكن من الاشتراك في الهجوم . وبالاضافة الى هذه الاوامر العرضية اوعزت روما ايضاً باجراء هجوم عام في مطلع شهر آذار ضد الجيش الثامن البريطاني .

وقد اخفق هجوم بيجا الذي اجرى بقوات ضعيفة وتوقف بعد ان دمرت جمهرة دبابات المانية هامة وعطل عدد من الدبابات النمر (تايكر) عن القتال . وبسبب خطأ القيادة الايطاليـة العليا اصيبت زمرة الجيوش المحورية باخفاق جديد كانت في غنى عنه في الوقت الحاضر . وبالفعل كان يمكن تحاشي هذه الكوارث لو ان روما سمت للتوفيق بينها وبين القيادة الالمانية حول تجارب الخطط المختلفة الموضوعة . ولم ينج رومل فيما بعد من الملامة لعدم تحقيق ذلك التوطيد في الخطط المشتركة . وهل نجح رومل يوماً في توفيق القيادة الايطالية مع مستلزمات القتال المشتركة في افريقيا ؟ . وهل كان يستطيع ان يفرض ارادته على القادة الايطاليين الا بالقسر والجور ؟ وهل استطاع ان يحصل منهم على ما يعينه في العمليات الحربية والتموين .

وفي مطلع شهر آذار كانت وضعية زمرة الجيوش كانت كما يلي :

بلغت القوة المحشودة على الجبهة التونسية البالغ طولها ٤٥٠ كيلومتراً ٣٤ فوجاً المانياً و ١٤ فوجاً ايطالياً (باعتبار الفوج مؤلفاً من ١٠٠٠ بندقية . وكان نصيب الفوج الواحد على الجبهة ١٠ كيلومترات . وكانت مجموعة البطاريات العاملة ٤٩ بطارية منها ٣٣ بطارية خفيفة .

ولحماية الساحل الذي يبلغ طوله ٤٠٠ كيلو متر لم تخصص زمرة الجيوش سوى فوجين المانيين وفوجين ايطاليين وفوج عربي مع ١٥ بطارية ثابته اخذت من الدفاعات الافرنسية القديمة .

وبلغت قوات العدو المقابلة المقادير التالية :

الجيش البريطاني الاول ويشمل على :

— فرقتي مشاة)
— فرقة مدرعة) ومجموعها ٥٠،٠٠٠ جندي
— لوآن خاصان)

وتؤلف ٢٨ فوجاً و ٢٤٠ مدفعاً و ٤٠٠ بمدفع ضد المدرعات و ١٦٦ دبابة

ب — **الجيش الاميركي** : وقوامه ٢١ فوجاً و ٢٠٠ مدفعاً ضد المدرعات وتبلغ قواته ٤٠،٠٠٠ جندي و ٢٠٠ دبابة .

ح — **الفرقة الفرنسية الثالثة** البالغ مجموعها ٤٠٠٠٠ جندي وكانت كل هذه القوات مرابطة على جبهة الجيش الخامس وامام خط دفاع ماريتا . وكان الجيش الثامن يبلغ ٨٠،٠٠٠ جندي يؤلف ٣٩ فوجاً و ٤٠٠ مدفعاً عادياً و ٥٥٠ مدفعاً ضد الدبابات و ٩٠٠ دبابة . اي تعداد تسع فرق كاملة .

وكانت زمرة جيوش المحور تملك ٨٠،٠٠٠ جندياً المانياً و ٤٠،٠٠٠ جندياً ايطالياً في الخط الاول . وكانت المصالح الخلفيه بما فيها الطيران والبحرية تعد ٢٣٠،٠٠٠ رجلا منهم ١٥٠،٠٠٠ ايطالي .

ووفقاً لهذه النسبة في القوات المقابلة فان المواضع الدفاعية الالمانية الايطالية لا يمكن ان تكون في قوامها سوى مخافر دون اعماق ودون مساندة كاملة مجدية بالرغم من انها كانت محمية على قسم كبير من مساحتها بسبب وعورة طبيعة الارض غير الصالحة لاستعمال الدبابات في كثير من الاما كن . ولكن هذه الجبهة كانت معرضة في كل آونة لعمليات الاختراق من قبل قوات المشاة واخذها من الخلف بواسطة التسلل والانسياب .

وكان من المتوقع في نظر قوات المحور ان العدو سيهاجم تباعاً حالما يشعر باستعداده للقتال في كافة القطاعات وانه سيوفق في اجراء الاختراقات المزعومة بسهولة في هذا الخط المجرد عن الاعماق التعبوية . والمعلوم ان قيادة زمرة الجيوش المحورية كانت تملك بالفعل قوات احتياطية مهيئة ضد الاعراض المتوقعة ولكنها غير قادرة على سوق احتياطها من قطاع الى آخر اجابة لكافة الاحتمالات الهجومية التي يمكن ان يقوم بها العدو ، فانه يتوجب مالا يقل عن أربعة او خمسة ايام لامكان نقل قوات هامة من اقليم جيش الى اقليم آخر بالاضافة الى ما تطلبه هــذه الحركة من الوقود الكثيرة .

والدور الوحيد الذي كان بوسع زمرة الجيوش ان تقوم به هو محاولة زرع الاضطراب في صفوف العدو بهاجمات وغارات عنيفة محتملة الحدوث واعاقة تحضيراته الهجومية وتأخير انطلاقها اطول مدة ممكنة . ولكن هذا الهجوم المنتظر محتمل الحدوث بين يوم وآخر حيث يواجه الجيش الاول آنئذ احتمال انفراده وانعزاله في الجنوب . وللاحتيـاط ضد هذا التهديد كانت زمرة الجيوش المحورية تسعى لتقصير خطوط الجبهة حتى ولو اضطرت لاخلاء بعض المطارات التونسية . وكانت تعتمد المقاومة اطول مدة ممكنة حتى في حالة انهيار خطوطها ازاء الهجمات الاولى القوية .

ألم يكن من الممكن استنتاج الحوادث ؟ وهل وجب ان تتردد الفاجعة ؛ فاجعة الجيش المتروك دون عداد ودون وسائل كافية ؟ ولماذا الانسياق في مثل هذه المغـامرة اذ ان ادراكا بسيطاً للوضعية الراهنة ليبرهن على ان التدابير المتخذة كانت خاسرة وان الاندحار لا يمكن ان يؤجل بفعل خسائر وتضحيات جديدة، وان الاندحار امر غير قابل التحاشي والتلافي ، وما تزال برلين على عقيدتها الخاطئة بان معنوية الجيش الالماني المتفوقة لا تغلب ولا تقهر . وكان يقنيها بان النصر والظفر لينبثق عن

الازمات العنيفة التي طالما عرف قادة الالمان الاستفادة منها لتحقيق الغلبات الكبرى . أجل لقد كانوا يقولون في المانيا (**بان العجلات تعمل لاجل النصر**) وكنت تقرأ هـذه العبـارات على مدخل المصانع والمعامل في كل بقعة من المـانيـا .

وفي شهر آذار لم يحدث أي تجدد في حالة التموين وقد مضت خمسة اشهر على الوعود التي اعطاها هتلر في شهر تشرين اول . وكانت المؤن والذخائر التي تصل لا تكفي الحاجة الجارية ولم تكن هناك مسألة ايجاد مستودعات احتياطية قط . وكانت الوحدات ذاتها بعيدة عن استكمال عدادها الاستبدالية والاسلحة اللازمة التي كانت تنتظرها .

وبما انه كان من المستحيل توقع حـدوث عمليـات حربية تنتهي باخراج الجيش الثامن البريطاني من حلبة القتال او القوات البريطـانية ـ الاميركية العاملة على جبهة تونس الغربية واستبعاد امكان دحرها وتدميرها فقد طلبت قيادة زمرة جيوش المحور الى مقر الفوهرر العام والى القيادة الايطالية العليا رأيها وغايتها ونيتها ورغبتها الواضحة والطريقة التي ترغب بها مواجهة سير العمليات الحربية في تونس . وعرض الجنرال فون ارنيم للقيادة العامة لميدان العمليات الحربية وضعية زمرة جيوشه بدون أي تمويه او تحوير او تزويق ومما قاله : « **ان منطقة تونس قلعة محصنة وموضع مركزي وتعبوي عظيم ولكنه خال من الاحتياط والذخائر والمؤن تتحكم في مصيرها مسألتان حاسمتان وهما :**

ــ هل القوات المتحركة كافية لتدمير احدى زمرتي العدو الشرقية او الغربية ووضعها عملياً خارج امكانية القتال ؟.

ــ هل يمكن لتونس ان تجهز وتمون بصورة كافية لتشكيل احتياط ضروري مستلزم ككل قلعه محصنة او وضع مركزي مشابه » ؟ ولكن لا جواب على هذه الاسئلة الحرجة سوى الجمود الاصم على الحـالة الراهنة

والسكوت الاخرس .

وكانت الحالة في روما كما في برلين يغمرها التفاؤل القائم على اساس واه عديم الاهمية . ألم يصرح هتلر اثناء أزمة العلمين بقوله :

« انني اصدق موسوليني اكثر مما اصدق قادتي العسكريين » .



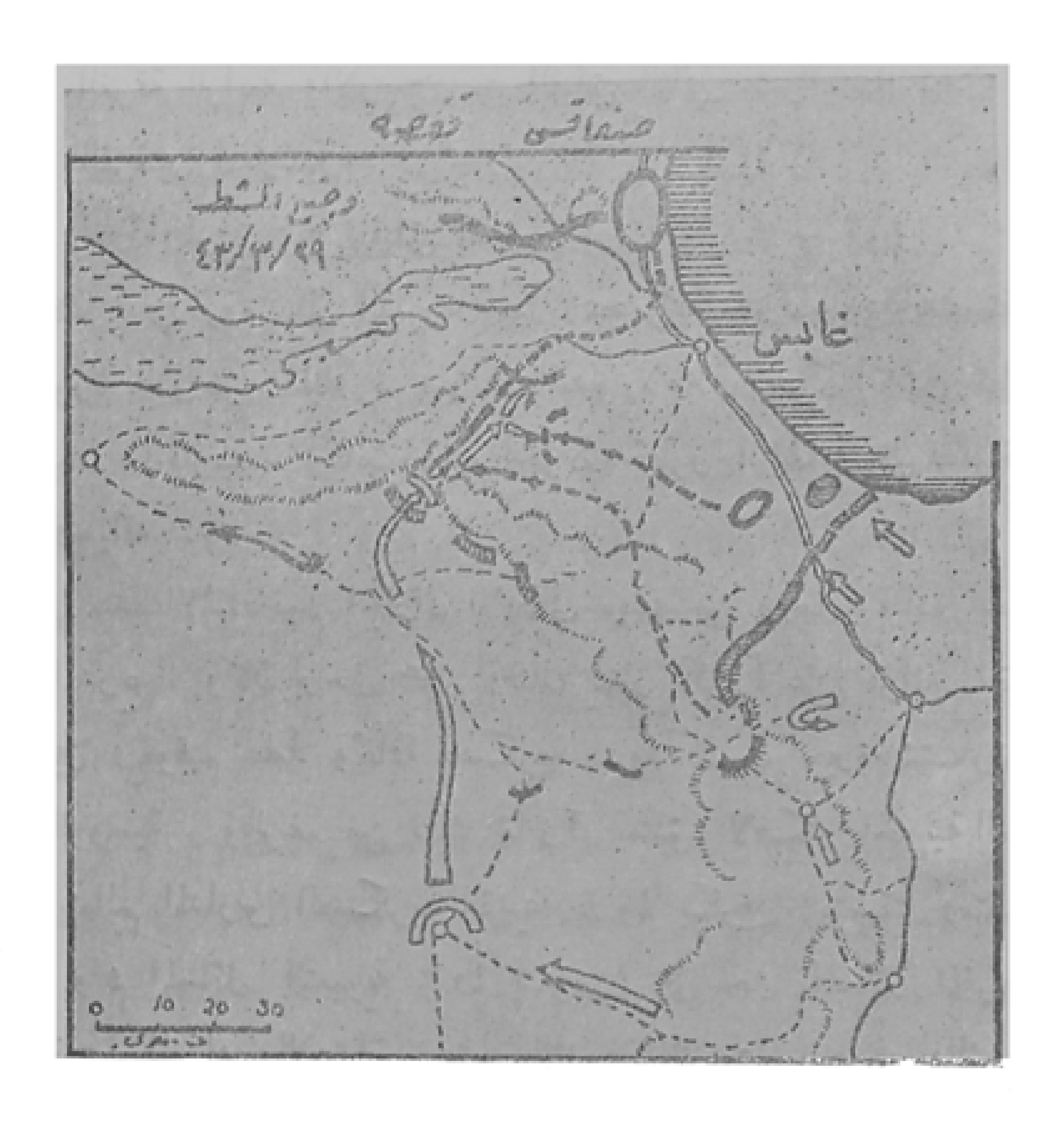
القتال النهائي حول تونس

لقد طلب اليه رومل ان يأتي لزيارة افريقيا وأن يتحقق بذاته الوضعية الراهنة . ولكن منذ عام ١٩٤١ انقطع هتلر عن زيارة الجبهات الحربية ولربما افتكر بأن الموفقيات المحدودة التى اكتسبها الالمان في معركة تبيسا

دفعته الى الاعتقاد بأن زمرة الجيوش كانت أقوى مما قدرت اليه واكثر قوة مما كان يظهر وكان يكفي ان يجيب بشرف على السؤالين اللذين عرضها الجنرال فون ارنيم ايمزق بجوابه آخر الحجب والاشياء التي تختمي وراءها كلمة مقطوعة (لا) وكفى وهي الكلمة المحبوبة الى هتلر عندما يخرج عن مجال وعيه وقناعته الذاتية .

ووضعت اهمية السلاح الجوي الالماني الرئيسية تحت المجهر بصورة لا تقبل المعارضة والرد ايضاً . وكان عليها ان تؤمن سلامة النقل البحري ولكنها لا تستطيع تحقيق هذه الغاية وقد تدنت قدرتها الى حـد لم تعد تغيب حتى عن بصر وبصيرة اصغر الجنود المحاربين . وبالرغم من خوضها اخيراً المعارك الطاحنة ببطولة وبسالة لم تكن لتستطيع ان تبدل او تغير شيئاً في الوضعية القائمة . وبالرغم من التضحيـات التي كان الطيارون يهرعون اليها باختيار ورضاء كانوا يجدون انفسهم في تدن يائس امام عدو متفوق الى درجة قصوى . وكانت مقاتلاته وقاصفاته ممدة لان تتدخل في كل آونة وبأية عداد مطلوبة وتقلع من قواعدها ومطاراتهـا المديدة الواسعة الـكاملة التنظيم والتجهيز . وكان من أعظم الاخطاء التي قام بها المحور احتلال جزيرة كريت الذي ظل دون نتيجة وتدمير جزيرة مالطا بفعل القصوف دون احتلالها واستغلال اهمية موقعها السوقي وهي اخطـاء غير قابلة التلافي . وحقـاً فجزيرة مالطا المهشمة المحطمة الجـريحة ضمدت جروحها ونهضت من جديد واستعادت قوتها ومركزها السوقي للعمل على مؤازرة عمليات الحلفاء . ولا نغـالي اذا قلنا بأن الموفقيـات العديدة التي احرزتها قوات المحور في ميادين عمليات البحر الابيض المتوسط لم تستغل القيادة العليا نتائجها الا ما ندر . وبالرغم من الانذارات المتوالية والنداءات المتعاقبة في كل ساعة وفي كل يوم من اجل النجدة والعون يرسلها عبر الاثير قائد مغوار يعرف ما يقوله وما يعمله فقد ظلت هذه القيادة العليا

طرشاء امام التوسلات اليائسة وتركت هذا القائد بدون وسائل ومعونة وفي اذار ١٩٤٣ فكر رومل في اللحظة الاخيرة وايس في امكانه ان يعمل غير ذلك مقترحاً انقاذ ما تبقى لديه من القوات من الهلاك والاسر بغية الاستفادة منها ومن خبرتها الحربية في ميادين اخرى ولكن رفض اقتراحه ولم يؤخذ به . ولو توفق في ذلك ، ورضيت القيادة عن مقترحاته لوجدت



تحت تصرفها قوات كافية في جبهة ايطاليا تعتمد عليها في المستقبل وكل ما ارادته القيادة العليا لم يخرج عن فكرة العمل على تأخير وقوع الكارثة وازعاج الجيش الثامن البريطاني وبالتالي مضاعفة الخسائر

والتضحيات السابقة . ان فكرة غارة تبيسا المظفرة لم تستطع ان تعطي النتائج المتوقعة التي كان يتوخاها روميل لتدخل القيادة العامة بغباوة في سياق ومجال العمليات الحربيه . وكان روميل يسعى بحركاتـه الى زرع الاضطراب والفوضى في صفوف قوات مونتغمري كلها وكان يهـدف الى احتلال مدنيـين اولا ثم الاندفاع الى بن غردانه الواقعـة على الحدود الطرابلسية حيث يلتقي بمجموعة الجيش الثامن البريطاني المؤلفة من :

– الفرقة الرابعة والاربعين من الفيلق الثاني عشر .
– الفرقتين المدرعتين .
– اللواء المدرع من الفيلق العاشر .

وكان يرمي روميل الى التدبر والعمل بمجموعة مدرعاته ودباباته مستفيداً من وعورة الاراضي المجاورة وتردد العدو لاطلاق حركة كماشة تطوقه من الشمال والجنوب . وكانت لهذه الحركة خطورتها الهامة على نظام قتال العدو وسياقه .

وفي هذه الاثناء تسلم الجنرال الايطالي ميسه من روميل قيادة الجيش الاول المدرع . وكان رجل عمل وقتال يمتاز كثيراً عن اقرانه القادة الايطاليين ويفوقهم علماً وثقافة عسكرية . واكتسب خبرة ممتـازة في الجبهة الروسية . وبالرغم من ذلك فما زال يعتنق الافـكار الحربية العتيقة ويتأثر بتعاليم المدارس العسكرية القديمة . ولم يكن متعمقاً ومتفرساً بافضلية واهم المسائل التعبوية . ولم يتمرن على حل المسائل المفروضة بحـكم نقص العتاد والاعتياض عنها بالتدبير التعبوي . ومـع ذلك فقد كان يُعتبر بين القادة الايطاليين الذين يمكن ان يعتمد عليهم ويركن اليهم . وقد تحقق بذاته اسباب الكوارث الناتجة عن مساوئ تشكيلات القيادة الايطالية الملحقة بالجيش الايطالي . ولذا حاول التأثير مباشرة على معنوية الجيش بالاتصال المباشر دوماً مع جنوده في الجبهة . كما يفعل

الضابط الالماني في وحداتهم . وهذا التأثير النفسي على الجند كان موضع اهتمام الجنرال الايطالي الكلي . وكيف لا وهو ربيب الجيش ؟ واحد القادة الايطاليين النادرين الذين تخرجوا من مدرسة نقباء الجيش ووصلوا الى درجات القادة . وكان واسع الطموح في شيء من الخيلاء والزهو . وكانت افضل خصائـله العسكرية تمتعه بروح العمل والتدبـير والنشاط الفعال المستمر .

وكان الجنرال ميسه يعتبر ان خطة الماريشال رومل غير قابلة التنفيذ ويبادله الرأي بان الهجوم على الشمال عملية كثيرة الصعوبة وغير واضحة النتائج مستنداً في ادعائه الى اسباب لهـا بعض الشأن والتقدير لأن المنطقة المذكورة كانت ملغومـة بعناية قصوى من قبل افواج الهندسة التابعة للجنرال بلوفيوس . وكان من الصعب في نظره رفع هذه الالغام وعزلها ووجوب اصماقها ونسفها مما يستلفت نظر العدو ويثير انتباهـه الى هذه الناحية وكان القادة الاخرين يشاركون الجنرال ميسه ارائه وقد ابدوا اعترافاتهم على الخطة المشار اليها وبينوا بالفعل عدم امـكانية اجتيـاز حقول الالغام او فتـــح ثغرات في ارجائهـا المرور وخاصة في مثل هذه الليالي غير المقمرة التي عينت لاجراء العملية الحربية المقررة من قبل رومل . وبالرغم من اعتقاد رومل خلاف ذلك ونزولا على المعارضة البادية لاساس الهجوم على المنطقة الساحلية اظهر اقتناعه بان الهجوم على الشمال لم يكن من الحـكمة تحت الشروط الراهنة . وطلب الى الجيش ان يتقدم بمقترحات جديدة عمل رومل على اساسها لتنفيذ قراره . والمرة الاولى في حركات الصحراء تلقي الانكلـيز الصدمة المباشرة على جبهتهم والتي ما كانوا ينتظرون حدوثها مطلقاً .

وفي السادس اذار تقدمت فرق الفيلق الالمـاني الافريقي والفرقة التسعون الخفيفة على السهل الساحلي تحت قيادة الجنرال كرامر G. Gramer

غير مجدية ويضطر العدو لمهاجمة المواضع المحصنة في الجبل دون الاعتماد على اسناد كاف من المدفعية وايضاً مجابهة قوات مرابطة مستورة وان كل حظ العدو في النجاح المؤمل يتوقف على وصول مدافعه الاسناديه التي لايحتمل ظهورها في الميدان قبل مضي عدة اسابيع لامكان سوقها ونقل ذخيرتها الى المواضع الجديدة . ويكون هذا الوقت ربحا ومتسعا للقيادة الالمانية لترتيب وتنظيم عملياتها الحربية القادمة .

ما كان رومل ليأمل قط بعد الآن في امكان تبديل الوضعية في افريقيا، ولكن كل ما كان يرجوه هو ان يصار الى اخلاء كافة القوات التي لا تشكل قيمة حربية ايجابية او التي لا تملك سلاحاً والتي ليست في ذاتها سوى حمل ثقيل على القيادة العامة وباعتبار الوضعية الزاهنة التي لامجال لتبديل مجراها المحتم، كان الماريشال رومل يعتبر ايضا بأن الموفقية الوحيدة والممكنة هي المحافظة على رأس الجسر اطول مدة محتملة والعمل على انقاص الحاميات تباعاً الى ادنى حد ممكن بصورة يمكن معها اخلاء مجموعة القوى للاستفادة منها في المعارك القادمة التي ستنطلق حتما في ارجاء القارة الاوربية مبتدئة من الجبهة الايطالية الجنوبية .

ولكن المقر العام كان بعيداً عن التفكير بمثل هذه الامور لان فكرة النصر النهائي المستحوذة على رجاله كانت تمنعه من رؤية الاشياء كما هي في الواقع .وفي شهر اذار ١٩٤٣ لم يكونوا يعتقدون قط بظهور مثل هذا الاحتمال واعني امكانيات المحافظة على افريقيا فحسب بل تعدى هذا الاعتقاد الى كسب الظفر العتيد في مهلة قصيرة جداً والعودة الى الهجوم . وكان المقرر عودة رومل الى الجبهة في الحين ولكنه تلقى أمراً بالاستراحة والاستجمام ريثما يستعيد صحته المتأخرة . وكان تعبا للغاية وفي حاجة الراحة الطويلة . وكان اثناء انسحابه الاخير من سيرانيكا يصاب بنوبات غثيان حادة لم يعالج منها منذ ذلك الحين ، واعلمه الاستاذ



الجنرال فون ايزبيك يدرس سير المعركة على الخارطة ويدون مطالعاته

هورستير الذي كان يعتني بمعالجته بوجوب انصرافه حتما الى الراحة الطويلة بدون توان وان هذه الراحة اصبحت ضرورية الى حد بعيد والا يخشى على حياته حقاً . وهكذا تبين ان دعوة هتلر لرومل من افريقيا لم ترم الى اقصاء اسمه الداوي من الاشتراك في الانحدار او منع كسوف اوراق الغار اللامعة على رأسه بل ليحتفظ بـــه تحت تصرفه وإمرته لاستعماله في ساحات المستقبل التي كان يأمل من ورائها النصر الاخـير . وقال له اتمنى لك العافية العاجلة وبعد النقاهة ارجو ان اراك قويا صحيحا . وانني اعدك انك ستقود العمليات الحربية الكبرى القادمة على كازابلانكا .

والحقيقة انه بالرغم من الوضعيه الراهنـة في افريقيـا وبالرغم من التطورات المؤسفة التي وصلت اليها هذه الوضعية الحربية وبالرغم من اراء القادة الذين كانوا يواجهون ويجابهون الحقائق، ظلت الاحلام الغريبة تداعب رجال مقر الفو هرر العام . ويظهر ان اخبار التوفيقات الاخيرة التي وردت عن مواقع قفصة وسبيتله وجنوب تبيسا بعثت في نفس هتلر بالذات تفاءلا جديداً بعيد التصور . وكان الجانبان الالماني والايطالي يسترسلان في تزويق وتنميق المعلومات الواصلة من افريقيا واحاطتها بكثير من الدعايات الواسعة، وما اسهل ترويج الاخبار المسرة ، وما اصعب تهيئة الحقائق امام الانظار التي لاتريد ان ينكشف لها الواقع وكان يقول هؤلاء الرجال ازاء تصريحات رومل المكفهرة الصادرة عن اعماق الحقائق :

« ان الرجل المريض يظل دوما متشائماً وكانو يقصدون بالرجل المريض رومل بالذات » . ولم يطل الوقت حتى بدأ مقر الفو هرر العـام يتلقى تقارير مغلوطة كاذبة فيما يتعلق بالتموين ووسائل النقل الخاصة بافريقيا وكان يتلقى التأكيدات الجازمة بان زوارق زيبل السريعة تستعمل بكثافة وعداد وفيرة والتي مع الاسف ماتزال قيد الصنع في المصانع . والحقيقة التي لاترد ان الجيش الخامس كان يملك ٣٤ دبابة والجيش الاول ٨٩ دبابة

ألمانية و ٢٤ دبابة ايطالية فقط . هذه هي الحقيقة التي تشهد لها الارقام المعدودة . وكانت الفرق الالمانية في حاجة وحدها الى ٤٠٠ دبابة . والحقيقة ايضا ان الرجال في برلين وروما ما كانوا يرون العالم الخارجي الا من بين السحب والغيوم الوردية اللون . فالامال التي كانوا يبنونها في رؤوسهم والاحلام التي كانت تتموج في مخيلتهم المطلقة الزمام كانت وحدها في انظارهم الحقائق الثابتة ومن فوقها تحلق شرعة كلاوزوتيز القائلة :

افضل الدفاع الهجوم . وطالما كان هؤلاء الرجال عاجزين عن التخلي عن احلامهم الآيفة . اذا فالدبابة والمدرعة والسفن والجيوش لم تكن معدودة الاعلى الاوراق وكانوا يعيشون في مجالسهين ويجتازون الاجواء ويعبرون البحر المتوسط ويخوضون القتال وينظمون الخطط ويعطون الاوامر والقرارات المستندة الى التقرير والخديعة . اما الحقيقة فهي غير ذلك .

ولاحظ الماريشال كيسرلنغ منذ عهد طويل هذه الالاعيب الحقيرة ولكنه ظل مخدوعا ايضا بالوعود التي اعطيت عن امكان تعزيز وسائل النقل البحري والجوي واستئناف القتال بشروط موآتية . ولكن هذه الامال اخفقت معه للمرة الاخيرة ايضا كما ضاعت مع روميل فيما سبق . واجابة لتقرير روميل المرفوع الى الفوهرر اوعز هذا الى كيسرلنغ بوجوب مضاعفة التموين اضعافاً . وقد سألته قيادة زمرة الجيوش اذا كان في استطاعته تنفيذ هذه الاوامر والتعليمات الصادرة؛ لم يتمكن من اعطاء وعد جازم . وهكذا تبخر امر هتلر في الهواء كما كانت تتبخر اوامره وقراراته السابقة . وكان قرار روميل يتناول الوضعية بطريقة غير الطريقة التي كان اعتمدها الماريشال كيسرلنغ في نهاية السنة السابقة والذي بعد التأكيدات القاطعة التي تلقاها من السلطات العليا المتنفذة ظن بان تقصير الخطوط الدفاعية الحادثة من جراء الانسحاب عن خط ماريتا يساعده على اعادة النظر في تنظيم وحداته وان النجدات كانت

بانتظار الجيش في تونس . بينما لم يقرر روميل اي توقف نهائي عند هذا الخط وان القيادة الايطالية العليا هي التي فرضت عليه هذا التوقف بالرغم من أن جبهة قابس تمتاز بأوضاعها الدفاعية عن اوضاع خط مارينا .

رفض هتلر سحب الجبهة على بيزرت في الشمال وعلى انفيدافيـل في الجنوب وأوعز بوجوب المقاومة على الخط الواصل بين رأس السراط والشطوط الجنوبية . وفي الثالث عشر من آذار صرح كيسرلنغ بأن موسوليني ابدى رأيه الخاص بالوضعية بالاتفاق مع هتلر على ان تمنع المواضع المشغولة حتى النهاية وابدى الاسباب التالية :

١ — إن قوات معادية هامة مثبتة في افريقيا ولا يمكن ان تستعمل في عمليات حربية اخرى .

٢ — ان مضيق صقلية قائم تحت المراقبة الدائمة وطالما يضطر سفن العدو الانتظار طويلا وفي حالة تعرضها لمهاجمات غواصات المحور التي تشكل خطراً عليها ونجاحاً مضموناً لقوات المحور .

٣ — ان منطقة تونس تشكل قاعدة استناد هامة للهجوم ضد اوربا الجنوبية ولذا يتوجب منع العدو من الاستيلاء عليها مهما كلف الثمن ، وأضاف الى تعليقه قائلا ان كل يوم يربح له اهميته الفائقة وقد يستدرج حوادث غير منتظرة او يحدث انقلابا اساسيا في الوضعية القائمة . واعلن موسوليني بأنه مستعد لخوض العمليات الحربية القادمة حتى آخر سفينـة تجارية وانه بالاتفاق مع هتلر قرر استعمال زمرة الجيوش في تونس حتى آخر جندي .

وكتب الجنرال فون ارنيم بعد عدة ايام من تسلمه القيادة على هامش المذكرة ما يلي : ان الذخيرة لازمة للقتال ، وان المهمة الملقاة على عاتقي ليست مسرة على الاطلاق ولم يجر حتى الآن ما يؤكد تسهيل هذه المهمة . وفي الخامس عشر من آذار اعلم الجنرال الايطـالي روسي « G. Rossi »

انه لا يملك سوى ثلاثين سفينة فقط لتأمين التموين وان كل واحدة باستطاعتها ان تنقل ٣٠٠٠ طن في الشهر الواحد . وبما ان نسبة الخسارة المتوقعة هي ٢٥ ٪ اذن فان كمية التموين يمكن ان تصل الى ٧٠,٠٠٠ طن في الشهر وهذا المقدار يكفي لتغطية حاجات الجيش في حالات الركود . كما أعلن ايضاً بأنه من المستحيل ايصال هذه الكمية الى ١٥٠,٠٠٠ طن كما طلب وأمر هتلر . تحقق عندها الجنرال فون ارنيم بصورة واضحة من قدرة وسائل التموين الراهنة، وكان جوابا صريحاً للسؤال الذي طلب الاجابه عليه كي يتدبر الامر ويتصرف حسب واقع الحال . ورأى ايضاً انه مضطر للعمل بهمة ولكن كيسرلنغ كان يحول دون اتصاله مباشرة مع القيادة الالمانية العليا . وكان يتدخل بالفعل في سياق العمليات التعبوية . وكان هذا التدخل في غير محله الاعتباري اذ انه :

« ليس في القيادة مجال لآمرين اثنين . فقائد زمرة الجيوش وحده هو الذي يتحمل مسؤولية تنفيذ التوجيهات المعطاة من قبل القيادة العليا وان القائد العام لميدان العمليات يجب ان لا يتدخل في المسائل التعبوية والتعبوية البحتة) بهذا القول رد ارنيم على تصرفات المارشال كيسرلنغ .

والحقيقة فان مهمة المارشال كيسرلنغ تنحصر في تمثيل هتلر لدى موسوليني والقيادة العامة الايطالية كيما يوفق في التجاوب بين تعليمات برلين وروما المعطاة الى زمرة الجيوش . ويمكن اعتباره من هذه الناحية فقط رئيساً لفون ارنيم . وكان بالاضافة مكلفاً ومسؤولا عن تنظيم وتنفيذ عمليات التموين وقيادة عمليات السلاح الجوي الالماني والبحري .

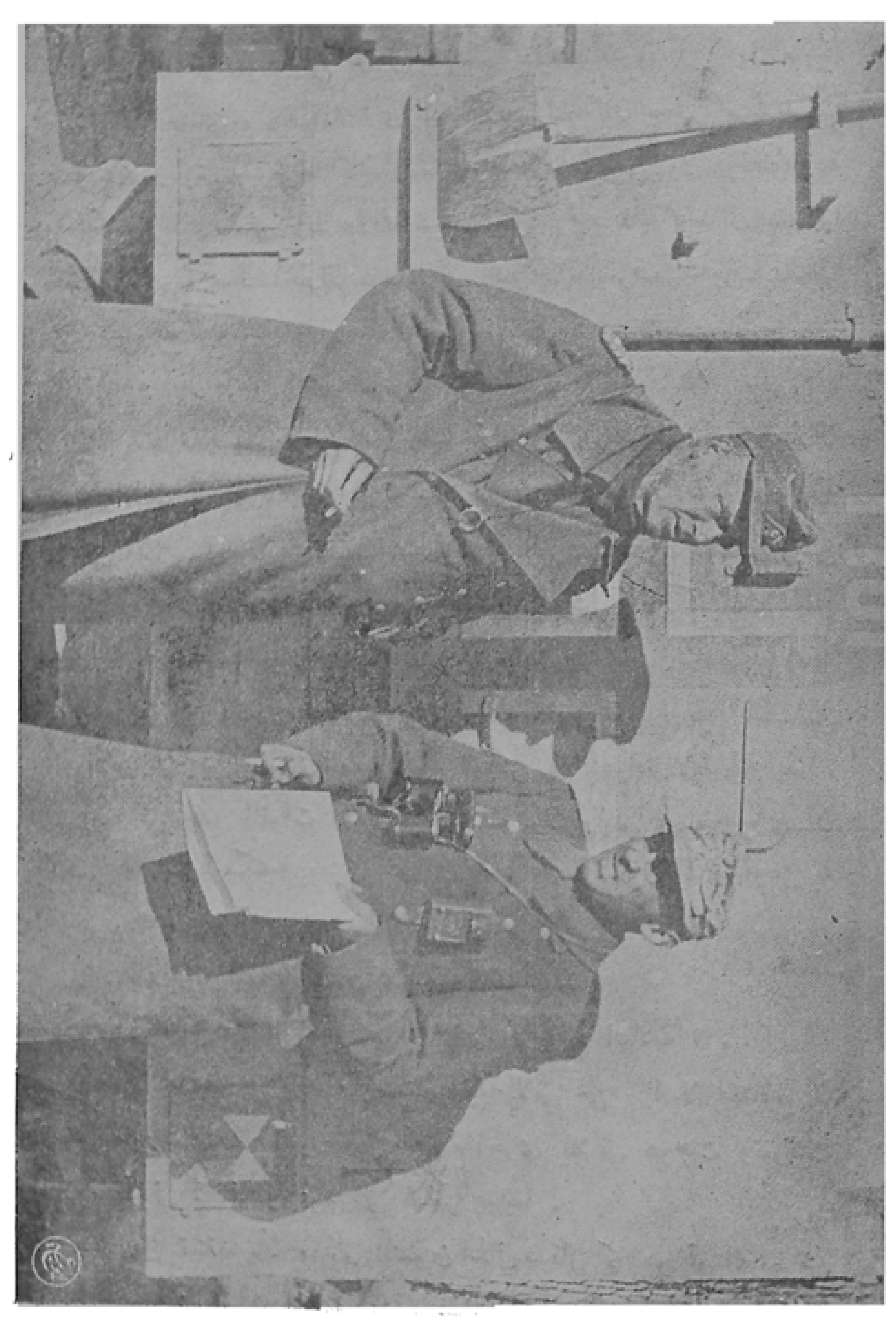
وفي غداة زيارة الجنرال روسي توجه كبير امراء البحر الاميرال دونيتز « Doenitz » الى روما بذاته محاولا بسلطته الكبرى زيادة مقادير التموين . وفي ذات اليوم السادس عشر من آذار وصل المارشال كيسرلنغ الى مقر فون ارنيم العام . وانتقد موقف الاركان العامة لزمرة الجيوش

من الوجهة المعنوية وكان على حق كبير في هذا النقد الصريح . وأفاض قائلا انه لمن الخطأ النفسي اعطاء الاوامر الدائمة للدفاع عن موضع ما وبالتالي اخلائه لاول صدمة او غارة يقوم بها العدو . ان هذا التصرف يحملنا على الاعتقاد بأن خط الجبهة لن يتركز عند قابس على خط الشطوط لأن الجيوش تنبهت الى دوافع وعوامل هذه العمليات وجعلها تفكر مسبقاً بأن هذه الخطوط سيجرى اخلاؤها ايضا .

وكان هذا القول على جانب كبير من الحقيقة . بيد أن هذا الخطأ لم يصدر عن زمرة الجيوش ولا عن قيادة الجيش المدرع ولكنه كان يصدر عن سلطات أعلى بكثير وبمعنى اوضح عن برلين . وأخيراً وافق الماريشال كيسرلنغ على الاوامر التي اصدرها هتلر بتاريخ ١٣ آذار التي تقرر الدفاع عن خط ماريتا حتى النهاية . واذا ما بدت من قبل العدو محاولة تطويق يقتضي ردها بعمليات هجومية . بيد ان هذه الاوامر لم تكن لتسر زمرة الجيوش التي استقبلتها بتحفظ لانها لا تملك الوسائل التي تمكنها من تطبيقها وتنفيذها . وما كانت تملك آنئذ سوى وحدة نارية ونصف الوحدة للاستعمال ونصف وحدة احتياطية .

بيد ان الجنرال فون ارنيم طلب ايضا حلا لهذا الامر قائلا « اني أطلب أمراً خطيا كي استطيع ترتيب المهمة الملقاة على عاتقي الآن . ان الامر الذي تلقيته في كانون الاول والقاضي بالاندفاع باتجاه كازابلانكا كان اشبه بفقاقيع الصابون المتطايرة التي ترسلها فولفشانزه « Wolfeschanze » والتي رجالها يعيشون بعيداً عن العالم الحقيقي الامر الذي جعل الحوادث تخنق هذا القرار ولما يلد بعد .

بيد ان المارشال كيسرلنغ اجاب قائلا ان رأيه في المهمة الحالية ظاهر صريح . فالجيش الخامس يجب ان يدافع في مكانه وأن يقوم باندفاعات هجومية مستمرة بصورة تمكنه من ازعاج تحضيرات العدو واضعافه معاً



الجنرال فون بريتويتز مع أحد ضباط أركانه

بقدر الامكان . أما الجيش الاول فيتوجب عليه المقاومة في خط ماريتا حتى آخر جندي . وهكذا نرى بأن كيسرلنغ كان يعطي امراً شكلياً فقط لان زمرة الجيوش ما كان في مقدورها ارسال حتى ولا فرقة مدرعة واحدة من الشمال على خط ماريتا بسبب نقص الوقود فأية وسائل يضعونها تحت تصرفي ؟ سأل الجنرال فون ارنيم الذى كان يعرف الجواب المنتظر من كيسرلنغ وقد تجنب الاجابة بالفعل سائلا اياه عن السبب الذي حدا باعادة هذه الفرقة من الشمال .

— لان الاميركان يقومون هنا اجاب الجنرال ارنيم . وكيف يتخيل الجنرال يودل « G. Yodel » اننا نحارب ضدهم فالجيش الخامس في الشمال يواجهه الجيش الاول البريطاني ، وفي الجنوب يقابل الجيش المدرع الاول الجيش الثامن البريطاني ، ويوجد اذن بين الجيشين الجيش الاميركي الذي ليس لدينا أية قوة نضعها في وجهه .

— انى لم اتكلم مطلقاً مع يودل أجاب كيسرلنغ . ورأيي الخاص بأن الامر لا يعني القيادة العامة العليا للجيش ولا القيادة الايطالية ايضاً .

— اني اقدر القوات الاميركية بثلاث فرق وليس في مقدوري أن اقابل هذا العدد بكتيبة معززة ثم اين تضاعف التموين الذي أوعز به الفوهرر ؟ .

— ان هذه المضاعفة غير ممكنة في نظري .

— وماذا تعتقد انني سأتلقى في بحر الاسابيع القادمة ؟ .

— لا استطيع الاجابة على أسئلة دقيقة لانني من جهة لا استطيع أن أتعهد بصورة قطعية الامور ومن جهة اخرى فلأنني هوجمت وتعرضت الملامة كوني لم اقم بالوعود التي قطعتها سابقاً .

— هل تعتقد بأن مقدار التموين الحالي سيظل كما هو أو انه معرض للنقص ايضاً ؟ انني اريد ان أعرف ذلك بالتدقيق كي أتمكن من سوق

القتال على خط ماريتا وايضا لا استطيع ان احـدد لرجالي كمية الذخائر التي يجب أن يعتمدوا عليها .

- انني لا استطيع ان اعطيك جوابا دقيقا في هذا الصدد .

أجل انه لا يستطيع اعطاء الجواب المطلوب لانه سيكون جوابا سلبياً ، وكان كلاهما يعرف تماما الجواب . ان كيسرلنغ استطاع ان يملأ الدنيا بالحلم الذي يعيشون به في روما ولكن الجيش مجبر على ان يلعب بعـد قليل لعبته العملية الاخيرة للفاجعة التي تتلقاها البطولة .

وكان الجنرال بايرلين « G. Beirlein » رئيس الاركان العام للفيلق الافريقي والجيش منذ زمن طويل ضابط ارتباط الجنرال ميسه الايطالي ، قد هيأ جميع القوات في منطقة الشطوط عندما تميز الجيش الثـامن من جديد في مساء السادس عشر من آذار بنشاط فعال في الوقت الذي لم يتلق الجنرال فون أرنيم بعد أية نجدات يستطيـع معها ان يضرب أو أن يرد الضربات المنتظرة .

○●○

الفصل التاسع

النهاية المحتمة

Die Unausweichliche Niederlage

منذ ايام عدة والسماء الرمادية تضغط على الارض بكلكلها والهواء ينفخ عبر الاودية سائقاً في وجهه السحب المائلة المطرة . والمعهود ان شهر آذار في ليبيا هو شهر العواصف الرملية بينما هو في تونس بعيد الاختلاف والتباين. فالجبال الزمردية تحد الافق والسهل يشبه في منظره رقعة من الارض الزاهرة او حديقة غناء فيحاء تطرزها الزهور المتنوعة الالوان وحدائق الزيتون والرمان . وبعيداً عن المواضع الدفاعية التونسية كانت أرتال عديدة تتقدم ببطء تشير الى اقتراب ميعاد الحوادث القادمة .

وفي ١٦ آذار في الساعة العشرين والدقيقة الثلاثين اطلق الانكليز هجومهم الواسع على القسم الشمالي من خط ماريتا « Marethe » وتساقطت آلاف القنابل على المواضع الدفاعية الالمانية . وبالرغم من الهجمات العنيفة والمساندة القوية فقد ردت كافة الهجمات المتوالية . وفي منتصف الليل تمكنت القوات الانكليزية المهاجمة من اختراق قطاع وحدات الشباب الفاشي الذين كانوا يقاتلون بهمة وشجاعة . ثم حدثت اختراقات اخرى في خط

المرتفعات ١١٩ و ١١٧ وحوالي الفجر انطلقت غارات معاكسة مهدت للالمان استعادة المرتفعات التي احتلها العدو بالسلاح الابيض .

ثم تحركت القوات الاميركية اثناء الليل واندفعت كالسيل الجارف على جبهة قفصه . وكان ضغط قواتهم المدرعة شديداً جداً لدرجة اجبرت الالمان على اخلاء الواحة اليانعة . وكانت الفرقة الاميركية بقيادة الجنرال باتون « G. Patton » والتي كلفت بمهمة هامة جداً بالنسبة الى سياق ومجمل العمليات المقررة التي يوجهها الجنرال البريطاني الكسندر « G. Alexander » غايتها الوصول الى ساحل البحر عند مدينة صفاقس وقطع خط رجعة الجيش الالماني - الايطالي من الجنوب ومنع تدخل القوات النازلة من الشمال والعمل على تدمير القوات التي تحتل خط ماريتا الذي يشكل الهدف الاساسي للجيش الثامن .

وفي العشرين من شهر آذار تمكنت الفرقة المدرعة البريطانية من احداث الاختراق بين جبهتين استطلاع . وتقدم الفيلق العاشر البريطاني تباعاً من منطقة فوم الطاحونة وشق طريقاً للوصول الى الموضع الذي اعتمد منه اطلاق الهجوم على الجانب الجنوبي الغربي لخط ماريتا . وفي الساعة الواحدة والعشرين والدقيقة الخامسة والاربعين انطلقت نيران تدمير مدفعية حامية على القطاع الشمالي فاقت بقوتها كل النيران التي شوهدت حتى اليوم وكانت القاصفات الانكليزية في نفس الوقت تهاجم المواضع الالمانية واخلافها . وفي منتصف الليل غمرت القوات الانكليزية المرتفعات المتقدمة ووصلت الى الخط الدفاعي الاساسي حيث اصطدمت بالمقاومة العنيفة التي ابدتها وحدات الرماة المدرعة وسقطت بعض المرتفعات اثر معارك شديدة وقد ردت باقي الهجمات على اعقابها مدحورة . وقد توفق الانكليز اثناء ذلك من احداث اختراق في جبهة واحدة ايطالية ولكن المدرعات وقوات الاحتياط الشاغرة تحت قيادة الجنرال ميسه « G· Messe » انقضت على الاعداء القدماء وردتهم الى موضعهم السابقة .

ثم توالى القتال بعنف وشدة في الشمال واستطاع مونتغمري ان يحقق نجاحاً ما بيد انه لم يوفق في احداث الاختراق المطلوب . وبالعكس توقف هجوم الفيلق العاشر فوراً في القطاع الجنوبي ولم يتمكن من احتلال سوى دفاع واحد استرد منه في ٢٣ آذار . وظل الدفاع العنيد مستمراً في وجه الجيش الثامن من قبل محاربي افريقيا القدماء .

وبلغ عدد الانطلاقات المتوالية تسعة شنتها اجنحة القصف الانكليزية مستهدفة المواضع الالمانية . وكانت الطائرات تتقدم على صفوف ثماني عشرية كأنها سائرة الى استعراض في يوم عيد الاحزاب كما كان يصفها الجنود الالمان . وتأكد مونتغمري في نهاية اليوم مقتنعاً بعدم امكانية اختراق خط مارينا دون ابداء جهود جديدة . لقد فقدت كثيراً من المعدات واهرق غزير الدماء دون نتيجة حاسمة . فأوعز بوقف المهاجمات في القطاع الشمالي وجمع قواته والقاها في جنوب فوم الطاحونة على نسق قوس دائروي على طول السفوح الغربية لمرتفعات (الويرخيا) ضد الجانب الالماني المتربص على جبل الدباغة .

وكانت الفرقة التسعون القديمة تتربص على الدفاع في هذه المنطقة حيث هوجمت واحيط جانب منها . وتمكن اللواء المدرع البريطاني من اجراء توغل عميق . وبالرغم من المعارك الليلية الشديدة لم تتمكن الفرقة المذكورة من توطيد الحالة وتم اختراق الجانب الايمن لخط مارينا . ثم أوعز باستئناف الحركة باتجاه خط الشطوط (المستنقعات) الذي احتلته فرق المشاة . وانطلق هجوم عنيف آخر قامت به المدرعات الانكليزية على الفرقة التسعين فاجتاز مواضع المدفعية اثناء الليـــل ووصل اخيراً الى اطـــراف قرية الحمة الواقعة غربي قابس . وفي هـذه المرة ايضاً تقدمت القوات النيوزيلاندية لتجرب حظها من جديد وتضيفه الى سمعتها السالفة شرفاً . وكانت الوحدات الآلية الالمانية — الايطالية واقعة تحت تهديد خطير جداً ، بينما القوات

الاميركية التي تمكنت من احتلال قفصه ومكناسا توقفت عند هذه النقطة ولم تتمكن بعد من مواصلة تقدمها الى الحمة . فاذا تمكنوا من الوصول الى البحر عند قابس يصبح مصير الجيش الاول في حكم المقرر نهـــائياً .

وكان يظهر ان مونتغمري لم يتأكد ولم يستوثق من النجاح المرتقب ، وان الفرقة الانكليزية التي قامت بعملية الاختراق كانت تحذر مغبة الالمان وتدبرهم ، وتصرفت كما كان يتصرف الانكليز في غالب الاحيان . وبدلا من الاندفاع بشدة الى الامام لتحقيق كل ما ينتظر والقضاء دفعة واحدة على الخط المزعزع القائم بين الخطين الالمانيين ظهرت في حالة تردد وعدم اطمئنان وتوقفت أخيراً . وبالاضافة الى الارتياب وضعف الثقة ، لوحظ ان الانكليز تنقصهم المرونة التعبوية التي حالت في السابق غير مرة دون استغلال النتائج الحاصلة الى اقصى حد ممكن لوضعية شاذة . وأثناء التراجع شكل الجنرال فون ليبنشتاين « G. Von Libenstein » جمهرة قتال مختارة مهمتها مجابهة العدو والتصدي لمنعه من التقدم . وتباعاً اطلقت الفرقتـان المدرعتان الانكليزيتان هجوماً جانبياً . وشوهـد بأن الفرقة النيوزيلاندية تحركت ولكنها اخطأت الهدف واضطرت للتقدم على محور منفرج مما ابعد الخطر عن القوات الالمانية . ولو ان القوات الانكليزية تصرفت بجـرأة واقدام لتمكنت من تقرير مصير الحملة الافريقية منذ شهر آذار ولوضعت حداً نهائياً لعمليات هذه الساحة الحربية .

تم احتلال الشطوط طبقاً للخطة المقررة دون تجدد اية تفاعيل من جانب العدو . وبينما نجح الالمان في درء الضربة القاتلة في القطاع الجنوبي ، دارت معارك لا تقل اهمية وتأثيرا عن هذه الاخـيرة من جبهة الغرب حيث احتل الجنرال باتون قرية سنيد في العشرين وقرية مكناسة في الثاني والعشرين آذار ولم يبق لديه سوى قوات محدودة لقطع الطريق الساحلية . وكانت

تقابل الفرقة الاميركية جبهرة قتال روملل وحدها تحت امرة المقدم ميدكوس « Major Medicus » الذي كان لديه مدفع واحد عيار ٨٨ مم وبعض المدافع ضد الدبابات وبعض اسلحة مشاة عادية . وكانت ترافق مدرعات وقوات بانون عشرة بطاريات من جملتها بطاريتين دفاع جوي . وكانت تدق المواضع الالمانية في الممر دقاً عنيفا دام خمس ساعات متوالية . وعندما انطلق الهجوم الاميركي ارتطمت مدرعاته بالمواقع ووقعت في حقول الالغام وردت كافة هجمات المشاة على اعقابها . وقد توفق احد أفراجها من اختراق نقطة من الوضع الدفاعي حيث بدت الوضعية خطرة نوعاً . وكانت الجبهرة الالمانية ما تزال تحتفظ بفصيل من قوات الهندسة تعززه بعض فصائل سرايا المشاة التي اطلقت مباغتة هجوما معاكسا حقق المستحيل وطرد الفوج الاميركي من المواقع الجديدة التي احتلتها بالسلاح الابيض . وجرى اختراق اميركي آخر حيث احتدم القتال بالسلاح الابيض ايضاً . وكانت معركة شديدة خاضتها قوات النقل الالمانية الشاغرة . وانتهت المعركة بتوطيد الوضعية لصالح الجانب الالماني . وتلت هذه الهجمات غارة اخرى على النقطة الخطرة من الجبهة التي تقرر فيها احراز القرار ، فأسرع احد الوكلاء وانكب على مدفع من عيار ٨٠ مم ضد الدبابات سبق ان قتلت سدنته بكاملها واجبر بنيرانه العدو على التراجع والانكفاء . وتدنى عداد الجبهرة الى ٨٠ جنديا . وكانت على آخر رمق من المقاومة عندما وصلت النجدات حول الظهر وكانت تملك عدداً من المدافع من عيار ٨٨مم المضادة الدبابات .

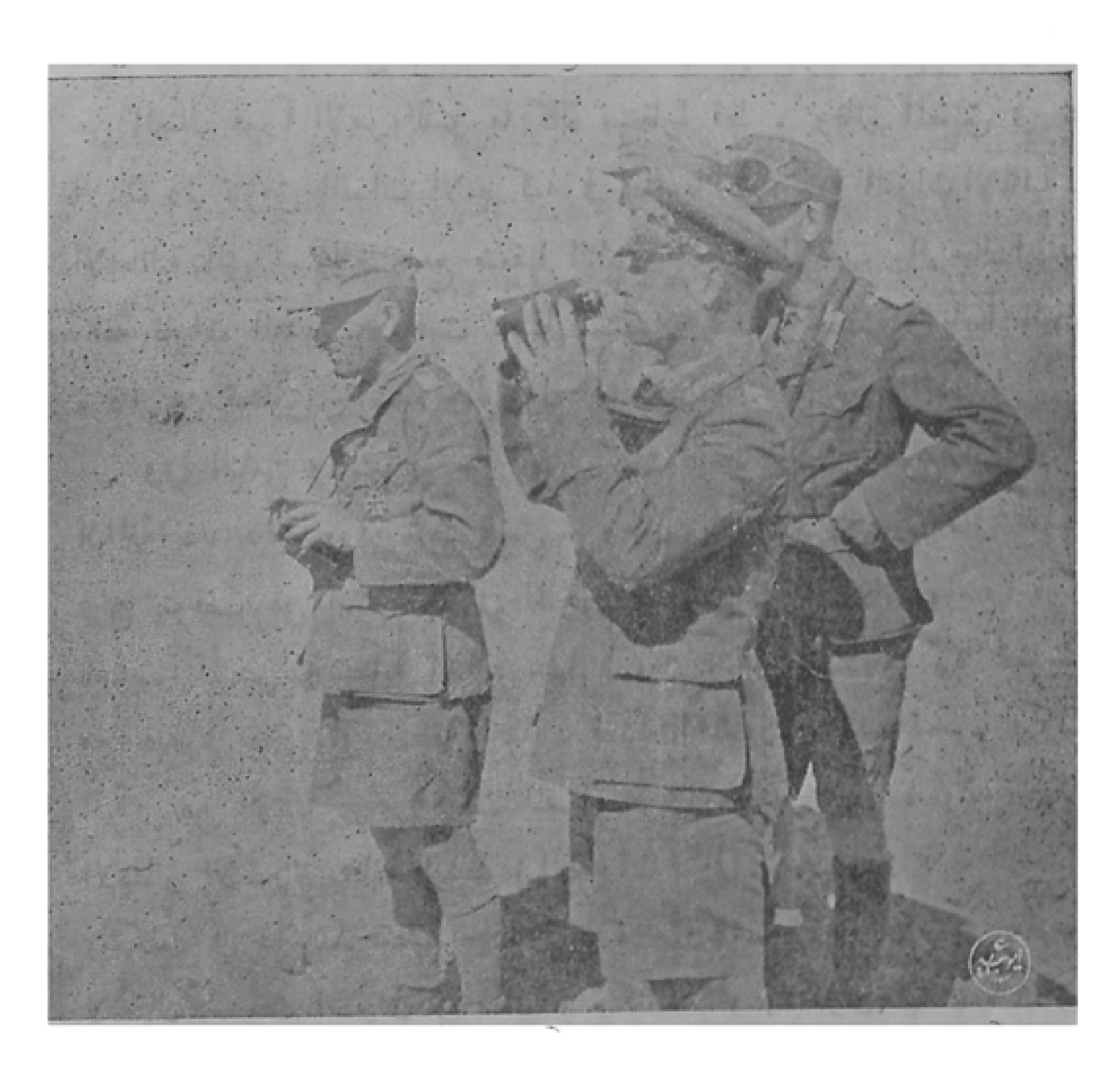
استمر احتدام القتال عدة ايام بمعدات واهية وقوات معدودة. وكانت موجات الغارات الاميركية تتوالى بدون انقطاع على المضيق . وتبعثرت قوات المشاة وُصدت القوات المدرعة والدبابات . واخيرا حاول الجنرال باتون تحقيق توغل جديد في الجبهة . ولم يبق لدى الجبهرة قوات كافية تستطيع

معها القيام بأي جهد إضافي لمنع تقدم العدو . وفي هـذه الاثناء ظهرت في الميدان دبابات التيكر (النمر) وكانت نجدة الخلاص . وحوالي الظهر طرد العدو المتفوق من كافة المواضـع وخسر كافة الميزات التي حصل عليها اثناء القتال بثمن باهظ . وكانت خسائره ثقيلة جداً لدرجة انه توقف عن القتال فوراً الامر الذي ما كان منتظرا قط . وظل المضيق في يد الالمان ولم تتوفق القوات الاميركية في قطع طريق رجعة القوات الالمانية ـ الايطالية التي استطاعت مع ضعفها التام من حيث المعدات والرجال ايقاف كافة غارات العدو . ودافعت دفاعاً مستبسلا مجيدا ونجحت في ابعاد العدو موقتا عن تحقيق مقاصده والوصول الى اهدافه .

وفي الثامن والعشرين من آذار كانت آخر فصائل الوحدات الآلية البالغة ٧٥ دبابة وراء خط قابس . وخيل بأن العـدو سيواصل تقدمه ولن يتوقف عن استمراره في الهجوم . فأخلت فرق المشاة مواضعها تاركة للعناصر المتحركة عناية الدفاع عنها . وقام العدو ايضاً بمناورة تطويقية مع هجوم جبهي على منطقة الحمة . ففشلت المناورة وصد الهجوم وكف العدو عن القتال . ثم انتقلت المقـاومة على موضع قابس ، وقد حولت الامطار الاخيرة منطقة الشط (البحيرات) الى شعاب غير قابلة الاجتياز وشكلت في ذاتهـا تغطية جانبية ممتازة . وكانت الجبهة الامامية معرضة لاحتمال حدوث اختراق في قطـاع مكناسة أو بالاحرى في شمـال قرية فندق والذي من شأنه ان يقرر وضع الجيش الالماني نهائياً . ولذا توجب اخلاء منطقة الشط والانكفاء الى منطقة مدينة انفيدافيل « Enfidaville » .

ويلاحظ ان الالمان كانوا مجبرين تحت ضغط الحوادث على تنفيذ ما كان رومل يريد اجراؤه اختياراً .

وفي التاسع والعشرين ارسل الجنرال ارنيم برقية الى الجـنرال يودل « G. Yodel » مآلهـا :



المارشال رومل وأركانه يراقبون موقعة طبرق

التموين مضطرب . لم يبق من الذخائر ما يكفي ليوم او يومين فقط وخاصة ذخيرة مدافع الميدان الثقيلة . وتناقصت الوقود وتعذر من جولتها القيام باية حركة هامة . لم تصل اية باخرة منذ عدة ايام الاطعمة تكفي لمدة اسبوع .

ارسلت هذه البرقية بعد مرور خمسة عشر يوما على صدور الامر بمضاعفة كميات التموين فوراً لجعلها ضعفين او ثلاثة اضعاف على الاقل . وان مالا يجب معرفته حتى على الطفل بأن الانسحاب الى موضع « اتيبلافيل » الذي لم يوعز بتنظيمه وتحكيمه للمرة الاولى من قبل روما الا في الغد ، والذي يعد به منذ زمن طويل تحت شروط سيئة جداً ، واسوأ من التي عرفت في منتصف الشهر . وفي هذه الاثناء فقد الجيش الاول اثنى عشر فوجاً ايطالياً وخمسة افواج المانية و ١٧ بطارية ايطالية و ٨ بطاريات المانية . هذه هي النتيجة المحتمة للاوامر الاساسية التي شجب كيسرلنج لتنفيذها من قبل دون ان يتنبأ بحل هذه النتائج المؤلمة .

وقد اعلن الجنرال فيستفال G. Westiphal الذي ارسله القائد العام ومرة للبحوث من قبل تأكد علم الساحة الا بهذه المناسبة : « الا لعله روما يشير الى ان القيادة هنا موجهة انظارها دوما الى الوراء » . انه صحيح جداً اجاب الجنرال فون ارنيم (انني انظر الى الوراء دوما علني اشاهد باخرة او سفينة ولكن مع الاسف الكبير لا ارى منها شيئا . انه ليس في مقدوري البته ولا في مقدور اي قائد مهما عظم شانه حشو مدافعه ببارود التفاؤل فقط .. فاذا لم اوفق في الحصول على شيء جديد في هذه الجبهة افاض قائلا : فاننا سائرون الى الزوال غدا او بعد غد . وقد نقد الوضعية الراهنة وعمليات التموين نقداً لاذعاً جارحاً ، وكان بين آونه واخرى يقول : كان اولى بالقيادة العامة ان تحاول اصلاح وتعديل الحالة من ان تتدخل في شؤون قيادة الجبهة الخاصة » .

وازيد قولا بأنه ليس عندنا خبزاً ولا ذخيرة نعتمد عليها كما لم يكن عند جيش روميل منها شيئاً ، « فالنتيجة المنتظرة محتمة » وخاصة اذا تأزمت الوضعية اكثر من الآن في منطقة الفيتار والتى لن يطول امدها اكثر من مساء الغد . ولِمَ لايطول اكثر من ذلك ؟ لأن العدو يوجه ثلاث فرق مقابل ثلاثة افواج وتصبح النسبة على هذا الاساس $\frac{٢٧}{٣}$ فهل حدث في تاريخ الحروب والوقائع مثل هذا التفاوت في العدد ؟ اجاب الجنرال فون ارنيم .

ومع ذلك فقد اعلن الجنرال فيستفال G. Westphal بأن خمس سفن تعبر البحر الان في طريقها الى افريقيا . وستصل قافلة جديدة في الايام الاولى من نيسان . ومنذ ٢٣ اذار حتي اليوم لم تصل الميناء اية سفينة جديدة . وكان فيلق الجيش يملك فقط ٨٧ دبابة . وكم الحت القيادةفي شهر كانون اول وكانون الثاني لتشكيل احتياط صغير ولكن لم يؤبه لهذا الالحاح الشديد ؟ فلو تحقق هذا الطلب آنئذ لما اعترضت الطريق كل هذه المصاعب . لقد وقفت ثلث السيارات المستعملة فهل في الامكان ان تمدونا بشيء اخر . ؟ افاض ارنيم في القول .

نعم اننا نمدكم بتحسين كبير في النقل الجوي اجاب فيستفال ، وفي امكان الطيران الجوي ان يجلب لكم ٤٠٠ طن يومياً . وفي الصيف (وقال حقا في الصيف) عندما يصبح اسهل الملاحة ستأتيكم بواخر جديدة .. (وهذا هو الحال دوماً حيث اعتمدنا دق الابواب قبل خمسة دقائق من اغلاقها .) كان ارنيم متعباً متأثرا من هذه الكلمات الخاوية والوعود الفارغة . انه كان يعرف بأن نصف طائرات النقل لن تصل الى الصعيد التونسي بسلام

ودارت المعارك التالية بين سلسلة جبال الاطلس الصحراوية الجنوبية

والساحل . وفي ٣١ اذار كان يتمركز ثقلها في القطار من نواحي طريق قفصه . وقدمضى الجيش الثامن مندفعاً نحو قابس . وكان عدد سياراته الناقلة تزيد على سبعة آلاف سيـارة . وبالرغم من هذه القوات الـكاسحة فقد تمكنت القوات الالمانية من ايقاف جميع محاولاته للاختراق وصدت كل غاراته العنيفة . ومن حسن الحظ فقد سببت الطرقات الموحلة صعوبات جمة لقوات العدو كما انها اعاقت القوات الالمانية ـ الايطالية ايضاً واثقلتها بالمشاق وخاصة منها القوات غير الالية .

وفي السادس نيسان قام مونتغمري بمحاولة جديدة حيث شنت ٦٠٠ قاصفة ومقاتله انكليزية هجوماً ساحقاً . وشرعت تقصف المواضع الالمانية على موجات متتالية وخاصة ممر فطنه والمرتفعات المجاورة طيلة الليل حيث احتل العدو جبل رومانا . وبالرغم من ذلك فقد صدت كافة الهجمات والغارات العنيفة وردت على اعقابها . وكان القتال يستمر بالسلاح الابيض . ولنتسائل الآن تحت اية شروط تحقق هذا النجاح المحدود ؟؟

فالايطاليون كانوا على آخر رمق من المقاومة . وضعف عامل الاعتمادعليهم في الهجوم والدفاع معاً ... وبلغت خسائر الجيش الاول ٢٣ فوجاً و٣٩ بطارية ، وكان القسم الاكبر من هذه القوات ايطالية . ولذا عمد الجنرال ارنيم الايستعمل القوات الايطالية كثيراً لخوض المعارك الدفاعية وكلف الوحدات الالمـانية وحدهـــا بصورة خاصة للقيام بالدفاع والقتال الشديد . ولم يبق سوى خمسة افواج من قوات الشبيبه الفاشية و ٢٧ مدفعاً فقط ، واربعة افواج من فرقـة تريستا و ٢٩ مدفعاً وفوجان و ٣١ مدفعاً من فرقة بيستويا . اما فرقتا سانتورو وسبيزيا فقد اصبحتا عملياً غير موجودتين وفي حكم العدم . ولم يبق للافواج الاخري الباقية اي قيمة محاربة . وكل ما تبقى من مدفعية الجيش الايطالي لا يتعدى ١٧ مدفع . ومن الجهة الالمانية صار عداد الفرقة التسعين والفرقة ١٦٤ مجتمعاً لا يتعدى عداد

فرقة واحدة كاملة وتدني عداد الفرقة المدرعة الخامسة عشر الى جمهرة يضاف اليها سبع بطاريات ضد الطيران وعدد من افواج المدفعية .

عندها تملصت المشاة من العدو وتراجعت نحو الشمال كيلو متراً بعد كيلو متر . هذه المشاة التي كانت تقاتل منذ اسابيع وهي محرومة من النوم والراحة هزيلة محطمة منهوكة وقد تناقص طعامها حتى صار كسيراً قليلاً وهي تتحمل فوق ذلك عادية الرطوبة والبلل بفعل الامطار المستمرة النافذة .

ولم يستمر الانكليز في الملاحقة الا في الثامن نيسان . وفي الغد تقدمت قوات عديدة من المدرعات حيث وصلت غريبة ومهارس ومنطقة العقارب الواقعة غرب سفاقس حيث اخليت منذ وقت قصير بعض مستودعات الذخائر الهامة . وتوالت المعارك الصاخبة في هذه الارجاء في ليلة التاسع والعاشر الجاري . واخليت سفاقس التي احتلها العدو وعرجت جموعه في اتجاه مدينة القيروان .

ومنذ الايام الاخيرة من شهر اذار دارت معارك عديدة على جانب ومخلف الجيش حيث وضعت من جديد مصيره ووجوده تحت عادية الخطر . وما كادت تنتهي معركة موقعة مكناسه حتى اطلق الاميركان عملية جديدة في اتجاه الفندق للوصول الى البحر عن طريق القيروان مدينة البسط والسجاد . ولم تنته هذه المعركة الا في ١٠ نيسان مساء .

وفي ٢٢ اذار تلقى العقيد فولريده Follride امراً باتخاذ كافة التدابير اللازمة لصد الهجوم على منطقة الفندق . وبعد خمسة ايام شوهدت فرقة اميركية تتقدم في هذا الاتجاه معززة بدبابات ومدفعية عديدة . ومنذ ٣١ اذار بدأ القتال العنيف الوحشي لاحتلال طريق الممر . وكان قتال مرير يشبه القتال الذي دار قبلا حول طبرق . ووقفت جمهرة واحدة المانية تصد هجوم الفرقة المذكورة بكاملها وكان القتال يحتدم بالقنابل اليدوية

والرشيشات . وكانت نسبة القوات الاميركية تقدر بثلاثة افـواج ضد سرية واحدة . وظهر بان الجنود الاميركية الحديثة العهد بالقتال لم تكن مرنة على القتال القريب او السلاح الابيض . وكانوا مجهزين تجهيزاً اكمل وأحسن من تجهيزات الجنود الالمانية والانكليزية ومثقلين بها تعيقهم عن الحركة والمرونة الـكافية . وكان يقودهم ضباط ورؤساء احداث لم يتمتعوا بأي ماض عسكري يساندهم تعاون تام من كافة الاسلحة والطيران . ولم يكتسبوا بعد صفات المقاومة والضراسة اللتان تعطيان مع الزمن الى المقاتلين التدريب الـكافي والخبرة التامة . وكانوا طالما يعجزون عن استغلال النتائج التي يحصلون عليها بالتضحيات الثقيلة . وكانت الهجمات المعاكسة حتى الضعيفة جداً تنتزع منهم ماغنموه عاجلا وسريعا . وفي اول نيسان تدخلت الفرقة المدرعة البريطانية السادسة في هـذا القطاع بعد مكوثها على الانتظار منذ التاسع نيسان كي تتمكن من اجراء اختراق على جانب الممر وتوسيع الفرجة بينما ظلت القوات المدرعة مثبته في مكانها على الممر. وكانت الطلائع الخلفية ماتزال في سفاقس حيث توجب عليها اجتياز مدينة القيروان للوصول الى مواضع مدينة انفيدافيل . وكان يتوجب على الاقل المحافظة على منطقة الفندق حتى مساء العاشر نيسان . وانتهت فاجعة القتال المستمر في هذا اليوم بتدمير جمهرة من قوات العدو بـكاملها بعد ان تمكنت من دخول الفندق . وفي الليلة ذاتها تمكنت الفرقة المدرعة الانكليزية السادسة بمجموعتها من احداث اختراق فتح طريق القيروان امام سيل المدرعات المتدفقة . ولكن الصدف حالت دون وصولها الى هدفها . وقد تأخرت يوماً كاملا عن موعدها . واخيراً اصطدمت الفرقـة المذكورة بجمهرة دبابات المانية تمكنت هذه من تدمير ٦٠ دبابة من دباباتها وردت الفرقة البريطانيه على اعقابها بخسائر فادحة .

اجتازت عناصر الجيش الاول الاخيرة بدون عائق المدينة المقدسة في

تونس الا مساء العاشر نيسان . ودخلتها الفرقة المدرعة السادسة ايضا على الفور . واستمرت الفصائل المنفردة التابعة لجمهرة العقيد فولريده تقاتل العدو حتى يوم الرابع عشر نيسان . واخيراً وجدت نفسها مطوقة تماماً على اخلاف الجيش الثامن البريطاني ، وظلت تقاوم حتى آخر طلقة تملكها ثم اختفت من حلبة الميدان . وسقط في الاسر بعض رجالها والباقي تسرب عبر خطوط العدو فاستقبلهم العرب بود وصداقة واخفوهم عن اعين العدو ثم البسوهم ثياباً مدنية تخفوا تحتها وفروا للالتحاق بالجبهة الالمانية تحت ظلام الليل الدامس .

وفي هذه الاثناء اجرى العدو بعض الحركات صوب الشمال على جبهة السجانة وتوفق في احتلال بعض الاراضي ولكنه دفع ثمن هذه الحركات غالياً جداً . ولم يتمكن من تحقيق الاختراق الا في الخامس من نيسان بعد معارك دامت ثمانية ايام بلياليها في اتجاه ماتورة وقد اضطر لسوق ثلاثة الوية ليتمكن من القضاء على المقاومة الالمانية العنيفة التي اقامها في وجهه فوج الماني فقط . وعلى القطاع المتوسط في جوار وادي الزرقاء ردت كافة الهجمات الانكليزية بخسائر دامية . وفي الثامن نيسان احتل الجيش الانكليزي الثامن مدينة السوسا وانتهت باحتلالها الموقعة الدفاعية ، ولم يلاحق العدو الفلول الالمانية الهاربة بقوة بل ارسل وراءها وحدات آلية وطلائع استطلاع فقط .

وكان الجنرال الايطالي ميسه يتربص في مواضع انفيدايفل الدفاعية عندما كان الجنرال الكسندر يجمع قواته للعمل القادم . وكان الجنرال ارنيم يرى نفسه ازاء اصعب واخطر مهمة في حياته . وقد اوعز اليه ان يستوعب العدو بعد عدة اشهر بانتظار المستقبل . ولكنه كان في عوز شديد الى الوسائل التي تمكنه من تنفيذ هذا القرار . وكان ينقصه كل شيء وهو في حاجة الى كل شيء . وكان يعلم حق العلم ويعرف تماماً

النتيجة المحتمة المنتظرة التي كانت قريبة جداً من الخاتمة .

«ان الحوض الذي يرتوي منه الاخرون مع الاسف اوسع بكثير من الحوض الذي منه نستسقي» .

هكذا قال رومل قبلا وهو في جبهة العلمين . وهـذا هو اساس الموضوع . ليس من المعقول ولا من المنطق ان يُحقق الامل المرغوب امام عدو يملك الاحتياط الذي لاينضب والمعدات التي لاتنزح . واذا كان هذا العجز متوقع في افريقيا فهو لابد اكثر توقعاً في اوربا .

فالاخطاء التي وقعت من برلين وروما لاتنحصر نتائجها بقوات المحور في افريقيا فحسب بل انها ستتناول كافة الجبهات الاخرى . واعظم هذه الاخطاء خطراً وفداحة هو عدم التمكن او بالاحرى عدم قبول الاعتقاد بأن المـانيا ساقت نفسها وطوحت ذاتهـا من اجل خسارة حرب ضد عالم كبير تصنّع لها وهو يملك موارد غزيرة في الرجال والمعدات والالات والمؤن والوسائل .

ماذا عملت المانيا وايطاليـا منذ عام ١٩٤٣ لتسليح وتجهيز مجموعـة الجيوش المكلفة بالدفاع عن رأس الجسر لتضعها في وضع قوى مكين تستطيع معه ان تحقق الظفر وتحطم العدو ؟ فلو ان هتلر اراد حقاً ان يطور حقيقة حلم كازابلانكا لصب النجدات والمعدات كالسيول على افريقيا وعلى جيوش افريقيا المحاربة ولوصل ألى درجة من القوة والمناعـة اكثر من اي وقت مضى . ولاستطاع ان يغير خاتمة الحوادث في افريقيا كلها وان يقضي على محاولات العدو قضاء نهائيا ، ولتطور وجه الحرب بصورة اكيدة في النهاية بعد الدرس العنيف الذي تعلمه المحور في السابق ولظلت افريقيا برمتهـا من قنال السويس الى جبال الاطلاس في قبضة منيعة ضـد كل عدوان .

وفي شهر كانون وصل ٤٦,٠٠٠ طن و ٥٠ دبابة و ٢٠٠٠ سيارة



ضابط يراقب بمنظاره معركة المربع سيدي عمر بين الفوجي

و ٢١٤ مدفع الى تونس وهذا المقدار كان يكفي لحاجة الجيش الاول المدرع وحده فقط والذي كان يطالبه منذ شهور عدة . وفي شهر شباط بلغ المقدار ٥٢،٧٥٠ طن منه ٥٠ دبابة و ١،٣٠٠ سيارة و ١٢٠ مدفع وكان يتوجب على الاقل ارسال ٧٠،٠٠٠ الف طن لتأمين الضروري للبقاء، ودون ان يستدرك حتى امكان تشكيل الاحتياط اللازم . وكان من الضروري لتأمين الدفاع عن تونس شحن ما لا يقل عن ٧٠،٠٠٠ طن اضافي تصل الى افريقيا استعدادا للمعارك القادمة . ولم تكن مسألة اجابة المطالب وتأمين احتياجات الجيش المحارب موضوع اي بحث مجد بعد أن وصلت الحالة الى الخطورة الراهنة . وكانت حالة التموين ما تزال تنتقل من سيىء الى اسوأ وتزيد في المصاعب القائمة واضطراب الاحوال وخاصة عندما بدأت المعارك تتوالى . وكان يتوجب استدعاء قوات جديدة تنقل عن طريق الجو الى تونس . وكانت ارقام الخسائر البحرية تتصاعد يوما بعد يوم، وتزداد بدون توقف . وبلغت نسبة الخسائر ٢٥ ٪ في السفن ولم يطل زمن تأخر الامكانيات وارتباك الاحتياطات المتخذة ازاء النشاط الجوي البريطاني ـ الاميركي الذي مركز كافة جهوده على وسائل النقل واصبح سيد الموقف والوضعية بدون منازع .

وعندما انسحبت الجبهة الى مدينة انفيدافيل لم يعد يحتاج طيران العدو لاكثر من بضع دقائق للوصول الى اجواء تونس وميناثها ـ لاغوليت . لقد ازداد عدد طائرات النقل الالمانية ولكن وجودها وتنقلها كانا دوما عرضة للخطر الاكيد . فما تكاد الطائرات تهبط ارض المطار حاملة شحناتها الثمينة حتى تنصب عليها قاصفات العدو لتمطرها بوابل قذائفها وقنابلها فتدمرها وتدمر شحناتها معاً . وكانت المقاتلات تنتظر عودتها لتلاقيها في منتصف الطريق فتهاجمها وتقضي عليها وهي في طريق العودة لأن سرعتها كانت بطيئة بالنسبة الى سرعة طائرات القتال . وكانت

طائرات النقل الالمانية الكبيرة المسماة جيان « Giant » تقل المدرعات الكبيرة والوقود وخلافها . ويبلغ عدد ملاحي الطائرة عشرة اشخاص ، وكانت قوية التسليح بشكل انه لم يكن اسقاطها سهلا على المقاتلات ولكن خطورتها كانت تتأتى من شحنها الوقود والمحروقات ، وقد نقصت اعدادها نقصاً كبيرا . وكثيراً منها غرق في البحر المتوسط وبعضها استوت هيا كلها المحترقة تملأ مطار تونس . وكان كل طيران يصاب بكوارث وكثيراً ما دمرت اغلبها اثناء الطيران .

ولم يكن الجنرال فون ارنيم وحده عارفاً بهذه الامور بل كان الجميع يعتقدون بأن وضعية كهذه لا نهاية لها سوى الانتحار المحتم والقتال سائر الى النهاية المعجلة . وكان يكفي ان يقوم العدو باندفاع اكثر قوة واختراق اجرأ يحسن استغلاله لتثبيت مصير زمرة الجيوش المحاربة على ارض تونس . ولم يكن احد ليفهم سبب تردد الجنرال الكسندر في سوق القتال كما كان يتوجب ولا معنى انتظاره الطويل مع العلم ان الجيش الثامن كان كامل العداد والعدة . وان الفرق الانكليزية — الاميركية تحت قيادة الجنرال اندرسن « G. Andersen » تعززها قوات الجنرال جيرو الافرنسية التي كانت كلها مستعدة للانتقال الى الهجوم النهائي .

وفي هذه الاثناء بلغت قوات الحلفاء على الجبهة العداد التالية :

— الفرقة الانكليزية الواحدة والخمسون
— الفرقة النيوزيلاندية الثانية
— الفرقة الهنديه الرابعة
— الفرقة الهندية الخمسون
— الفرقة المدرعة السابعة
— الفرقة الافرنسية القادمة من مراكش والجزائر
— الفيلق الافرنسي الحر .

يضاف الى هذه القوات من الجنوب الى الشمال

- الفرقة المدرعة الانكليزية العاشرة
- فرقة المشاة البريطانية السادسة والاربعون
- فرقة المشاة البريطانية الرابعة
- فرقة المشاة البريطانية الثامنة والسبعون
- الفرقة المدرعة الاميركية الاولى
- فرقة المشاة الاميركية الاولى
- فرقة المشاة الاميركية التاسعة
- فرقة المشاة الاميركية الرابعة والثلاثون
- قسم كبير من الفرقة المدرعة الاميركية الثانية
- الفرقة المدرعة البريطانية الاولى
- الفرقة المدرعة البريطانية السادسة .

ولكن العجيب في الامر انه لم يكن احد في المعسكر الالماني يتجاسر على إعطاء استنتاج مقرر للوضعية المسيطرة في تونس . وكان الايطاليون يركبون البحر من ميناء لاغوليت للعودة الى بلادهم . وكانت الزوارق التي تقلهم الى السفن الراسية خارج المرفأ تقل جنود فرقة هرمان غورنغ بثيابها الجديدة واسلحتها العتيدة الحديثة القوية ، وقد دربت عناصرها تدريباً فائقاً متيناً طيلة عدة اشهر . وكان على رأس الفرقة ضباطاً شباناً تملأهم الحمية والهمة والرغبة الجامحة لمقابلة ومناضلة العدو . ولكن مع الأسف فقد أعدت كل هذه القوات لتسلم الى العدو اسيرة بعد أيام قليلة . وكانت هـــذه التدابير الجديدة عقيمة في ذاتها ولكن لوحظ عدم إمكان تغيير وتعديل القرارات السابقة وتنفيذها بعد الاصدار . وكان رؤساء الوحدات وأمارها المكلفون بالالتحاق بوحداتهم بعد نقاهة او جراحة او تعيين جديد يصلون الى روما ويتقدمون بأوراقهم الى مراكز الارسال الى تونس . انهم لم

يسمعوا بصراحة قط من يقول لهم بأن اجتياز البحر المتوسط عملية خطرة. وان ابحارهم الى الاراضي الافريقية لم يبق له أي هدف ما سوى التوجه بسرعة الى معسكرات الاسر البريطانية — الاميركية للبقاء هنـاك حتى نهاية الحرب . وما كان يجد هؤلاء اية ادارة او مصلحة تأمرهم بعـدم الخضوع لهذه الحركات الجنونية ووجوب البقاء في روما أخيراً . وكانوا يغضون ابصارهم عن هذه الوقائع وتعمي بصائرهم عن الحقائق الأليمة ويقومون بواجباتهم كأنهم لا يتوقعون فاجعة قادمة ويرسلون الضباط والجنود حتى في اليوم الاخير من الموقعة ، وانتهت ايام كثير من هؤلاء الجنود الاشاوس الابطال تحت أمواج البحر المتوسط قبل ان يصلوا الى تونس أو يروا صعيدها للدفاع عنه .

وكانت تقتصر حاجة زمرة جيوش المحور في تونس على الوقود والذخائر ، وما كانت في عوز الى القوات والرجال . وكانت القيادة تشعر بالعكس بالمواساة الطيبة باعادة كافة المصالح الخلفية الى ايطاليا ومنها ذاتية المتمديات والورشات والرجال ووحدات الصيانة والادامة التي كانت منذ زمن طويل مصالح اضافية شاغرة . وطالما اقترح رومل فيا سبق وجوب إعادة القسم الاكبر من القوات والجيوش الى اوربا وخاصة الأخصائيين منهم الذين اكتسبوا خبرة تامة وتدريباً جيداً كي يستفاد منهم في المستقبل للدفاع عن القارة . ولكن في شهر نيسان فكرت بعض السلطات العسكرية في امكانية المقاومة بعد عدة اشهر . وكان آخرون يفكرون ايضاً باعتبار رأيهم انه منال شرف أسمى ، مع بعدهذا الرأي عن الحكمة والتعقل وجوب القتال حتى آخر طلقة كي يجعلوا من تونس ستالينغراد أفريقيا بدلا من أن يصوروا امام الشعب كارثة واقعة . توالى القتال بين الجانبين بحدة وشدة لا مثيل لهما. فجمال الصحراء الحسن الفخور لم يعد يرى في ارجاء تونس . وكنت ترى الشعور المتضرم بنار الحرب والحقدفي هذه المواقع المنيفة أقسى وأشد حيث

كانت المشاة تسير الى مواضع العدو بالسلاح الابيض لاحتلالها وحيث المحاربون في الجانب الآخر يجهدون لدفع العدو المتفوق بالقنابل اليدوية والحراب ، ما خلا رجال الجيش الثامن البريطاني والجيش المدرع كانوا وحدهم يحافظون على احترام وتقدير العدو المقاتل بالتبادل في المعارك التي خاضوها منذ سنتين في أرجاء الصحراء . وكان هذان الجيشان العتيدان المتقابلان (الانكليزي والالماني) يتمتعان ويتجملان بخلق خاص ومألوف معتاد ، ويتفاهمون على اساسه فيما بينهم تفاهماً حمته الرفقة الطويلة وسداه روح الفروسية السامية . وكانوا يتميزون بالفارق العظيم بين هؤلاء المحاربين القدماء وهؤلاء المحاربين الاحداث الذين لم تطأ أقدامهم قبلاً صعيد افريقيا ولا ارض تونس ولا خاضوا معاركها الطويلة . وباعتبار كون الجيش الثامن يشكل وحدة مختارة ، كان الفيلق الافريقي يؤلف وحدة مختارة اخرى . وبينما كان الجيش الخامس المدرع يعيش على خبرته في روسيا ويتغذى بكبريائه الخاص وينظر نظرة عجيبة الى الفيلق الافريقي في ليبيا نظرة غير عادلة وغير مقبولة فيما يتعلق بالقيام بواجباته وبانجاز مهمته المقررة . وكان رجاله يرفضون الاقتناع بأن هذا الاندحار كان نتيجة خسارة موقعة التموين اكثر منها اندحار في القتال ،

واذا اعتبرنا ان الجيش الخامس الالماني الذي تشكل في ١٠ كانون اول تمكن من تحقيق بعض الموفقيات البدائية بقبضة من الجنود واخيراً اشغال كافة المواضع المقررة فما ذلك الا بفضل جرأة وتصميم القيادة وبفضل رغبة العدو في تأخير خوض المعركة الحاسمة حتى وصول الجيش الثامن لانه كان يحاذر الوقوع في الخطر الداهم مع فرقه التي لم تكن قد تمرنت وتمرست بعد على القتال . واحتدمت الموقعة الكبرى في الفرجة الواقعة بين الجيشين المعبئين في رأس البحر . وقد عانت وحداتهما كثيراً بسبب نقص التموين والقحط العام .

وفي ١٧ نيسان بدأ الاميركان الفصل الاول من الموقعة بقيامهم بهجوم على مجاز الباب لقسر طريق تونس وفتحها أمام القوات المتقدمة . وقد وصلوا الى هدفهم في البداية ولكنهم ردوا على اعقابهم متقهقرين بفعل هجوم الماني معاكس واعيدوا الى مواضعهم الاصلية قبل الخروج ، واسر منهم عدة مئات ودمرت خمس بطاريات مدفعية . وتوالى القتال بصورة عنيفة في شمال مرتفعات جيدوس . وبعد معارك متعددة حامية فقد الالمان مرتفع ٦٦٨ بيد أن كافة المحاولات التي قام بها الاميركيون لاجراء الاختراق والحصول على القرار ذهبت ادراج الرياح . ثم دارت موقعة اخرى في الجنوب حيث اطلق الجيش الثامن البريطاني فرقتين مدرعتين وأربع فرق مشاة على موضع انفدافيل . وكانت وحداته موطدة جيداً على قمم المرتفعات المنحدرة الممتدة الى شاطىء البحر . وكانت قصوف مدفعية مونتغمري تسمع من حمام الليف مقر الباي تونس . وفي ٢١ نيسان كانت موجات المشاة المستورة ترافقها الدبابات تتقدم عبر الخطوط الالمانية . وسقطت مدينة تكرونة ولكن القوات الايطالية استردتها من جديد . واخليت مدينة انفيدافيل التي ظلت دون اشغال من قبل الفريقين وسقطت تكرونة مرة اخرى في يد العدو الذي لم يتمكن من احتلال مرتفعات طريق انفيدافيل — زغوان . وكان الانكليز والنيوزيلانديين والهنود يتابعون بدون انقطاع غاراتهم المتوالية دون أن يتمكنوا من الوصول الى المنطقة التي تساعدهم على انتشار مجموعة قواتهم . وقد انهكتهم واثقلتهم متاعب هذا القتال الجبلي المخيف من جراء الخسائر الدموية الجسيمة التي لحقت بهم وتوقفوا عن القتال نهائياً .

وفي هذه الاثناء استؤنف القتال حول مجاز الباب فدفع الجنرال الكسندر ثلاث فرق من قوات مونتغمري لسوقها الى الغرب حيث تركز منذ الآن مركز ثقل القتال في هذه النقطة الضعيفة من الجبهة الالمانية . وكان مجرى نهر المجردة في مجاز الباب ينفرج ليشكل واديا واسعاً يمتد حتى الساحل

قريباً من قريتي بتوريا والجديدة . وكانت المرتفعات الممتدة الى مسافة ٢٠٠ متر على الشاطىء الغربي للنهر تهيىء امكانيات عظيمة للمدافعين كما ان لهذا الوادي في حد ذاته اهمية عظيمة لاطلاق هجوم مدرع واسع المدى . وقتل الجنرال فيشر « G, Ficher » قائد الفرقة المدرعة الالمانية العاشرة الاول من جراء انفجار لغم في الايام الاولى من نزوله الى اليابسة ، كما جرح ايضاً العقيد الكونت شتاوفنبرغ « Oberst. Von Staufenberg » الذي لعب فيما بعد دوراً عظيم الاهمية في حادث المؤامرة على الفوهرر في ٢٠ تموز من السنة التالية وقد كلفت الفرقة المذكورة مع فرقة هرمان غورنغ بالقيام بالدفاع . وقد غرقت كافة الهجمات التي جرت حتى تاريخ ٢٤ نيسان بالدماء على حد تعبير المراقبين . وفي مساء الواحد والعشرين نيسان ابرقت قيادة زمرة الجيوش الى روما بأن حركتها شلت تماماً . فالفرقة المدرعة العاشرة لم يبق لديها وقود يكفيها اكثر من نصف اليوم وتجمدت الفرقه المدرعة الاحدى والعشرون في مكانهـا . ولم يبق لدى الوحدات الاخرى من الوقود ما يزيد عن الرابع والعشرين مساء كما ولم يبق لدى بعض الوحدات الاخرى من الذخائر ما يكفي حتى ٢٥ نيسان وبعضها لغاية ٢٦ / ٢٨ نيسان . وعلى جسر فحص في شمال مجاز الباب دمرت مئات الدبابات وكثيراً منها على ابعاد قصيرة لانها وصلت الى مسافة خمسين متر من المواضع الالمانية . وكان بين الصفوف الالمانية بعض الافواج العربية المتطوعة التي كان أفرادها مشبعين بالروح العسكرية ومغمورين بالكبرياء والعزة العالية ولكنهم اخلوا فاحص وفروا تاركين ضباطهم الالمان لوحدهم منذ بداية الهجوم الاول . وكان من الخطأ حشدهم في هذه الجبهة أمام قوات الجنرال جيرو المراكشية بينما قاتلت جمهرة من القوات الافرنسية المتطوعة ببسالة عظيمة وثبات لا يتزعزع بجانب الجيش المدرع الالماني . وفي الثامن والعشرين من نيسان لم يبق لدى الجيوش اكثر من ١ ٪

و ٧ ٪ من وقودهم و ٢ ٪ – ١/٢٢ ٪ من ذخائرهم المعتادة وفي هذه الحالة الحرجة تحركت فرق الجيش الثامن البريطاني التي اعيدت من انفيدافيل واخترقت منطقة بحيرة الكوزيا ولكنها اوقفت قسرا ودارت في هذه الارجاء معارك طاحنة عاتية تبدلت اثنائها كافة وجوه القتال . وكانت الهجمات والهجمات المعاكسة تتوالى من الجانبين بدون انقطاع تحت قصوف المدفعيات الهادرة وصفير القنابل والقنابر المتساقطة، وقعقعة الاسلحة الآلية وصرير عجلات وجنازير الدبابات الصاخب ، وامتلأت الاجواء بالضجة الجهنمية الثائرة .

وأعلنت لندن في ٢٦ نيسان قائلة : يجابه الجيش الثامن البريطاني مقاومة الرماة المدرعة الالمانية الشهيرة وهي قوات الجنرال ارنيم المختارة . وثبتت القوات الالمانية في أماكنها في الايام الاخرى التالية ونظفت بعض النقاط التي اخترقها العدو حتى جبل ابو عكاظ كما احتلوا مرتفع ١٨٧ ولكن الارتباط قطع بينها وبين الاخلاف وظل الرماة في مواضعهم الجبلية دون طعام وماء . وقد انهكهم التعب واضعف قواهم الجوع . وكانوا كلما لاحظوا بدء القصوف المدفعية يهبون الى مواضعهم واسلحتهم وينسابون بين نقاط استناد العدو الذي ابدى هو ايضاً جهوداً تفوق التصور والقدرة البشرية . وكانت قواته تصعد المنحدرات بعزيمة وبطولة دون توقف وتستأنف غاراتها العنيفة على مواضع الالمان صاعدة سفوح الجبال الجرداء الخالية تحت نيران المدافعين المحكمة التركيز .

وقد وقعت في ايدي القوات الالمانية بعض الوثائق التي تشير الى حدة القتال القائم وعنفه والى الخسائر الفادحة التي لحقت بالقوات المهاجمة وفرق الهجوم . وعلم بأن كتيبة المشاة الملكية خسرت ٤٠٠ جندي في يوم واحد وخسرت كتيبة الحرس الايرلندية التي انزلت الى اليابسة في منتصف شهر آذار ٧٣٠ جندياً والتي وصل تعدادها الى ٨٥٠ جندياً وخسر حرس الفال ٨٠ ٪ من

عداده . وكان يتمدد امام احدى المواضع الالمانية ٦٠٠ قتيل وكان الجو مفعما بروائح اللحوم المتفسخة .

وقد علق احد الكتاب البريطانيين المرافقين للجيش الثامن مانصه :

كانت حاميات هذه المواقع الجبلية الالمانية مستعدة لتموت اثناء القتال. وكان جنودها يدافعون عنها بعناد مصمم لا يعهد ولا يصدق وليس في امكان البشر تصوره . وما كنا ننتظر قط دفاعاً من هذا الطراز . وحتى الرابع من آيار ظلت هذه المواضع المرتفعة المنيعة المنال في ايدي الالمان . وقد حفروا ملاجئهم الامينة في الصخور بالفؤوس اليدوية ولم يبق لهذه القبضة من الرجال نصيب آخر غير الموت او الاسر . وكان الجنود يتربصون في حفرهم وملاجئهم لان الموت كان يترقب كل واحد منهم يحاول الخروج او البروز من الخنادق . وكان اذا حاول احدهم الاتصال بمقر آمر سريته الشاب ينطلق اليه كالسهم النافر والموت في اثره . وكان هيكل آمر الفوج او أي ضابط آخر ما يكاد يظهر حتى يختفي في طيات الارض. وصل الجميع الى أقصى حدود الطاقة والمقاومة . وكانت اسرتهم رشاشاتهم ومدافعهم يضجعون عليها ويرقدون لحظة لتوقظهم قنبلة أو قنبرة تنفجر في جوارهم فترسل من فوق رؤوسهم شظايا الفولاذ والاحجار القاتلة وقد ارهقهم الحر والعطش والجوع والنعاس . كانوا يتقاسمون فيما بينهم لفافات التبغ الاخيرة . وفي اللحظة التي يتبدل فيها هذا السكون الموقت وتبدأ الانفجارات والقصوف ، كانوا يهبون بسرعة البرق الى اسلحتهم ومدافعهم دون حاجة الى ايعاز جديد او أمر صادر مصممين على القتال حتى آخر لحظة وحتى النفس الاخير .

هذه هي وضعية المعسكر الالماني فما هي وضعية المعسكر البريطاني يا ترى ؟ كان الجنود البريطانيون أوفر غذاء وأحسن تجهيزاً واكثر عددا . أما أحوال القتال فكانت متشابهة والبطولة متماثلة من جانب أو آخر ولكن

الفرق بينهما عظيم . فالجانب الالماني يعتقد بعدم الفائدة من استمرار القتال ولكن هذا الاعتقاد لم يكن ليضعف من معنوية الرجال المحاربين . اما الجانب البريطاني فكان يعتقد واثقاً من النصر والظفر الاخير وما كان يوفر اية تضحية للوصول الى هذا الغرض والحصول عليه . اجل انها بطولة ولكنها تشتمل على كافة الاسباب المؤزرة لتركيز وتوجيه هذه البطولة . وفي هذه الاثناء استبدل جبل ابو عكاظ اربع مرات الاحتلال والاستيلاء . وكان الفيلق الاميركي الاول يخوض هو ايضا معارك دموية عنيفة . وتوقفت اخيراً المعارك ليعمل الجنرال الكسندر على جمع فرقه التي كان يعتبرها تعبة منهوكة . ولم يستأنف بعد هجومه حتى تبدي الخطر المحدق من الجانب الاخر على الوضع الالماني . فـفي القطاع الشمالي بـين الساحل والمرتفعات المشرفه على مجرى وادي السجانة كانت ترابط الوحدات الاميركية والافرنسية . وهذه المنطقة مغطاة بالنباتات العالية التي يصل ارتفاعها ارتفاع قامة الرجل المنتصب مؤلفة من اعشاب شائكة شوكية تحد النظر وتمنع الرؤية . وكان يتوجب في هذه المنطقة تأمين التموين والاعاشة والماء على ظهور الرجال والبغال والدواب معاً . وكان الاميركان والافرنسيون يتقدمون في ارجائها ببطء وهوادة متسللين بين المواضع التي تشغلها فرقة الرماة الايطالية في القطاع الساحلي والمستندة الى الفرقة الالمانية بقيادة الجنرال فون مانتويفل G. Von Man teuffel . .

وتوفقوا في تدمير عدة جبهرات هامة بصورة ان الفرج التي احدثت كانت من السعة بحيث تعذر اغلاقها بسبب نقص الاحتياط . وتأزم بالفعل الوضع بصورة خطرة واصبح سياق الدفاع في وادي السجانة تحت عادية الخطر ايضاً ومعرضاً للانهيار العاجل . لم تبق اية وسيلة ممكنة للاعتماد عليها لان جل الاحتياط عبيء في قطاعات مجاز الباب . لقد وجدت القيادة الالمانية نفسها مرغمة على اتخاذ قرار قطعي من شأنه ان يفرض ارجاع

خط الجبهة في هذا القطاع الى الوراء تاركا للعدو اراض متقطعة طالما حاول الاستيلاء عليها حتى الان . وعملت فرق الجنرال مانتويفل على التملص من العدو خلسة اثناء الليل الذي سبق عيد الفصح وشغلت موضعا جديداً على طريق بيجاماتور مستندا الى البحيرة الكبرى التي يتوسطها الاهرام المنفرد النافر لجبل اشكول الذي يقطع طريق بيزرتا . واخليت ماتور وظلت بيزرتا منذ الآن خلف الجبهة مباشرة .

حقق الاميركان بهذا التقدم نجاحاً ممتازاً دون ان تلحق بهم اضراراً كبيرة ، وساعدهم الانكليز في هجومهم على مجاز الباب مما اجبر الجنرال فون ارنيم لدفع كافة احتياطه في هذا القطاع . وفي الثالث ايار دخلت المدرعات الاميركية الاولى مدينة ماتور . وفي الغد هوجمت من جديد جبهة مانتويفل ولكن دون جدوى . وفي الخامس ايار تحركت المدرعات الاميركية منطلقة الى الامام شرق ماتور واثناءها دمر الالمان ثلاثة عشر دبابة من مجموع اربعة وعشرون دبابة اميركية بفعل مدفع واحد ضد الطائرات . ولكن لم يكن في الامكان ايقاف وصد كتلة المدرعات المتقدمة التي كانت تتبع الموجة الاولى ، فوصلت الموضع وتقدمت في السهل المرتفع جنوب فيرفيل ، كما توغلت المشاة في الفرج . فسقطت بيزرتا عاجلا دون مقاومة في ايدي الاميركان ولم يبق سوى قبضة من رجال المدفعية والمشاة والبحارة والطيارين الايطاليين الذين تمكنوا من البقاء بعد مدة ايام متربصين في القلعة . وانفردت افواج وسرايا مانتويفل بحضائر وفصائل مبعثرة جاهلة ماذا يجري حولها وما يحيط بها ومع ذلك كانوا يقاتلون بنشاط وهمة اليائس . واستمرت المعارك طيلة ثلاثة ايام نفذت اثناءها كافة المؤون والذخائر والماء . وتقرر مصير هؤلاء المحاربين النهائي وارتبط مصيرهم بمصير الجبهة التي اوشك اجلها على الانتهاء ايضا .

استئناف الجنرال الكسندر هجماته على مجاز الباب معتمداً ومقرراً

هذه المرة تحقيق القرار النهائي . وكان القتال يحتدم بالسلاح الابيض على كل شبر من الارض . وتمكنت القوات الانكليزية من احتلال المرتفعات ٢١٢ و ٢١٤ التي طالما دار القتال حول هذه النقاط طويلا . وكانت المدفعية تقصف المواقع الالمانية بدون توقف ومنذ طلوع النهار والمقاتلات الانكليزية تملاء الاجواء فتمطر برشاشاتها كل ما يتحرك فوق الصعيد من بشر وناقلات ومتحركات . ولم يفت نيرانها اصغر الاستحكامات والحفر، وكانت تظل جائبة الاجواء حتى وصول القاصفات التي كانت تلقي حمولتها الثقيلة على الارض فترتج لانفجار قنابرها الارجاء والاجواء القريبة والبعيدة الدوي . لقد انقطع كل اثر للطائرات الالمانية . واذا لمحت احدى المقاتلات الالمانية في الجو فلا تلبث ان تحاذ وتحصر ثم تسقط على اليابسة في امد قصير . وكان الطيران البريطاني والاميركي يهاجم ليلا نهاراً باستمرار ليس المواضع الدفاعية على الجبهة فحسب بل وطرق المواصلات والمعسكرات والمطارات وكل ما يحتمل استخدامه من قبل القوات المحاربة . وفي صباح السادس ايار الباكر ماكادت تشرق الشمس كالكرة الارضية فوق جبال وادي المجردة حتى انطلقت حوالي الف دبابة انكليزية واميركية متقدمة الى الامام مخترقة المرتفعات للوصول الى السهل . وكانت هذه الدبابات مجموعة مدرعات الجيش الثامن والجيش الاول ترافقها المقاتلات والقاصفات التي لاعداد لها .

واختلط هديرها الاصم بجرير وصرير الدبابات والمدرعات وانطلقت برمتها حانقة غاضبة ثائرة صاخبة تحاول تعجيل نهاية المصير وخاتمة الموقعة التي طال عليها الزمن وضاق بها الصبر والاصطبار . وعلى الاثر تصدت الفرقة المدرعة الخامسة عشر بقيادة الجنرال بروتيز لهذا السيل الجارف من الحديد والفولاذ والنار . فدمرت الفرقة بكاملها ولما يمضي وقت طويل . وكان من المستحيل ايقاف المدرعات والدبابات التي لا ترد

ولا تصد ، تتقدم كسيل من اللهب الزاحف . وصل الانكليز عند المساء الى سان سبريان في جوار تونس حيث توقفوا عن التقدم . واشرق فجر يوم الجمعة الواقع في السابع ايار ولم يبق لدى القوات الالمانية الباقية اكثر من ١ — ١٤ في المائة من الوقود وبقي لدى المشاة ٨ ./. في المائة من الذخائر فقط . وظل لدى المدفعية المضادة للدبابات ٥ ./. — ٩ ./. ، ولدى المدفعية ٥ ./. ١٠٢ . واثناء الليل ترك الباقي من مدرعات الجيش الخامس تونس للانسحاب نحو شبه جزيرة بون . واخلت المدينة الارضية المنشأة تحت حديقة القلعة . وفي الصباح اعطيت الاوامر لتدمير مباني تونس ولاغولت او بالاحرى ماتبقى منها . وبالرغم من القصوف الكثيرة المستمرة لم تتأثر المدينة ذاتها بالتدمير ولم تصبها خسائر تذكر ماعدا المرفأ الذي اصبح عبارة عن اكوام وانقاض بينما اصيبت بيزرتا بجروح عميقة وتلقت اصابات كبيرة مؤثرة . وكانت المدينة مخربة تماماً وقد هجرها سكانها منذ وقت طويل . وفي كانون الثاني تمكن الجنرال غاوزه G. Gouse الذي كان منذ زمن رئيس الاركان العامة للجيش المدرع من وضع اليد على تسع غواصات وثلاث نسافات وثلاث سفن حربية . واقنع ٩٠٠٠ جندي افرنسي ليصار الى نقلهم الى فرنسا . وفي اثناء ذلك اصبح مرفأ بيزرتا غير قابل للملاحة بفعل التدميرات الخطيرة. وكانت المدينة الصغيرة الجميلة تحمل في جنباتها صورة الوحشة والانقباض. وكان طيران الحلفاء يسعى ويجهد لسحق المدينة وتحطيم مركز التموين فيها للحؤول دون تشكيلة من جديد . وكان يصل الى الميناء بعض زوارق زيبل وبعض السفن الصغيرة بين الحين والاخر .

ان ابشع منظر في سياق الحرب واكثر شناعة هو مشاهدة انحلال الجيش ، هذا الجيش الالماني الذي كان لايام خلت كالساعة ذات الجهاز الدقيق ، تنتظمه الطاعة والانقياد والخضوع والامتثال والدقة والنظام

يتحول في رمشة عين الى فوضى عمياء صماء . وكانت تشاهد اطنان المؤون الثمينة المرتبة المعدودة المسجلة المغلفة تدمر في لحظات معدودة . وكأن البشر لايعملون الا للخراب والتدمير . وكانوا يظهرون فرحين بتدمير واحراق ما كان يقوم باود معيشتهم وحياتهم بالامس القريب . وبينما كانت الانفجارات الهائله تدمر المرفأ ، وتنسف المستودعات والرحبات كانت تجري عملية حرق المستندات والمصنفات امام ملاجئ الاركان العامة. وكانت السيارات والعربات والآليات تحترق وتلتهب في وسط الشوارع وقوات الدفاع الجوي تدمر ذخائرها ومعداتها لتجعلها غير قابلة الاستعمال. وكان بعضهم يهرول ذات اليمين وذات الشمال كأنهم يفتشون عن وسيلة للخلاص . وكان السكان المدنيون ينظرون بحيرة تمازجها عدم المبالات الى مايجري حولهم من التخريبات وهم منشغلون عنها في اعمالهم واشغالهم. وكانوا حتى النهاية مثال الاعتدال وكانوايظهرون شعور الصداقة مع الاسف والتحسر ولم يصدر عنهم اي تمد او تخريب او تظاهر عدواني ولا اي عمل هجومي ضد قوات المحور .

وكانت المستشفيات تعج بالجرحى وقد تحولت كل غرفة ودهليزوممشي الى مستوصفات وملاجئ للتداوي . وفي كل قرنة وزاوية من المدينة كان يضجع جسم دام جريح يأن ويتألم . وقد حاول الانكليز قصف الباخرة بولونو الراسية في المرفأ لاغوليت وعليها ٦٠٠ اسير انكليزي واميركي . فابرق الجنرال فون ارنيم الى القيادة البريطانية يعلمها بوضعية الباخرة المذكورة ، وان الباخرة الاخرى الراسية الى جانبها هي سفينة مستشفى . فاوعزت هذه القيادة الانكليزية بالكف عن قصف هذه السفن .

وكانت الطائرات تهدر فوق اسطحة المنازل وتتسابق الى المرفأ لاغراق اخر السفن ، الراسية من سفن صيد وزوارق مختلفة وقد خرجت مساء من المرفأ ولكنها اغرقت جميعها . دخلت المدرعات والدبابات الاولى المدينة

الخالية في الساعة السابعة عشر مساء وكانت الصحيفة الاخيرة المسماة الواحة « Oisis » وهي الصحيفة اليومية للجبهة التي كان يصدرها الجيش المدرع الاول لزمرة الجيوش ملقاة على ارض الملاجئ ولما يجف حبرها بعد . وقد سلمت المستشفيات والمستوصفات بنظام تام للعدو . وفي عرض البحر كان يظهر هيكل سفينة تحترق وكان اللهب الاحمر يتصاعد من جوانبها باشعته القرمزية فوق صفحة الماء القاتمة . واقلعت آخر ناقلة جوية ج ٥٢ G 52 تطير على محاذاة الامواج ووجهتها رأس جزيرة سيسليا لتنقل الخبر الاخير . قطع سقوط تونس الجبهة الالمانية الى شطرين، وقد شيد خط دفاعي جديد بسرعه كلية لمنع الوصول الى شبه جزيرة رأس بون واوقف العدو في سليمان غرب حمام الليف على طول الساحل الشمالي .

وكان الجيش الاول مازال يدافع عن مواضعه في انفيدال دون الاهتمام بالحوادث التي فصلته نهائياً عن قواعد تموينه . وكانت جنود مختلف الاسلحة تحيط بجرحاها وتعنى بهم وتنتظر الهجوم الاخير . وفي الثامن عشر ايار وصلت المدرعات الانكليزية الى الشمال الاقصى من شبه جزيرة رأس بون حيث انتهى القتال واستسلمت الجيوش الالمانية . وبعد اربعة وعشرين ساعة القت فرق انفيدافيل سلاحها في دورها ورفعت العلم الابيض بعد ان نفذت ذخيرتها بتمامها . وبعد الاستسلام استقبل الجنرال الكسندر الجنرال فون ارنيم وطلب اليه ان يعبر له عن رغبته وذلك اجابه للفتة السمحة التي ظهرت منه لقاء سعيه للمحافظة على حياة البريطانيين الاسرى على الباخرة بولونو . وقد طلب الجنرال الالماني اليه الايعاز باخلاء عدد مساو من الجرحى الالمان ليصار الى ارسالهم الى ايطاليا . وقد قبل الطلب ونفذ على الفور . وهكذا تبدت للمرة الاخيرة هذه الروح الفروسية المطبوعة بأجمل التقاليد العسكرية التي غمرت عمليات الصحراء

منذ البداية حتى النهاية .

وفي الثالث عشر ايار اعلنت قيادة الجيش الالماني العليا بان العمليات الحربية في افريقيا توقفت نهائيا وان الجيوش الالمانية المحاربة اندحرت بسبب انقطاع عمليات التموين وفقدان المؤون والذخائر وليس بسبب هجوم العدو الذي دحر امام قواتها اكثر من مرة في ميادين حرب افريقيا امام تفوق القوات والاسلحة البريطانية . ولئن بدا هذا التصريح مخالفا لاعتقاد القيادة الالمانية المألوف ، ولكن لايخلو عن كونه اعتراف صريح بالحقيقة للمرة الاولى برغم كل الوعود والاوامر التي اسلفت قبلا للفيلق الافريقي ومن ثم لزمرة الجيوش والتي وضعتها في شروط غير ملائمة للقتال. لقد خسرت موقعة التموين حقاً وسقطت الجيوش صرعى واسرى تحت عادية تفوق العدو المادي ، وانتهت على هذه الصورة موقعة البحر المتوسط وفتحت الطريق الحرة امام قوات الحلفاء لغزو اوربا .

ولو ان المانيا استدركت مسبقاً نتائج هذه الغلبة وما ستجرها من اندحارات اخرى محتمة لانتهى الحرب منذ هذه اللحظة حرصاً على حماية اوربا من الخراب والدمار المنتظر في المستقبل القريب . لقد كان الدرس بيناً ظاهراً لا لبس فيه ولا غموض . ولم يعد في وسع المانيا بعد اليوم ان تتطلع الى الظفر المؤمل المحقق بنجاح وهي تجابه وتقابل عالماً معادياً برمته يقف في وجهها بعزيمة وتصميم ثابتين . ولا نغالي اذا قلنا بان الظفر النهائي كان غير مضمون حتى ولو تيسر لقوات المحور الوسائل لقهر الانكليز واحتلال مصر . ان تفوق بريطانيا وحلفائها في العدد والعداد والمعدات والموارد لا يمكن ان يختفي من كافة الميادين بصورة نهائية . فجيوش الحلفاء تملك من الموارد الغزيرة مالا ينضب معينه ، ومالاينقطع سيله . وبالاضافة الى ماسبق قوله فانها استفادت من قيام الجبهة الشرقية الروسية واستغلتها احسن استغلال لتحقيق قرار حاسم في ميادين وجبهات

أخرى كما جرى وتحقق بعد مرور سنة ونصف على الجبهة الغربية . والحقيقة التي لامراء فيها هي ان القيادة الالمانية العليا غالت كثيراً في تقدير قدرتها وطاقتها بخفة تعد مسؤلة عنها وتؤاخذ عليها مؤاخذة حقه. ولم تكن تجهل قط انها لم تعد تستحوذ على السيطرة الجوية الكافية التي تستطيع معها ان تجابه قوات العدو الجوية كما واصبحت نهاية الحرب الرابحة موضع شك وارتياب بالنسبة لمصلحتها ، واصبح ربحها امراً بعيد الاحتمال والمنال . . وقد ظلت لوحدها في الميدان . ولم يعد في طاقتها ان تربح سوى حرب واحدة ، وهي الحرب التي لن تخوض غمارها بعد اليوم . ان الانتصارات والاندحارات التي عاناها هاذان الشعبان في افريقيا الشمالية اثناء الحملة السائرة بين ارجاء الشرق والغرب في عرض الصحراء تشكل التاريخ المجيد الحافل باعمال القادة العظام والجنود الشجعان البواسل . وكان المسكران يتصارعان ويتنازلان في قتال مرهق مبيد كل منهما يعتقد بانه يحارب من اجل غاية مثلي وهدف سام . وكان القتال المستمر بين الجانبين يتصف بطابع الشرف العسكري المترفع عن الخوف والهوان والمتعري عن الهوى والحقد الاعمى ، قتال مثالي انساني سمح لحمته الشرف وسداته المرؤة .

وآلاف منهم ودعوا الحياة وتجمعوا على الموت ليستقبلوا عالم الخلود . فاستقرت رفاتهم في رحاب الصحراء الفسيحة الهادئة ، هذه الصحراء المخيفة التي قررت مصيرهم النهائي واحتضنتهم في احشائها الغامضة المقدسة الحضانة الابدية وسطرت عنهم سطور المجد الخالد .

فهل يستخلص اصحاب القلوب الكبيرة والنفوس السامية الاعتبارات التي تحيط بهذه التضحيات الجليلة في سبيل عظمة بلادهم ومجد امتهم .